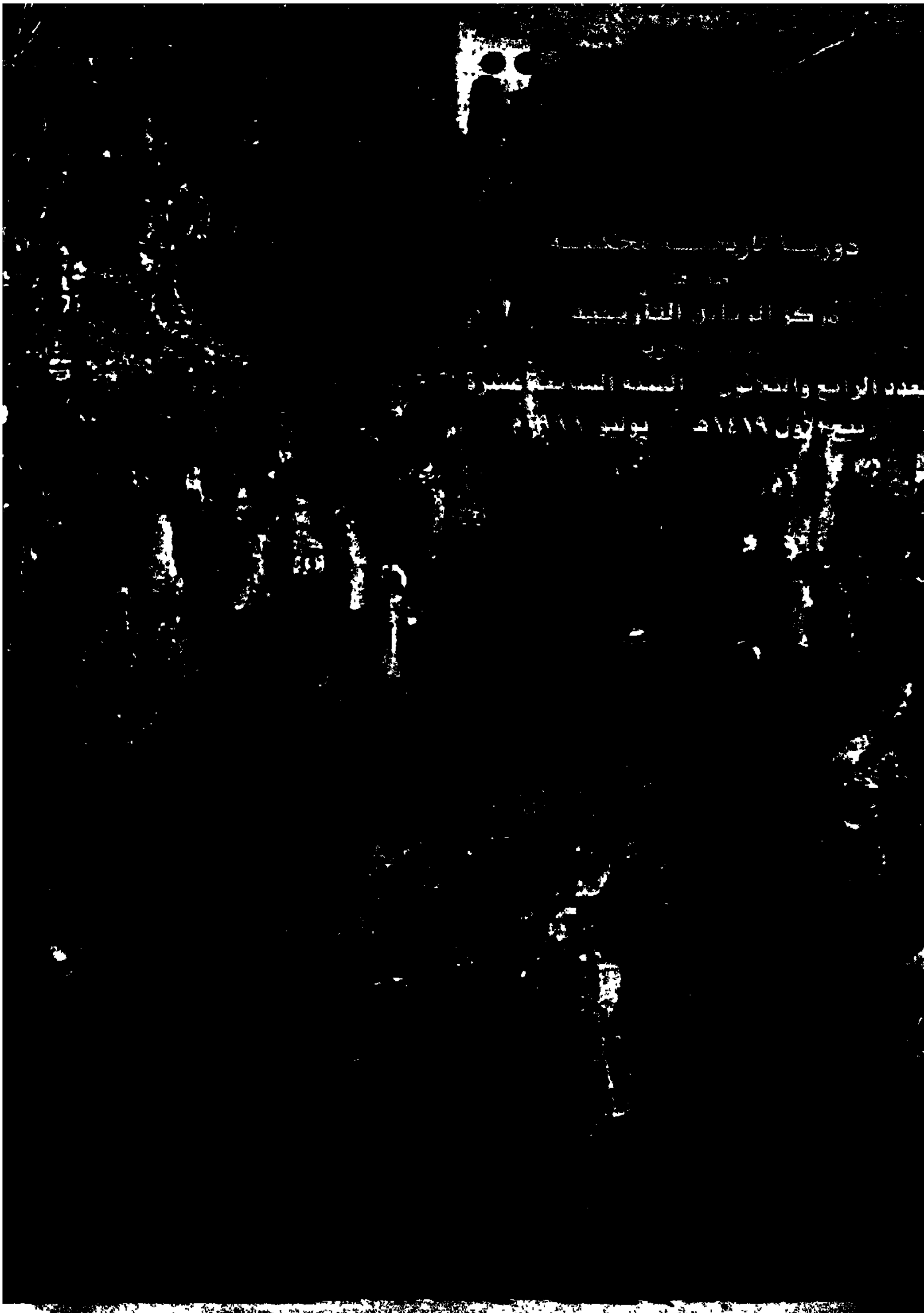
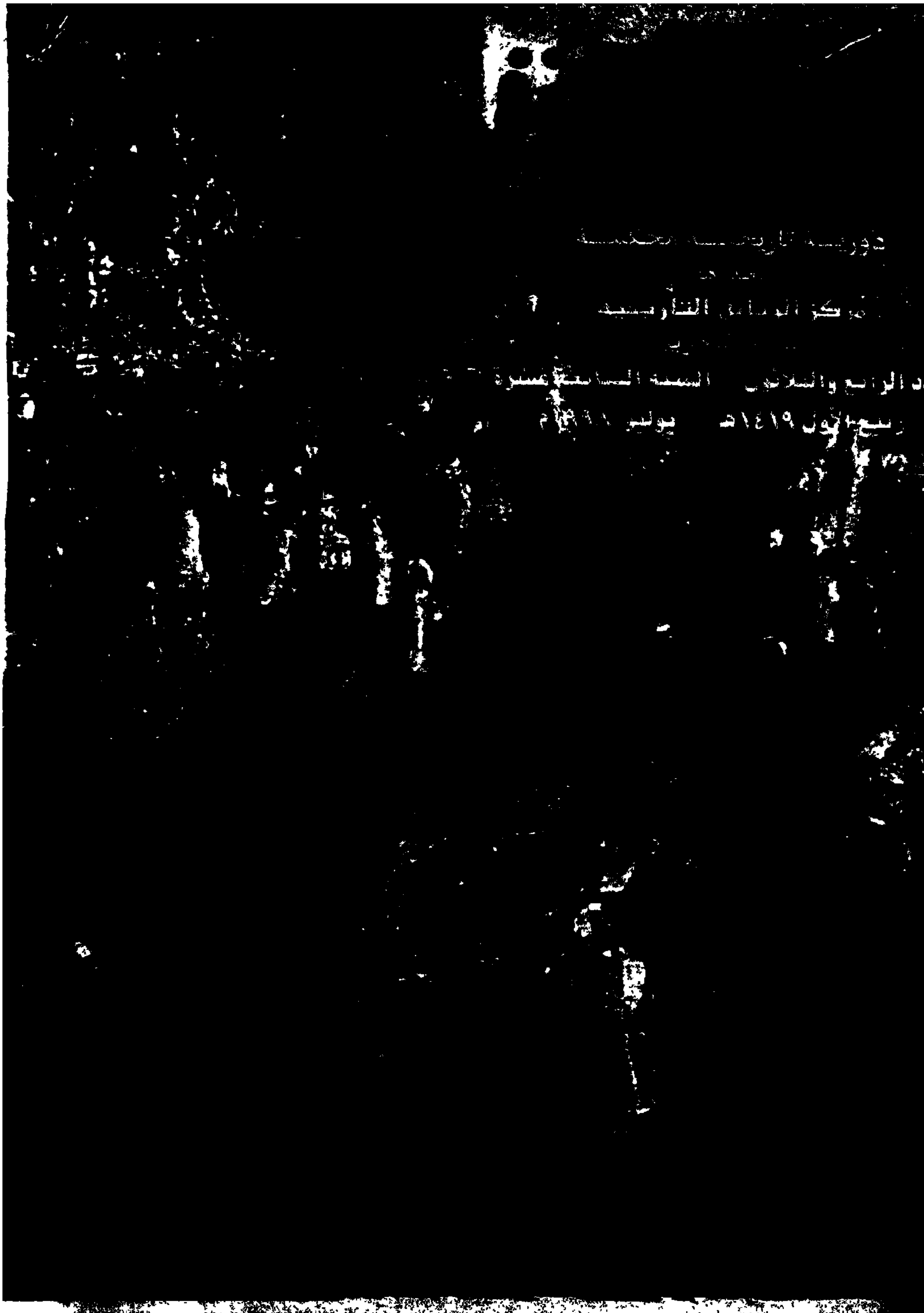


دورية تاريخية محكمة

مركز الوثائق التاريخية

العدد الرابع والثلاثون السنة السابعة عشرة

ربيع أول ١٤١٩هـ يوليو ١٩٩٨م



دورية تاريخية محكمة

تصدر عن

مركز الدراسات التاريخية

العدد الرابع والثلاثون السنة السابعة عشرة

ربيع الأول ١٤١٩هـ يوليو ١٩٩٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الوثيقة

دورية تاريخية محكّمة
تصدر عن
مركز الوثائق التاريخية
بدولة البحرين

رئيس التحرير
الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة

نائب رئيس التحرير
د. علي أبا حسين

مدير التحرير
السيد أحمد حجازي

العدد الرابع والثلاثون - السنة السابعة عشرة
ربيع الأول ١٤١٩هـ - يوليو ١٩٩٨م

[illegible]

الوثيقة

لجنة المجلة

الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة

الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة

الدكتور علي أبا حسين

العنوان : مركز الوثائق التاريخية ص.ب. : ٢٨٨٨٢ المنامة - دولة البحرين
تليفون : ٦٦٤٨٥٤
جميع المكاتبات ترسل باسم رئيس التحرير

فهرس

القسم العربي

كلمة العدد:

القسم الإنجليزي

كلمة العدد:

الغلاف

[العيد قديماً]

للفنان أيوب حسين الأيوب

الكويت

كلمة العدد

البحرين.. القائد والمسيرة

بقلم: سعادة الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة

استهل . حضرة صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير البلاد المفدى في السادس عشر من شهر ديسمبر عام ١٩٧١م كلمته بقوله : [يسعدنا في هذه المناسبة لعيد جلوسنا أن نزف إلى شعبنا أحر التهاني بمناسبة إعلان هذا اليوم من كل عام (عيداً وطنياً) لدولة البحرين وإننا إذ نشارك شعبنا الكريم احتفاله بهذا اليوم الأغر لنود أن نؤكد له تصميمنا على مواصلة السير ببلادنا العزيزة على طريق التقدم والازدهار .] .

أجل لقد حقق صاحب السمو الكثير من الإنجازات بتصميم وعزم خلال ثلث قرن من الزمن وعلى رأسها تحقيق الاستقلال والسيادة التامة لدولة البحرين التي أخذت مكانها بين الدول فانضمت إلى جامعة الدول العربية وهيئة الأمم المتحدة لتسعى من أجل إرساء قواعد المحبة والعدالة والسلام بين الأمم، وقامت حكومته الرشيدة بالإنجازات الحضارية المتميزة سواء على الصعيدين الدولي أو الداخلي ومنها إرساء قواعد الشورى، وتوطيد علاقات الصداقة وحسن الجوار مع الدول

الشقيقة والصديقة، واستقلال القضاء وتنظيم جهازه وتوسيعه وتدعيمه إيماناً من صاحب السمو وحكومته الرشيدة وعلى رأسها صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة بأن القضاء واستقلاله عنصر هام من عناصر استتباب الأمن وشيوع الطمأنينة في النفوس والنشاط التجاري والاقتصادي في البلاد . ولحماية وطننا فقد أنشئت قوة دفاع البحرين والذي كان ولا يزال المواطن البحريني هو الأساس في بنائها فهو الذي يذود ويدافع عن بلاده . وكذا الاهتمام بأجهزة الأمن لمكافحة ومنع حدوث الجريمة وحماية المجتمع من كل مكروه ليعيش آمناً مطمئناً يزاول عمله في أي موقع كان . ونظرة إلى الإنجازات الحضارية خلال ثلث قرن مضى من عهد صاحب السمو الأمير المفدى نجده قد حقق ما أعلنه بالأمس في العيد الوطني الأول وفي كل عام يتجدد اللقاء مع شعبه وقد حقق الكثير من الإنجازات . وبتوجيهات من سموه تولي حكومته الرشيدة اهتمامها للناحية الاقتصادية فتجعل ضرورة الاعتماد على مصادر الدخل بدلاً من مصدر واحد فتشجع الصناعة والتجارة والزراعة باستخدام رؤوس الأموال الوطنية في المشاريع الاقتصادية التي حققت الكثير من النتائج المثمرة فأوجدت فرصاً للوظائف وزادت الدخل القومي، ولا تخلو فترة قصيرة من الزمن إلا ويقوم صاحب السمو أميرنا المفدى أو صاحب السمو رئيس الوزراء أو صاحب السمو ولي العهد أو المسئولون على كافة المستويات بافتتاح مشروع موفق . فمن افتتاح لميناء سلمان إلى بناء للمدن العصرية التي لا تزال تؤدي دورها لحل مشكلة الإسكان . وإيماناً بأن الصحافة لسان حال الرأي العام فقد صدرت عدة صحف ومجلات وقد أخذت دورها المشرف في خدمة المواطن وفي كافة مجالات المعرفة . وفي المجال الصناعي أدار بيده الكريمة مفتاح الآلة التي صبت أول سبيكة للألمونيوم، وافتتح مصانع الدقيق، ووضع الحجر الأساسي لمشروع الحوض

الجاف وتأسست في عهده شركة نفط البحرين الوطنيـة، كـل هـذا وغـيره كانت مشاريع موفقة نلمس نتائجها في الوقت الحاضر .

ونظرة سريعة إلى الميزانيـة العامـة وتضاعفـها عاماً بعـد عـام في كـل مرافق البلاد نجد ما يدل على النهضة الشاملة التي شهدتها خـلال ثلـث قرن من تاريخ حكم صاحب السمو الأمير المفدى . وقد أولى سمـوه التعليـم والصحـة والخدمـات العامـة بصـورة خاصـة اهتمامـاً خاصـاً ودلـت الإحصائيات المدونة على تضاعف عدد المدارس والمعلمين والطـلاب في كـل عام نتيجة لما رصد لها من ميزانية تليـق بمكانتـها، وتـوج ذلـك بافتتـاح جامعة البحرين وجامعة الخليج العربي وغيرهمـا مـن المعاهد التربويـة الأخرى . وفي (العيد الوطني) من كل عام يلتقي صاحب السـمو بالعـاملين في سلك التعليم وبـالطلاب المتفوقـين ليقدم بيـده الكريمـة الجوائـز الـتي ستبقى ذكـرى تذكرهـم بأميرهم المفدى راعـي العلـم والتعليـم فيدفـع بالآخرين لرفع كفاءتهم ليخدموا وطنهم العزيز .

وفي مجال الخدمات الصحية فقد أولى سموه ذلك الاهتمام برصد سخي بلغ نحو ربع الميزانية في عام ١٩٦٣م ثـم زادت زيـادة مطـردة في كـل عـام فأسست المستشفيات والمستوصفات والعيادات واستقدم الإخصائيون وأرسل أبناء البلاد للتخصص فعادوا ليأخذوا مكانتهم الموفقة في مجالهم الطبي .

هذا نموذج من اهتمامات سموه، وإن الإنجازات التي تمـت في عـهده في مختلف الميادين الاجتماعية والاقتصاديـة والثقافيـة والإداريـة تحكـي تـاريخ ذلك الرجـل الكريـم الـذي قـدم جليـل الأعمـال في مرافـق الخـير والإصلاح والعمران .

وإن حديث الإصلاحـات في عـهده حديـث طويـل لأنـه يؤمـن بخلـود العمل المخلص وأن الناس يذكرون تفانيه في بنـاء بلادهـم وسـعادتهم فقد

أحبوه وأخلصوا له لحبه وإخلاصه لهم ولقربه من أنفسهم يجدونه كلهم في مجلسه العام ليصافحوه وهو يرد التحية فيصافحهم ويقابلهم ويسمع منهم فيحل مشاكلهم ثم يساعدهم بسخاء وكأنه يساعد أحداً من أفراد أسرته حين يستجيب لمطالبه مباشرة وبدون حاجب وبروح ديموقراطية تتمثل بالبساطة العربية التي ورثها عن الآباء والأجداد .

نقاط مضيئة

()إعلان الاستقلال

صدر البيان الرسمي من صاحب السمو المفدى بإعلان استقلال البلاد في ١٤ أغسطس ١٩٧١م وجاء في البيان التاريخي الذي أعلنه صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير دولة البحرين وألقاه صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء من إذاعة البحرين الساعة الواحدة ظهراً :

"إن البحرين، الدولة العربية المسلمة التي تؤمن بالوحدة العربية كضرورة قومية ملحة يفرضها عليها التاريخ والدين واللغة والثقافة والمصير المشترك .

() في الحادي عشر من سبتمبر ١٩٧١م وافقت اللجنة السياسية لمجلس جامعة الدول العربية على (قبول دولة البحرين عضواً في الجامعة العربية) . كما تقدمت البحرين بطلب الانضمام لعضوية الأمم المتحدة في سبتمبر ١٩٧١م فتمت الموافقة على انضمامها (لعضوية الأمم المتحدة)

البحرين والزبارة

• تواريخ وأحدا

القسم الأو

بقلم

عبد الزهراء ال

البحرين





السيد عبد الجليل الطباطبائي

الشاعر – كل شاعر مرموق – هو ابن عصره يسجل في أبيات قصائده مخاض تجاربه الشخصية في معترك حياته التي هي جزء من عموم حياة زمانه، وتنعكس على أبياته مجابهات البشر التي تحيطه بإزاء بعضهم البعض، وتنطبع كلماته بأوجه أوضاعهم في مسيرة الديمومة الجدلية بين الإنسان وتحريك الكون بما يخدمه في سبيل البقاء، وتتكتل في مضمون البناء الفكري للشاعر وتتجمع في أساليب أدبه وشعره الروح السائد على شعراء وأدباء عصره من حيث الفكرة الأدبية وطريقة أدائها في أسلوبهم المتبع – شعراً أو نثراً .



وهم يتباينون في درجات وحجم تأثرهم بواقعهم العام - بعد تباينهم في حجم تجاربهم الذاتية الشخصية - والذي يتأثر ظله على الأعمال الأدبية للأديب بقدر حجم ذلك التأثر، ومرد ذلك إلى حدود تفاعل الأديب بالأحداث المعاصرة له ومدى ارتباطه بالأعلام البارزين في زمانه الذين كانت لهم الأدوار المؤثرة على مجتمعاتهم سواء أكانت سياسية أو علمية أو اجتماعية - . وربما لا يوجد خبيران مطلعان على تاريخ البحرين والزبارة يتنازعان في كون الشاعر الأديب السيد عبد الجليل الطباطبائي يمثل دوراً طليعياً بين كافة شعراء وأدباء المنطقة الذين تناغموا مع أوضاعها وألقوا بأضواء أحداثها على ثنايا شعرهم ونثرهم .

إن هذا الشاعر الذي هاجر من ـطنه البصرة شاباً غضاً لم يتجاوز ـسابعة والعشرين ينزل الزبارة في شمال ـب شبه الجزيرة القطرية ليسكن بين ـهراني العتوب الذين كانوا قد ظهروا ـذ وقت قريب على الساحة السياسية المنطقة بقوة يضع لها الساسة حساباً ـيدوا تنظيم معادلاتهم من جديد .

وهو بحكم علمه الذي حصله منذ ـومة أظفاره في مدينته البصرة، ورهافة ـارضته الشعرية، يحتل في قلوب شيوخ ـزبارة مكاناً علياً، وتمر الأيام فيحكم ـلاقاته الودية مع علمائها وأدبائها ـذين حطوا رحالهم فيها من شتى بقاع ـنطقة، ومن جراء ذلك يأتي معه الزمان ـ مهجره ليصبح من علية القوم، وتكون له أدواره التاريخية في الزبارة ثم في مهجره الثاني البحرين - التي جاءها ساكناً في عام (١٢٢٥هـ - ١٨١٠م) - .

وثوق الارتباط بالسياسيين والطبقة المثقفة، والقرب من الأحداث، ولّد في شعر ونثر الطباطبائي انعكاسات سجلت لنا بعض ما دار من أحداث في ماضي البحرين والزبارة، وسجلت جوانب من حياة بعض أعلامهما .

كان من المفترض في ديوان الشاعر(١) أن نقرأ كمّاً كبيراً من هذه الانعكاسات التاريخية، لكن للأسف يفاجأ الناظر للديوان بضآلة الأضواء التاريخية الأدبية التي تسجل بعضاً من تاريخ البحرين والزبارة .

أجـل، هنـاك في الديـوان تسـجيل لبعـض حـوادث ليسـت لهـا علاقـة بالبقعتين، وفيه ما يفيد عند الكتابة عن حيـاة أعـلام لم يعيشـوا فيـهما، وحـين جمـع مالـه علاقـة بـالبقعتين وهـذه المضمومات يحصل منـها قـارئ الديـوان على كم كبير من الملامح التاريخية الـتي اصطبغ بها أدب الطباطبائي .

ولكـن نقـول : إن الطباطبـائي قـد عاش زهرة حياته ومعظم عمره في هذيـن المكـانين – البحريـن والزبـارة –، وكـان على ضوء ذلـك وبحكـم شـدة قربـه مـن أحداثهما -- التي كانت كثـيرة ومرتفعـة السـخونة – وبسـبب قـرب صحبتـه لعلمائـهما يفـترض أن يتـأثر أدبـه بمـا عاصر مـن أحداثـهما وشخصياتـهما وأن يفوق ذلك تأثره الفعلي الذي يطالعنا بـه الديوان .

إذن نحـن في بحثنـا هـذا – بعـد إرجائنا تناول شخصيات المكانين الـوارد ذكرهمـا في الديـوان إلى بحـث آخـر – سنعالج هـذا المقـدار الضيـق النطـاق مـن التفاعل الأدبي في شعر ونـثر الطباطبـائي مع أحداث الزبارة والبحرين، لكـن مـع هذه الشحة الـتي اتسـم بـها الديـوان – نظـراً لعمـق علاقـة صاحبـه بـالبلدين – سيجد قارئ البحث – كما هو اعتقـادي – أن هذه المعلومات التاريخية مع قلتها بالغة الأهمية، وسيبقى الديوان من هـذه الناحيـة "وثيقـة تاريخيـة – علـى حـد تعبير الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة – للفـترة الـتي عاشـها – الشـاعر – في القرن الثالث عشر، وهـو صـورة صادقـة للحيـاة الـتي كـان أنـاس ذلـك العـهد يحيونـــها مـــن مختلـــف النواحـــي الاجتماعية والأدبية والسياسية[٢] .

حملة عمانية على العتوب

قـد لا يجـد البـاحث في تـاريخ البحرين الحديـث تاريخـاً اختلـف فيـه كالاختلاف على حملـة العمـانيين علـى البحرين في عهد السيد سلطان بن أحمـد البوسعيدي[٣] حتى ليلمس القارئ أرقاماً ومعلومات تكاد تكون متناقضة في أغلبها مما يفضي إلى حيرة وبلبلـة في استيعاب ذلـك الفتـح يصعـب علـى المـرء الـدارس لهذه الواقعة أن يتعداها بعد قراءة العديد من المراجع التاريخية التي تناولتها وهـو يحمـل في ذهنـه صـورة واضحـة عـن مجريات وتواريخ الحملة .

وإذا رمنا الخـروج عـن دائـرة ذلـك الاضطراب، وأردنـا تحديـد تـاريخ تلـك

الحملة العمانية، فلا مندوحة عن استعراض عامة الأقوال التي ذكرت في هذا الخصوص، ويمكن حصرها فيما يلي :

١ - في كتابه (دليل الخليج) يذهب لوريمر إلى أن السيطرة العمانية على البحرين ابتدأت بعام ١٨٠٠م[٤] .

٢ - أما أبو حاكمة فيذكر أن حملة السيد سلطان البوسعيدي قد وقعت في سنة ١٧٩٩م غير أنه فشل في الاستيلاء على المنامة، لكنه حمل مرة أخرى عليها وتم له الاستيلاء على البحرين سنة ١٨٠٠م، ثم استطاع العتوب إستعادة سلطتهم على البحرين، فعاد السيد سلطان مرة ثالثة ليهاجم الجزيرة من جديد عام ١٨٠٢م، إلا أنه فشل فيما رمى إليه نظراً لمساعدة الوهابيين الفعالة للعتوب في الاحتفاظ بالبحرين[٥].

٣ - بينما روث في كتابه (لمحة عن تاريخ عمان ١٧٢٨ - ١٨٨٣م) فيذكر أن البحرين وقعت بيد السيد سلطان في عام ١٧٩٩م، غير أنه في (مذكرات حول نجد) يقرر أن السيطرة العمانية على البحرين قد امتدت منذ عام ١٨٠١م[٦] .

٤ - وفي مؤلفه (لمحة عن العتوب) يحدد واردن تاريخ الهجوم العماني بعام ١٨٠٠م، وفي مؤلفه الآخر (لمحة عن الوهابيين) يحدده بعام ١٨٠١م[٧] .

٥ - إلا أن مايلز في كتابه (سيرة السيد سلطان) والتقرير السنوي للإدارة البريطانية في الخليج (١٨٧٩ - ١٨٨٠م) يؤكدان على أن بداية سيطرة العمانيين على البحرين كانت سنة ١٨٠١م[٨] .

٦ - أما كيلي فيذكر أن محاولات السيد سلطان للهجوم على البحرين فكانت ثلاثاً، ففي عام ١٧٩٩م حاول الهجوم على البحرين فمني بالفشل، ثم حاول ثانية سنة ١٨٠٠م ونجح في إرغام العتوب على دفع الزكاة، ولكنهم سرعان ما توقفوا عن أدائها مما اضطره إلى شن حملة أخرى عليهم انتهت بانتصاره ودخوله البحرين. ولكن كيلي لم يعين سنة انتصاره - هذا[٩] .

٧ - لكن مؤلفاً (البحرين عبر التاريخ) فيبدو مما كتباه أنهما يذهبان إلى أن السيد سلطان لم يقم بمحاولات عدة في دخول البحرين، وأن سيطرته عليها كانت في سنة (١٢١٧ -

١٨٠٢م)، ويستندان في تصحيح ذلك إلى المصادر التالية :

[أ] رسالة القبطان "ستون" الممثل السياسي للدولة البريطانية والمقيم في مسقط، وهي رسالة بعثها لحكومته – كما ذكر المؤلفان – في ٢٠ يوليو ١٨٠١م يقول فيها : "إن غزو البحرين بات وشيك الحدوث" .

[ب] ما ورد في مخطوط (عقد جيد الدرر في معرفة حساب نوروز أهل البحر) لكاتبه جابر بن عبد الخضر بن هلال بن محمد بن بدر، وهو شاهد عيان سجل حوادث هذا الهجوم بقلمه وحددها باليوم والساعة – وينقل المؤلفان نص المخطوط وهو يؤيد ما قالاه حيث يصرح ابن عبد الخضر بوقوع غزو السيد سلطان في سنة ١٨٠٢م[١٠] –، وبعد نقل ما يرويه ابن الخضر يمضي المؤلفان ليقولا : "هذه – أي رواية ابن الخضر – هي الرواية الصحيحة التي نعتمد عليها وتصدقها الرواية المحلية، أما ما أورده واردن في مذكراته من أن سلطان بن أحمد البوسعيدي دخل البحرين في عام ١٧٩٩م/ ١٢١٤هـ، ثم دخلها ثانية بعد سنة، وثالثة في السنة التي تليها، فإن واردن كتب بعد عقدين من السنين وهو بعيد عن الأحداث، إذ كان يكتب مذكراته سنة ١٨١٩م وهو في الهند، وقد أخذ عنه لوريمر وكيلي وطائفة من المؤرخين المحدثين، بينما كانت الظروف المحيطة بسلطان بن أحمد في السنوات التي أوردها واردن غير مناسبة له للهجوم لانشغاله في الحوادث الداخلية في بلاده، أما إذا قالوا أن الخلاف بدأ سنة ١٧٩٩م وامتد خلال السنين التى ذكروها حتى حدثت المعركة في ١٨٠٢م فلا يستبعد ذلك"[١١].

والذي أراه أن رواية ابن عبد الخضر لا تتنافى مع ما يرويه كيلي، فالأخير كان ما كتبه عن هذه الحادثة – في اعتقادي الشخصي – هو عين الحقيقة وكبدها، وأدق وأفضل ما قاله كاتب أجنبي بخصوصها، وليس هنالك من تعارض – قد يذكر – بين الروايتين، ويدعم صحة كل منهما :

إنه عندما كان جون مالكولم في طريقه من بومباي إلى فارس والعراق في مهمة رسمية اتجه موفداً من قبل حكومة الهند إلى مسقط وبلغها في ٨ يناير عام ١٨٠٠م، وكان يود أن يقابل السيد سلطان بن أحمد حتى يوقع معاهدة مع الإنجليز بخلاف المعاهدة التي وقعها

عام ١٧٩٨م معهم، ولما سأل عن السيد سلطان قيل له إنه ذهب يغزو البحرين، وفي عودة السيد سلطان من غزو البحرين التقى به مالكولم في عرض البحر ووقعا معاهدة في ٢١ شعبان عام ١٢١٤هـ الموافق ١٨ يناير عام ١٨٠٠م(١٢) .

إن عدم تواجد السيد سلطان في الأيام الأولى من عام ١٨٠٠م في بلاده عمان واشتراكه في غزو البحرين لدليل قاطع على أن البوسعيديين قد حملوا على عتوب البحرين في السنة السابقة .

لكن ما الذي يثبت أنهم أعادوا الكرة مرة أخرى فهاجموا العتوب في العام اللاحق - ١٨٠٠م - ؟ .

إن هذا السؤال يعيد إلى أذهاننا ما قاله مؤلفا كتاب (البحرين عبر التاريخ) حول اعتماد المؤرخين الغربيين في تحديد تاريخ غزو السيد سلطان للعتوب على ما كتبه واردن، فليس لدينا ما يفيد الجزم بأن مؤرخي الغرب الذين اتفقت غالبيتهم العظمى على حصول حملة عمانية على جزر البحرين في هذه السنة لم يكن استنادهم للقول بهذا التاريخ على ما كتبه واردن .

من جهة أخرى لا نستطيع التيقن من أن هؤلاء المؤرخين لم يرجعوا في قولهم بالغزو الثاني إلى مستند وثائقي بريطاني أو غير بريطاني قد سبق واردن في القول به وتحديد وقوعه، فضلا على أن تأخر واردن في الكتابة عن الفتح العماني للبحرين بما يساوي أقل من عقدين من الزمن لا يقتضي التشكيك في صحة ما كتب، فلعله رجع إلى ما يثبت حدوث غزو ثان في عام ١٨٠٠م ولاسيما إذا وضعنا في الاعتبار أنه أراد في كتابته حول العتوب إعطاء تقرير تاريخي لدوائر الاستعمار البريطاني، وإذا أراد ذلك فمن الضرورة بمكان أن يعتني أقصى الاعتناء بدقة المعلومات التي يقدمها لتلكم الدوائر مما يلقي على عاتقه عبء تقصي جميع الوثائق البريطانية التي بين يديه والمتوفرة له بسهولة لكونه عضو حكومة بومباي ومساعد المقيم في الخليج، ولسنا نتصور خلو هذه الدوائر من وثائق كتبها مندوبوها ومعتمدوها ورجالاتها المتواجدون في الخليج ذكرت فيها هذه الواقعة لكونها حدثاً مهماً وكبيراً بالنسبة للمنطقة ليس من السهل وقوعه ومروره دون تسجيله في بضع وثائق إن لم يكن في وثائق كثيرة(١٣)، وعدم وجود هذه الوثائق في وقتنا الحاضر - على فرض عدم وجودها - لا يعني أنها لم تكتب، لأن من المعلوم أن كمًّا ضخماً من

الوثائق البريطانية التي سطرها رجال شركة الهند الشرقية الإنجليزية قد تلف أو أتلف. ويُستبعد ضياع أو تلف تلك الوثائق خلال أقل من عقدين من الزمن ذلك لآن الهدف من كتابتها يفرض وضع أقصى أنواع الحماية لها من الضياع أو التلف لاسيما مع عدم مرور مدة طويلة من كتابتها قد تفقد خلالها بعض أو كل هذه الوثائق .

وعلى أي حال لا يوجد مبرر لدينا يدعونا لرفض تكرار السيد سلطان البوسعيدي لغزوه العتوب مرة ثانية في ١٨٠٠م مع وجود هذا الاتفاق الكبير على وقوعه وانعدام معارضة حصول الغزو الثاني لرواية ابن عبد الخضر المؤكدة على غزو آخر في عام ١٨٠٢م. والمؤرخ البريطاني كيلي المبرِّز في الاطلاع على تاريخ الخليج لا يفوته – كما مر – ذكر السبب الذي دفع بالسيد سلطان للغزو ثانية. وهو سبب معقول حيث أن النصر لم يحالفه في حملته الأولى على العتوب فاضطر إلى حملة أخرى تكون – بطبيعة الحال – بعُدة وعدد أكثر وأفضل من الحملة التي سبقتها .

بيد أن الحملتين لم تكونا حاسمتين لصالح البوسعيديين كما لم تكونا خطرتين على تاريخ العتوب السياسي كالحملة الثالثة. فإن الحملة الأولى باءت بالإخفاق والثانية يبدو أن نتائجها لم تتجاوز فرض دفع الزكاة على العتوب والتي لم تمر عليها عدة شهور إلا وتخلص العتوب من الالتزام بها، ولهذا كانت الحملة الثالثة هي الأجدر بتحديد تاريخ الوقوع حيث تم فيها للعمانيين السيطرة على البحرين واضطر العتوب إلى النزوح عنها إلى الزبارة وغيرها(١٤) .

وقد كان كيلي المؤرخ الحذر المحتاط بالنسبة لتاريخ وقوع الغزو العماني الثالث قد اكتفى بالإشارة إلى حصوله دون تحديد سنة حدوثه. وأما بقية المؤرخين وبالخصوص الغربيين فإنهم لم يتفقوا – كما رأينا – على سنة معينة له بعد عدم اتفاقهم على عدد مرات الحملات العسكرية التي قام بها السيد سلطان على البحرين .

غير أن مصنفَيْ (البحرين عبر التاريخ) قد وفقا إلى تحديد تاريخه بما مر علينا عندما رجعنا إلى كتابة ابن عبد الخضر أحد من عاصر ذلك الفتح ودونه بالساعة واليوم والشهر والسنة فكان تسجيلاً غاية في الدقة. لكن قد لا يطمئن إلى رواية ابن عبد الخضر حيث لا تفيد – كما يقول علماء أصول الفقه –

إلا خبر الواحد الذي لا يقطع الشك، وإن ابتغينا حينئذ اليقين الذي يبتر الشك فليس إلا ديوان السيد عبد الجليل الطباطبائي باتراً وقاطعاً له، ففيه ما يعضد رواية ابن عبد الخضر ويؤكدها بما لا يترك مجالاً للتردد في القول بصحتها والأخذ بها، فهاهي السطور الممهدة للقصيدة الرابعة من الديوان[١٥] - والتي أنشأها الطباطبائي مجاوباً لصاحبه عثمان بن سليمان بن داود البصري (١١٧٠ - ١٢٢٦هـ) تشخص لنا أن الغزو كان واقعاً في سنة ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م وهي السنة التي قال فيها الطباطبائي قصيدته - هذه - عندما أرسلها من البصرة إلى صاحبه بالزبارة التي وقعت إذ ذاك - كما تذكر هاتيك السطور - تحت حصار أسطول العمانيين[١٦] .

إضافة إلى هذه المعلومة التي تتضافر مع رواية ابن عبد الخضر في التأكيد على تحقق الحملة الثالثة للسيد سلطان البوسعيدي على العتوب في عام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م تزودنا سطور التمهيد بمعلومة تاريخية مهمة أخرى، فهي تذكر أن محاصرة الزبارة - والتي كانت كما يظهر جلياً متزامنة مع محاصرة البحرين - قد دامت أشهراً، وهو الأمر الذي يتلاءم مع رسالة القبطان (ستون) عندما أحاطت قارئها علماً بوشوك ابتداء العمانيين بغزو البحرين في ٢٠ يوليو ١٨٠١م، وهذا معناه - إذا أعطينا أقصى مدة لتفسير لفظة [الوشوك] بثلاثة أشهر - أن الغزو الثالث ابتدأ في النصف الثاني لعام ١٨٠١م وأتم أهدافه بفتح البحرين عام ١٨٠٢م، الشيء الذي يصحح قول من ذكر بأن عام ١٨٠١م قد شهد ابتداء التواجد العماني عند جزر البحرين، ذلك لأن تمهيد القصيدة - المشار إليها - لم يحدد تاريخ ابتداء الحصار وإن صرح بوقوعه في عام ١٨٠٢م لكن مع مقارنة رسالة (ستون) بالتمهيد نخرج إلى أن التمهيد والرسالة يصحح أحدهما الآخر مما ينتج عنه صحة الأقوال التي ذهبت إلى تحديد سنة ١٨٠١م تاريخاً لابتداء الحضور العماني على شواطئ البحرين والذي - كما أعتقد - قد فسره خطأ أصحاب تلك الأقوال على أنه بداية السيطرة العمانية على البحرين .

وإذا اتبعنا أسلوب المقارنة بين رواية ابن عبد الخضر ورسالة (ستون) وأحببنا الاقتراب من تحديد المدة التي

ستغرقها حصار السيد سلطان
لبوسعيدي للبحرين، فإنها لن تقل عن
سبعة أشهر تنتهي في عصر يوم الجمعة
لثاني من أكتوبر لعام ١٨٠٢م وذلك
على حسب تحديد ابن عبد الخضر
وقت توقيع المعاهدة بين السيد سلطان
العتوب[١٧] والتي على إثرها تم
لعمانيين السيطرة على البحرين، وهذه
لسبعة الأشهر – أو أكثر منها بقليل –
تفق مع طول غربة الطباطبائي عن
لزبارة حيث يقول يشتكيها لصاحبه
عثمان بن سلمان البصري في قصيدته :

طويل اغتراب وافر الشوق كامل

الغرام وحبي ليس بالمتقارب[١٨]

ولعل مما يتفرد به التمهيد
القصيدة الممهد لها على كافة ما كُتِب
ن حملة السيد سلطان الثالثة أفادتهما
ثلاثة أشياء لها قيمتها التاريخية :

أولها : إن الحملة قد امتدت
ساحتها لتشمل بقعة تصل إلى الزبارة
تحاصرها قوات البحرية العمانية، وهو
ا له دلالة على أن الحملة قد ضيقت
لخناق على عتوب البحرين وأغلقت
ونهم أي منفذ قد ينتقلون إليه، وربما
كان هذا التخطيط العسكري مردُّه
الدروس التي اتعظ بها السيد سلطان من
حروبه مع العتوب ومن طرقهم في
مجابهتهم لأعدائهم حيث يلجأون إلى
الزبارة حينما يضعفون في الصمود أمام
عدوهم ويتربصون به الفرصة ليستردوا
منه البحرين في حال ضعف سيطرته
عليها .

إلى جانب هذا قد يكون من دوافع
حصار الزبارة أيضاً في ذات الوقت الذي
تحاصَر فيه البحرين منع وصول أي مدد
يرسل للعتوب من جهة العتوب الذين
مازالوا باقين في الزبارة بعد استيلائهم
على البحرين، وتؤيد الالتفات إلى هذه
النقطة لدى السيد سلطان رواية ابن عبد
الخضر حيث ذكرت أن الأسطول
العماني قد انتشر حتى القطيف والعقير
وحاصرهما بحراً[١٩] مما يشير بقوة إلى
إرادة العمانيين إحكام طوق حصارهم
على العتوب للحيلولة دون مناوراتهم
والاستعانة بالزبارة أو السعوديين، بل
ربما ما تذكره بعض المصادر من
تهديدات السيد سلطان لعتوب الكويت
وامتداد تواجد أسطوله حتى
شواطئها[٢٠] ما يدل على مدى إجادة
العمانيين لإحكام طوق حصارهم على

وب البحرين وفصلهم عن أي مساعدة ، أية جهة قد تقدمها لهم .

ثانياً : واتساع العمليات العسكرية ُسطول العماني لم يتأت له القيام بـها ' لأنه كان على حجم كبير من القوات بحرية والسفن الضخمة الكثيرة، وليس ناك من المصادر ما يؤكد لنا ذلك سوى يواننا - هـذا - حينما يفصل لطباطبائي بعض الشيء في تعداد السفن لغازية ويلمح إلى كثرة بحارتها بقوله :

نأت دار من أهوى وعز مزارها
ومن دونها قد حال قرع الكتائب
وسُدَّ طريق القرب منها بخمسة
وخمسين جلاً من عظام المراكب
ملاءًا جموعاً للعدا كل جحفل
يدك الرواسي من زئير المقانب[٢١]

ففي هذه الأبيات يبين الطباطبائي بأن سفن الغزو العماني كانت من كبار المراكب وعظامها، وأن عددها يصل إلى خمس وخمسين سفينة وكل واحدة منها مملوءة بالمقاتلين الأشداء .

بيد أن البيت الثاني يختلف ضبطه في كتاب (البحرين عبر التاريخ) عن ضبطه في الديوان حيث ضبط في الأول كالآتي :

وسُدَّ طريق البعدِ بيني وبينها
بستين جلاً من عظام المراكب[٢٢]

فعلى هـذا الضبط يرتفع الرقم بالسفن المشاركة في غزو البحرين ليصل إلى ستين سفينة، وبالتالي فمن الطبيعي - عادة -أن تكون أعداد الرجال الغازين على وفق هذا التعداد للسفن يفوق أعداد الرجال على ضبط عدد السفن حسبما في الديوان .

وأما ثالث الأشياء التي تفردت بها القصيدة - المشار إليها - وتمهيدها : فهو وجود العناصر الموالية من أبناء الأراضي المغزيَّة للغزاة العمانيين. وقد ظهر ولاؤهم في بث الأخبار الضخمة للأحداث المصاحبة للغزو والمعظمة لبأس العساكر العمانية. وفي العمل على إذاعة ما من شأنه إدخال الرعب في قلوب من تمنيه نفسه تقديم المساعدة للعتوب وزرع الخوف في نفوس من يكنون لهم الحب والولاء. وقد انتشرت تلكم العناصر في أرجاء المنطقة وأوصلوا دعايتهم إلى مدينة البصرة حتى طرقت مسامع شاعرنا الطباطبائي فآلمته الأخبار التي آلمت باله. وانقطعت الأخبار الصحيحة دون بلو ا البصرة مما زاد من حزن وكمد الشا فلنقرأ -

معاً – التمهيد وهو يشرح لنا حالة الشاعر – هذه – : "وقال الشاعر مجوباً لصاحبه عثمان بن سلمان عن مقاطيع ومواليا رفعها الشاعر إليه وهو إذ ذاك في البصرة وقد أقلقه محاصرة سلطان بن سعيد إمام عمان للزبارة، وانقطاع الخبر الصحيح عن الأهل والأولاد مدة أشهر، وتزوير أكاذيب يروجونها دواعي سلطان ويذيعون عنها أخباراً مؤلمة، فقلق الشاعر لذلك، فأنشد هذه القصيدة مشيراً بها لنفس الواقع"[٢٣] .

وهذا الذي جاء في التمهيد يؤكده الشاعر في القصيدة ببيته :

فلا خبر بالجزم يرفع عنهم
وحالي في حفض من الشوق ناصب[٢٤]

وعند التأمل في الحصار العسكري الذي ضربه السيد سلطان البوسعيدي على البحرين وعلى الجهات الأخرى التي من المحتمل أنها تقدم العون لعتوب البحرين، ومع التأمل – أيضاً – في عملية نشر الأخبار الدعائية لصالح العمانيين وضد العتوب المواكبة للحصار تتضح حينذاك الخطة المحكمة العسكرية والسياسية التي حبكتها العقلية الذكية للسيد سلطان، وقد استطاع بإجادته للحصار أن يمنع تسرب أخبار الأحداث لبقية بلدان المنطقة عن طريق خصومه العتوب مضيقاً بذلك عليهم إخراج الأخبار التي تصب في صالحهم، وقد عبر في التمهيد عن ذلك بـ "انقطاع الخبر الصحيح"، وهو تعبير يدل من جهة أخرى على تماسك الحصار والتطويق التام .

وقد خطر لي فجأة وأنا أكتب هذه السطور خاطر ظريف قد يهدم صحة ما أورده الشاعر في أبياته وهو يعدد السفن ويصف حجمها ويشير إلى أعداد القوات العمانية وضخامتها. والقارئ اللبيب أظنه قد فهم ما سأذكره قبل ذكري له، وهو هل ما قاله الطباطبائي شاعرنا في قصيدته حول العساكر العمانية وعدد سفنها هو من تلكم الأخبار التي يروجها عملاء السيد سلطان أو هو من مصادر إخبارية يثق بها جاءته من الطرف الآخر أعني العتوب المحاصرين في البحرين ؟، تساؤل يشكك فيما ذكر في ثاني الأشياء التي تفردت بها القصيدة الرابعة من ديوان الطباطبائي وتمهيدها على غيرها من مصادر التاريخ . وما يلوح في سياق تعبير التمهيد يزيد هذا التشكيك تفاقماً وتأكيداً .

عبد الزهراء العويناتي – البحرين

الهوامش

- طبع ديوان الطباطبائي المسمى بـ (روض الخل والخليل ديوان السيد عبد الجليل) طبعته الثانية في عام (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م) بتحقيق ياسين الشريف، وعلى هذه الطبعة سنعتمد، وسنعبر عنه في هوامش البحث بـ (الديوان) اختصاراً .
- اقرأ مقدمة الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة للديوان .
- وصف بأنه طويل القامة، جميل الصورة، شجاع بطل صنديد، لا يعبأ بكثرة أعدائه إذا كان في قليل من أهل خاصته فضلاً عن الكثير، وكان ينصف من الظالم للمظلوم .

  سالم بن حمود السيابي : عمان عبر التاريخ : ٢٢٥/٤ .
- كيلي : بريطانيا والخليج : ١٦٥/١ – الهامش – .
- تاريخ الكويت : الجزء الأول، القسم الأول / ٢٦٤، ٣٠٣، ٣٠٥، تاريخ شرقي الجزيرة العربية/ ٢٠٥ .
- كيلي : مصدر سابق : ١٦٥/١ – الهامش – .
- انظر ص : ١٧٩ و ١٩٠ من مؤلفي واردن المنشور نصهما في القسم الثاني من الجزء الأول لكتاب أبي حاكمة (تاريخ الكويت)، وراجع : كيلي : مصدر متقدم : ١٦٥/١ – الهامش – .
- كيلي : مصدر سابق : ١٦٥/١ – الهامش – .
- نفس المصدر : ١٦٥/١ .
- الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة والدكتور علي أباحسين : البحرين عبر التاريخ : ٢٥٤/٢ .
- نفس المصدر : ١٦٤/٢ .
- أبو حاكمة : تاريخ الكويت : الجزء الأول، القسم الأول/٣٠٣ – الهامش –، ٣١٦، الجزء الأول : القسم الثاني/٩٧ – ١٠٦ .

١٣ - تواجد الإنجليز في منطقة الخليج بشكل منتظم منذ العقود الأولى للقرن السابع عشر الميلادي وتمثل في شركة الهند الشرقية الإنجليزية، وربما أقدم الوثائق التي كتبها رجال الشركة عن الخليج هي العائدة إلى سنة ١٧٢٢م .

لمزيد من الإطلاع على تاريخ وثائق الشركة يقرأ : عبد الأمير محمد أمين ومصطفى عبد القادر النجار : صور السجلات الهندية ومحفوظاتها من وثائق العراق وبقية أقطار الخليج العربي والجزيرة العربية .

١٤ - أشير إلى تفرقهم في : كيلي : مصدر متقدم : ١٦٥/١، أبو حاكمة : مصدر سابق : الجزء الأول، القسم الأول /٣٠٣ ، ٣١٠، الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة وعلي أباحسين : مصدر متقدم : ٢٥٨/٢ .

١٥ - يتميز الديوان بسطور من التمهيدات تتقدم قصائده ونثرياته تتحدث عن دوافع إنشاء الشعر أو النثر وتاريخ الإنشاء والأجواء والحيثيات التي صاحبته، وفي بحث لنا حول الشاعر أثبتنا أن هذه التمهيدات - باستثناء بعضها ويعرف بالقرائن - كانت أساساً مستلهمة من تمهيدات دونها الشاعر لمقطوعات أدبه، وصاغها - من ثم - منظم الديوان وجامعه .

١٦ - الديوان / ٨ .

١٧ - الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة وعلي أبا حسين : مصدر سابق : ٢٥٥/٢ .

١٨ - الديوان / ١٠ .

١٩ - الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة وعلي أباحسين : مصدر تقدم : ٢٥٥/٢ .

٢٠ - أبو حاكمة : تاريخ الكويت : الجزء الأول، القسم الأول / ٢٦٥ - الهامش -، ٣٠٣ .

٢١ - الديوان /١٠ .

٢٢ - الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة وعلي أباحسين : مصدر سالف : ٢٥٦/٢ .

٢٣ - الديوان /٨ .

٢٤ - نفس المصدر /١٠ .

البحرين



خلال السيطرة البرتغالية ١٥٠٧-١٦٠٢

بقلم : د . صبري فالح الحمدي

مقدمة تاريخية

تقع البحرين في الخليج العربي وتتكون من عدة جزر أهمها (المحرق) و (سترة) تبلغ مساحتها ٦٦٢ كيلوا متراً مربعا[١] . وعرفت منذ القدم بلؤلؤها المعروف بالحسن والجودة كما تمتعت بمركز تجاري هام نظراً لموقعها الجغرافي المتميز في المنطقة[٢] . فضلا عن أنها تعد حلقة وصل بين موانئ الخليج العربي والمحيط الهندي وشرق أفريقيا وقد وصف البحرين الرحالة العربي "ابن بطوطة" الذي توقف عندها بأنها : [مدينة كبيرة حسنة ذات بساتين وأشجار وأنهار][٣] . أما سبب تسميتها بالبحرين فيرجع إلى وجود ينابيع طبيعية حلوة تتفجر في قاع الخليج فيتدفق منها الماء العذب وسط ماء البحر الأجاج[٤] .

ويظهر لنا من الوثائق التاريخية أن البحرين كانت مركزاً تجارياً مهماً في العهد السومري وخاصة بين العراق وحوض السند[٥] . وتشير تلك المصادر إلى أن سكان البحرين قبل الإسلام كانوا ينتمون إلى القبائل العربية مثل قبيلة بني بكر وبني تميم وبني عبد قيس ثم تبعتهم جماعات عربية أخرى عبرت مياه الخليج إلى الساحل الشرقي في فترات تاريخية منتظمة[٦] .

وخلال العصور الإسلامية المختلفة ظلت البحرين تابعة للدولة العربية الإسلامية أيام الخلافة الراشدية والأموية والعباسية ثم خضعت لسيادة عهد الأمراء والحكام الذين انفصلوا عن العباسيين[٧] . ويستدل مما ذكره الرحالة العرب الذين زاروا البحرين في النصف الأول من القرن الثاني عشر أن سكان البحرين كانوا يخضعون لحكم شيوخ محليين[٨] .وعند مجيء البرتغاليين إلى الخليج العربي أصبحت البحرين إحدى معاقلهم في بداية القرن السادس عشر وازداد التنافس بينهم وبين قوى محلية وأجنبية للسيطرة على طرق التجارة وقواعد التموين المهمة في المنطقة[٩] .

البرتغاليون والبحرين

تعد سنة ١٥٠٦ نقطة تحول في حركة الاستعمار الأوروبي في جنوب آسيا ففي تلك السنة غادر "ألفونسو البوكيرك" ليتسلم منصبه الجديد كنائب لملك البرتغال في الهند[١٠] . وكانت خطته تقوم على ضرورة السيطرة على منافذ التجارة البحرية متمثلة بالبحر الأحمر وعدن وجنوب الجزيرة العربية وسواحلها والبحرين والقطيف والبصرة[١١] . وكان واضحاً أن هناك دوافع جديدة لهذا التوجه البرتغالي وعلى ما يبدو فإن ضعف القوى السياسية العربية وانشغالها بخلافاتها المحلية ورغبة البرتغاليين في احتكار تجارة الشرق وانتزاعها من العرب، كذلك الروح الصليبية التي كانت

لا تزال تسيطر على عدد من رجال البحرية البرتغالية أمثال "البوكيرك" كلها أسباب زادت من اندفاع البرتغاليين نحو بلاد الشرق[١٢] . كما نلاحظ أن القوى الإسلامية الكبرى حينذاك كالمماليك والصفويين والعثمانيين، كانت في صراع دائم فيما بينها باستثناء المماليك الذين تصدوا للغزاة عسكرياً وكان اصطدام البرتغاليين أكثر وضوحاً مع القوى الإسلامية المحلية سواء أكان ذلك في شرق أفريقيا، أو الخليج العربي والجزيرة العربية[١٣].

لذلك استغل البرتغاليون تلك الظروف المواتية لتصفية النفوذ العربي التجاري المسيطر على تجارة الشرق وطرقها البحرية وقوافلها التجارية . وبدأوا نشاطهم العسكري ضد القوى العربية وذلك بتأسيس قاعدة بحرية لهم وهي قلعة هرمز في مدخل الخليج العربي كي تضمن حماية مواصلاتهم البحرية ومصالحهم المتنامية من وإلى منطقة الخليج العربي وتبع ذلك استيلاؤهم عسكرياً حوالي عام ١٥٠٥م على جزر البحرين[١٤] . ويبدو أن البحرين كانت خلال تلك الفترة جزءاً من أملاك مملكة هرمز وخضعت البحرين للنفوذ البرتغالي إثر خضوع مملكة هرمز للنفوذ البرتغالي، فحينما تمكنت القوات البرتغالية بأسطول مكون من ٢٧ سفينة بقيادة "البوكيرك" من احتلال هرمز عام ١٥١٥م تم توقيع اتفاقية مع ملكها العربي الذي أصبح بموجبها ملكاً على البحرين باسم ملك البرتغال وتعهد البرتغاليون بمساعدة الفرس على غزو كل من البحرين والقطيف ومعاونة الشاه بالقضاء على الحركات الانفصالية للبلوش في مكران وذلك بسبب الاضطرابات بالمدينة والتي وقع خلالها ملكها في أسر الثوار وأدت لرفض البرتغاليين التعاون مع الصفويين[١٥] . من جانب آخر نلاحظ استمرار الحملات العسكرية البرتغالية لإحكام السيطرة على البحرين وما جاورها من مناطق الخليج العربي ففي عام ١٥٢١م تمكن البرتغاليون بقيادة "أنطونيو كوريا" من فرض سيطرتهم الكاملة على البحرين طيلة القرن السادس عشر ورمموا فيها قلعة العجاج التي لا تزال باقية حتى اليوم[١٦] . وفي عام ١٥٢٩ شهدت البحرين انتفاضة وطنية ألحقت خسائر بالقوات البرتغالية التي أجبرت على الانسحاب[١٧] . إلا

أن المؤرخين الأجانب الذين يصفون تلك الغزوة العسكرية بأنها كانت بمثابة الكارثة للمهاجمين الذين اضطروا للتراجع إنما يعزون سبب ذلك إلى نقص في معدات المهاجمين وليس إلى صلابة المقاومة العربية . ويعتقد المؤرخ التركي "أوزبران" أن سبب تلك الحملة يرجع إلى أن حاكم الجزيرة الرئيسي وهو ابن عم شرف الدين "أمير هرمز" ثار ضد هرمز وامتنع عن دفع الجزية التي كان يجب أن يدفعها وتكونت الحملة البرتغالية من ٥ سفن وحوالي ٥٠٠ رجل و٦ سفن مزودة بالمدفعية بقيادة "سيماو داكونها" إلا أنه أيضاً يشير إلى أن فشل الهجوم البرتغالي يعود إلى نقص في البارود وانتشار المرض(١٨) .

وقد أفاد البرتغاليون كثيراً من الخلافات المحلية بين أبناء الخليج العربي مما عزز نفوذهم في المنطقة حيث قامت هرمز عام ١٥١١م بإرسال قوة بحرية إلى البحرين نجحت في السيطرة عليها وانتزاعها من شيوخ بني جبر الذين عاودوا السيطرة عليها . وفي عام ١٥٢٠ تعرضت البحرين لهجوم برتغالي هرمزي مشترك أثناء تغيب السلطان "مقرن بن زامل" من بني جبر الذي كان قد سافر إلى مكة المكرمة لتأدية فريضة الحج . ورغم بسالته المميزة في القتال أثناء عودته فقد وقع أسيراً في أيدي البرتغاليين الذين بادروا بإعدامه . كما عاود البرتغاليون احتلالهم العسكري للجزيرة عام ١٥٨٢ تقريباً ومكثوا فيها أربعين عاماً إلى أن طردهم اليعاربة(١٩) عام ١٦٢٢م(٢٠) . لذلك يرى البعض أن سقوط البحرين بأيدي البرتغاليين قد حقق انتصارهم الكامل على عرب الخليج وفتح أمامهم كل شطآنه وجزره وخلجانه ، وهو انتصار لأوروبا على العرب المسلمين في الشرق وذلك لأن الأسبان والبرتغاليين كانوا في نفس الوقت تقريباً قد قضوا على آخر من بقي من العرب والمسلمين في الأندلس ، وأنهوا آخر أثر من آثار الحكم العربي الإسلامي في قارة أوروبا كلها(٢١) .

الفرس والبحرين

ظلت أنظار الفرس وعبر حقب التاريخ المختلفة تتطلع إلى سواحل

الخليج العربي وجزره بغية السيطرة عليه وذلك لأهميته الكبيرة في الحفاظ على مصالحهم في المنطقة وبسبب أهمية البحرين في إدامة علاقات الفرس التجارية مع الهند، فقد تركزت جهود حكام فارس للسيطرة عليها، وقد استغل الفرس "الصفويون" فرصة انشغال الأتراك في حروبهم في أوروبا فاستولوا على الجزر في الخليج العربي ومن ضمنها جزيرة البحرين[٢٢] . يرى الكثير من المؤرخين أنه كان بإمكان بلاد فارس باعتبارها الكيان السياسي الوحيد خلال تلك الفترة أن تضطلع بدور إيجابي في التصدي للغزو البرتغالي إلى جانب المماليك أو العثمانيين، ولكن واقع الحال يشير إلى أن الشاه "إسماعيل" بعد هزيمته أمام الأتراك في معركة جالديران عام ١٥١٤م أصبح أكثر تلهفاً للتحالف مع الأوروبيين ضد الدولة العثمانية[٢٣] .

وتعترف المصادر الأجنبية أن المؤرخين العرب من أمثال ابن الأثير وابن خلدون يذكرون أن سكان البحرين وإن كانوا يعترفون بسيطرة ملوك الفرس عليهم إلا أنهم كانوا يسمحون لهم على الدوام باختيار شيوخهم[٢٤] . ذلك أن النفوذ السياسي للفرس في المنطقة قد ارتكز على الوجود العربي الذي هو العمود الفقري لحالة الرفض التي سادت منطقة الخليج العربي ضد السيطرة البرتغالية ومما يعزز ذلك أنه في سنة ١٥٧٨م تولى الشاه عباس الحكم في إيران، بعد أن صرف سنوات عديدة من حكمه لتدعيم مركزه في الشمال تماماً كما فعل الشاه إسماعيل مما يدل على أن مركز ثِقَل الدولة الصفوية كان في آسيا الوسطى بينما شواطئ الخليج الشرقية كانت تخضع لقبائل عربية خالصة أو عربية مختلطة بالفرس ولنجاح الشاه في أي عمل ضد البرتغاليين كان عليه أن يتمتع بتأييد تلك القبائل[٢٥] .

وقد استغل الأوروبيون النزاع الفارسي العثماني للحصول على بعض المكاسب من الشاه عباس الأول وذلك بتقديم العون له ضد الدولة العثمانية مقابل السماح للمبشرين بالعمل في بلاده وتحسين معاملة المسيحيين في فارس وإعادة البحرين التي أجبر البرتغاليون على الخروج منها عام ١٦٠٢م ولكن سرعان ما جرت اتصالات بين ركن الدين مسعود حاكم البحرين "والهردي

خان" حاكم فارس من أجل طرد البرتغاليين والذي بعث بقواته إلى البحرين بقيادة "معين الدين فالي" والتي تمكنت من الاستيلاء على البحرين عام ١٦٠١م مما دفع حاكم هرمز البرتغالي إلى إرسال حملتين عسكريتين لحصار الجزيرة غير أن حاكم فارس لم يلبث أن بعث بعض قواته إلى ميناء "جمبرون" لإجبار البرتغاليين على رفع حصارهم عن البحرين لكي يتسنى له التصدي لتلك القوات وقد أفاد "الهردي خان" من فرصة انسحاب البرتغاليين من البحرين واشتباكهم مع القوات الفارسية أمام ميناء جمبرون فقام بإكمال سيطرته على البحرين وتخليصها من أيدي البرتغاليين عام ١٦٠٧م بعد احتلال دام ما يقارب القرن وهكذا خضعت البحرين لاحتلال جديد وهو الفارسي بعد زوال البرتغالي عنها[٢٦].

إن النجاح الذي حققه الفرس في الاستيلاء على البحرين أثار تساؤلات كثيرة حول تمكنهم من ذلك رغم افتقادهم لقوة بحرية فاعلة بالمنطقة وضعف خبراتهم على خوض غمار البحر والقدرة على ركوبه وعلى ما يبدو فإن البرتغاليين كانوا يريدون تخفيف أعبائهم العسكرية فانسحبوا من تلك الجزر مكتفين بما كان لهم من سيطرة واضحة على مدخل الخليج العربي وربما اعتقدت أسبانيا المسئولة وقتذاك عن البرتغال أن بإمكانها الاستفادة من الصراع العثماني الفارسي في الشرق وذلك بالتقرب من الفرس في نظير تنازلات لا تعني أسبانيا مباشرة كالتنازل عن البحرين[٢٧]. ومما حملنا على هذا الاعتقاد الخطاب الذي أرسله فيليب الثاني إلى نائب الملك في الهند عام ١٦٠٧ والذي يأمره فيه بمحاولة استرداد البحرين لمنع وقوعها في يد العثمانيين نقل هذا الخطاب "أدميات" المعبر عن وجهة النظر الفارسية وعُدَّ هذا العمل أول تجربة لقوة الفرس ضد البرتغاليين وبذلك فشل البرتغاليون في استرجاع البحرين إلى الأبد[٢٨].

وحسبما ذكره "تكسيرا" الرحالة البرتغالي الذي زار الخليج العربي عام ١٦٠٤م أنه حالما تمت السيطرة على البحرين تم تعيين وزير فارسي لإدارتها مع حامية فارسية تعدادها ٨٠٠ رجل[٢٩].

التحالف البرتغالي الفارسي

كان لابد أن تلتقي الأهداف والمصالح الفارسية البرتغالية في مواجهة القوى العربية الناشطة في منطقة الخليج العربي والتي أصبح لها نفوذ متزايد على الملاحة وطرق التجارة المؤدية إلى بلاد الهند ويقينا فإن البرتغاليين قد استغلوا النزاع الفارسي العثماني لكسب الفرس إلى جانبهم تحقيقاً لأهدافهم المعروفة هناك ويشير إلى تلك الحقيقة بوضوح "البوكيرك" ذاته في مذكراته حينما أكد أنه عرض وضع الأسطول والجيش والمدفعية البرتغالية في خدمة الشاه إسماعيل في حربه ضد السلطان العثماني[٣٠] كما أرسل البرتغاليون سفارات إلى إيران للتباحث مع الشاه المذكور في شأن مشروعات دفاعية وهجومية ضد الدولة العثمانية التي بدأت تتطلع هي أيضاً للسيادة على الخليج العربي، من جهة أخرى نلحظ أن البرتغاليين حينما وجدوا أنفسهم في وضع لا يستطيعون معه الصمود بوجه العرب الرافضين لوجودهم في المنطقة، اتصلوا سراً بالفرس واتفقوا معهم على أن يسلموا البحرين إليهم ذلك لأن الفرس كانوا على الدوام في تحالف مع البرتغاليين ضد عرب الخليج وهم أيسر تفاهماً مع البرتغاليين من العرب الذين ظلوا متمسكين بحقوق بلادهم في التحرر والسيادة الكاملة[٣١] .

وتشير المصادر التاريخية إلى أن "البوكيرك" حينما خلف "دالميرا" بقيادة البرتغاليين في المياه الهندية بعث برسالة إلى شاه فارس ومما ورد فيها : "إني أقدر لك احترامك للمسيحيين في بلادك وإذا أردت أن تنقض على بلاد العرب أو تهاجم مكة فستجدني بجانبك في البحر الأحمر أمام جدة أو في عدن أو في البحرين أو في البصرة . . . وسأنفذ لك كل ما تريد"[٣٢] . وأثمرت تلك الاتصالات عن عقد اتفاقية تعاون بين الجانبين عام ١٥١٥م أفاد منها البرتغاليون أكثر من الفرس حيث أمّنوا جبهتهم وانصرفوا بالتالي لقتال الأتراك وانتصروا عليهم . وتضمنت الاتفاقية أن يقوم الفرس والبرتغاليون بالتحالف ضد الأتراك وتقوم بلاد فارس بإقامة مركز

تجاري في "غوا" لتمكين التجار الفرس من القيام بتجارتهم مع الهند[٣٣] .ورغم خطورة هذا التحالف وتهديده للمصالح العربية على سواحل الخليج العربي والبحر الأحمر والبحر العربي فقد خرج البرتغاليون والفرس من ساحات القتال مدحورين إذ لم تصمد التحالفات وسياسة حرق الأرض المزروعة والإرهاب أمام صلابة واستمرار المقاومة العربية . ذلك نصل إلى حقيقة واضحة وهي أن مساعي الشاه إسماعيل مع الدول الأوروبية عامة والبرتغال خاصة لم تسفر عن أكثر من شيئين هما : احتلال الخليج من قِبَل البرتغاليين، ومزيد من النزاع مع الأتراك وكانت أوروبا المستفيدة من ذلك[٣٤] .

العثمانيون والبحرين

نشطت الدولة العثمانية خلال القرن السادس عشر في محاولاتها لإدامة نفوذها في الخليج العربي والتصدي للنفوذ البرتغالي بالمنطقة ونتيجة لتقدم النفوذ العثماني في العراق في عهد السلطان سليمان القانوني أرسل شيخ البحرين عام ١٥٣٤م رسالة إلى السلطان يدعوه لإرسال أسطول عثماني للدفاع عن البحرين أمام الهجمات الفارسية وقد انسحب الأتراك بعد فترة قتال وجيزة تاركين جزر البحرين لصراع جديد آخر بين الفرس والبرتغاليين وبعد احتلال العثمانيين لمدينة البصرة عام ١٥٤٦م أصبحت البحرين كجزيرة حدود تفصل بين القوى المتحاربة[٣٥] . ومعلوم أن الدولة العثمانية كانت قد أرسلت منذ عام ١٥٢٩م أسطولاً إلى مياه الخليج العربي ولكنه لم يلق الترحيب بسبب عدم وجود قاعدة له في المنطقة .

وخلال النصف الثاني من القرن السادس عشر استمر الصراع بين العثمانيين والبرتغاليين للسيطرة على سواحل ومياه الخليج العربي وقد أعد العثمانيون حوالي سنة ١٥٥٣م أسطولا مكوناً من سفينتين وسبعين صندلاً وكانت تحمل (١٢٠٠) من الأتراك الانكشارية . قاموا بهجوم على البحرين غير أن النجدات التي وصلت إلى البحرين من هرمز القريبة أسفرت عن فك الحصار وإرغام الأتراك على الانسحاب إلى البصرة[٣٦] وفي أثناء ذلك تزايدت المقاومة العربية ضد النفوذ

الأجنبي فمنذ عام ١٥٥٥م ثارت القبائل العربية ضد البرتغاليين في جزر البحرين وساحل القطيف واستنجدت بالأتراك الذين كانوا يحتلون العراق، في ذات الوقت استنجدت هرمز بالبرتغاليين وكانت البحرين تابعة لهم لذلك وصلت نجدة برتغالية لشيخ هرمز استطاعت إخراج الأتراك من القطيف ومن البحرين[٣٧] . وعاود العثمانيون هجومهم بعد عام ١٥٥٧م وتمكنوا من فرض سيطرتهم وحصارهم على البحرين غير أنه لم يقدر لهم البقاء فيهاأو في غيرها من مناطق الخليج العربي .

ويبدو أن العثمانيين لم يقوموا بعمل جدي لفرض سيطرتهم على المنطقة إلا في عام ١٥٥٩ حيث جهزوا حملة بحرية كبيرة قوامها (٢٠٠٠) من الانكشارية للسيطرة على البحرين إلا أن حملتهم هذه باءت بالفشل أمام أسطول برتغالي قوي جاء من الهند وتراجعوا إلى البصرة . وبذلك استمرت سيطرة البرتغاليين على البحرين[٣٨] وبرغم المجهودات الكبيرة التي بذلها العثمانيون في محاولتهم إزاحة النفوذ البرتغالي وتثبيت وجودهم السياسي والعسكري في الخليج العربي فإنهم أصيبوا بنكسات متعاقبة وذلك نتيجة لفقدهم لوحدة الأهداف السياسية في المنطقة فقد اضطروا لتبديل قادة الأساطيل في تلك المياه عدة مرات خلال سنة واحدة فقد تولى قيادة الأسطول التركي في سنة ١٥٥٢بدير بك ثم مراد بك وعلي ريس وغيرهم وهكذا كان لبعد المسافة بين بلادهم ومنطقة الخليج العربي ومحدودية إمكاناتهم البحرية أثره الواضح في إضعاف أنشطتهم التجارية والعسكرية بالمنطقة، وقد ترك العثمانيون أمر الخليج العربي وشأنه واكتفوا بالولاء الديني الذي يكنه عرب الخليج العربي لهم[٣٩] .

المقاومة العربية

استمرت مقاومة سكان الخليج العربي ضد الغزو البرتغالي والمتحالف مع الفرس للسيطرة على بلادهم والاستحواذ على خيراتها وجزرها البحرية وإن تعثرت القدرات العربية المحلية لأسباب أهمها عدم التعاون الوثيق بين الشيوخ العرب واستعانة بعضهم بالقوى الأجنبية في محاربة خصمه السياسي أو التجاري وكل ذلك أضعف المقاومة

العربية وقلل من إمكانات صمودها ونجاحها ورغم ذلك فقد شهدت هذه الفترة تعاون أهالي هرمز والبحرين وصحار ومسقط مع شيخ هرمز في سبيل إنهاء الاحتلال البرتغالي لبلادهم كما أدت سياسة البرتغاليين القائمة على العنف والقسوة إلى زيادة التذمر واتساع روح التمرد لدى السكان العرب فحينما جرد البرتغاليون حملة بحرية كبيرة عام ١٥١٧م ضد البحرين وحاصروها، ارتدوا عنها أمام مقاومة شديدة أبداها سكان الجزيرة. إلا أن الغزوات البرتغالية استمرت رغم توقيع اتفاقية هرمز مع الفرس عام ١٥١٥م التي تضمنت أن تكون السفن الحربية البرتغالية في متناول أيدي الفرس لشن هجوم على البحرين والقطيف وأن يقوم بين الجانبين تعاون عسكري في منطقة الخليج العربي. إلا أن الأحداث اللاحقة برهنت على أن البرتغاليين لم ينعموا بالهدوء والاستقرار بسبب ثورات المواطنين العرب التي أشعلوها ضدهم(٤٠).

ويبدو أن أهم الثورات العربية كانت في عام ١٥٢١ وبهذا الصدد يذكر لنا "ويلسون" في كتابه "تاريخ الخليج" أنه بناء على تعليمات صادرة من الملك "دوم – نويل" عين بعض المسئولين البرتغاليين كمشرفين على الجمارك في هرمز، غير أن هؤلاء بسبب معاملتهم السيئة تسببوا في قيام ثورة شاملة في هرمز والبحرين ومسقط وقريات وصحار، وقتل خلال تلك الأحداث عدد كبير من البرتغاليين(٤١) وتم فيها مهاجمة جميع الحصون البرتغالية ليلة الثلاثين من تشرين الثاني، وأوشكت الخطة على النجاح لولا أن دب الخلاف بين أبناء الخليج العربي وخاصة بين شيوخ الجبريين وملوك هرمز، وانتهز البرتغاليون الفرصة فأرسلوا نجدات إلى هرمز التي تزعمت حركة المقاومة ضد البرتغاليين، وتبع ذلك نجاح القوات البرتغالية ومحاصرة أسطولها جزيرة البحرين ثم النزول فيها بعد قصفها بشدة، وخلال ذلك قاتل سكان مدينة المنامة بالشوارع القوات الغازية وأبدوا من ضروب الشجاعة ما لا يمكن وصفه(٤٢).

ولابد من التذكير هنا أن المؤرخين الأجانب ومنهم الفارسي "أدميات" في كتابه "جزر البحرين" يصف هذه الثورة بأنها تمرد ضد البرتغاليين إلا أنه

يعترف بقوتها وفاعليتها من خلال تركيزه على أن هجوم الثوار على مواقع البرتغاليين قد حدث في وقت واحد، هو الثلاثين من تشرين الثاني عام ١٥٢١م. أما المؤرخ التركي "أوزبران" فيتحدث عن هذه الثورة قائلاً : " لقد امتنع مقرن بن زامل عن دفع الجزية المطلوبة منه إلى هرمز ويضايق السفن التي كانت تبحر من البحرين وهرمز، وجمع لهذا الغرض السفن المزودة بالمقاذف التي عملت له من قِبل بعض الأتراك. وفي هرمز كان هناك "ديوجولويس" الذي عين حاكماً للهند عام ١٥١٨ فوافق على انتداب ابن عمه "أنطونيو كوريا" ضد البحرين. وقد قتل مقرن خلال المعركة وأجبر البرتغاليون أهالي البحرين على دفع الإتاوة السنوية والتي يقدرها الرحالة البرتغالي "تكسيرا" بأربعمائة دوكات سنوياً[٤٣] . أما الفرس فقد وقفوا موقف المتفرج من هذه الثورة، ذلك أن الشاه إسماعيل لم يحرك ساكناً عندما شن الخليج العربي ثورته ضد البرتغاليين حيث خرج من تحالفه مع البرتغاليين خالي الوفاض وسلم بالأمر الواقع وهو الاحتلال البرتغالي للمنطقة، ومع ذلك فقد ظل الاحتلال البرتغالي يعاني من مقاومة عربية ففي عام ١٥٢٨م قُتل أخو نائب ملك البرتغال . . . في البحرين ذاتها[٤٤] .

أما السبب المباشر لطرد البرتغاليين من البحرين فهو مسلك حاكم البحرين من قِبل البرتغاليين وكان قريباً لملك هرمز. فقد قتل حاكم البحرين عام ١٦٠٢م أحد تجار اللؤلؤ الأغنياء طمعاً في ثروته، ولكن شقيق القتيل استطاع أن يكسب ثقة الحاكم ثم ينتقم لأخيه ويستولي على القلعة واسم هذا الحاكم الجديد "ركن الدين بن مسعود" ولما كان هذا التصرف يثير عليه حاكم هرمز من قِبل البرتغاليين ولا قِبل له بمحاربته، فقد طلب ركن الدين حماية حاكم شيراز الفارسي. فأرسل هذا قوة استولت على البحرين باسم شاه إيران، وفي سنة ١٥٨٠م كانت البرتغال قد اتحدت مع أسبانيا تحت حكم الملك فيليب فاحتج ملك أسبانيا على ذلك الإجراء، فما كان من حاكم هرمز إلا أن استعد لاستعادة البحرين، ولكنه فشل حيث استولى "الله وردي خان" على بوشهر عام ١٦٠٣م وكانت تابعة لحاكم هرمز. ولكن الشاه وبسبب هذا التصرف من حاكم شيراز أمره بالانسحاب وإعادة البحرين وبوشهر إلى البرتغال . ولكنه تجاهل أمر

الشاه الذي كان واقعا تحت ضغط أسبانيا والبرتغال لاسترداد مافقدته، ولكن البرتغاليين نجحوا في الاستيلاء على بندر عباس وأقاموا فيها ميناء كي يضاهي ميناء هرمز(٤٥) .

وشهد النصف الأول من القرن السادس عشر أحداثاً هامة تمثلت في ظهور النشاط الإنجليزي في منطقة الخليج العربي ممثلاً بشركة الهند الشرقية، مما دفع بالفرس إلى التخلي عن الحليف البرتغالي الذي أخبذ يعاني متاعب كثيرة والبحث عن حليف جديد، وهكذا تحالف الشاه عباس مع الشركة المذكورة في محاربة النفوذ البرتغالي وإزاحته من المنطقة، ووضع أسطول الشركة تحت تصرف الشاه وفق شروط منها :

١ - تقسيم الغنائم بالتساوي بين الشركة والفرس .

٢ - تقسيم أسرى الحرب حسب الأديان فيسلم الأسرى المسيحيون إلى الإنجليز والأسرى المسلمون إلى الفرس .

٣ - تسليم القلعة البرتغالية في هرمز إلى الإنجليز على شرط أن يسمح للفرس بإقامة قلعة خاصة بهم في البحرين(٤٦) .

وفي ٢٢ نيسان عام ١٦٢٢ سلم الأمير البرتغالي للأسطول الإنجليزي الذي حاصر هرمز وسلمه الإنجليز بدورهم إلى الجانب الفارسي حسب الاتفاق . وهكذا تم إنزال العلم البرتغالي من على قلعة البوكيرك بعد أن ظل يرفرف عليها أكثر من مائة عام، وكان سقوط هرمز بمثابة الضربة القاضية لهيبة البرتغاليين في منطقة الخليج العربي(٤٧) .

يمكننا أن نستنتج أن هناك عوامل عدة أدت إلى انهيار النفوذ البرتغالي في المنطقة، يأتي في مقدمتها اتحاد العرشين الأسباني والبرتغالي في سنة ١٥٨٠م ولقد توجه اهتمام هذه الدولة بشكل رئيسي نحو مستعمراتها في أمريكا كما أن تعصب البرتغاليين وقسوتهم إلى جانب جشع حكامهم وموظفيهم، جعلهم مكروهين بين سكان الخليج العربي فضلاً عن ظهور قوى أوروبية أخرى منافسة لهم وبخاصة الإنجليز والهولنديين، إضافة إلى نجاح اليعاربة في اكتساح البرتغاليين وطردهم من كثير من الثغور الواقعة على الخليج

العربـي وعلـى السـاحلين الهنـدي والأفريقي وتزايد حالة الرفـض والمقاومـة العربية للوجود الأجنبي هناك[٤٨] ولعـل في ثـورة عـرب الخليـج الشاملـة عـام ١٥٢١م ما يعطينا الدليل الملمـوس على ذلك، وبأن العرب قـد نجحـوا فعلاً في إنـهاك القـوات البرتغاليـة مـن خـلال التحـرش بسـفنها وعرقلـة تجارتـها ومهاجمـة حصونـها المتواجـدة علـى سواحل الخليج العربي، وهكذا تم طرد البرتغـاليين مـن المنطقـة بأكملـها بعـد احتلال دام ١٤٣ عاماً[٤٩].

د . صبري فالح الحمدي

كلية التربية – الجامعة المستنصرية

بغداد

الهوامش

١ - أنظر : Sanger, R.H.; The Arabian Peninsula (New York) 1964. pp. 40 - 41.

٢ - Gurzon, George; Persia and the Persian question, vol. II, Edinburge, 1852, p. 417.

٣ - جمال القيطاني : ابن بطوطة في الخليج العربي، مجلة العربي، العدد ٢٤٥، نيسان ١٩٧٩. ص.ص. ٧٠ - ٧١ .

٤ - محمود بهجت سنان : البحرين درة الخليج العربي، بغداد ١٩٦٣، ص ٢ .

٥ - د. محمود علي الداود : أحاديث عن الخليج العربي، ط. ٢، بغداد، وزارة الإرشاد . ص ٣١

٦ - أنظر د. محمد عبد الله العزاوي : التحالفات الفارسية الأوروبية ضد عرب الخليج ١٦٩٥ - ١٧٢٢م، مجلة الخليج العربي، السنة ١٥، المجلد ١٩، العدد ٢، جامعة البصرة ١٩٨٧، ص ٣٨ .

٧ - أعرف مدينتك : البحرين تاريخ مجيد وحاضر مزدهر، مجلة المدينة المنورة، منظمة المدن العربية، العدد الثلاثون، السنة السابعة،الكويت آذار، ١٩٨٨، ص ٤٢ .

٨ - د. جمال زكريا قاسم : الادعاءات الإيرانية في الخليج العربي، أصول المشكلة وتطورها التاريخي، بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ، بغداد آذار، ١٩٧٣، ص ٦٤٤ .

٩ - أنظر : Hopwood, Derek; The Arabian Peninsula, Society and Politics, London, 1970, p. 40.

١٠ - د. محمود علي الداود : العلاقات البرتغالية مع الخليج العربي ١٥٠٧ - ١٦٥٠، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد الثاني، مطبعة العاني، بغداد، شباط ١٩٦٠. ص ٢٣٤.

١١ - أنظر : Alboquerque, Alfonso; The commentaries of (trans) into English by W-de Gray Birch Hakl Soc. (London 1973) Vol. I. P. 115.

١١ - صالح أوزبران : الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤ - ١٥٨١، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٩، ص ١٧ . والمعلوم أن البوكيرك عرف باتباعه سياسة حرق الأرض والمدن العربية الرافضة لسيطرته .

١٢ - د. جمال زكريا قاسم : الأوضاع السياسية في الخليج العربي إبان الغزو البرتغالي، مجلة الوثيقة العدد١٢، السنة السادسة، مركز الوثائق بدولة البحرين، كانون الثاني ١٩٨٨م ص ص ٤٢ - ٤٣ .

١٤ - أمين سعيد : الخليج العربي، دار الكاتب العربي، بيروت د. ت. ص ٦٦ . عن الغزو البرتغالي لمنطقة الخليج العربي يمكن الرجوع إلى د. عبد الأمير محمد أمين : دور القبائل العربية في صد التوسع الأوروبي في الخليج العربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر. بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ، بغداد، آذار ١٩٧٣، ص ٦٥١ .

١٥ - س. ب. مايلز : الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة محمد أمين عبد الله، ١٩٨٢، ص ١٦٢، وأنظر أيضا د. بدر الدين الخصوصي : الدولة الصفوية في مواجهة التحديات، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٤٤، السنة ١١، الكويت تشرين الأول، ١٩٨٥، ص ١٦٢ .

١٦ - إبراهيم خلف العبيدي : الحركة الوطنية في البحرين، بغداد ١٩٧٦، ص ٢٢ .

١٧ - أرنولد ويلسون : تاريخ الخليج، ترجمة محمد أمين عبد الله، ط ٢، ١٩٨٥، ص ٨٢ .

١٨ - أوزبران : المصدر السابق ص ص ٢٥ - ٢٦ .

١٩ - اليعاربة قبائل عربية من عمان. سجلت أمجاداً بحرية في مقاومة الاستعمار البرتغالي لمنطقة الخليج العربي .

٢٠ - قاسم : المصدر السابق. ص ص ٢٥ - ٢٦ .

٢١ - سليم طه التكريتي : المقاومة العربية في الخليج العربي، دار الرشيد، بغداد ١٩٨٢، ص ٥٢ .

Fereydaum, Adamiyat; Bahrain Islands, a legal diplomatic study of the British-Iranian Controversy, New York, 1935, p. 20. - ٢١

٢٢ - لمزيد من التفاصيل أنظر علي غنام : إحلال النفوذ الأجنبي بالخليج العربي (دور الدولة الصفوية)، مجلة الخليج العربي السنة ١٣، المجلد ١٧، جامعة البصرة، ١٩٨٥، ص ١٤ .

٢٤ - الحاج عبد الله ولسن : جولة في الخليج العربي، ترجمة سليم طه، بغداد ١٩٦٢، ص ٢٣.

٢٥ – صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٥، ص ٢٢ .

٢٦ – ج.ج. لوريمر : دليل الخليج، القسم التاريخي، الجزء الثالث، ترجمة ديوان حاكم قطر. الدوحة١٩٦٧، ص ١٢٦٧، أنظر أيضاً الخصوصي : المصدر السابق، ص.ص. ١٦٣ – ١٦٤ .

٢٧ – الخصوصي : دراسات في تاريخ الخليج العربي، جـ ١، ط ١، دار السلاسل، الكويت ١٩٧٨، ص ٢٩ .

٢٨ – Fereydaum; op. Cit. P. 23.

٢٩ – تكسيرا : رحالة برتغالي قام برحلته عام ١٦٠٤، ترجم بعض مذكراته جعفر الخياط، وأهميتها تتصل بوجود ملاحق فيها مثل سلسلة ملوك هرمز . أنظر د. طارق نافع الحمداني : محاضرات، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد ١٩٨٨م .

٣٠ – Alboquerque; op. Cit., pp. 114 - 115.

٣١ – قاسم : المصدر السابق، ص ٤٣، أنظر أيضاً طه : المصدر السابق ص ٥٣ .

٣٢ – أنظر Alboquerque; op. Cit., p.115.

٣٣ – لمزيد من التفاصيل عن التعاون البرتغالي–الفارسي يمكن الرجوع إلى :

Danvers, F.S. .... London, 1894, p. ....

٣٤ – محمد جاسم : القوى الكبرى في الخليج، مجلة آفاق عربية، العدد الثامن السنة الثانية عشرة، آب ١٩٨٧، ص ١١ . أنظر أيضاً غنام : المصدر السابق ص ١٥ .

٣٥ – الداود : أحاديث، ص ٣٢، أنظر أيضاً أوزبران : المصدر السابق، ص ٥٤ .

٣٦ – محمد عدنان مراد : صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي، دار دمشق للطباعة، ١٩٨٤، ص ١٤ .

٣٧ – أنظر ويلسون : المصدر السابق، ص ٨٥ .

٣٨ – للتفاصيل عن تلك الحملة العسكرية يمكن الرجوع إلى : Danvers; op.Cit. P. 514.

كذلك أنظر العبيدي، المصدر السابق ص ٢٢ .

٣٩ – الداود : العلاقات، ص ٢٣٧، أنظر أيضاً الخصوصي : المصدر السابق ص ٢٦ .

٤٠ – د. علاء كاظم نورس : السياسة الإيرانية في الخليج العربي إبان عـهد كريـم خـان ١٧٥٧ – ١٧٧٩، معهد البحوث والدراسات العربيـة، بغـداد ١٩٨٢، ص ١١٨، وانظـر أيضـاً طـه : المصدر السابق، ص ٥١ .

٤١ – ويلسون : المصدر السابق، ص ٨٠ .

٤٢ – أنظر عباس أحمد العصفور : صراع الخليج العربي ضد المطامع الأجنبية في العصر الحديث، بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ، بغداد، آذار ١٩٧٣، ص ١٢٥ .

٤٣ – Fereydaun; op. Cit. P.P. 21 - 22.
أنظر أيضاً أوزبران : المصدر السابق، ص ص ٢٠ – ٢٦ .

٤٤ – أنظر سيد نوفل : الخليج العربي أو الحدود الشرقية للوطن العربي، دار الطليعـة بـيروت، ١٩٦٩، ص ٢٤، كذلك أنظر غنام : المصدر السابق، ص ١٤ .

٤٥ – أحمد محمود صبحي : البحرين ودعوى إيران، بغداد، تموز ١٩٦٢، ص ٦٧ .

٤٦ – العقاد : المصدر السابق، ص ٢٤ .

٤٧ – الداود : المصدر السابق، ص ٢٤٦، وانظر أيضاً ويلسون : المصدر السابق، ص١١٢ .

٤٨ – د. صالح محمد العابد : دور القواسم في الخليج العربـي، ١٧٤٧ – ١٨٣٠، مطبعـة العـاني، بغداد ١٩٧٦، ص ص ٣٣ – ٣٤ .

٤٩ – النداوي : المصدر السابق ص ١٠ .

التاريخ البيئي للعيون



٤٦ - الوثيقة

بيعيات في البحرين

إعداد :

عزيز القصيبي[1]، د. أسماء علي أباحسين، د. وليد خليل الزباري



غالباً ما يبدأ التاريخ بأسطورة أو بعدة أساطير، والأسطورة هي المرجع الأول لتاريخ الإنسان قبل أن يسطر تاريخه برموز مقروءة سماها الكتابة، فالأسطورة* هي التي حفظت لنا آثاراً نهتدي ببعضها إلى أبعاد التاريخ غير المدون. وتأريخ البحرين أو دلمون◆[2] قديماً يبدأ بأسطورة ملحمة جلجامش السومرية التي كتبت قبل أكثر من أربعة آلاف سنة والتي تظهر الموقع الذي تحتله دلمون في ديانة بلاد وادي الرافدين[3]. ويحتوي نص الأسطورة على ٢٧٨ سطراً من الخط المسماري، نقشت في ستة أعمدة على لوح طيني كبير أحضره المنقبون من بلاد وادي الرافدين إلى متحف جامعة بنسلفانيا ليستقر هناك، وقد ترجمها البروفيسور كريمر عام ١٩٤٥م[4].

---

* رغم أن الأساطير في اللغة أباطيل لا دليل لها.

◆ دلمون أو تلمون يعتقد البعض أنها تعني البحرين ماء عذب صالح للشرب في وسط البحر بلغة أهل دلمون القدامى.

ويحمل النص شعراً أسطورياً بعنوان "إنكي وننهورساغ" وإنكي هو إله المياه العذبة التحت الأرضية وحارسها وحاميها وهو واحد من المعبودات الرئيسية في مجمع الآلهة السومرية، أما ننهورساغ (أو ننخورزاك) فهي الأم الأرض العظيمة أو إلهة الأرض . إذ اعتقد السومريون أن الأرض والبحر يستقران على بحر آخر من الماء العذب يدعى الأبسو هو أصل المياه العذبة، حيث تستمد الأنهار مصادرها من هذا البحر التحتي، وتشكل الآبار والعيون حفراً صناعية أو طبيعية تصل إليه .

وتأخذ الأحداث المذكورة في أسطورة إنكي وننهورساغ والتي تدعى بأسطورة الجنة مجراها في دلمون[٥]، وتبدأ المقطوعة الشعرية بمديح لهذه الأرض :

"أيتها المدن المقدسة – قدموهم إليه إنكي

فإن أرض دلمون، لمقدسة

ياسومر المقدس، قدمه إليه

فإن أرض دلمون، لمقدسة

إن أرض دلمون، لمقدسة، إن أرض دلمون لطاهرة

إن أرض دلمون، لنقية، إن أرض دلمون لمقدسة"

وتستمر الأسطورة بأن تطلب (الإلهة ننهورساغ) من أبيها (الإله إنكي) أن يمد دلمون بالماء العذب، ويجيب الأب إنكي ابنته :

"ليقم أوتو (إله الشمس) المستقر في السماء

ليحضر المياه الحلوة من الأرض، من مصادر المياه في الأرض

دعيه يحضر المياه في خزانات كبيرة

دعيه يجعل مدينتك تشرب المياه منها في وفرة

ولتكن آبار المياه المرة آباراً للماء العذب

فلتنتج أطيانك وحقولك المتجددة قمحها

ولتتحول مدينتك إلى مرفأ للأرض المسكونة"

هذه هي أرض دلمون التي أحضرت لها الآلهة المياه بخزانات كبيرة وفجرتها على شكل عيون وينابيع من باطن الأرض في البر والبحر، كما حولت هذه الجزر إلى مرفأ أو ميناء لأرض مسكونة أو مأهولة بالسكان، وحولت المياه أرضها إلى جنة خضراء .

تعكس أحداث هذه الأسطورة قدسية مياه وأرض دلمون لدى حضارة السومريين ومن ثم البابليين والأكاديين فالأشوريين في بلد اتسمت أراضيه بالخصب ووفرة المياه فهي بلاد ما بين النهرين ، فدلمون حسب اعتقاد سكان بلاد وادي الرافدين هي الفردوس الذي تعيش فيه الآلهة. وهي البلاد التي تشرق منها الشمس، وهي البلاد الطاهرة . يشاركهم في ذلك المصريون القدماء الذين يعتقد رايس[٦] بأنهم تمسكوا منذ القدم بفكرة أن معظم معتقداتهم والملامح التي تميزت بها ثقافاتهم نشأت في بدايتها الأولى في جزيرة نائية هي جزيرة الراحة والسلام وكانت مرتبطة عندهم بالشمس المشرقة. ويعتقد رايس بأن ذكريات الجزيرة المقدسة ربما نسبت إلى دلمون إما بصورة مباشرة، وإما نقلت إلى المصريين عن طريق طرف ثالث (السومريون على الأرجح) .

وتؤكد الدراسات التاريخية والتنقيبات الأثرية أن حضارة دلمون مستقلة في مقوماتها وخصائصها وآثارها عن الحضارات الأخرى المعاصرة لها، وهي حضارة عريقة تمتد لتشمل الإقليم الواقع على ساحل الخليج العربي بين البصرة وعمان، فهو يشمل ما نعتبره اليوم الكويت والأحساء وجزر البحرين الحالية وقطر[٧] حتى جلفار "رأس الخيمة"، إذ أن وفرة المياه في هذه المنطقة والتي تتدفق على شكل عيون وينابيع أكسبها نطاقها الأخضر، وحدائقها التي اشتهرت بها منذ الأساطير السومرية، جعلتها منطقة جذب لأعداد كبيرة من السكان توافدوا إليها وبخاصة في الفترات الجافة على شكل دفعات مستمرة للاستقرار حول مناطق المياه التي كانت بمثابة منحة من السماء لهذه المنطقة الجافة من العالم . وقد ذكر الخليفة والحمر[٨] بأن ساكني هذه المنطقة قديماً كانوا من العمالقة (أي من العرب البائدة) الذين حكموا فيما بين النهرين والخليج . وأن الجزر المقابلة للساحل الشرقي من جزيرة العرب كانت تشتهر بالسمك ووفرة اللؤلؤ، وأن أهلها كانوا يقومون بزراعة التمر وكانت لهم حواضر بها معابد أسطورية. وكانت جزيرتهم محطة للتجارة العابرة لنقل أنواع البضائع من نحاس وخشب وتوابل وغيرها فيما بين الخليج والشرق الأقصى وبالعكس .

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن البحرين كانت مأهولة بالسكان أيام العصور الجليدية المتأخرة في أوروبا وربما كانت متصلة في ذلك الوقت بالأرض الأم (شبه الجزيرة العربية)[٩]، وأن جو البحرين آنذاك كان يشبه جو بلاد اليونان في الوقت الحاضر، وأرضها كانت خصبة خضراء مغطاة بكساء من الغابات. أما سكانها فقوم صيادون عاشوا على صيد الأسماك، إذ عثر على أدوات صيد من حجر الصوان في مناطق مختلفة من الجزيرة، إضافة إلى عدد من رؤوس الحراب والسكاكين الصوانية، وأحجار سُنّت وشُذّبت لتكون بمثابة الآلات لحصد المزروعات وقطع الحشائش واجتثاثها من الأرض. وقد قدر الباحثون عمر هذه الأدوات بين عشرة آلاف واثنتي عشرة ألف سنة (أواسط العصر الحجري القديم)، وهي ترجع إلى أواخر أيام الرعي وبداية عهد الاستيطان والاستقرار والاشتغال بالزراعة.

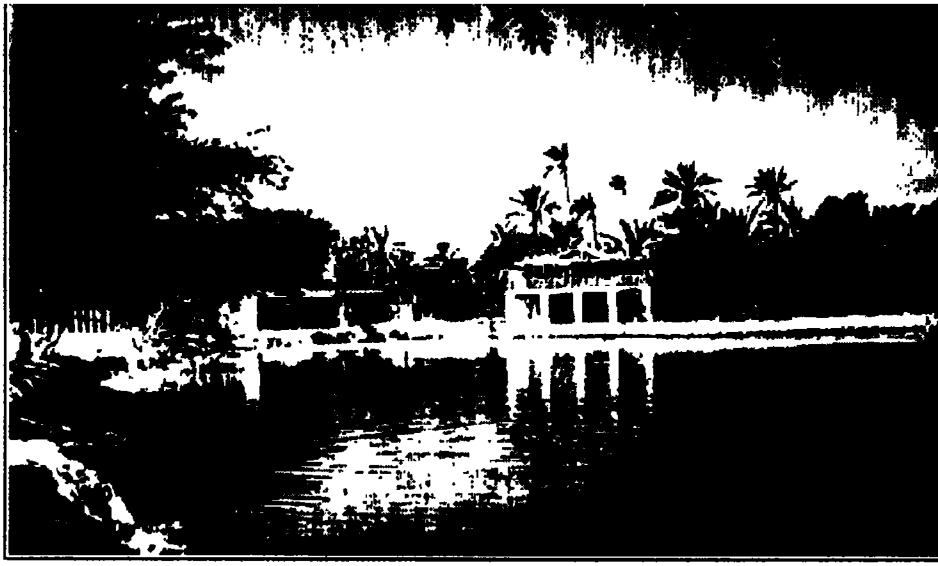
ويذكر جواد علي[١٠] أن البحرين تعد من أكثف المناطق في جزيرة العرب، فإن نسبة عدد سكانها بالقياس إلى مساحة أرضها عالية نسبياً قبل الإسلام وفي الإسلام، وسبب ذلك هو توافر الماء فيها، واعتمادها على استخراج اللؤلؤ من البحر وعلى صيد السمك الذي يقدم للأهلين المادة الأولى للمعيشة. والماء فيها غير عميق عن سطح الأرض وقد كوّن عيوناً في بعض الأماكن، ولهذه المميزات صارت موطناً للحضر قبل الإسلام بزمن طويل.

وتعتبر حضارة العُبَيْد (٥٠٠٠سنة ق.م.) أقدم الحضارات التي تركت آثارها في البحرين[١١] ممثلة بفخارها المميز والأدوات الحجرية الصوانية كالمنجل والمخارز وغير ذلك[١٢]. وتبين تلك الشواهد أن قوم العُبَيْد استوطنوا الأجزاء الشمالية من جزيرة البحرين بجانب العيون والينابيع في الفترات الجافة، وانتشروا جنوباً في الفترات المطيرة، سيما وأن الفترة من ٥٠٠٠ إلى ٢٤٠٠ ق.م.، كانت أكثر مطراً من الوقت الحاضر[١٣]. ويشير لارسن[١٤] إلى أن حضارة العُبيد تعكس بأنهم مارسوا نشاطاً زراعياً بدائياً شمال جزيرة البحرين، إضافة إلى حرفتي الرعي والصيد في وسط الجزيرة وجنوبها مدللا على ذلك بما وجده من عينات رعوية في منطقة المرخ غرب الجزيرة والتي تدل على أن هذه المنطقة كانت تزخر بالمراعي والخراف والماعز.

لقد تركت لنا حضارة دلمون العريقة والتي ترجع إلى نحو ٣٠٠٠ سنة ق.م. آثاراً ممثلة بآلاف المقابر الشاخصة حتى يومنا هذا لتدل على الكثافة السكانية العالية في جزيرة البحرين خلال هذه الفترة في مدن خُططت بطريقة هندسية جميلة[١٥] . إضافة لذلك فإن آثار اللؤلؤ (أو الأكوام الكبيرة من أصداف محار اللؤلؤ التي وجدت في جنوب جزيرة البحرين) والحلي النحاسية والفخار التي وجدت في سار وباربار تعكس التقدم الحضاري والرخاء الذي نَعِم به سكان الجزيرة خلال حضارة عرفت بحضارة باربار الأولى[١٦] . هذه الحضارة التي يعتبرها بعض الباحثين أصل الحضارة الفينيقية (٢٨٠٠ ق.م.)، حيث أن عدداً من الباحثين يرون أن البحرين كانت الموطن الذي نشأ فيه الفينيقيون، أو أنهم نزحوا إليها وسكنوا فيها ردحاً من الزمن[١٧] .

ولقد تطورت الزراعة إبان حضارة باربار الأولى إلى نظام الزراعة المروية، وانتشرت بالأجزاء الشمالية من الجزيرة زراعة النخيل وأشجار الفواكه والخضر، وشكّل التمر السلعة الرئيسية للتصدير، مما يؤكد كبر المساحة المزروعة بالنخيل . ونظراً لصغر الرقعة الزراعية المتاحة في الجزيرة فقد عمد سكانها إلى استيراد الحبوب والمواد الغذائية الأخرى من خارج الجزيرة[١٨] . وما أختام الفترة الدلمونية، المميزة عن أختام الحضارات المجاورة التي عاصرتها بشكلها الدائري، والتي ازدان البعض منها برسوم البيئة البحرينية من نخيل وغزال وسفن إلا دليل على النشاط الزراعي والرعوي والتجاري لأهالي دلمون قبل آلاف السنين .

ولقد كان للعيون الطبيعية مكانة خاصة لدى الدلمونيين فبالإضافة لكونها تفي بمتطلبات وجودهم، فقد كان لبعض العيون قدسية خاصة حيث عثر بيبي[١٩] عند حفره لمعبد باربار على فخار وتماثيل يُعتقد أنها لآلهة كانت تُعبد آنذاك . كما يوجد أكثر من معبد شيد بجوار عين أو حفر في فنائه بئر كمعبد أم السجور وباربار ودراز وغيرها، وقد استخدم الدلمونيون مياه هذه العيون في الاغتسال والتبرك ولتطهير أجسامهم لاعتقادهم بقدسية مياهها[٢٠] . ففي معبد باربار مياه مقدسة في بئر أطلق عليها اسم "قدس الأقداس" ويرجح بيبي[٢١] أن مياه الأبسو التي فجرتها الآلهة كانت تنبع من جرة بدون قاع



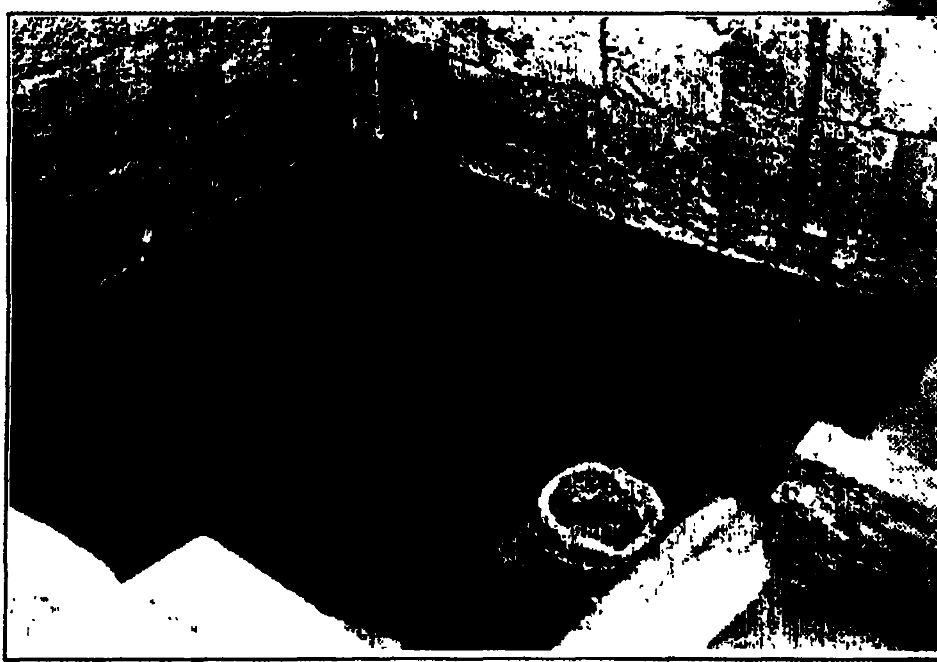
صورة عين قصارى الكبرى التي كانت تعتبر من أجمل العيون في البحرين



صورة توضح ممارسة بعض النساء لغسيل الملابس في عين قصارى



بقايا معبد أم السجور



معبد باربار – لاحظ امتلاء فناء المعبد بالماء

الوثيقة ٥٣

وجدت داخل حوض شمال معبد باربار، ويدل الاسم على مدى تقديس المياه في ذلك الزمن الذي قلت فيه الأمطار .

ولقد انتهت حضارة باربار الأولى حسب ما جاء في لوحة مسمارية باجتياح الملك سرجون الأكادي لجزيرة البحرين في ٢٣٦٠ ق.م.، واستيلائه عليها وإجبار مملكة دلمون على الولاء له[٢٢] . ومن الجدير بالذكر أنه في حوالي ٢٤٠٠ ق.م. أخذ المناخ يميل إلى الجفاف إلا أن تأثير هذا الجفاف على الحياة تأخر نوعاً ما نظراً لارتفاع منسوب المياه الجوفية مما ساعد على استمرار الحياة سنوات بعد ذلك[٢٣] .

غير أن احتلال سرجون الأكادي لم يدم طويلاً حيث استعادت دلمون استقلالها لتزدهر في فترة باربار الثانية (٢٣٠٠ – ١٧٥٠ ق.م.) . ويذكر لارسن[٢٤] أن سكان جزيرة البحرين قد انتشروا في فترة باربار الثانية حتى الساحل الجنوبي الغربي للجزيرة، وحفروا الآبار على منحدرات منكشفات تكوين الخبر، وأقاموا نشاطاً زراعياً كثيفاً بلغت معه مساحة الأراضي المزروعة ١٥٣ كم٢ منها ٨٥ كم٢ من حقول النخيل، و٦٨ كم٢ زراعة في سهول ساحلية ورواسب غرينية . واعتمدوا على المياه الجوفية في ري محاصيلهم الزراعية ساعدهم على ذلك ارتفاع منسوب مياه العيون وجريانها . وكانت تجارة التمور بجانب الخضر والفواكه وعلف الماشية من أهم صادرات جزر البحرين خلال تلك الفترة .

ولقد كان وجود عيون المياه العذبة البرية والبحرية في جزر البحرين من أهم أسباب سيطرة وتحكم الحضارة الدلمونية خلال فترة باربار الثانية على تجارة النحاس بين ماجان (عمان) وبلاد الرافدين . إذ احتاجت بلاد وادي الرافدين لكميات كبيرة من النحاس لصنع آلتها العسكرية فكانت السفن المحملة بهذه البضائع من ماجان والسند إلى بلاد وادي الرافدين ترسو بجزيرة البحرين للتزود بالمياه العذبة والتمور[٢٥] .

ونظراً للازدهار والرخاء الذي تمتعت به حضارة دلمون خلال فترة باربار الثانية، إضافة إلى موقعها الاستراتيجي فقد أصبحت مطمعاً لحكام بلاد وادي الرافدين، إذ سيطر الغزاة الكاشيون عليها في الفترة من ١٧٥٠ إلى

١٢٠٠ ق.م.[٢٦] . ومع انهيار الفترة الدلمونية السابقة وما تعرضت له الجزيرة من غزوات من قِبَل حكام وادي الرافدين فقد انهار النشاط الزراعي وتقلصت مساحة الأرض المزروعة إلى ٤٦ كم٢ فقط تركزت في السواحل الشمالية لتقتصر على مناطق وجود المياه فقط، وربما كان لتأثر المنطقة بالجفاف في تلك الفترة أثر على تقلص المساحة المزروعة[٢٧] . ويذكر بيبي[٢٨] أنه عثر في حفرياته على لوحة هي الوحيدة التي عثر عليها في البحرين (وترجع للفترة الكاشية) تهتم بنتاج هذه المنطقة من التمر. فتذكر أن دلمون كانت تصدر التمور وكان تمرها موضع تقدير عالٍ في بابل .

تلت هذه المرحلة مرحلة المدينة الرابعة أو ما يعرف بدلمون المتأخرة (١٢٠٠ - ٦٠٠ ق.م.) والتي عاصرت البابليين والآشوريين في العراق . هذه المرحلة تعتبر مرحلة ازدهار في تاريخ دلمون، إذ استعادت دلمون مركزها التجاري مع بلاد الرافدين، وسيطر تجار دلمون على تجارة اللؤلؤ والنحاس والبرونز، ولقد ساهمت الزيادة في هطول الأمطار خلال تلك الفترة[٢٩] في التطور والنمو السكاني والزراعي فاتسعت الرقعة الزراعية عن سابقتها ووصلت إلى ٦٥ كم٢ . وانتهت المدينة الرابعة سنة ٦٠٠ ق.م. إثر سقوط الدولة الآشورية لتنتهي حضارة عريقة هي حضارة دلمون .

ونظراً لما كانت تتمتع به دلمون من رخاء وأموال وموقع استراتيجي في الخليج فإن هذه المنطقة كانت، وعلى مر العصور مطمعاً للقوى الأكثر هيمنة ، فإثر ضعف وسقوط الدولة الآشورية سيطر البارثيون (الفرس) على المنطقة والخليج، وتعاهد العرب (الكلدانيون) معهم على دفع الجزية من الطيب والأموال والهدايا للقضاء على الدولة الآشورية والبابلية . غير أن أطماع الفرس في السيطرة على خيرات منطقة الخليج وموقعها الاستراتيجي المتوسط للتجارة بين الشرق الأقصى والجزيرة العربية أدت إلى تعرض البحرين إلى هجوم الساسانيين من السواحل الفارسية أثناء حكم قورش الثاني (٥٥٩ - ٥٢٩ ق.م.)، وزاد نفوذهم في الفترة (٣٧٨ - ٣٢٥ ق.م.) إبان احتلالهم للأجزاء الشرقية من جزيرة العرب[٣٠] . ويرجح لارسن[٣١] أن تقنية الري بواسطة القنوات قد تعرّف عليها في البحرين إبان النفوذ الساساني، أو ربما في تاريخ أقدم نتيجة لاحتكاك أهالي البحرين

بحضارات ماجان (عمان) وإيران وبلاد الرافدين التي وجد بها هذا النظام منذ القدم . وقد وصف جواد علي[٣٢] قنوات البحرين فذكر : "وفي جزر البحرين قنوات يظن أنها من عمل الساسانيين، أقاموها للاستفادة من المياه المتدفقة من العيون، وهي أخاديد حفرت في الأرض ثم بطنت بمادة تمنع الماء من التسرب إلى التربة ثم سقفت بصفائح من الحجر، أهيل عليه التراب لتمنع أشعة الشمس من الوصول إلى الماء فتبخره، وبذلك تقل كمياته . وبين مسافة وأخرى تقدر ما بين عشرة وعشرين ياردة توجد منافذ لمرور الهواء منها إلى باطن القناة . وقد بُطنت هذه المنافذ بالحجارة، وقد أقيمت جدر عند مخارجها إلى الأرض لتحميها من سقوط الأتربة فيها . ولا تزال بعضها عامرة تجري فيها مياه العيون حتى الآن . وهناك آثار قنوات مشابهة لها تقع في السواحل المقابلة للبحرين من المملكة العربية السعودية تعود إلى هذا العهد أيضاً" . وقد ساعد بناء القنوات في البحرين على استغلال أمثل للمياه وثبات الرقعة الزراعية فيها .

وظل الصراع بين العرب والفرس حتى ظهرت قوة جديدة هي الحضارة

الإغريقية بقيادة الإسكندر الأكبر التي بسطت نفوذها على مساحة واسعة من العالم في العقد الرابع من القرن الرابع قبل الميلاد، فقد سيطر الإغريق على سواحل الخليج العربي بأعظم أسطول بحري شهدته المنطقة، واحتلوا جزيرة "فيلكا" وأقاموا فيها معبداً سمي بمنار[٣٣] . وانتقلت الحركة التجارية الاقتصادية بين أعالي الخليج وأسفله من البحرين إلى مدينة "جرها" على الساحل الشرقي للجزيرة العربية والتي اشتهرت في التاريخ بكنوزها، كما تناقصت التجارة عبر الخليج العربي نظراً لتشجيع اليونانيين التجارة عن طريق البحر الأحمر الذي كان رغم بعده آمن وأسلم لبعده عن هيمنة الساسانيين (الفرس)، وأصبحت التجارة المارة بالخليج العربي مقصورة بالدرجة الأولى على ما تستهلكه الإمبراطورية الساسانية[٣٤] .

وسجل مؤرخو الإغريق أمثال سترابو وبليني فترة الاحتلال اليوناني في كتبهم وبينوا أن هناك جزيرة تدعى تايلوس تقع في الجنوب، قربها جزيرة أصغر تدعى أرادوس (المحرق). كانت مهمة في طريق التجارة كونها محطة للتزود بالماء العذب في الخليج[٣٥] كما

أن بليني يذكر "بأن العرب كانوا يعتقدون بأن العين في البحرين تنبع مياهها الباطنية من مجاري نهر الفرات"[٣٦] . وجاءت التنقيبات الآثارية التي تمت مؤخراً (يونيو ١٩٩٧) في بعض القبور بقرية الشاخورة شمال جزيرة البحرين وما عثر فيها من عملات وحلي ومجوهرات لتؤكد على سكنى الإغريق أيضاً في جزيرة البحرين .

وانتهز الرومان فرصة ضعف حلفاء الإسكندر وانهيار مملكته العظيمة فاستولوا على ممتلكات الإغريق في الشرق، لتبدأ علاقة العرب بالرومان وليبدأ النزاع بين الرومان والفرس للسيطرة على خيرات الخليج والجزيرة العربية وطرق التجارة البرية والبحرية المارة فيهما[٣٧] . وانقسم العرب بين تابع للفرس وتابع للرومان بدون حكم مباشر من قِبَلهم، وقامت دول عربية غنية في شمال الجزيرة العربية كدولتي المناذرة والغساسنة كانت أهم دعائم قيامها سيطرتها على طرق التجارة .

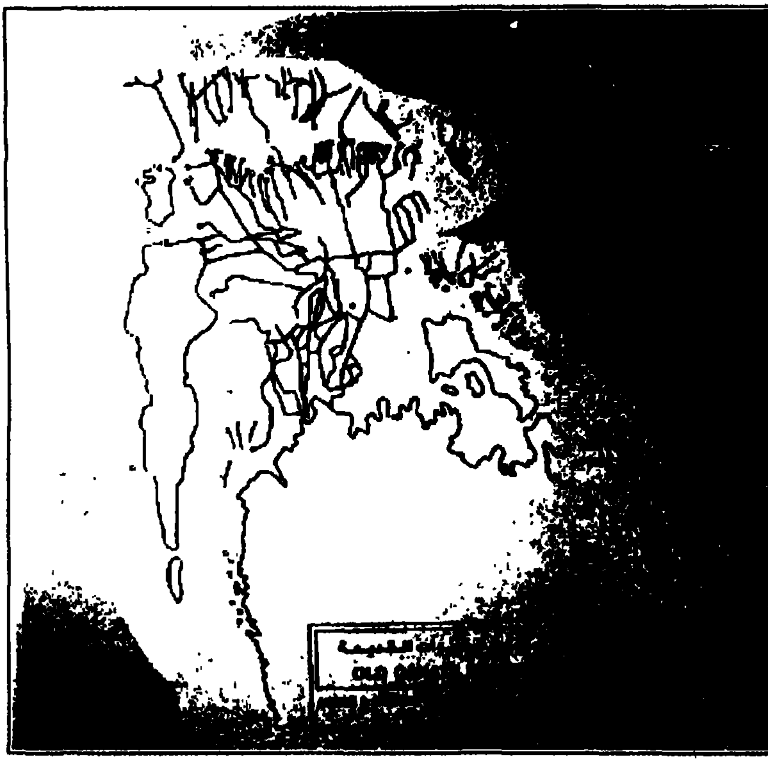
وكان يطلق على جزيرة البحرين آنذاك اسم أوال. والراجح أن "أوال" اسم وثن تعبَّد له أهل البحرين قبل الإسلام وربما يرجع أصله إلى الجزيرة العربية وانتقل إلى البحرين مع الهجرات التي تعرضت لها من قِبَل القبائل العربية التي فرضت نفوذها على المنطقة آنذاك، وإثر انتهاء علاقتها الدينية مع حضارة وادي الرافدين، أو أن أوال نسبة إلى بكر (وائل) التي ينتسب لها بكر وتغلب بن وائل الذين سكنوا إقليم البحرين قبل الإسلام[٣٨] . إذ أن أعراب جزيرة العرب حينما كان يدب الجفاف في أراضيهم وما ينتج عن ذلك من مجاعات وحروب للسيطرة على آبار المياه والمرعى لا يسعهم سوى الهجرة إلى مناطق المياه في شمال وشرق وجنوب الجزيرة العربية[٣٩] . ومن هذه المناطق البحرين (الجزء الشرقي للجزيرة العربية وجزر البحرين) . ويشير لارسن[٤٠] إلى أن تقلص النشاط الزراعي في البحرين خلال فترة الألف الأول بعد الميلاد ربما يعود إلى أن تلك الفترة قد شهدت تناقصاً في سقوط الأمطار وجفافاً لم يقتصر على البحرين فحسب وإنما امتد تأثيره إلى الجزيرة العربية مؤدياً أحياناً إلى حصول مجاعة .

تلت هذه المرحلة مرحلة العصر الإسلامي الذي بدأ بدخول الإسلام إلى البحرين عام ٦٣٠م واعتناق أهلها

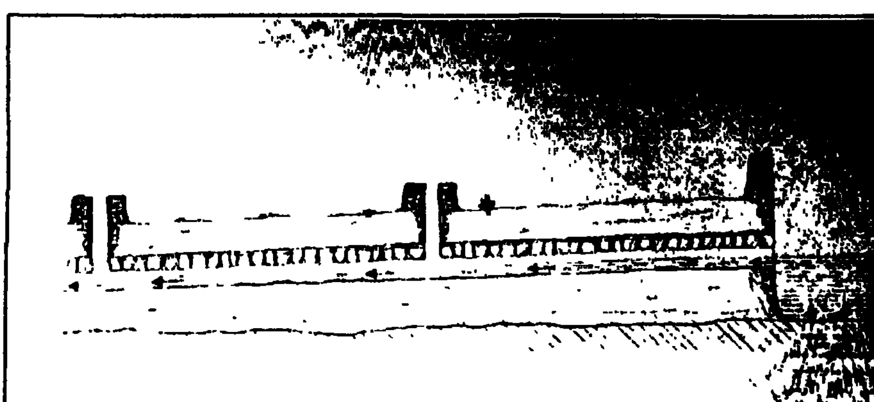
الإسلام . ورغم الحالة الاقتصادية السيئة التي عانى منها باقي عرب الجزيرة العربية في تلك الفترة، إلا أن أول وأكبر خراج دخل المدينة المنورة هو خراج أهل البحرين، حيث يذكر البلاذري[٤١] أن المبلغ الذي أرسل إلى النبي ﷺ بلغ ٨٠,٠٠٠ دينار مما يدل على استقرار البحرين وغناها .

ويصف ياقوت الحموي أوال في كتابه معجم البلدان فيذكر أن الاسم القديم لأوال هو (ترم) وهي تقع على مسيرة يوم من الساحل الشرقي لجزيرة العرب، وأنها كانت مأهولة بالسكان عند ظهور الإسلام، وأرضها خصبة ومياهها وفيرة وتعتمد على المياه الجوفية، وفي صدر الإسلام كان في الجزيرة مدينة كبيرة حسنة ولها جامع يقصد (المنامة) وفيها بعض القرى في الشمال الشرقي ويقصد (الجفير)، وقرية سترة وهي جزيرة تقع شرق أوال غنية بالآبار والعيون وفيها كثير من أشجار النخيل[٤٢] . ولعل ما وجد في قلعة البحرين، التي يرجح الآثاريون[٤٣] أنها تعود إلى العصر الإسلامي وربما أقدم (اليوناني)، من قنوات محفورة في أرضية إحدى غرفها لاستخراج الدبس (عسل التمر) بالأسلوب التقليدي لهو دليل على وفرة التمور في هذه الجزيرة .

ومن الروايات الشعبية المتداولة الخاصة بعيون البحرين التي تعكس أهمية عيون المياه لدى سكان البحرين روايتان ذكرتا في كتب التاريخ الأولى تخص عين أم السجور التي كانت أعظم بئر في البحرين والتي كانت تسقي القسم الشمالي من الجزيرة، فتذكر الرواية أن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان أرسل جيشاً إلى البحرين لحرب الخوارج وإعادة سيطرة الدولة الأموية على البحرين وقام قائد الجيش بردم عين أم السجور عقاباً لسكانها[٤٤] . إلا أن الدلائل الأثرية التي وجدتها البعثة الدنمركية تبين أن تدميراً لحق بالعين وأن ردم أم السجور ربما حدث في عصور أكثر إيغالاً في القدم أو ربما وقع التدمير أكثر من مرة، وتقص علينا الرواية الثانية بأنه في غابر الزمان كان زعيم يدعى ابن حكيم يقطن القطيف جاء إلى البحرين وهو يرغب في الزواج من ابنة جميلة لرئيسها ويبدو أنه لا الحسب ولا المال كان مرغوباً فيهما، إذ قوبل طلبه بالرفض والازدراء، فما كان منه إلا أن أشعل نار الحرب وقطع عن أهل البحرين الماء بقصد إكراههم وقهرهم



شبكة قنوات الري القديمة في البحرين (متحف البحرين الوطني)



شكل تخطيطي لقناة ري (متحف البحرين الوطني)

عطشاً فتسبب في ردم ثلاثة آبار، واحدة في عالي والثانية في بَلاد القديم والثالثة في دراز، ولكن ذلك الغازي رُدَّ على أعقابه بعد حين واضطر للتراجع بعد هزيمته[٤٥] .

ومن الجدير بالذكر أن البحرين (أوال والأحساء والقطيف) مرت خلال عصور الخلافة الإسلامية بفترة من الاضطرابات للمرتدين وبعض الحركات الانفصالية عن الخلافة الإسلامية مثل الخوارج والزنج وحركة القرامطة وغيرها مما أدى إلى عدم استقرار المنطقة وبالتالي تقلص النشاط الزراعي . فمثلاً نجد أن ما سُنَّ من قوانين إبان حركة القرامطة يستهدف جباية الضرائب التي كانت تدخل ميزانية الدولة وتصرف على الخدمات العامة والأسلحة وتجهيز الجيوش قد ساعد على تدهور الوضع في المنطقة . حيث فرضت ضرائب على المراكب التي تمخر الخليج، وعلى الغوص (أي صيد اللؤلؤ)، وأعشار تؤخذ على الأراضي، ورسوم على التجارة وغنائم الحروب والمزارع الخاصة بالدولة . ولعل بعد المنطقة عن مراكز الخلافة الإسلامية ووفرة مياهها وثرواتها الزراعية والتجارية واكتفائها الذاتي نسبياً جعل منها مناطق استقطاب لتلك الحركات الانفصالية .

وفي القرن الثاني عشر طرأت على البحرين تغيرات وتحولات سياسية واتجاهات مغايرة إثر سيطرة الفرس. كما شهدت هذه الفترة انحساراً لمستوى المياه الجوفية والينابيع، وقلة الأمطار ونتيجة لذلك فقد تم مد القنوات إلى الساحل الجنوبي الغربي للجزيرة[٤٦] .

لقد تأثرت جزيرة أوال بالمد العربي في القرن الثالث عشر، وأصبح لها علاقات مع المراكز التجارية الأخرى في الخليج كجزيرة (هرمز) وجزيرة (قيس) اللتين كانتا تشكلان موازين القوى في الخليج في ذلك العهد، وقد أطلق في هذه الفترة على مجموعة جزر أرخبيل البحرين الحالية اسم البحرين[٤٧] .

وفي بداية القرن السادس عشر سيطر البرتغاليون على طرق التجارة وأقاموا لهم مراكز في الخليج أهمها جزيرة هرمز وجزيرة البحرين . ويعزو الخليفة وأباحسين[٤٨] أسباب غزو البرتغاليين للبحرين إلى الأهمية العسكرية والاستراتيجية لموقعها وما تذكره المصادر البرتغالية من وصف،

لخيراتها. وهذا ما يبرر استمرار الوجود البرتغالي فيها ما يقارب المائة عام حيث تذكر تلك المصادر "أن البحرين تضم جزيرة كبيرة غنية بالمياه العذبة والخضراوات والأشجار الباسقة وغنية بالجواهر ومغاصات اللؤلؤ ومصايد الأسماك. وأن سكانها وهم من القبائل العربية كانوا يبيعون اللؤلؤ للتجار الذين ينقلونه بدورهم إلى بلاد الهند وفارس والبلاد العربية الأخرى فيدر على البحرين أرباحاً طائلة" .

أما ما كتبه القائد الأديب الشاعر العثماني علي شلبي. الذي أوكلت له مهمة مهاجمة البرتغاليين في الخليج عام ١٥٥٣م. في وصف جزيرة البحرين فهو "وفي البحرين وجدنا ويالها من حكمة عجيبة - الغواصين وكل واحد منهم يمسك بيده زقاً يغوص في البحر حوالي ثمانية أبواع (الباع حوالي المتر ونصف المتر) أو أكثر ثم يملؤ ما بيده من زق بماء عذب من القاع . وفي أيام الصيف يكون هذا الماء أكثر برودة من المياه الأخرى وأكثر عذوبة أيضاً . ويسترسل علي شلبي فيذكر بأن هذا الماء جيد جداً وأن الآية الكريمة "مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) إنما تتحدث عن هذا وهم يعتقدون أن هذا الماء هو سبب إطلاق هذا الاسم على البلد"(٤٩) .

ولقد أتاح خروج البرتغاليين من الخليج العربي الفرصة أمام بعض التجمعات القبلية للهجرة من مواطنها في شبه الجزيرة العربية متجهة نحو الساحل الغربي للخليج العربي إثر تعرضها لقسوة البيئة وطلباً للخيرات من لؤلؤ وأسماك وما تجلبه السفن من تجارة تأتيها من البلاد القاصية والدانية . ومن هذه القبائل العربية عرب العتوب الذين ينتمون إلى قبيلة عنزة التي تعرضت في أواخر القرن السابع عشر (١٦٦٥ - ١٦٦٧م) إلى قحط شديد سمي (صلهام) هلك فيه عدد كبير من الناس، ونشبت فيه الحروب بين القبائل للتنازع على البقاء لقلة الخيرات ويقول في ذلك أحد أدباء سدير :

غدا الناس أثلاثاً فثلث شريدة
يلاوي صليب البين عار وجائع
وثلث إلى بطن الثرى دفن ميت
وثلث إلى الأرياف جال وناجع

هذه الأسباب وغيرها دفعت بعض القبائل إلى الهجرة صوب مناطق غنية بالخيرات كالعراق والأحساء ومناطق

الخليج العربي[٥٠] . وقد اجتذبت موارد البحرين الطبيعية وموقعها الاستراتيجي الآمن ومناخها الأقل قسوة مما يجاورها من مناطق أنظار أية جماعة رغبت في تحسين مستواها المعيشي . ويصف لاندن[٥١] اقتصاد البحرين عام ١٧٨٠م بأنه يعتمد أساساً على البيئة فتواجد الماء العذب المستمر ساعد على زراعة النخيل والخضراوات عبر آلاف السنين، كما أن صيد السمك واللؤلؤ كان يشكل عنصراً أساسياً لاقتصادها التقليدي . وعليه فإن التمر وصيد السمك كانا مصدرين لدفع الخراج على مر العصور لمن يحكم الجزر . أما التجارة والصناعة البحرية فإنها مبنية على تبادل المنتجات المحلية (خاصة اللآلئ) كما أن نقل البضائع الواردة من والصادرة إلى موانئ شرق الجزيرة العربية كان أيضاً مصدراً هاماً في نظام الاقتصاد المحلي التقليدي .

وقد كان لدخول آل خليفة البحرين وتوطيد دعائم حكمهم فيها (١٧٨٣م) أكبر الأثر في خلق نظام مستقر في البحرين يحميها من الأطماع الخارجية والاضطرابات الداخلية الناجمة عن التنافس في الحكم، مما ساعد على خلق نظام اجتماعي اقتصادي خاص بدولة البحرين، حقق ازدهاراً تجارياً رغم الأطماع التي ما انفكت تحاول السيطرة على خيرات الجزيرة من حين لآخر إلى أن وقعت البحرين الاتفاقية الأنجلو بحرينية الأولى (١٨٦١م) مزيلة بذلك خطر أي غزو خارجي يهدد البحرين[٥٢] ولتتفرغ الدولة لعمليات البناء والتنمية والتي مازالت مستمرة حتى يومنا هذا .

من هذا السرد التاريخي لتتابع الحضارات في دلمون، نجد أن البحرين وعلى مر العصور وتتابع الحضارات كانت بلداً زراعياً، وأن مياهها الجوفية المتدفقة على هيئة عيون طبيعية كانت الركيزة الأساسية لقيام هذا النوع من النشاط الاقتصادي . أما مساحة الرقعة الزراعية فيها فهي في تباين من فترة لأخرى تبعاً لوفرة مياه الأمطار والاستقرار والرخاء الذي تمتعت به كل فترة . غير أن الثابت هو أن الأجزاء الشمالية والشرقية والغربية حيث تتركز معظم عيون البحرين الطبيعية كانت وعلى مر العصور مناطق قيام المدن واستقرار السكان . إذ تنتشر الينابيع البحرية على امتداد السواحل الشرقية والشمالية الشرقية لجزيرة سترة والمحرق وبدرجة أقل على السواحل

الشمالية لجزيرة البحرين عند سنابس وباربار ودراز . أما الينابيع البرية فتظهر بشكل متفرق في مناطق من جزيرة سترة، والأجزاء الشرقية من جزيرة البحرين، في مناطق النويدرات، وسند، وتوبلي، وفي الأجزاء الشمالية والشمالية الوسطى، والشمالية الشرقية من جزيرة البحرين في القشع، وكرانة، وعالي، وفي مناطق المنامة الكبرى، وجزيرة النبيه صالح .

إن استمرار تدفق المياه من عيون البحرين لآلاف السنين يعكس حجم المخزون الجوفي لهذه المياه في منطقة وفترة اتسمت بالجفاف منذ حوالي ٦٠٠٠ سنة[٥٣] . مما يدل على أن هذه المياه هي مياه أحفورية غير متجددة، ملئت خلال الفترات المطيرة التي تعرضت لها مكاشف التكوينات الحاملة للمياه في البحرين والخزان العربي الشرقي الواقعة في صحراء الدهناء . إذ اتسمت هذه الفترات بأمطار منتظمة غزيرة استمرت لفترة طويلة تمكنت خلالها مياه الأمطار من ملء الخزانات الجوفية بكميات كبيرة من المياه لتتدفق شرقاً تبعا للميل العام للطبقات الحاملة لها نحو الساحل السعودي الشرقي والبحرين وتظهر على السطح مرة أخرى بهيئة عيون طبيعية وينابيع كأحد أشكال التصريف الطبيعي لهذا الخزان الإقليمي .

إن حضارة البحرين منذ العصور القديمة وحتى بداية القرن العشرين تدين بقيامها وتطورها إلى مياه العيون الطبيعية التي حباها بها الله والتي جعلت منها منطقة جذب لأعداد كبيرة من السكان استقروا حول مياهها المتدفقة وغطائها الأخضر، مما أكسب هذه المياه قدسية خاصة لدى سكان تلك الجزيرة وما جاورها، وما المعابد التي وجدت حول البعض منها كمعبد باربار ومعبد أم السجور ودراز وسار وغيرها إلا دليل على قدسية هذه المياه . ولعل انتشار مظاهر الجفاف حول الجزيرة زاد من أهمية وقدسية هذه العيون المعطاءة . ولا يختلف الحاضر عن الماضي فلازال لبعض العيون في البحرين وحتى الماضي القريب قدسية خاصة كعيون جزيرة النبيه صالح، كما استمرت بعض العيون الأخرى ملتقىً للناس وبخاصة في أفراحهم وتزاوجهم حيث كان العرسان يزفون على مشارفها تيمناً، ويغتسلون بمياهها تطهراً كعين أم شعوم وعين عذاري . في حين جذبت عيون أخرى سكان البحرين لجمالها وتدفقها وكثرة

مياهـها والبيئـة الزراعيـة المتراميـة المحيطة بها كعين قصاري وعين الرحى . كما وكانت العيون في البحريـن تعتبر مصايف للسكان حتى الماضي القريب، حيث يذكر النبـهاني الطـائي[٥٤] في كتابه التحفة النبهانية "أنه في زمن الصيف ينزل غالب الأهالي والحكام قرب ماء العيون العذبة التي عند سواحل البحر بين النخيل والبساتين من أواسط الربيع حتى اوائل الخريف في بيوت مؤقتة من جريد النخيل" .

فلقد وصف النبهاني الطائي[٥٥] الذي زار البحرين أوائل هذا القرن (١٩١١م) عيون البحرين فذكر "أن جزيرة البحرين كثيرة المياه العذبة، ولكثرة ينابيعها البحرية وعيونها البرية كانت في غاية الخصوبة سوى أن فلاحتها غير متقنة ويوجد في وسط البحر جملة ينابيع عذبة تفور بقوة . فيغوص عليها المستقون فيملئون منها القرب للسفن ولشرب غالب أهل البلدة وأن من الواقعة على ساحل البحر لما يتدفق ماءها ويسيل على وجه الأرض . ومنها ما إذا جزر البحر ظهرت فاستقوا منها . وإذا مد البحر علاها بنحو ستة أذرع فيغوصون عليها للاستسقاء . والينابيع البحرية هي ألطف مياههم لصيانتها عن الأوساخ التي تقذفه الرياح في العيون غالباً . وأيضا ليس به دود ولا طيسي (ميكروب) وذلك عد مكثه بسرعة وفورانه وتدفقه"[٥٦] ويسترسل فيذكر "وعدد الينابيع البحري المشهورة عندهم بأسماء مخصوصة نحو ٢٥ ينبوعاً غير الصغار والمجهول الاسم، وعدد التي في البر نحو ٠٠ عين وذلك غير الصغار، وغالبها يسي على وجه الأرض ثم يفيض في البحر وأن عيون البحرين وينابيعها الموجود اليوم تزيد على معدل (حالة أرضه الطبيعية) بكثير، وفي الحقيقة أ البحرين أكثر البقاع مياهاً مع أنه جزيرة" .

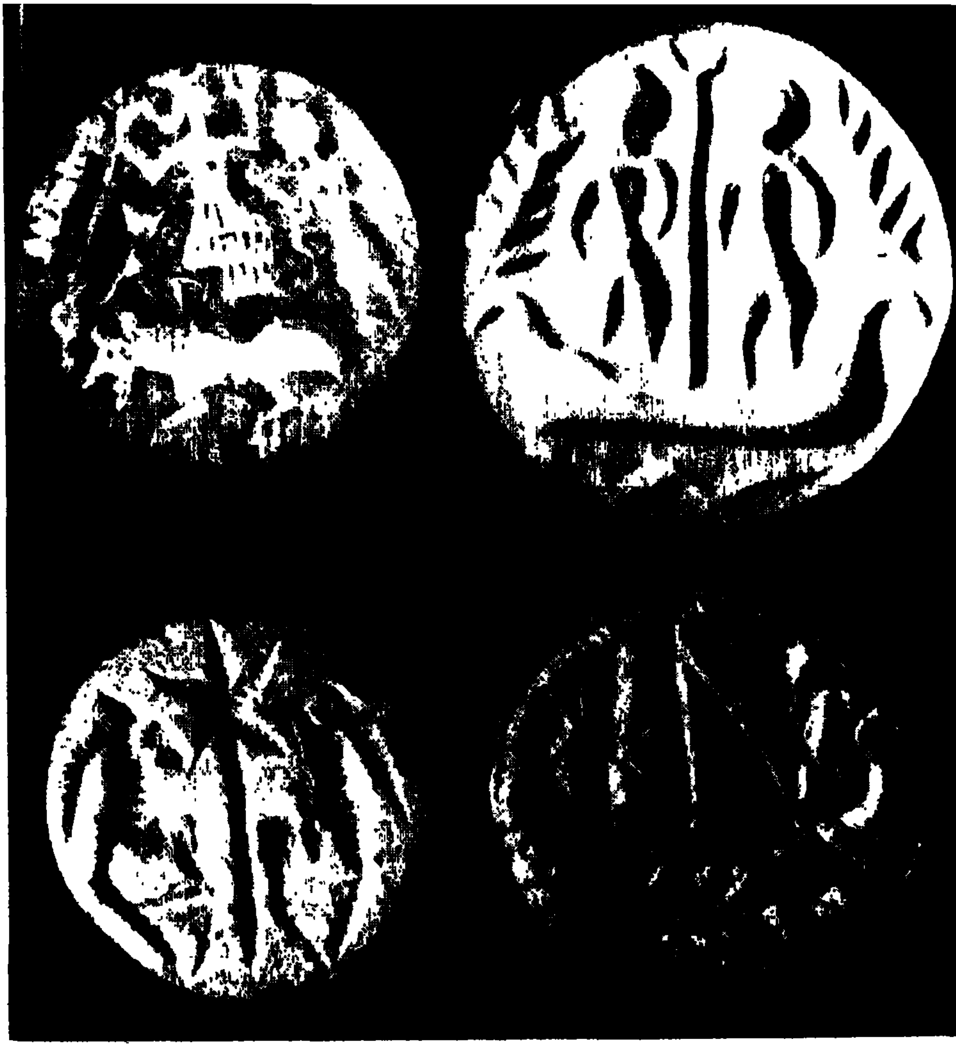
غير أن اكتشاف البترول أوائل هذ القرن وما واكبه من زيادة سكانية وتطو سريع في الجزيرة العربية والبحرين وم أدى إليه من تطور صناعي وزراع بسبب ثروات النفط أدت إلى استنزاف المياه الجوفية في فترة لا تجاوز ٧٥ سنة . وإذا كانت الثروة البترولية ق استطاعت حتى يومنا هذا أن تمدن بالمياه المحلاة من البحر، فهل بإمكا الأجيال القادمة العيش في هذه المنط بعد نضوب الماء والبترول، أو أن ننتظ حصول معجزة قادمة على هيئة عدو

ـيرة لشبـه الجزيـرة العربيـة ليتحقـق ـديـث رسـولنا ﷺ "لا تقـوم السـاعة ـتي يكثر المـال ويفيـض حتـى يخـرج ـجل بزكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه وحتى تعود أرض العـرب مروجـاً وأنهاراً" (رواه مسلم) .

هند عبد العزيز القصيبي

د. أسماء علي أباحسين

د. وليد خليل الزباري



بعض من أختام الفترة الدلمونية (متحف البحرين الوطني)



إنكي إله المياه العذبة تحت الأرضية (متحف البحرين الوطني)

الوثيقة ـ ٦٧

المراجع

١ - القصيبي، هند عبد العزيز، ١٩٩٨م . تاريخ وواقع العيـون الطبيعية في دولـة البحرين . أطروح
ماجستير، جامعة الخليج العربي، البحرين، ص ١٣ - ٣٦، ٤٢، ١٢٥ .

٢ - الأحمد، سامي سعيد، ١٩٨٥م . تاريخ الخليج العربي مـن أقدم الأزمنـة حتى التحريـر العربـ
مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، مطبعة جامعة البصرة، ص ٢١١ .

٣ - جواد علي، علي، ١٩٧٦م . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام . جـ ١ ، الطبعة الثانيـة، دار العا
للملايين، بيروت، ص ٥٥٣ .

الخليفة، عبد الله بن خالد، وعبد الملك الحمر، ١٩٨٢م . البحريـن عـبر التـاريخ، جــ ١ ، المطبع
الحكومية وزارة الإعلام، دولة البحرين، ص ١٥ ، ١٦ .

الأحمد، م.س. ص٢٠٨ - ٢١٢ .

٤ - بيبي، جيوفـري، ١٩٨٥م . البحـث عـن دلمون . ترجمـة أحمـد عبيـدلي، دلـمون للنشـر، نيقوسـ
ص١٣٠ - ١٣٢

٥ - الأحمد، م.س. ص٢١١ .

٦ - رايس، مايكل، ١٩٨٧م . تلك الجزيرة على حافة العالم . الوثيقة، العدد العاشر، ص١٨٢ - ١٩٧

٧ - النجم، عبد الرحمن عبد الكريم، ١٩٧٣م . البحرين في صدر الإسلام وأثرها في حركة الخوارج، ط
دار الحرية، بغداد، ص١٧ .

٨ - آلخليفة والحمر، م.س. ص١٩ .

٩ - الأحمد، م.س. ص ٥٧ . وجواد علي . جـ١ . م . س . ص ٥٣٣ - ٥٣٤ .

١٠ - جواد علي، جـ١، م.س. ص ١٩٢ .

١١ - بيبي، م.س. ص ٤٧٦ .

١٢ - بيبي، م.س. ص٧٣، ٧٤، ٧٦ .

١٣ - شرف، عبد العزيز طريح، ١٩٨٥م . مناخ أواخر البليستوسين والتغيرات التي طرأت عليـه خـلا
العهود التالية حتى أواسط القرن التاسع عشر . الكتاب الجغرافي السنوي، العدد الأول، الريـاض
ص٩١ .

١٤ - Larson, C.E., 1983 . Life and Land use on the Bahrain Islands, the Geoarcheology of an Ancient Society. Univ. of Chicago, pp.74 - 76 & p. 200 .

١٥ - Woodburn, M., 1995. Ancient Saar, Uncovering Bahrain's Past, London - Bahrain Archaeologcal Expedition, North Star Publishing. U.K. London. P48

١٦ - بيبي، م.س. ص٢٢١ .

١٧ - جواد علي، جـ١، م.س. ص٥٦٦ و ٥٤٥ .

الخليفة والحمر، م س. ص٧٧ .

١٨ - Larson، م. س. ص ٢٠١ .

١٩ - بيبي، م.س. ص ٢٢٥ .

٢٠ - جواد علي، جـ١، م.س.. ص٥٧١ .

٢١ - بيبي، م.س. ص٣٥١، ٣٥٢ .

٢٢ - الخليفة والحمر، م.س. ص٤٧ و ٤٨ .

جواد علي، جـ١ م.س. ص٥٤٥ و ٥٧١ .

٢٣ - شرف، م.س. ص٩١ .

٢٤ - Larson، م.س. ص١٩٢ - ١٩٥ و٢٠١ .

٢٥ - جواد علي، جـ١ م.س. ص٥٦٥ .

الأحمد، م.س. ص٢١٦ و ٢١٧ و ٢٤٤ .

بيبي، م.س. ص٢٦٣ .

٢٦ - بيبي، م.س. ص٤٣٠ .

٢٧ - Larson، م.س. ص١٩٦ و ٢٠٣ .

٢٨ - بيبي، م.س. ص٤٣٠ و ٤٣٧ .

٢٩ - Larson، ص٢٠٣ .

٣٠ - جواد علي، جـ١ م.س. ص٥٢٩ .

الأحمد، م.س. ص٣٠٩ .

٣١ - Larson، م.س. ص٨٥ و ٢٠٤ .

٣٢ - جواد علي، جـ٢، م.س. ص٦٤٨ .

٣٣ - جواد علي، جـ٧، م.س. ص٢٦٧ .

٣٤ - النجم، م.س. ص٨٧ .

٣٥ - بيبي، م.س. ص٢٦٣ .

٣٦ - الخليفة والحمر، م.س. ص٥٢ .

٣٧ - جواد علي، جـ٢، م.س. ص٣٨ .

٣٨ - الخليفة والحمر، م.س. ص١٢١ .

بوتس، ا.ت.، ١٩٨٦م . برلين، أوال والمحرق (دراسة في سبب التسمية)، الوثيقة، العدد التاسع، مركز الوثائق التاريخية، دولة البحرين،ص١٥٧ .

٣٩ - جواد علي، جـ١، م.س. ص٢٤٠ - ٢٥٤ .

٤٠ - Larson، م.س. ص٢٠٦ .

٤١ - كانو، عبد اللطيف جاسم، ١٩٨٥م . البحرين في صدر الإسلام . الوثيقة، العدد السادس، مركز الوثائق التاريخية، دولة البحرين، ص١٩ و ٢٠ .

٤٢ - كيرفران، مونيك، وأبو خلدون، ١٩٨٣م . حفريات قلعة البحرين تضيف معلومات جديدة إلى التراث الحضاري، الوثيقة، العدد الثاني، مركز الوثائق التاريخية دولة البحرين، ص١٧٧ و١٧٨ .

٤٣ - كيرفران، مونيك، وآرليت نيجر، وميشيل بيرازولي، ١٩٨٢م . حفريات قلعة البحرين ١٩٧٧ - ١٩٧٩م . جـ١، مطبوعات وزارة الإعلام إدارة الآثار والمتاحف دولة البحرين، البحرين، ص١٨ .

٤٤ - بيبي، م.س. ص١١٧ .

الأحمد م.س. ص١٧٦ و١٩٥ .

٤٥ - الخليفة والحمر، م.س. ص٥٢ .

٤٦ - Larson، م.س. ص٢٠٦ .

٤٧ - الخليفة، عبد الله بن خالد، وعلي أباحسين، ١٩٩١م . البحرين عبر التاريخ، جـ٢، مركز الوثائق التاريخية، دولة البحرين، ص٩١ - ٩٣ .

٤٨ - ن.م.س. ص ١٤١ .

٤٩ - ن.م.س. ص١٥٧ .

٥٠ – بن عيسى، إبراهيم بن صالح، ١٩٦٦م . تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان من ٧٠٠ – ١٣٤٠هـ، منشورات دار اليمامة، الرياض، ص٦١ .

٥١ – لاندن، روبرت، ١٩٨٦م . إعادة النظر في كتابة تاريخ البحرين، الجزء الأول ١٧٨٣ – ١٨٦١م، الوثيقة، العدد الثامن، مركز البحرين للوثائق التاريخية، دولة البحرين، ص٨٠ .

٥٢ – ن.م.س. ص٨٦ – ٨٩ .

٥٣ – McClure,1976; McClure, H.A. 1976. Radiocarbon Chronology of Last Quaternary Lakes in the Arabia. Nature. Desert : 755. P. 756 - 263 .

الوليعي. عبد الله ناصر. ١٩٨٨م . تغيرات المناخ في المناطق الجافة، "دراسة حالة" في المملكة العربية السعودية. الكتاب الجغرافي السنوي، العدد الرابع، الرياض، ص٤٦ – ٥٤ .

عبده. طلعت أحمد محمد. ١٩٨٨م . الجغرافيا التاريخية لشبه الجزيرة العربية في عصور ما قبل التاريخ. الإسكندرية. دار المعرفة الجامعية، ص١٢٦ – ١٣٦ .

٥٤ – الطائي. ١٩٨٦م . ص٢٢ .

٥٥ – ن.م.س. ص٢١ .

٥٦ – ن.م.س. ص٢٢

دولة مسقط في الخليج



سيد سعيد بن سلطان البوسعيد

بقلم :

كالفيـن أيتش آلـين



ق أفريقيا ١٧٨٥ - ١٨٢٩م *

تقد بصفة تقليدية عبر القرنين الماضيين عن تاريخ عمان
د تم توحيدها في عهد آل بوسعيد، الذي كان مقره في
أولا ثم نقل إلى مسقط لاحقاً، عندما تولى حمد بن سعيد
١٧٨٥م(1) . وطبقاً لما ورد في لوريمر فإن نقل العاصمة
ط، وهي ميناء رئيسي للبلاد، كان له أثر تمزيقي
ة العمانية(2) . في حين يعتقد ج.ب. كيلي بأن هذا
يمثل تحولاً في قاعدة السلطة من البر إلى البحر(3) .
س هذا البحث هذين التفسيرين وكذلك يعارض
س بأن مسقط كانت عاصمة لعمان الموحدة .

جلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط - ١٤ - ١٩٨٢م)



لقد أنشأ حمد بن سعيد في عام ١٧٨٥م دولة "مستقلة" في مسقط وساعدته هذه الخطوة في الاستفادة بالتجارة مع المنطقة الداخلية لعمان التي كانت تعتمد على مسقط لاستيراد المواد الغذائية والمنسوجات والمعادن والمواد الخام وفي نفس الوقت انتهت معارضة القبائل له وكانت أكبر عائق واجهه كل حاكم أراد أن يسيطر على المنطقة الداخلية والمركز التجاري معاً[4] . وبعد أن استقر في مسقط تبنى كل من حمد وخلفاؤه سياسة عسكرية وسياسية عدوانية في الخليج العربي (١٧٨٥ - ١٨٢٠) وفي شرق أفريقيا (١٨٢٠ - ١٨٢٩م) بقصد إنشاء إمبراطورية تجارية عاصمتها مسقط وكان المبدأ الأساسي لهذه السياسة عدم تدخلها في شئون عمان التي كانت مقسمة بين قادة قبائل شتى .

وكان حمد بن سعيد ابناً لثاني إمام بوسعيدي هو سعيد بن أحمد ولم يكن حمد، مثل معظم الآخرين، مطمئناً لحكم أبيه[5] فتمرد في عام ١٧٨٥ وفرض سيطرته على مسقط. ولم يتورط حمد في فترة حكمه (من ١٧٨٥ إلى ١٧٩٢م) في السياسات العمانية حيث بقي والده في الحكم شرعياً[6] . بل ركز[7] اهتمامه على الوضع السياسي والتجاري في الخليج العربي الذي كان في حالة اضطراب عقب وفاة كريم خان الزندي في ١٧٧٩م[8] وكانت هذه السياسة عبارة عن اتخاذ إجراءات عديدة لجلب التجارة لمسقط وجعلها مركزاً تجارياً لمنطقة الخليج العربي ونقطة لمراقبة مرور السلع التجارية فيها .

تركزت المبادرة التجارية على تنظيم الرسوم الجمركية وتشجيع التجار الأجانب وقرّر حمد رسوماً ثابتة بواقع ٦,٥٪ على قيمة الفاتورة[9] . مما شجّع التجار الهنود وخاصة الهندوس على المجيء لمسقط لأنهم كانوا يدفعون رسوماً بواقع ٩٪ سابقاً[10] . وكان ذلك رسماً تمييزياً وأقام حمد روابط تجارية مع كل من السند وأفغانستان عن طريق وادي الأندوس والبنجاب وفي هذه المهمة تلقى دعماً من التطور الاقتصادي في السند حيث برزت مجموعة من التجار

المسلمين بمساعدة من حكومة إسلامية حديثة التشكيل فيها وحاولت هذه المجموعة انتزاع السيطرة على الأعمال التجارية من أيدي الهندوس الذين تمتعوا بجذور عميقة في هذا الحقل[11].

ولم تكف هذه السياسة الاقتصادية فقط لفرض سيطرة مسقط على تجارة الخليج بسبب وجود المنافسين الآخرين ومنهم القواسم من رأس الخيمة والعتوب للبحرين الذين بحثوا عن دور لهم في تجارة الخليج[12] قد حاول حمد فرض مراقبته على هؤلاء المنافسين عن طريق استيلائه على المداخل إلى كل من الهند وشرق أفريقيا نظراً لحاجتهم إلى البضائع من تلك البلدان وانطلاقاً من هذا الاعتبار احتل حمد كلاً من ميناء خورفكان في خليج عمان وجزيرة الحمراء في جنوب غرب رأس الخيمة في ١٧٨٧م[13] وزوّد أسطوله البحري بإضافة فرقاطة[14] أن هذين الإجراءين مما أكدا لمسقط السيطرة على مضيق هرمز.

وكان لإجراءات حمد في تبسيط الرسوم الجمركية وتوسعة الاتصالات التجارية ومراقبة المدخل إلى الخليج تأثير جيد على تجارة مسقط. وأصبحت المدينة من أنشط الموانئ في منطقة الخليج العربي وحلت محل بندر عباس كمركز تجاري هام[15]. ومن سوء الحظ أنه عندما بدأت هذه السياسة تأتي بنتائج مثمرة توفي حمد فجأةً في عام ١٧٩٢. وواجهت مسقط الفوضى بسبب الصراعات التي نشبت بين أفراد أسرة البوسعيد لانتزاع الحكم. وأخيراً فاز سلطان بن أحمد، عم حمد وخصمه من زمن طويل[16] ولقد ضمنت اتفاقية البركة[17] في ١٧٩٣ استقلال مسقط.

لم يتعاطف التاريخ مع سلطان بن أحمد. ففرانسيس واردن وهو شبه معاصر للأحداث وكان موظفاً في حكومة بومباي جاء بالملاحظات التالية عن أنشطة سلطان في الخليج: "أن روح المبادرة التي اتسمت بها سيرة السيد سلطان، إمام مسقط، الذي انتزع الحكم من أخيه الأكبر، قد أدت إلى نزاعات خطيرة مع العرب وعدة حروب معهم... والمشاكل التي برزت في هذه الفترة ودامت حتى وفاة سيد سلطان في ١٨٠٤م تنسب إلى تصرفات هذا الحاكم في محاولاته تحقيق طموحاته الجشعة"[18]. يقول ج.ب. كيلي بأن سياسة حكومة الهند في ترك حماية مرور السفن في الخليج في أيدي سيد

سلطان لم تكن صائبة كما ثبت من تصرفاته اللاحقة"[19] . تعكس هذه الآراء تعصباً إنجليزياً إمبراطورياً وسوء فهم لسيرة سلطان ومصالحه الحقيقية. فقد أراد سلطان بن أحمد مثل سلفه أن يؤسس إمبراطورية تجارية بقاعدتها في مسقط .

تعرضت مسقط لعقبة أثناء الثغرة بين وفاة حمد وإبرام اتفاقية البركة . احتل القواسم كلا من خورفكان وجزيرة الحمراء وفقدت مسقط سيطرتها على المدخل إلى الخليج . انتهز كل من القواسم والعتوب الفرصة لإنعاش مصالحهم الاقتصادية والتجارية دون خطر تدخل من مسقط . وبعد أن استقر سلطان في مسقط حوّل أنظاره نحو الخليج وكان يملك جوادر على ساحل مكران فعلاً حسب اتفاقية أبرمها مع حاكم ساحل مكران في ١٧٨٤م واكتسب سلطان ميناء شابار المجاور وأبرم اتفاقاً مع الحكومة الإيرانية مما أعطى له السيطرة على كل من بندر عباس وتوابعها – القشم وميناب وهنجام وهرمز[20] .

وبعد أن سيطر على المدخل إلى الخليج، وجّه سيد سلطان أنظاره إلى القواسم والعتوب . حاول سلطان أولاً فرض ترخيص على الملاحة في الخليج بأكملها[21] ولكن أسطوله لم يكن قوياً لينفذ هذا القرار . فحاول الاستعانة بحلفاءه لتنفيذ خطته بمن فيهم ناصر السويدي ورحمة بن جابر وكلاهما من أشهر "القراصنة"[22] . احتفظ سلطان دائماً بمكانته الرسمية في تعامله مع القراصنة . ويذكر على سبيل المثال مسألة ناصر السويدي الذي أغضب زعيم القواسم فطرده من رأس الخيمة لكنه نال حماية سلطان وسُمح له أن يستوطن هرمز وفيما بعد حصل على تشجيع سلطان للقيام بأعمال القرصنة ضد سفن القواسم والعتوب . هاجم ناصر بعض السفن الهندية أيضاً . وفي بداية القرن التاسع عشر نجح هذا التحالف إلى درجة أن سلطان اقترح لشركة الهند الشرقية بأنه ينصح لها أن تسلم بضائعها له لنقلها بأمان في مياه الخليج ولتسليمها إلى الجهة المختصة . وليس من الغريب أن البضائع التي لم تسلَم إلى سلطان سقطت في أيدي القراصنة وتم بيعها في أسواق مسقط[23] .

وعلى الرغم من محاولة سلطان إلا أن عتوب البحرين ازدهروا خاصة لأن

الجزيرة كانت مركزاً لتجارة اللؤلؤ . وبسبب فشل الإجراءات غير مباشرة صمم سلطان على غزو الجزيرة وفي عام ١٧٩٩م احتجز ثلاث سفن للعتوب بتهمة عدم حملها التصاريح الصادرة منه[24] واستعد لغزو البحرين . استعد العتوب أيضاً لمواجهة الموقف ووجد العتوب حليفاً لهم في حاكم بوشهر . ثم تفاوض سلطان مع العتوب وأبرم اتفاقا بينهما والتزم العتوب طبقاً للاتفاق بدفع رسوم المرور لمسقط مستقبلاً على شرط أن يعفى لهم جزءاً من المتبقيات من الرسوم الماضية[25] . مقابل انسحاب قوات مسقط .

هناك ضوء جانبي لغزو مسقط للبحرين وهو محاولة سيد سلطان فرض سيطرته على جزيرة خرج[26] . وكان المفروض بصفة عامة أن المبرر لهذا الهجوم هو معاقبة بوشهر لمساعدتها للعتوب ولكن في الحقيقة إذا نظرنا لهذه المحاولة في ضوء رغبة سيد سلطان في فرض سيطرته على تجارة الخليج فمن الواضح أن احتلال جزيرة خرج كان يعطي لسيد سلطان فرصة "ذهبية" لتحويل التجارة من بوشهر إلى خرج حتى تصبح خرج قاعدة لمراقبة تجارة الخليج العربي عن طريق مراقبة الأسواق في شمال الخليج . ولكن لسوء الحظ فشلت الخطة .

وكان على سلطان أن يهتم بالقوى الأوروبية أيضاً بالإضافة إلى جيرانه العرب في الخليج خاصة بالفرنسيين والبريطانيين . فأقام سلطان علاقات ودية مع فرنسا في موريشيوس ولكن بريطانيا كانت قوة ناشئة في المحيط الهندي والخليج وسبَّبَ النفوذ الفرنسي في مسقط قلقاً لدى سلطات بريطانيا وبدأ الإنجليز تحركات دبلوماسية في ١٧٩٨م بهذا الشأن مما أدى إلى عقد اتفاق بين الإنجليز ومسقط وأعلن سلطان في هذا الاتفاق عن صداقته للإنجليز ووعد بعدم السماح لفرنسا بأن تقيم مكتباً تجارياً في مسقط (وكان ذلك هو ما كان عليه سلطان سابقاً على كل حال) وسمح للإنجليز بفتح مكتب تجاري في بندر عباس[27] ومقابل ذلك سمح الإنجليز للسفن المسقطية أن تنقل ٥٠٠٠ مُنْد (maund) من الملح إلى كلكتا في حين سمح للسفن العربية الأخرى بـ ١٠٠٠ مُنْد فقط . وكان امتياز نقل الملح هو العنصر الأساسي في هذا الاتفاق .

وهكذا أصبحت المناطق الإيرانية التي اكتسبها سلطان لأسباب استراتيجية أولاً مناطق رابحة اقتصادياً . وفي عام ١٨٠٢م بلغ الدخل من بندر عباس ١٠٠,٠٠٠ دولار ماريا تريزا (وهو يساوي ثلث دخل سلطان السنوي) ومعظمه من معدن الملح في هرمز[28] .

نجحت سياسة سلطان الخليجية في عام ١٨٠٠م نجاحاً بالغاً . فاعترف العتوب بتفوق مسقط والقواسم كانوا تحت مراقبته . وامتلك سلطان أراض على جانبي مضيق هرمز، ووصل إلى تفاهم مع الأوروبيين . غير أن الأوضاع تغيرت عندما ظهر السعوديون في الخليج وفي عمان . فالنشاطات السعودية أدت ليس فقط إلى التأثير على التجارة الداخلية بل إلى تشجيع كل من القواسم والعتوب للتحرر من سيطرة مسقط .

وقد أقام سلطان اتصالات مع السعوديين لأول مرة في ١٧٩٩م عندما قام أفراد "الدروع" من مؤيدي السعوديين من حدود الربع الخالي بغارات في عمان على نطاق واسع مما أدى إلى التأثير على التجارة الداخلية[29] . وكان سلطان قلقاً من هذه الغارات بصورة مباشرة بسبب نتائجها الهدامة لمصالح التجارة فتحالف سلطان مع أخيه قيس حاكم صحار لكبح "الدروع" ومن ثـ حاول سلطان إخراج السعوديين مـ قاعدتهم في البُريمي وبالرغم من فشل هذا الغزو تفاوض سلطان مع أعدائه وتـ التوصل إلى هدنة معهم .

وفي وقت كان سلطان متورطاً مـ السعوديين أكد كل من القواسم والعتو استقلالهما . فاحتل القواسم جزيرة قشـ واستخدموها كقاعدة لشن هجمات ضـ السفن المسقطية . ولم يعد سلطان يسيـ على مضيق هرمز وأوقف العتوب دفـ رسوم المرور . حاول سلطان أن يحـ هذه المسألة في مايو عام ١٨٠١م بغـ البحرين واحتلالها لكن السعوديـ تدخلوا في جانب العتوب وأخرجـ المفرزة المسقطية[30] .

أدرك سلطان بأنه لا يستطـ التعامل مع السعوديين منفرداً فذهـ لمكة حيث تحالف مع الشريف غالب يناير عام ١٨٠٣م[31] ، وأثناء غيابه مكة ، قام بدر بن سيف من آل بوسعيد وهو شديد التوق ، بمحاولة قلب النظـ لكنه فشل واستعان بالسعوديين واستجابة لهذا النداء قـ السعوديون بغزو عمان في ١٨٠٣م بـ

واجهت مسقط خطر احتلال السعوديين أرسل سلطان بعثة إلى الدرعية وتوصل إلى اتفاق مما ضمن له مكانته في مسقط مقابل دفع ١٢.٠٠٠ دولار ماريا تريزا سنوياً للسعوديين وتعيين سفير سعودي في مسقط[32]. واصل السعوديون عملياتهم في باطنة فيما بعد ولكن اغتيال الحاكم السعودي والاضطرابات الوراثية التي تلت هذا الاغتيال في الدرعية حررت سلطان من مخاوفه.

وعقب زوال الخطر السعودي وجه سلطان أنظاره نحو الخليج مرة ثانية ومن أولى تحركاته في هذا الاتجاه سفره إلى البصرة لجمع إعانة مالية معهودة من العثمانيين[33] ولوضع خطة مشتركة ضد السعوديين[34] لكنه لم ينجح ورجع لمسقط في نوفمبر عام ١٨٠٤م. شاء القدر أن يسقط ضحية في طريقه لمسقط بسبب القتال الذي نشب بينه وبين أساطيل القواسم والعتوب بالقرب من قشم فقتل قبل وصوله إلى مسقط.

لقد سبب موت سلطان غير المتوقع نزاعات وراثية كالعادة. فتولى بدر بن سيف زمام الحكم لمدة ثلاث سنوات. لكنه اتبع سياسة عنيفة بتحريض من الوكيل البريطاني في مسقط، وهي سياسة إخضاع سائر عمان لحكمه[35].

وفي النهاية اغتيل على يد سعيد بن سلطان البالغ من العمر ١٧ سنة وأصبح سعيد سيد مسقط. وعلى الرغم من أنه امتلك غوادر وبندر عباس فقط دون توابعهما من الجزر وكانت هرمز قد سقطت في أيدي القواسم وبدر لا يزال حياً، وتمتع كل من القواسم والعتوب بالتطور والتنمية لمدة سبع سنوات دون اضطراب، إلا أن سعيد بن سلطان استمر في اعتقاده بأن مصالح مسقط لاتزال ترتبط مع الخليج وليس مع عمان[36] فبدأ بمحاولاته لإعادة مجد مسقط إلى ما كان عليه سابقاً.

اهتم سعيد أولاً باستعادة العلاقات الودية مع كل من السعوديين والفرنسيين وكان سعيد خائفاً من احتمال رد فعل سعودي لاغتيال بدر لأن بدر كان على علاقة ودية مع السعوديين. أكد سعيد من جديد التزامه بدفع ٥٠,٠٠٠ دولار ماريا تريزا سنوياً للسعوديين لإرضاء الدرعية[37] ولكن الفرنسيين كانوا غاضبين منه بسبب صداقته مع الإنجليز بل هاجم الفرنسيون بعض السفن المسقطية في المحيط الهندي. وقام سعيد

بتسوية الخلافات مع الفرنسيين في يونيو عام ١٨٠٧م حتى أنه سمح لفرنسا أن تفتح قنصلية في مسقط بالرغم من معارضة الإنجليز[38] .

وفي أعقاب تسوية الأمور بينه من جهة وبين السعوديين والفرنسيين من جهة أخرى وجه سعيد أنظاره نحو القواسم في الخليج وكانوا قد أصبحوا أقوياء في وجه غياب قوة مسقط في الخليج وكان أن تمكنوا من جمع ٦٣ سفينة كبيرة و١٩٠٠ رجل للقتال وكذلك سيطروا على مضيق هرمز بسبب احتلالهم لكل من هرمز وقشم في مضايق هرمز ولخورفكان و (دبيه) في خليج عمان . وشن سعيد هجوماً على خور فكان في مايو عام ١٨٠٨م وعلى الرغم من أنه فشل في الاستيلاء على المدينة إلا أنه وصل إلى اتفاق مع الشيخ القاسمي، سلطان بن صقر لنقل السلطة على خورفكان ودبيه لمسقط .

ولم يرض السعوديون بالتفاهم الذي وصل إليه كل من سعيد والقواسم فألقى السعوديون القبض على سلطان بن صقر واعتقلوه في الدرعية وعينوا شيخاً جديداً في رأس الخيمة[39] . اتبع الشيخ القاسمي الجديد سياسة عدوانية في

الخليج لكسب تأييد أفراد القبيلة الذ[illegible] كانوا لا يزالون من مؤيدي سلطان وهك[illegible] أصبح للقواسم موقف في منطق[illegible] الخليج . اضطر سعيد الذي است[illegible] سيطرة مسقط على شاه بهار[40] [illegible] معالجة أزمة القواسم مرة ثانية .

وقد طالت الحرب بين القواس[illegible] ومسقط إذ بدأت في عام ١٨٠٨-١٨٠٩م وتورط فيها كل من السعوديين والعتوب والبريطانيين وعدد من الق[illegible] الصغيرة في الخليج ويعكس هذا التط[illegible] أحسن تعبير لسياسة سعيد في الخلي[illegible] وقد بدأت الحرب عندما شن س[illegible] هجوماً على رأس الخيمة وقد فش[illegible] الهجوم عندما لم يساهم فيه بعض [illegible] حلفائه مثل رحمة بن جابر والقوا[illegible] الذين كانوا من مؤيدي سلطان [illegible] صقر . فقام القواسم بالتحالف م[illegible] السعوديين واحتلوا خورفكان وشناص ورداً لهذا التطور تحالف سعيد م[illegible] الإنجليز وهاجم كلاهما كلاً من ر[illegible] الخيمة وشناص في عام ١٨٠٩م . [illegible] فشل هذا الهجوم المشترك بسبب [illegible] رغبة الإنجليز في قتال السعود [illegible] وأوقف الإنجليز القتال كلياً [illegible] عن وصول التعزيزات الس[illegible] الموانئ التي كانت تحت ا[illegible]

وقد أعطى السعوديون فرصة لسعيد أن يتراجع عن موقفه عندما عرضوا عليه في آخر عام ١٨٠٩م المشاركة في الغارات على البصرة والكويت من قبل القواسم والعتوب ولكن سعيد رفض الاقتراح . هاجم السعوديون عمان في عام ١٨١٠م ولم يتصد سعيد لهجمات السعوديين في عمان بل هاجم المفرزات السعودية في كل من البحرين والزبارة ونجح لحد ما[41] وفي أواخر عام ١٨١١م عندما كان السعوديون متورطين مع المصريين في الحجاز قام سعيد بطرد المفرزتين المذكورتين وألقى القبض على الوالي في الخليج[42] وحصل على اعتراف العتوب بسيادة مسقط عليهم .

وفي أعقاب إزالة الخطر السعودي وفرض سيطرته على البحرين اهتم سعيد بمسألة القواسم . فرّ سلطان بن صقر من الدرعية ولجأ إلى مسقط حيث وضع هو وسعيد خططاً لغزو رأس الخيمة . فشلت الخطة التي نفذت في عام ١٨١٢م وواجه سعيد رد الفعل السعودي . رشا سعيد القائد السعودي الذي تجنب مسقط وتقدم نحو جنوب عمان[43] . ثم تعرضت رأس الخيمة لهجوم آخر في عام ١٨١٣م ونتيجة لذلك فرض الشيخ سلطان سيطرته على الشارقة وتأكد سعيد من القواسم والتزامهم بالهدنة وهكذا ضمن الأمان للسفن المسقطية . ادعى لوريمر بأن سعيد لم ينو إعادة رأس الخيمة لسلطان وقد يكون هذا صحيحاً[44] . فوجود مشيختين متخاصمتين قاسميتين في كل من رأس الخيمة والشارقة كان في مصلحة سعيد بدلاً من أن تكونا موحدتين تحت زعامة شيخ واحد .

لم يستمتع سعيد بفوزه إلا قليلاً ففي عام ١٨١٥م قام القواسم بغارة ضد مطرح ورد سعيد بمحاصرة رأس الخيمة في ١٨١٦م لمدة ٤ أشهر ولكن عندما كان الأسطول المسقطي في الخليج احتل القواسم خورفكان وأوقف العتوب دفع ضريبة المرور والخراج السنوي لمسقط . فرفع سعيد الحصار عن رأس الخيمة وشن هجوماً فاشلاً ضد البحرين . واجه سعيد نكستين ورجع لمسقط فاشلاً في سياسته الخليجية فشلاً تاماً .

وكان سعيد محتاجاً للمساعدة ومن حسن الحظ، كما يبدو، بدأ الإنجليز يبدون اهتماماً بالغاً بالقرصنة في الخليج ووضعوا خططاً عسكرية لكبح القواسم . دعا الإنجليز سعيد ليشاركهم في

عملياتهم ضد القواسم ولكن سعيد لم يرض بالاقتراح الإنجليزي بسبب نية الإنجليز لتوريط محمد علي في مخططاتهم[45] . ولم يثق سعيد بالمصريين ولم يرد استبدال الخطر السعودي بالخطر المصري ومحمد علي كان أخطر من السعوديين وأقوى منهم . وعندما لم يبال محمد علي باقتراح الإنجليز شاركهم سعيد وهو مرتاح البال . فاحتل الإنجليز رأس الخيمة في ديسمبر ١٨١٩م واعترفوا بالشيخ سلطان كرئيس الشيوخ ووافق القواسم والقبائل الأخرى من الساحل على عدم ممارسة الغزو وفقا لبنود الاتفاقية العامة لعام ١٨٢٠م[46] .

وفي أعقاب إزالة خطر القواسم وجه سعيد اهتمامه إلى البحرين . تعلق أمل سعيد بأن الإنجليز سيساعدونه في كبح العتوب بسبب دورهم النشيط في توزيع البضائع التي أخذها القواسم . شعر العتوب بموقفهم الحساس الخطير وتفاوضوا مع الإنجليز لانضمامهم إلى الاتفاقية العامة ثم وجّه الإنجليز إنذاراً لسعيد بأنهم لن يسمحوا بنشوب أعمال عدوانية في الخليج[47]. وفي هذه الأثناء كان العتوب يقومون بالمفاوضات مع سعيد في مسقط ووصلوا إلى اتفاق مع ووفقاً له اعترف العتوب بتابعيتـ لسعيد والالتزام بدفع ضريبة المر وخراج سنوي قدره ٣٠,٠٠٠ دولار مار تريزا[48] . أخبر سعيد الإنجليز بأنه ل داعي لغزو البحرين كما اقترحه سابقاً

وعلى الرغم من الوصول إلى اتف مع العتوب وإبرام الاتفاقية العامة لع ١٨٢٠م وتحذير الإنجليز لسعيد مـ القيام بأعمال عدوانية في الخليج إلا أ هذه التطورات لم تبشر بالخير بخصوص مسقط . وكانت مسقط تستفيد من أعما القرصنة من حيث ازدهار التجارة . لأ التجار لجأوا إلى أسطول سعيد خائفي من هجمات القواسم . وبعد القضاء على القرصنة تحررت التجارة من مخاوف القرصنة نسبياً . وفضلاً عن ذلك اعتبر الإنجليز أي قتال في مياه الخليج بمثاب قرصنة على الرغم من أن الاتفاقية العام قامت بالتمييز بين القرصنة والحرب وأن أية محاولة لسعيد لمعاقبة القواسم أ البحرين بواسطة العمليات البحري ضدهم سوف تتعرض لتدخل الإنجليز[49] . ولم يكن السيد سعيد يتمتع بحرية التصرف في إتباع سياس مستقلة في الخليج .

لقد فشلت سياسة مسقط الخليجية
س فقط سياسياً بل اقتصادياً أيضاً .
ن الإحصائيات التي تتوفر لدينا تشير
ى الوضع المتدهور للاقتصاد في العقدين
وليين للقرن التاسع عشر . وحسب
خمين نيبور بلغ دخل أحمد بن سعيد
والي ٥٠,٠٠٠ دولار ماريا تريزا في عام
١٧٦م[50] وارتفع الدخل في عهد
لطان بن أحمد إلى ٢٠٠,٠٠٠ دولار
كن انخفض إلى ١٠٠,٠٠٠
ولار[51] . ويجب أن ننظر إلى هذه
رقام بنوع من التحفظ لأنها قد لا تكون
حيحة لعدة أسباب إما للنقل الخاطئ
عدم الاستقرار في الضرائب الجمركية
التضخم المالي أو عدة عوامل أخرى .
أن أحداث التدهور الاقتصادي
لاستنتاج المدعم بملاحظات كننجهام
كد في عام ١٨٦١م بأن حجم التجارة
ان أكبر بكثير في عهد سلطان بن
مد[52] .

ودون شك أدرك سعيد بن سلطان
ن سياسته الاقتصادية تحتاج إلى تقييم
ديد فنفذ في عام ١٨٢٠م برنامجاً
ديداً استهدف الاحتفاظ بمركز مسقط
الخليج من جهة وتوسعة نفوذها على
سواحل شرق أفريقيا من جهة ثانية . وترمز مبادرة سعيد في شرق أفريقيا إلى تغيير رئيسي في العلاقات السواحيلية المسقطية . ومن بداية سلالة اليعاربة في القرن السابع عشر، وعهد حكم البوسعيديين الأولين في كل من عمان ومسقط كانت الدول السواحيلية المتفرقة تعتبر من توابع عمان على الرغم من أن سيادة عمان كانت غير مباشرة . ومادام حكام سواحيلي يدفعون الضرائب على تصدير القرفة للهند أو الخليج أو إلى الفرنسيين في "سكارينز" فلم يكن هناك ما يدعو لتدخل العمانيين في شئونهم[53] . ولقد تغيرت الظروف بعد عام ١٨٢٠م عندما هاجم سعيد في نفس الوقت كلا من البوعلي وشرق أفريقيا ولم تكن أهدافه من هذه الهجمات تختلف عن السابق . فمن ضمن سياسته القديمة، استهدف سعيد القضاء على كافة المنافسين وفرض احتكار تجاري لصالح مسقط .

وصف لوريمر حملة البوعلي "كحدث غريب في تاريخ عمان".[54] ويظهر من الغريب حقيقة بأن سعيد يتورط مع قبيلة في جنوب عمان ولكن إذا نظرنا إلى هذا الحدث في ضوء

جديدة تجاه شرق أفريقيا
جب . وكان بني بوعلي، قد
افة إلى امتلاكهم النخيل في
حتلال ميناء الشقره الذي
كقاعدة لإزعاج مرور السفن
. وشرق أفريقيا . وشكلوا
طط سعيد وكان لابد من
كن كانت هناك مشكلة وهي
علي في البر والبحر . فاستعان
نجليز وأقنعهم بأن البوعلي
جموعة من القراصنة فوافق
ى مشاركة سعيد في حملته
ول الشريكان الاقتحام مرتين
، قوة مشتركة من المساقطة
لاد البوعلي ودمرت المدينة
النخيل وأسرت شيوخ
. هكذا انتهى الخطر الذي
ات سعيد بشأن شرق

، ثلاث سنوات بين ١٨٢٠ و
سعيد بشئون شرق أفريقيا
ـ الأسطول المسقطي في أواخر
كل من "مركا" و "برافا" على
ومال وحصل على اعترافهما
سقط عليهما . ثم احتل

الأسطول موانئ كل من مقديشو وباتي وواسن وبمبا وتانجا[56] .

وأخيراً استعد سعيد في عام ١٨٢٣م لمواجهة عدوه الرئيسي على الساحل السواحيلي، المزارع حاكم مومباسا .

نشأ المزارع[57] أصلاً في عمان لكنهم أصبحوا سلالة حاكمة في مومباسا أثناء عهد اليعاربة ولما تولى أحمد بن سعيد البوسعيدي الحكم في عمان أعلن المزارع استقلالهم مع أنهم احتفظوا ببعض الصلات مع عمان[58] ولكن في عام ١٨١٤م تولى حاكم جديد قطع جميع العلاقات مع مسقط[59] إلا أن سعيد لزم الصمت آنذاك . أصبحت مومباسا في عهد المزارع مركزاً سواحيلياً تجارياً وأصبحت قبيلة المزارع قبيلة قوية . اكتشف سعيد نفسه ذلك عندما فشلت محاصرته "لقلعة المسيح" وهي حصن قوي للمزارع . فاستأجر بعض القراصنة المنعزلين عن القواسم ليجوبوا المياه على الساحل الأفريقي الشرقي ويهاجموا سفن المزارع في حين وضع هو خططاً لغزو المزارع مرة ثانية[60] .

توقفت صادرات سعيد من أفريقيـ
فجأة في فبراير عام ١٨٢٤م لما أعلـ

م أوين، وهو قائد بحري بريطاني
وم بحملة ضد الاستعباد، عن حماية
طانيا لومباسا مقابل التزامها بعدم
رسة تجارة الرقيق وارتاح المزارع بهذا
رتيب ارتياحاً بالغاً لأنهم كانوا
دون مثل هذا الترتيب منذ وقت
ل[61] . قام سعيد بمحاولات
بلوماسية في بومباي للقضاء على مبادرة
ن وسحبه من مومباسا إلا أنه لم
طع أن يعمل شيئاً ضد مومباسا وهي
مية بريطانية على الساحل
واحيلي .

وبالإضافة إلى المشاكل التي واجهها
عيد في شرق أفريقيا فقد واجه
وبات في الخليج وكذلك في علاقاته
الإنجليز . وقدأثارت البحرين دائماً
اقيل في تنفيذ خططه وكلما استعد
يد لغزو العتوب تدخل الإنجليز
لك اضطر سعيد أن يتفاوض مع
ن من جديد حول سيادته على بندر
س وكان أسطوله البحري يمارس
غط على البصرة ليضمن لمسقط
ازات تجارية فيها[62] وكان
جليز يمارسون الضغط عليه ليتجنب
رة الرقيق ولم يكن سعيد راضياً بذلك

لأن الساحل السواحيلي كان أكبر مصدر للرقيق[63] .

أعاد سعيد النظر في سياساته في عام ١٨٢٦م وكتب رسالة لمندوبه في بومباي أعرب فيها عن استعداده لإنهاء تجارة الرقيق إذا دافع الإنجليز عن مصالحه في الخليج بحراً وبراً أو ساعدوه بمنحه عوناً مالياً أو إعطاءه موزمبيق البرتغالية كي يغادر مسقط ويستوطن زنجبار[64] . لقد أدرك سعيد بأن ازدهار مسقط يعتمد أساساً على سيطرتها على الخليج ولما كانت هذه السيطرة مفقودة فمن الأفضل له أن ينتقل إلى شرق أفريقيا .

وفي نفس الوقت استمر سعيد في محاولاته ليوسع مصالحه في كل من الخليج وشرق أفريقيا . انسحب أوين من مومباسا نهائياً في ١٨٢٧م ودخل سعيد في مفاوضات مع المزارع آملاً أن يفرض سيطرته عليهم دون اللجوء إلى قتال لكنه لم يفلح وقاد سعيد الأسطول المسقطي شخصياً إلى مومباسا في يناير ١٨٢٨م . وكان ظهور الأسطول أمامهم قد أقنع المزارع بفائدة المفاوضات فوافقوا على إقامة مفرزة مسقطية في مومباسا وتقاسم الرسوم الجمركية للميناء على

قدم المساواة . ولكن سعيد قام بخرق الاتفاقية على الفور واحتل المدينة وفرض سيطرته الكاملة على مومباسا ثم قام بزيارة زنجبار حيث اشترى بعض الأراضي فيها وعيّن أحد أبنائه والياً عليها(65) .

وعقب فوزه على المزارع وجّه سعيد أنظاره إلى الخليج ليحتل البحرين وشن هجوماً ضد البحرين في سبتمبر ١٨٢٨م لكنه فشل وأبرم سعيد اتفاقاً مع العتوب واعترف طبقاً للاتفاق باستقلال البحرين كما التزم بمساعدة البحرين إذا تعرضت لغزو من طرف ثالث(66) . واعترف سعيد بالأمر الواقع وبأن العتوب متساوون معه .

لقد قضت هزيمة سعيد على يد العتوب نهائياً على طموحاته للسيطرة على الخليج ومن جهة أخرى حاصر المزارع المفرزة المسقطية لمدة سبعة أشهر وأجبروها على الانسحاب إلى زنجبار(67) واتضح لسعيد بأنه سوف يفقد شرق أفريقيا أيضاً إلا إذا ركز مجهوده على الساحل السواحيلي . فغادر إلى زنجبار في عام ١٨٢٩م وكرس جهوده لمدة الـ ٢٧ سنة التالية لتأسيس إمبراطورية تجارية جديدة مبنية ليست على مسقط كقاعدة لها بل على زنجبار(68) .

اتخذت مسقط مكانةً ثانويةً وبدأت تتدهور تدريجاً مثلما كان الوضع في السنوات الأولى لحكم سعيد .

دخلت مسقط مرحلة جديدة في عام ١٧٨٥م عندما تمرد حمد بن سعيد على أبيه وأسس دولة مستقلة وأثناء حكمه القصير كانت التجارة من المقومات الأساسية لسياسة حكومته . استمر سلطان بن أحمد وهو الذي خلف حمد في اتباع نفس السياسة إلا أنه حاول أن يفرض سيطرة مسقط على موانئ الخليج العربية لكي يزيد حجم التجارة إلى الحد الأعلى . لقد كان العنصر الهام في سياسة سلطان هو التجنب المطلق للتورط في الشئون العمانية إلا إذا هددت المصالح التجارية لمسقط بصورة مباشرة كالغزوات السعودية . واستمر سعيد بن سلطان في اتباع سياسة أسلافه بالنسبة للخليج وحاول أن يمد مقومات هذه السياسة إلى شرق أفريقيا أيضاً، ولكن عدة عوامل أخرى أجبرت سعيد على التركيز على شرق أفريقيا ومنها نهوض العتوب

لبحرين وقوة القواسم في رأس الخيمة
ماية بريطانيا للدول الخليجية وقد
ـت شـرق أفريقيـا إمكانياتـها
تصـادية الأضخم وغادر سعيد مسقط
ئياً في ١٨٢٩م إلى زنجبار وتخلى عن
ة إنشاء إمبراطورية تجارية تتخذ من
ط قاعدة لها واهتم حكام مسقط فيمـا
ليس بالشئون التجارية بل بـالشئون

السياسـية العمانيـة . واحتفظـت مسـقط باسـتقلالها ولكـن مجموعـة جديـدة مـن المبادئ الاقتصادية والسياسية سادتها .

كالفين أيتش آلن
مدرسة أوزارك
بوينت لوك أوت – ميسوري

الهوامش

1 - The standard works on Um[*W*1]an include the introduction to G.P. Badger. History of the Imams and Seyyids of 'Umân by Salil ibn Rasik from A.D. 661-1856 (London, 1871), which is a translation of Humaid b. Muhammad b. Ruzaiq, al-Fath al-Mubin fi Strat al-Sada Al Bu Saidiyin; J. B. Kelly, Britain and the Persian Gulf 1795-1880 (Oxford, 1968); Robert G. Landen, Oman since 1856 (Princeton, 1967); J.G. Lorimer, Gazetteer of the Persian Gulf. Oman and Central Arabia, Vol. I (Calcutta, 1915); S.B. Miles. The Countries and Tribes of the Persian Gulf, 2d ed. (London, 1966); John Peterson. Oman in the Twentieth Century (London, 1978); and John Townsend. Oman (London, 1977). All accept the view that Um[*W*2]an was ruled by Al Bu Said with their capital at Masqat.

2 - Lorimer, I, 419.

3 - J. B. Kelly, "A Prevalence of Furies: Tribes, Politics and Religion in Oman and Trucial Oman." In Derek Hopwood, ed., The Arabian Peninsula (London, 1972), p. 108.

4 - R. D. Bathurst, "Maritime Trade and Imamate Government: Two Principal Themes in the History of Oman to 1728," In Hopwood, pp. 89-106.

5 - Sirh[*W*3]an b. Said al-Azkawi, Kashf al-Ghummah al-Jama Li-Akhb[*W*4]ar al-Umma, Abd al-Majid Hasib al-Qaisi, ed. (Beirut, 1976), pp. 155-156; Humaid b. Abd Allah al-S[*W*5]alimi, Tuhf[*W*6]at al-Aydn Bi-Strat Ahl Um[*W*7]an, 5th ed. (Kuwait, 1974), II. 176; Humaid b.

Muhammad b. Ruzaiq, al-Fath al-Mubin fi Sirat al-Sada Al B
Saidiyin (Masqat, 1977), p. 401; Badger, p. 201.

6 - The account of Ibn Ruzaiq confuses this matter. This mi(nineteenth century Al Bu Said court historian begins t proclaiming that Hamad was Im?? am, which we know to t incorrect. He then relates accounts of Hamad's activities again Nakhl and Bahl[*W*9]a (Ibn Ruzaiq, pp. 402-408; Badger, p 201-207). Al-Azkawi, pp. 155-156, the earliest of the thr(Um[*W*10]ani sources and perhaps a contemporary of the: events, says nothing of Hamad being involved at all Um[*W*11]ani affairs. Al-S?? alimi, pp. 175-181, the la nineteenth century historian, does not mention the Nak campaign but attributes the Bahl[*W*13]a attack to Said Ahmad. Hamad's actions in Nakhl could represent a descripti(of his role in the revolt against Said b. Ahmad in 1784, or tl attack of Nakhl could be the exception that proves the rule th Hamad did not involve himself in Umani affairs.

7 - Used here to mean "Lord" or "Sir" rather than the technic meaning of descendant of the Prophet Muhammad. Ahmad Said adopted this title to distinguish members of the ruling fami from other members of the large Al Bu Said clan, It was used l the rulers of Masqat into the twentieth century. Although in 18 the British conferred the title sultan upon them.

8 - For a contemporary description of the economic situation in t Arabian Gulf see Samuel Manesty and Hartford Jones, "Rep(on the Commerce of Arabia and Persia by Samuel Manesty a Hartford Jones, 1790," Bussora, 15th August 1790.

9 - Ibid.

10 - Carsten Niebuhr, Travels Through Arabia and other Countri in the East (Edinburgh, 1792), 11, 116.

11 - On the development of Indian commercial interests in Masqat, see Calvin H. Allen, Jr., "The Indian Merchant Community of Masqat," Bulletin of the School of Oriental and African Studies, XLIV, I (1981), 39-53.

12 - Manesty and Jones discuss the rise of these groups In their report. See also Ahmad Mustafa Abu Hakima, History of Eastern Arabia, 1795-1800 (Beirut,1965).

13 - Miles, p. 284.

14 - Al-Azkawi, p. 156; Ibn Ruzaiq, p. 403; Badger, p. 204.

15 - Manesty and Jones, passim.

16 - See Ibn Ruzaiq, pp. 409-412; Badger, pp. 210-213.

17 - The details of this civil war are contained in Al-Azkawi, pp. 156-157. The Arabic sources do not mention the Pact of Birkah The source for this is Miles, p. 286 and Lorimer, I, 421

18 - R. H. Thomas, Selections from the Records of the Bombay Government, Historical and Other Information, Connected with Province of Oman, Musqat, and other Places in the Persian Gulf, n. s., XXIV (Bombay, 1856), pp. 57-58.

19 - Kelly (1968), p. 107.

20 - Miles, p. 287; Lorimer, I, 421.

21 - James B. Fraser, Narrative of a Journey into Khorasan in the Years 1821 and 1822, London, 1825, p. 13. Fraser stated that a duty of .05 percent was imposed on all ships. Bathurst (p. 100) also discusses this license, which probably began with the Portuguese.

22 - There are various explanations of piracy in the Gulf. Kelly (1968 [pp. 99-138]) takes a traditional view in attributing it to the excesses of the Wahhabi movement. Landen (p. 8) is closer to the mark when he typifies piracy as the struggle between the

"haves" (Masqat and India) and the "have nots" (the Qawasir My favorite description of piracy, however, comes from t former ruler of Masqat, Said b. Taimur, who stated, "The epitl pirate tended a century and a half ago to be indiscriminat(applied to Christian and Muslim seafarers alike to dispara successful and competitive non-coreligionists" (H. F. Eil "Sayyed Muhammad b. Aqil : Malevolent or Maligned?" Ess Institute Historical Collections, 109, 3 [1973]. P. 181).

23 - J. A. Saldanha, Precis of the correspondence Regarding t Affairs of the Persian Gulf, 1801-35 (Calcutta, 1906), pp. 30-3:

24 - Thomas, p. 124.

25 - Miles, p. 292.

26 - Thomas, p. 173.

27 - Text in C. V. Aitchison, A Collection of Treati Engagements, and Sanads Relating to India and Neighbor Countries (Calcutta, 1933), XI, 287-288.

28 - Saldanha, p. 25.

29 - Ibn Ruzaiq, pp. 430-431; Badger, p. 229.

30 - Uthman b. Abd Allah b. Bishr, Unwan al-Majd fi Tarikh N (Riyad, 1976), I, 161. There is some confusion over chronology of events in this campaign as per Kelly (1968) 104, n. I. Ibn Bishr's account makes it clear that the major act occurred in 1801-02.

31 - Ibn Ruzaiq, p. 433; Badger, p. 232. Ibn Ruzaiq's date of A 1218 is one year too late as the Saudis had occupied Mecca then.

32 - Miles, p. 298.

33 - Ibn Ruzaiq, p. 438; Badger, p. 238. The subsidy was paid in appreciation for assistance Ahmad b. Said had extended to the Ottomans during a Persian attack on Basrah.

34 - Munir al-Ajlani, Tarikh al-Arabiyat al-Saudiyah : al-Dawlat al-Saudiyat al-Ula (Beirut, n.d.), IV, 74-75.

35 - Al-Ssalimi, p. 193; Ibn Ruzaiq, pp. 470, 474-475; Badger, pp. 269, 274-275, Saldanha, p. 38.

36 - A letter from Said to Badr quoted in Ibn Ruzaiq, p. 488, Badger, pp. 289-290, seems to express Said's concern for Badr's preoccupation with the interior of Uman to the detriment of Masqati interests.

37 - Al-Ajlani, p. 75.

38 - Saldanha, pp. 11-12.

39 - Ibn Ruzaiq, pp. 517-518; Badger, p. 321.

40 - Lorimer, I, 183.

41 - Kelly, 1968, p. 126.

42 - Ibn Bishr, I, 205.

43 - Ibn Ruzaiq, p. 521; Badger, p. 325.

44 - Lorimer, I, 446.

45 - Ibid., p. 197. The British apparently intended to turn control of Ras al-Khaimah over to Muhammad Ali.

46 - Text in Aitchison, XI, 245-249.

47 - Kelly (1968), p. 165.

48 - Fraser, p. 15.

49 - I have discussed the implications of British involvement in the Gulf in my "The Disruptive Influence of Great Britain's Trucial Policy," Journal of Arabian Peninsula and Gulf Studies (Kuwait), 3, 11 (1977), 67-84.

50 - Niebuhr, p. 116. The figure given is Rs 100.000 with the rup equal to 5 M T dollar.

51 - Lorimer, I, 469.

52 - J. S. Buckingham, Travels in Assyria, Media and Persia, 2d ((London, 1830), 11, 400.

53 - The standard works on this period in East African trade a politics are Reginald Coupland, East Africa and Its Invad((Oxford, 1938), and C. S. Nicholls, The Swahili Coast (Lond(1971).

54 - Lorimer, I, 463.

55 - There is a large body of literature on the Bani Bu , expedition with all major works listed above discussing t campaign.

56 - "The History of Pate," in G. S. P. Freeman-Grenville, ed., T East African Coast : Select Documents, 2d ed. (London, 197 pp. 281-284; Nichollas, 133.

57 - On the Mazari see Salim b. Hamud al-Siyabi, Isaaf al-Ayyai Ansab Ahl Uman (Beirut, 1965), pp. 79-81.

58 - "Anonymous: History of Mombasa c. 1824," in Freem; Grenville, p. 217.

59 - John Gray, The British in Mombasa: 1824-1826 (Lond(1957), p. 33.

60 - Ibid, p. 34.

61 - Nicholls, pp. 139-140.

62 - Lorimer, I, 449-450, 1320. 1913-1915.

63 - The slave trade in Masqat during the reign of Said b. Sultai described in William Huede. A Voyage Up the Persian Gulf a a Journey Overland from India to England in 1817 (Lond

1819), pp. 24 - 25, and J.R. Wellsted. Travels in Arabia (London, 1838), I. 387 - 391.

4 - Kelly (1968). Pp. 427 - 429; Nicholls, p. 226.

5 - Gray, p. 177.

6 - Lorimer, I. 852 - 856.

7 - "Log of the Brig Virginia. 1828 - 29." In Norman R. Bennett and George E. Brooks. Jr., New England Merchants in Africa : A History through Documents 1802 to 1863 (Boston, 1965), pp. 153 - 154; Nicholls. P. 306.

8 - See Frederick Cooper, Plantation Slavery on the East of Africa (London and New Haven), 1977 for the development of Said's African empire.

علاقات عمان مع القو

فى عهد سلطان بن أحم



٩٦ - الوثيقة

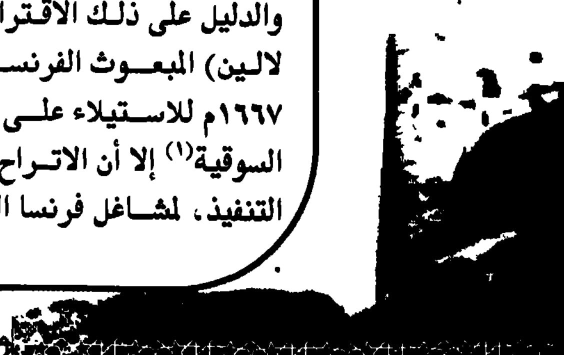
وروبية

-١٨٠٤م

لفتة الزيدي

يقصد بالقوى الأوروبية بريطانيا وفرنسا حيث تأجج في عهد سلطان بن أحمد تنافس تلك القوتين لتحقيق التفوق في عمان ذات الأهمية القصوى في النظام البحري لغرب المحيط الهندي. وكان التفوق البريطاني الحاسم في ذلك الصراع قد أدى إلى ارتباط عمان بأول معاهدة مجحفة، دخلها حاكم عربي مع دولة أوروبية في التاريخ الحديث وأصبحت فيما بعد أساسا لنفوذ بريطانيا المطلق في عمان طيلة نصف قرن .

ولابد من الرجوع ولو بشكل موجز إلى بداية نفوذ هاتين الدولتين الأوروبيتين في عمان، حيث بدأ الاهتمام الفرنسي بها في بداية النصف الثاني من القرن السابع عشر، والدليل على ذلك الاقتراح الذي قدمه (دي لالين) المبعوث الفرنسي إلى فارس عام ١٦٦٧م للاستيلاء على مسقط لأهميتها السوقية[1] إلا أن الاتراح لم يخرج إلى حيز التنفيذ، لمشاغل فرنسا الداخلية والخارجية



إلا أن الخطوات العملية لفرنسا في تأكيد وجودها في الشرق تمثلت في استيلائها على جزيرة موريشيوس[٢] وجعلها قاعدة للبحرية الفرنسية في المحيط الهندي، وكان من المحتم أن تنسحب مسقط عاجلاً أو آجلا، إلى حقل الصراع البريطاني الفرنسي لأن من أهداف هذه القاعدة اعتراض مواصلات بريطانيا البحرية، ومراقبة تطورات الأحداث في الهند[٣] .

حاول عرب عمان الابتعاد عن ساحة الصراع بين القوى الأوروبية، إلا أنهم وجدوا من الصعب العيش بسلام، دون التورط في أيدي أوروبا المحاربة، وبعد أن أدركوا بأنه لا المصالح التجارية ولا الأعراف الدولية يمكن أن تجعلهم بعيدين عن ميدان الصراع[٤] .

وشهدت المياه العمانية عددا من المصادمات بين السفن الفرنسية والإنجليزية في سنوات ١٧٥٩، ١٧٦١، ١٧٧٨، ١٧٨١ عندما حاولت السفن الفرنسية إخراج السفن الإنجليزية من مياه ميناء مسقط الذي دخلته طلباً للحماية وهي المحاولة التي أفشلها الوالي خلفان بن محمد[٥] . ولم يكن موقف والي مسقط في الدفاع عن السفن البريطانية انحيازاً إليهم بقدر ما كان التزاماً بواجب حماية الدخيل أو اللاجئ حتى بقوة السلاح وهو فعل غريزي عند القبائل العربية[٦] .

ولكن هذه الحوادث لم تؤثر على العلاقات بين فرنسا وعمان، نظراً للروابط التجارية الوثيقة بين عمان والمستعمرة الفرنسية[٧] .

وقد أدرك الإمام أحمد بن سعيد ١٧٤٩ – ١٧٨٣م قيمة استمرار العلاقات بينه وبين الفرنسيين، حيث تبودلت الهدايا بينه وبين مالارتيك حاكم الجزيرة[٨] . ومما يؤكد ذلك ما كتبه حاكم مسقط إلى البحار الفرنسي المشهور دستان "إنني صديق للفرنسيين . . . إنني أعد نفسي ابناً للفرنسيين . . . إني أعرض عليك مينائي وكل ما أملك من ماء وماشية"[٩] .

إلا أن العلاقات بين فرنسا وعمان تعرضت لأزمة شديدة في عهده عندما استولت السفن الفرنسية على السفينة العمانية (صالح) ذات الخمسين مدفعاً

ر ١٧٨١م[10] . مما دعا حاكم مسقط أسر واحدة من ثلاث سفن فرنسية ، دت الحكومة الفرنسية اعتذارها عما ث ، وأرسلت سفينة تدعى كوريير ، فرانس "Courier De France" يضاً للسفينة "صالح" ومع أنها لم ـل إلى مسقط إذ استولت عليها ينة حربية بريطانية ، إلا أن المبادرة ن لها وقعها الطيب على السلطات مانية[11] .

والتزاماً بموقف الحياد بين طانيا وفرنسا ، رفض إمام عمان ديد سعيد بن أحمد (١٧٨٣ - ١٧م) ، السماح للبعثة الفرنسية التي ت مسقط عام ١٧٨٤م برئاسة يلي ، إقامة وكالة فيها[12] .

إلا أن هذه العلاقات لم تستمر ى هذا المنوال ، بل أخذت تتحسن في هد حمد بن سعيد (١٧٨٦ - ١٧م) وخاصة عندما عوضت السفينة ـالح) عام ١٧٩٠م ويأتي هذا ويض بعد هزيمة الفرنسيين في ند ، (ريوند شيري وكاريكال) اجة (إيل دي فرانس) الشديدة ؤن ، وخاصة بعد أن ضرب الإنجليز صار الاقتصادي عليها ، ورفض حاكم عمان تزويدها بما تحتاجه من المؤن[13] . مما أجبر فرنسا أن تهتم بموضوع عمان .

وعبر حاكم مسقط عن ارتياحه لوصول السفينة الفرنسية بقوله : "وصلت هديتكم الكريمة ، ورغم أن السفينة التي أرسلت إلينا صغيرة جداً ، ولا تساوي ربع التي فقدناها ، فإنها في نظرنا أكبر كثيراً ، وهي أكثر بهجة إلى أبعد حد ، وامتلاكنا لها يمنحنا سروراً أعظم ، إذ أن كل شيء مشترك بيننا"[14] .

كما خاطب حاكم مسقط المسيو (روسو) القنصل الفرنسي في بغداد مؤكداً احترام المواطنين الفرنسيين في عمان والذين يتمتعون (بالأفضلية على باقي الأوروبيين المتواجدين في عمان)[15] .

وبلغت العلاقات ذروتها حينما وافق حمد على تعيين وكيل دائم لفرنسا في عمان يعامل بكل أنواع الرعاية والعناية والاحترام ، ويخصص له مسكن لائق ويتمتع بالحرية الكاملة[16] . وأكد روزيلي أهمية ذلك ، لأن معناه اتخاذ مسقط نقطة للتجسس على الإنجليز في الهند ، وفي حالة وقوع الحرب ستعتمد

مورشيوس في تموينها على البحارة العرب[17] .

إلا أن نشوب الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م، وانشغال حكومة الإدارة بالأوضاع الداخلية في البلاد أعاق إقامة الوكالة .

إلا أن فرنسا أخذت تنظر إلى الخليج العربي كقاعدة هامة في حالة قيامها بحملة على الهند عندما نشبت الحرب بينها وبين إنجلترا عام ١٧٩٣م لذلك أخذت تنشط في إرسال البعثات إلى الشرق ومن أهمها بعثة (بروجيه دالفييه)[18] . وبعثة بوشامب إلى مسقط، وهو أحد الخبراء في شئون المنطقة وكلف بقرار من الحكومة الفرنسية عام ١٧٩٥م إنشاء قنصلية لها في مسقط[19] . للتجسس على تحركات الإنجليز في الهند، ودراسة الأحوال الداخلية في البلاد، وكذلك دراسة الطرق التي يمكن أن تستخدم في حالة غزو فرنسي للشرق[20] .

إلا أن المبعوث الفرنسي لم يصل إلى مسقط، وذلك للتعليمات المتأخرة التي وردت إليه بالطواف حول مصر والقسطنطينية، حيث ألقت السلطات العثمانية القبض عليه وأودعته السجن[21] . كما أنه لم يكن واثقاً من نجاح مهمته لأن السلطات البريطانية في الهند عرفت بأمر مهمته وأخذت سفنهم الحربية تجوب الخليج العربي من أجل إلقاء القبض عليه[22] . لذلك ما إن وقع الغزو الفرنسي لمصر عام ١٧٩٨م وما بذلته بريطانيا من نشاط واسع لإثارة حكام المسلمين ضد فرنسا حتى وجد مبرراً قوياً للاعتذار عن مهمته .

وفي عام ١٧٩٦م انتشرت الإشاعات في الهند أن حكومة مسقط تنوي التخلي عن حيادها في الصراع البريطاني الفرنسي لصالح فرنسا، وتسربت معلومات عن تحركات للسفن البريطانية وعليها تجار مسقطيون إلى جزيرة مورشيوس، واشترك التجار العمانيون في تصريف السلع البريطانية وبيع السفن المستولى عليها من الفرنسيين[23] . وللتأكد من ذلك بعثت الملازم سكنر Skinner عام ١٧٩٦م وعرض عند لقائه بحاكم عمان مبلغاً يتراوح بين ألف إلى ثلاثة آلاف روبية، مقابل تسليمه كل فرنسي ومعه أوراقه، ويرتفع هذا المبلغ إلى ثمانية آلاف بالنسبة إلى (هيمقرايس) وهو إنجليزي خارج عن السلطة[24] . ونتيجة لهذه الشكوك هددت حكومة بومباي العمانيين

ـها ستمنع دخولهم إلى الموانئ
ـندية[٢٥] . إلا أن سلطان بن أحمد
ـ في الرسالة التي بعث بها إلى حاكم
ـباي جونتان دنكان وجود فرنسيين
بـلاده، وأكد على روابط العلاقة
محبة مع بريطانيا[٢٦] . كما صرح
ن شعبه لا يستطيع التمييز بين
جل الفرنسي وبين غيره[٢٧] .

وعلى الرغم من هذه العلاقة
ـميمة مع بريطانيا، وتحذيراتها
ـتمرة بقطع العلاقات مع فرنسا، إلا
حاكم مسقط لم يأبه بذلك واستمر
ى العلاقة السابقة مع الجزيرة
ـنسية مورشيوس واتضح ذلك من
ـلال الرسالة التي أرسلها إلى بومباى
ـتي تنم عن استمرار هذه الروابط
ـله : "إنني حاكم بلدي وحر في
ـتيار الأسلوب الذي أرتئيه لمصلحة
ـد . ما الذي صدر عن فرنسا لكي
ـع رعاياي من إقامة علاقات تجارية
الفرنسيين[٢٨] .

حرصت فرنسا على استمرار
ـقتها بعمان، وذلك لأهميتها في نظر
ـياسة الفرنسية على الرغم من ارتباط
ـكم مسقط بمعاهدتي ١٧٩٧ و ١٨٠٠م
بريطانيا، والتي سيرد ذكرهما عند
ـلام عن علاقة سلطان بن أحمد مع

بريطانيا، إذ أعادت فرنسا ثلاث سفن مسقطية استولى عليها القراصنة الفرنسيون عام ١٨٠١م وساعدت حاكم عمان في حملته على البحرين[٢٩]. وبعثت إلى سلطان بن أحمد هدايا تقدر "بمائة ليرة مع ساعة ذهبية وخنجر وصينية وصندوق كتابة وتاج مرصع بالأحجار الكريمة لزوجته، وساعتين ذهبيتين وخنجرين لوزيري الإمام[٣٠] .

ونتيجة لإدراك نابليون أثناء إقامته في مصر لأهمية مسقط كموقع على طريق الهند، وتأكيدات (ديكان) حاكم إيل دي فرانس على أهمية استعادة المراكز التجارية في الهند بموجب صلح أميان عام ١٨٠٢م[٣١] . قامت الحكومة الفرنسية بإيعاز من نابليون بإرسال بعثة إلى مسقط برئاسة (كافنياك) لتأسيس قنصلية فيها، وبعد أن توقف في إيل دي فرانس للتشاور مع حاكمها ديكان الذي وصل إلى مسقط في ٣ تشرين الأول عام ١٨٠٣م، على ظهر السفينة (أتلانتا)[٣٢] .

زودت البعثة بتعليمات لإقناع سلطان بن أحمد بقبوله (أي قبول كافنياك) مقيماً دائماً في مسقط، إلا أنه وجد حاكم مسقط مشغولاً في قتاله مع جيرانه[٣٣] وأجرى مباحثاته مع

حاكم الميناء الذي أدرك مغبة العلاقة مع الفرنسيين، في وقت اشتدت فيه الحرب بين فرنسا وإنجلترا، وهذا ما دفعه للاعتذار إلى كافنياك بأنه لا يملك أي سلطة في استقبال مفوض خارجي(٣٤) .

وبعودة سلطان رفض قبول كافنياك مقيماً في مسقط، لأن ذلك يشكل انتهاكاً لاتفاقية عام ١٧٩٨م مع بريطانيا، التي كانت القوة الوحيدة التي يمكنها أن تقدم المساعدة ضد حقوق السعوديين[٣٥].

لقد كان حاكم مسقط يدرك أنه في حالة حصول الفرنسيين على أية امتيازات في مسقط فإن ذلك سيهدد العلاقات مع الهند[٣٦] . "وتوضع بلاده تحت حصار تجاري من جانب الهند"[٣٧] فما كان من سلطان إلا أن أرسل رسالة إلى حكومة بومباي يعلمها، بأنه رفض الاتصال بالبعثة الفرنسية والاستجابة لطلباتها وطلب حماية سفنه في كل الموانئ الهندية التي استجابت لطلبه بحماية السفن العمانية المتاجرة مع الموانئ الهندية[٣٨] .

وبالرغم من فشل بعثة كافنياك، استمرت السفن الفرنسية باستخدام مسقط محطة لتموين السفن الفرنسية، وسوقاً لتصريف غنائم الحرب، وبالرغم من أن ذلك أزعج حكومة بومباي، إلا أن اتفاقية ١٧٩٨م لم تنص على أي حظر على السفن الفرنسية من ارتياد ميناء مسقط[٣٩] . كما أنها لم تؤد إلى استياء الحكومة الفرنسية، وأعد كافنياك بعد إخفاق مهمته تقريراً حاول فيه أن يبرر فشله بالقول (إن بلاد عمان فقيرة لا تمثل أهمية سياسية أو اقتصادية ولا يعدو أن يكون شيخها شيخاً من مشايخ البدو، والفائدة الوحيدة التي قد تجنيها فرنسا من إقامة وكالة هناك، لا تتعدى إقامة محطة للبريد بين المحيط الهندي وأوروبا، وحتى هذه لا يمكن تحقيقها طالما بقي الإنجليز يسيطرون على الملاحة في الخليج[٤٠] .

كما أنه أعد تقريراً آخر إلى تاليران (وزير خارجية فرنسا) لتغطية فشل مهمته أكد فيه أن العلاقة مع حاكم مسقط يمكن إدارتها عن طريق أحد التجار، وإبعاد الصفة الدبلوماسية للمبعوث، لأن ذلك يزعج المسقطيين. وأكد أن الجانب الإنجليزي يسيطر على

كم مسقط، وأنه لا يستطيع أن يلقى
ك الاحترام الذي يليق بـه كمبعوث
سي[٤١] .

إن هذا التقرير هـو تغطيـة لخيبة
ـه، متناسياً أهميـة عمان السـوقية
ي تـهالكت عليـها حكومتـه سـنين
يلة، من أجل الحصول على مكسب
اسي أو اقتصادي فيها .

كمـا أن العلاقـات الدبلوماسـية
فـت بعـد إخفـاق مهمتـه، ولم
ترجَع حتـى ١٨٠٧م في عـهد سعيد
سلطان (١٨٠٦ - ١٨٥٦م)، الـذي
. كسبها إلى جانبـه بحربـه ضـد
سعوديين والقواسم[٤٢] . وقـام بعقـد
قية معهم في السنة نفسها .

أمـا عـن العلاقـات العمانيـة -
يطانيـة فـترجع بدايتـها إلى زمـن
س سلالة اليعاربة ناصر بـن مرشـد
ربي ١٦٢٤ - ١٦٤٩م) الذي طلـب
شركة الهند الشرقية الإنجليزية[٤٣]
. معاهدة للتعاون عـام ١٦٤٦م الـتي
منت امتيازات واسعة للإنجليز منها
يـة الاسـتيراد والتصديـر وإعفـاء
ارتـهم مـن الضرائـب والتزامـهم
مويض عن أيـة سـرقة تتعـرض لهـا
سائع الإنجليزية[٤٤] إلا أنها لم تنفذ

لضعف الحماس البريطاني آنذاك بمنطقة الخليج العربي بسبب المنافسة الهولنديـة الشديـدة مـن ناحيـة، ولعـدم اسـتقرار الأوضاع فيه بشكل عام من ناحية أخرى

وفي عـهد سلطان بـن سـيف الأول (١٦٤٩ - ١٦٧٩م)، أرسـلت الشركـة الإنجليزيـة الكولونيـل رينسـفورد عـام ١٦٥٠ إلى مسقط باقتراح للإمـام بالسماح بفتح وكالـة في ذلـك الميناء ولكـن الإمـام رفض الاقتراح[٤٥] . ولا شـك أن تجربـة العمانيين المريرة مع البرتغاليين هي التي أملت ذلك الموقف كما رفـض طلبـاً آخـر للغرض نفسه، تقدم بـه (مسـتر ويـش - Whish) ممثل الشركـة في سـورات عـام ١٦٥٩م[٤٦] . وكان إلحاح الشركة بسبب رغبة الإنجليز في الحصول على ضمانـات أمنيـة لسفنهم في وقـت اشتـدت فيـه الاشتباكـات المسـلحة بـين العمـانيين والبريطـانيين، ولـتزايد أهميـة الخليـج العربـي طريقـاً سـريعاً لنقـل نسـخ مـن الرسائل الرسمية بـين سـورات ومركـز الشركة[٤٧] .

وفي أواخر القرن السـابع عشـر أثـار تصاعد قـوة البحريـة العمانيـة في عـهد سـيف بـن سـلطان الأول (١٦٩٢ -

١٧١١م) مخاوف الإنجليز مما دفع الكابتن (برانجوين) الوكيل في بندر عباس إلى الكتابة إلى مسئوليه محذراً من الخطر العماني وضرورة وضع حد لنشاطهم وإلا (فإن العمانيين سيصبحون طاعوناً يهدد الهند. كالطاعون المغربي على أوروبا)[٤٨]

وقد راودت مسئولي الشركة الإنجليزية فكرة تجهيز حملة ضد مسقط. إلا أن قوة الأسطول العماني. وعدم الرغبة في تعريض المصالح الإنجليزية للخطر وانشغالهم في تثبيت مواقعهم في الهند جعلتهم يصرفون النظر عن تنفيذها[٤٩]

إلا أن القوة التي بلغتها مسقط في عهد دولة اليعاربة تعرضت للتصدع والانهيار بعد وفاة سلطان بن سيف الثاني عام ١٧١٨م، بسبب اندلاع الحرب الأهلية. وما رافقها من غزو أجنبي فكان ذلك إيذاناً بنهاية حكم اليعاربة وبداية حكم البوسعيد

وانتهج مؤسس وحاكم السلالة الجديدة أحمد بن سعيد سياسة أسلافه بعدم السماح بإقامة تمثيل أجنبي في البلاد، ولهذا رفض عرضاً تقدمت به شركة الهند الشرقية الإنجليزية بإنشاء

مركز لها في مس... وعبر عن ذلك الرحالة نيبور ال... مر بمسقط ١٧٦٥م وصرح ... ليس هناك ... مستوطنين أوروبيين رسميين وغير رسميين في مسقط[٥٠]

وسار حمد بن سعيد (١١٦...-١٧٩٢م) على سياسة مؤسس السلالة. رفض طلباً تقدمت به شركة الهند الشرقية عام ١٧٨٥م، بالسماح لها بفتح وكالة في مسقط[٥١]

وقد التزم سلطان بن حمد ... البداية سياسة الحياد في ... البريطاني الفرنسي في المحيط ... وهو موقف لم تكن بريطانيا ... منه آنذاك. إلا أن موقفه ... الاستمرار بسبب أحداث ... القرن الثامن عشر ... على الحاكم العماني ... بشكل واضح ضد فرنسا ... وصول معلومات بوجود ... في مسقط. لذلك أرسلت حكومة ... مبعوث إلى مسقط - ١٧٩٨ ... ميوله وتثبيت ... وفرنسا

وبتعيين المر... والحرب ... الهند (١٧٩٨ ... ١٨ ...) حد...

في السياسة البريطانية في الهند التي كانت تتسم بالحذر، إذ سلك الحاكم العام الجديد سياسة هجومية تقوم على توسيع ممتلكات الشركة في الهند والسعي إلى كسب الحلفاء تحقيقاً لسياسته تلك[٥٢]. ولما كان النفوذ الفرنسي واضحاً في عمان مظهره العلاقات التجارية النشيطة مع (إيل دي فرانس) وما أشيع من أن هناك سفناً فرنسية وهولندية تتردد باستمرار على الموانئ العمانية وهي ترفع أعلاماً عربية[٥٣] لذلك أوفدت حكومة الهند إلى مسقط (ميرزا مهدي خان علي خان) لعقد معاهدة مع سلطان بن أحمد ١٧٩٨.

أدركت بريطانيا خطورة استمرار علاقة فرنسا بعمان (مفتاح باب الخليج) ولهذا كان واجب الحاكم العام في الهند أن يحول دون سقوط هذا المفتاح بيد الفرنسيين. لاسيما ما كان بادياً من قوة النفوذ الفرنسي هناك بشكل ينذر بالخطر فالعلاقات مع (إيل دي فرانس) كانت مزدهرة كما كانت السفن الفرنسية وحليفتها الهولندية تتردد باستمرار على الموانئ العمانية إضافة إلى ما علم من أن سلطان بن أحمد يستخدم طبيباً فرنسياً، وأكد (سمث) وكيل شركة الهند في بوشهر المخاوف البريطانية "أن مسقط ستصبح عما قريب وكراً للجاسوسية الفرنسية على الهند، لأن خمس أو ست سفن عربية تقوم بنقل التجارة بين مورشيوس ومسقط وساحل مليبار ولاشك أن نقل الأنباء سيكون مورد ربح للبحارة العرب"[٥٤].

وفي ١٣ أيلول ١٧٩٨م أصدر حاكم بومباي (جونثان دنكان) بناء على أوامر (ولزلي)، تعليماته إلى المقيم المعين الجديد في بوشهر (مرزا مهدي علي خان[٥٥] بالتوقف في مسقط لإجراء مفاوضات مع سلطان بن أحمد تهدف إلى تحديد موقفه من الصراع الدائر مع فرنسا، والضغط عليه بإصدار تعهد بإبعاد الفرنسيين وحلفائهم الهولنديين عن ممتلكاته، والسماح بتأسيس وكالة للشركة الإنجليزية في مسقط وإبدال طبيبه الفرنسي بجراح بريطاني[٥٦]. كما حمل هدية إلى الحاكم العماني قدرت قيمتها بـ (١٢٥٠ روبية)[٥٧].

وصل المبعوث البريطاني إلى مسقط في الأسبوع الأول من تشرين الأول عام ١٧٩٨م وسلم رسالة حاكم بومباي إلى سلطان بن أحمد، تضمنت الرسالة

تحذيراً واضحاً لحاكم عمان من مغبة استمرار علاقته مع فرنسا . وبدأت المفاوضات التي استمرت عشرة أيام أكد فيها مبعوث الشركة لحاكم مسقط "أن ينظر إلى صداقة الحكومة الإنجليزية وتقديرها باعتبارها الروح الذي تتنفس به مسقط وتعيش، وأن يهرب من استمرار الصداقة الفرنسية كما يهرب من الوباء"(٥٨) لقد كان سلطان يدرك تفوق بريطانيا الساحق على فرنسا، إضافة إلى الأهمية المطلقة بالنسبة للتجارة العمانية مع الهند، لهذا فإنه لم يكن مستعداً للتضحية بازدهار بلاده الاقتصادي، حينما أصبح عليه الاختيار بين الجانبين المتصارعين ولهذا انحاز كلياً إلى جانب بريطانيا(٥٩) .

لذلك وقع في الثامن عشر منه أول معاهدة بين دولة عربية مستقلة ودولة أجنبية .

تضمنت المعاهدة سبع مواد، منها عدم الانحراف عن هذه المعاهدة، صديق أحد الطرفين هو صديق للطرف الآخر، لا يجوز إعطاء أي امتياز لأية شركة فرنسية أو هولندية على أرض عمان، تعهد سلطان للحكومة الإنجليزية بطرد الرعايا الفرنسيين وعدم السماح للسفن الفرنسية بالدخول إلى ميناء مسقط، تقديم المعونة لأية سفينة إنجليزية تتعرض للخطر في المياه الإقليمية العمانية والسماح للإنجليز بفتح وكالة في بندر عباس(٦٠) .

جعلت المعاهدة لبريطانيا اليد العليا في الشئون العمانية، وبداية العلاقات السياسية الوثيقة بين بريطانيا وعمان كما استهدفت إقصاء الفرنسيين والهولنديين من إقامة وكالة في مسقط، ومنع الفرنسيين من صداقة حاكم مسقط(٦١) . وقيدته بشروط كثيرة، جعلت دنكان حاكم بومباي يكتب إلى ولزلي الحاكم العام معلقاً على هذه المعاهدة بقوله "إن مهدي علي خان حصل بهذا الاتفاق على أكثر مما نأمله"(٦٢) .

وأعرب سلطان عن رغبته بإعادة فتح مركزها السابق في بندر عباس ورفض إقامته في مسقط، لأن ذلك يثير الفرنسيين والهولنديين وبذلك تتعرض التجارة العمانية لخطر العمليات القرصنية الفرنسية(٦٣) .

نظراً لطلبات سلطان المذكورة من حكومة بومباي، وافق الممثل البريطاني على توفير الماء والخشب للسفن العمانية في الموانئ الهندية، وزيادة كمية الملح

التي تحصل عليها من ١٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ مند[٦٤] . وهي قضايا لم تنص عليها المعاهدة .

لم تضع معاهدة ١٧٩٨م نهاية حقيقية لتردد مسقط في سياستها، ويدل على ذلك تبادل المراسلات بين دنكان حاكم بومباي وسلطان بن أحمد عام ١٧٩٩م فالأول يوجه اللوم والثاني يحاول تبرير موقفه بسبب استمرار علاقته التجارية مع الفرنسيين[٦٥] لأن قطع علاقاته يضر بمصالحه الاقتصادية .

إن عوامل عديدة دفعت سلطان بن أحمد لعقد معاهدة عام ١٧٩٨م مع بريطانيا منها التفوق البحري الذي حققته بريطانيا على فرنسا في المحيط الهندي ولاسيما بعد معركة أبي قير البحرية ١٧٩٨م والأهمية الاقتصادية القصوى التي كانت تمثلها الهند بالنسبة للتجارة العمانية[٦٦] . ولأن التعامل مع فرنسا سوف يضع بلاده تحت حصار تجاري من جانب بريطانيا . بالإضافة إلى أن حملة نابليون على مصر أثارت شعوراً عاماً ضد الفرنسيين في الشرق، كما أن الجانب البريطاني بدا هو الأقوى، ويمكن الاعتماد عليه في مواجهة أي خطر في المنطقة يمس عمان .

إن معاهدة ١٧٩٨م لم تحقق الغرض المطلوب في نظر بريطانيا لاستمرار العلاقات بين فرنسا وعمان، لذلك راودت بريطانيا الشكوك في موقف حاكم مسقط، وارتأت إرسال بعثة جديدة لمعرفة حقيقة موقفه إزاء بريطانيا وفرنسا .

بعد عام واحد من عقد معاهدة ١٧٩٨م أثيرت جملة من الأمور في موقف سلطان بن أحمد من الصراع البريطاني - الفرنسي، إذ وصلت أنباء إلى الهند بأنه (أي سلطان) يستخدم موظفين فرنسيين وأنه يشايع فرنسا، حتى أنه سمح لإحدى سفنه بأن تحمل كمية من الحبوب والكبريت استولى عليها الفرنسيون من إحدى السفن البريطانية التي كانت في طريقها إلى البصرة وبيعت في أسواق مسقط[٦٧] .

وقد لخص دنكان حاكم بومباي في إحدى رسائله إلى سلطان بن أحمد مآخذ السلطات البريطانية عليه ومنها، سوء معاملة الأميرال بلانكيت أثناء مروره بزنجبار في طريقه إلى البحر الأحمر، واستمرار العلاقات التجارية بين عمان وجزيرة مورشيوس الفرنسية[٦٨]،

واكتشاف السلطات البريطانية في البنغال مؤامرة ضد الوجود البريطاني دبرها عدد من الأمراء الهنود بمساعدة حاكم أفغانستان زمان شاه[٦٩].

ومما عزز شكوك بريطانيا الرسالتان اللتان أرسلهما نابليون بونابرت عام ١٧٧٩م إلى سلطان بن أحمد وتيبو صاحب[٧٠] . إلا أن الرسالتين الموجهتين لكليهما لم تصلا إليهما لوقوعهما بأيدي الوكيل البريطاني في مخا الذي بعث بهما إلى حكومة الهند[٧١] لذلك أوفدت حكومة بومباي مالكولم[٧٢] إلى مسقط أثناء توجهه إلى طهران لإجراء مباحثات مع سلطان عمان .

وصل مالكولم إلى مسقط في ٨ كانون الثاني عام ١٨٠٠م على ظهر الفرقاطة بومباي وتبادل وجهات النظر مع حاكم الميناء (سيف بن محمد) بسبب غياب سلطان في مهمة بحرية[٧٣] . وكان سيف يعرف الإنجليز وحكومتهم جيداً إذ قام بـ ٣٦ رحلة منها ست عشرة إلى بومباي، والباقي إلى كلكتا، وكان يدرك المصادر الجيدة والفوائد الكبيرة السياسية والتجارية لمسقط في تحالفها مع الإنجليز[٧٤] .

استخدم مالكولم في حديثه أسلوب التهديد والوعيد، فذكر حاكم الميناء بالتفوق البريطاني الكامل وتدهور مركز فرنسا في الشرق حيث أن الفرنسيين كانوا قد انهزموا في الشرق ماعدا جزيرة مورشيوس التي ليس لها أهمية، وفقد حلفاؤهم الهولنديون . كل شيء في آسيا ماعدا بتافيا، وأشار إلى ما آل إليه تيبو صاحب سلطان ميسور بسبب انحيازه إلى جانب الفرنسيين[٧٥]، وما لقيه بونابرت من هزائم كبيرة في مصر، كما تباحث في مصير تجارة مسقط فيما لو أغلقت موانئ الهند أمام السفن التجارية المسقطية[٧٦].

ركز حديث مالكولم على إظهار قوة بريطانيا وإبراز ضعف ومساويء الحكومة الفرنسية أملا في قطع علاقة حاكم مسقط بالفرنسيين مؤكداً أن ازدهار عمان مقرون بالتفوق الإنجليزي، وبعد ذلك غادر مالكولم مسقط للقاء السلطان وقد التقى به قرب جزيرة هنجام[٧٧] . وصعد على سطح سفينة القيادة للأسطول العماني (جنجافا) حيث استقبله سلطان عمان وقدم مالكولم الرسائل والهدايا[٧٨] .

وفي مباحثاته مع حاكم مسقط. كرر حديثه مع حاكم الميناء، والذي تضمن تأمين الحالة السياسية والازدهار التجاري لبلاده بتأكيد ارتباطه مع بريطانيا، ولهذا فإنه يأسف لاستمرار علاقته بالفرنسيين، وبالمقابل عبر سلطان كذلك عن أسفه لما حدث وأنه مستعد للسماح بإقامة (١٠٠٠ إنجليزي) بدلاً من واحد في مسقط، وأنه لا يرغب في التحالف إلا مع الحكومة الإنجليزية[٧٩].

وكانت التعليمات التي صدرت من حكومة الهند إلى مالكولم أن يعمل ما في وسعه لمناقشة أية نقاط تتعلق بالمصالح البريطانية في مسقط[٨٠]. كذلك تركزت المباحثات على هذا الجانب وأسفرت عن عقد معاهدة جديدة عام ١٨٠٠م، أكدت في مادتها الأولى على معاهدة ١٧٩٨م، ونصت الثانية على إقامة وكيل بريطاني في مسقط بشكل عام[٨١]. وعين أول وكيل سياسي بريطاني في مسقط وهو الجراح بوجيل الذي أصبح طبيباً للسلطان بدلا من طبيبه الفرنسي، وكمقيم بريطاني في مسقط يرعى مصالح حكومته هناك[٨٢].

وعلق كاي (Kaye) على هذا التعيين بقوله : "كانت هناك بوابتان لحديقة الدبلوماسية الإنجليزية في الشرق، الأولى التجارة، والثانية الطب، ونحن مدينون لإمبراطوريتنا الهندية في الواقع لكليهما" . وكان على بوكل أن يكون طبيباً وفي الوقت نفسه وكيلاً سياسياً[٨٣].

لم يتوقف النشاط الفرنسي بعد عقد المعاهدة بل جرت محاولات لكسب حاكم مسقط إلا أنها فشلت لالتزامه الجانب البريطاني[٨٤].

كما حصلت حكومة الهند من توقيع المعاهدتين على كسب مسقط إلى جانبها في صراعها المرير مع فرنسا. وأصبح لها نفوذ متميز في عمان، وأبعدت شبح القلق من احتمال تهديد فرنسي لنفوذها وعملت على تركيز المصالح البريطانية في عمان بشكل خاص والخليج العربي بشكل عام .

الدكتور سلمان لفتة الزيدي

جامعة بغداد

الهوامش

١ – لورنس لوكهارت، التهديد العماني ونتائجه في أواخر القرن السابع عشر ومطلع القرن الثامن عشر. ترجمة علاء الدين أحمد حسين، مجلة الخليج العربي، جامعة البصـرة. العـدد العـاشر، ١٩٧٨. ص ٩٠ .

♦ Skeet, Ian; Muscat and Oman, The End of an Era. (London, 1974). P.40.

٢ – تقع في المحيط الهندي على مسافة ٥٥٠ ميلاً إلى الشرق من مدغشقـر و (٣٢٠٠) ميـل عـن رأس الرجاء الصالح، كان البرتغاليون أول من اكتشفها سنة ١٥١٠، ثم احتلها الهولنديون سنة ١٥٩٨. وأطلقوا عليـها مورشيوس ولكـن الفرنسـيين أبدلـوا الإسـم إلى جزيـرة فرنسا (I - Ile de France) وبقيت تحت سيطرتهم حتى سقوطها بيد الإنجليز عام ١٨١٠م : راجع محمد عبد الله العـزاوي، نشـاط فرنسـا السياسـي في الخليج العربـي والإجـراءات البريطانيـة المضـادة ١٧٩٣ – ١٧٩٨م، مجلة الخليـج العربـي، جامعـة البصـرة، المجلـد الثـامن عشـر، العـدد ٣ – ٤، ١٩٨٦ هامش، ص ٣٧ .

٣ – Coupland, R; East African and Its Invaders; from the Earliest times to the death of Seyyid Said in 1856 (Oxford Vep, 1961) P. 84.

٤ – صالح محمد العـابد، موقـف بريطانيـا مـن النشـاط الفرنسـي في الخليـج العربـي (١٧٩٨ – ١٨١٠م) بغداد، ١٩٧٩ ص ٦٦ .

٥ – لمزيد من التفاصيل عن هذه الاصطلاحات أنظر : ♦ زكي صالح، بريطانيا والعراق حتى عـام ١٩١٤. بغداد ١٩٦٨، ص ٦٣ – ٦٤ .

٦ – المصدر نفسه والصفحة .

٧ – بدر الدين عباس الخصـوصي، دراسـات في تاريـخ الخليج العربي الحديث والمعاصر. الجـزء الأو‍ل الكويت ١٩٧٨ . ص ٨٧ .

٨ - كانت تصدر إلى عمان السكر والمنتجات الأخرى وتستورد المواد الغذائية كالحبوب والتمور . راجع : ♦ س.ب. مايلز، الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة محمد أمين عبد الله، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٢ . ص ٢٢٦ . ♦ Coupland; op. Cit. P.84.

٩ - التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي بين مسقط وأبوظبي وبين المملكة العربية السعودية، المجلد الأول، الأساس، ١٩٠٥ . ص ١٠٨ . ومن الجدير بالذكر أن صيغ المبالغة كانت هي الغالبة في ذلك العصر بين الحكام الشرقيين ولا تعني مطلقاً واقع الأمر بقدر ما تدل على أسلوب في المجاملة الدبلوماسية .

١٠ - راجع : ♦ جون غوردون لوريمر، دليل الخليج العربي، القسم التاريخي، جـ ٢، ترجمة مكاتب الترجمة بديوان حاكم قطر، ط ٢، (الدوحة، بلا تاريخ) . ص٦٥٥ . إلا أن فيلبس يبتعد عن الواقع عندما يجعل هذه الأزمة عام ١٧٨٩م . ♦ وندل فلبس، تاريخ عمان، ترجمة محمد أمين عبد الله. (سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة. ١٩٨١ . ص ٨٥ .

١١ - أنظر : صالح، المصدر السابق، ص ٦٤ .

١٢ - راجع : مايلز، المصدر السابق، ص ٢٢٩ إلا أن سكيت ونيكولز يقعان في خطأ عندما يعتبران الإمام وافق على إقامة وكالة فيها كما أنهما يحددان عام ١٨٠٥م موعداً لزيارة البعثة . أنظر :

Skeet, op. Cit. P. 43, Nicholls; C.S.; The Swahilli Coast Politics and Diplomacy and Trade on the East African Littoral 1798 - 1856; George Allen and un wilted, 1971. P. 103.

١٣ - العزاوي، المصدر السابق ص٧ .

١٤ - رودلف سعيد روت، سلطنة عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان ١٧٩١ - ١٨٥٦، ترجمة عبد المجيد حسيب القيسي، جامعة البصرة، ١٩٨٣ . ص ١٣٩ . ♦ فلبس، المصدر السابق، ص ٨٥ - ٨٦ .

١٥ - عرض حكومة المملكة العربية السعودية، المصدر السابق، ص ١٠٩ .

١٦ - روت، المصدر السابق، ص ١٣٩ .

١٧ - أنظر : صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة، ١٩٦٥ . ص ٦٤ .

١٨ - من المتخصصين في علم التاريخ الطبيعي، تجولت البعثة خمس سنوات في تركيا ومصر وإيران ووصلت استنبول عام ١٧٩٣م، للتفاصيل أنظر : ♦ لوريمر، المصدر السابق، جـ ١، ص٢٤٧ -

٢٥١ إن هـذه البعثة علميـة في ظاهرها سياسـية في أهدافها الراميـة إلى زيادة النشـاط الفرنسي في فارس .

١٩ – تأخـر افتتـاح القنصليـة في مسـقط حتى عـام ١٨٩٤، وعين أوتافي أول قنصـل فرنسي في مسقط.

♦ Skeet ; Op.Cit. P.42.

٢٠ – عبد العزيـز عبد الغـني إبراهيـم، بريطانيـا وإمـارات السـاحل العمـاني، بغـداد ١٩٧٨ . ص٦٦.

مديحة أحمـــد درويش. سـلطنة عمان في القرنين الثامن عشـر و التاسـع عشر، جـدة، ١٩٨٢ ص ٥٤.

٢١ – H. Prentout; L` Ile de France Sons Decaen, 1803 - 1810, (Paris, 1901). P. 332.

٢٢ – أنظر : العزاوي، المصدر السابق، ص ٤٠ .

٢٣ – للتفاصيل أنظر : جون باريت تيلـي، بريطانيـا والخليـج ١٧٩٥ – ١٨٨٠، الجـزء الأول، ترجمـة محمـد أمـين عـبد الله، (سـلطنة عمـان، وزارة الـتراث القـومي والثقـافة، بـلا تـاريخ. ص١٠٠ – ١٠١ .

٢٤ – أنظر نص التعليمات الموجهة إلى سكنر :

♦ Saldanha, J.A. ed; Selection from states papers, Bombay, Regarding the East India Company's connection with the Gulf 1600 - 1800 (Calcutta, I, 08) p.p.334 - 335.

♦ لوريمر، القسم التاريخي، جـ٢، ص ٦٦٨ – ٦٦٩ .

٢٥ – Nicholls; Op. Cit. P.105.

٢٦ – أنظر نص الرسائل المتبادلة بينهما

Selection from stats papers, 1600 - 1800. P.p.335 - 337.

٢٧ – أنظر : Nicholls; op. Cit. 106.

٢٨ – للتفاصيل : I, bid, p. 107.

٢٩ – أنظر : Coupland; Op. Cit. P. 102.

٣٠ - الشئون الخارجية، المراسلات السياسية، بلاد فارس، الجزء الثامن، ص ١٦ . نقلاً عن إيزابيلا بالو، عمان وفرنسا صفحات من التاريخ، ترجمة السيد خزعل، باريس، بلا تاريخ، ص٦ .
وقدمت الخيول العربية هدية للحاكم الفرنسي مجالون راجع :

♦ **Prentout, H. L'Ill De France Sons Decach 1803 - 1810, (Paris, 1901) P. 333 . Coupland; Op. Cit.. p. 102.**

٣١ - راجع : **Coupland; Op.Cit. p. 333.**

٣٢ - وبوصوله علم بوجود باخرة إنجليزية في ميناء مسقط، وأخرى غادرت المرفأ منذ يومين : **I, bid. P.336.**

٣٣ - راجع : **Coupland; Op.Cit. p. 103.**

٣٤ - جمال زكريا قاسم، دولة بو سعيد في عمان وشرق أفريقيا ١٧٤١ - ١٨٦١، القاهرة، ١٩٦٧ . ص ١٢٤ .

٣٥ - للتفاصيل راجع : كيلي، المصدر السابق، ص ١١١ إلا أن نيكولز يخطيء عندما يعتبر حصول كافنياك على منزلة أومكانة في مسقط ، شبه ما حصل عليه الوكيل البريطاني سيتون : أنظر :
Nicholls; Op.Cit. P. 108.

٣٦ - **Precis of Correspondence Regarding Affairs of the Gulf, 1801 - 1853. (Calcutta, 1906) p. 29.**

٣٧ - لوريمر، القسم التاريخي، جـ ٢ ص ١٧٥، أرنولد ولسون "الخليج العربي" ترجمة عبد القادر يوسف، الكويت، بلا تاريخ، ص ٣٧٩ .

٣٨ - سمير محمد على أبو ياسين، العلاقات العمانية - البريطانية ١٧٦٨ - ١٨٥٦م، البصرة، ١٩٨١ . ص ٤٩ .

٣٩ - أنظر : كيلي، المصدر السابق، ص ١١٧ .

٤٠ - العقاد، المصدر السابق، ص ٨٣ .

٤١ - **Prentout; Op.Cit. P.339.**

٤٢ - صالح، المصدر السابق، ص ١١١ .

٤٣ - أنشئت الشركة بمقتضى براءة ملكية بتوقيع من الملكة إليزابيث الأولى في نهاية عام ١٦٠٠، وكان
تظهر نفسها على أساس أنها لاتهتم إلا بالمصالح التجارية، ولكنها تسعى لتوطيد نفوذها السيا
والعسكري، وأصدرت الملكة مرسوماً للشركة المتاجرة مع الشرق. للتفاصيل أنظر :

◆ ولسن، المصدر السابق، ص ٢٦٨ - ٢٨٨ .

◆ فيلبس، المصدر السابق، ص ١١٠ - ١١١ .

٤٤ - Jan Skeet; Mascut and Oman, The End of An Ara (London, 1, 1914) A. pp.1 . p.p.211 - 212.

٤٥ - Skeet; Op.Cit. p. 38.

٤٦ - عائشة علي السيار، دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقيا ١٦٢٤ - ١٧٤١، بيروت ١٩٧٥ ص ١٩٦ .

٤٧ - عن تفضيل الخليج العربي على البحر الأحمر في تلك الحقبة يمكن الرجوع إلى :

Holden, Furber, The Overland route to India Journal of Indian History (Aug. 1955). P.P. 106 - 133.

٤٨ - من الجدير بالملاحظة أن معظم الكتاب الفرنسيين أطلقوا على النشاطات البحرية العربية والإسلامية في المتوسط أو في بحار الشرق تعبير (قرصنة) وهو ما يتنافى مع الروح العلمية م ناحية، ويعبر عن نزعة صليبية متعصبة من ناحية أخرى، (فشارلز لو) مؤرخ البحرية الهندية مثلاً يصنف العمليات البحرية العربية في الخليج قرصنة (إن القرصنة متغلغلة حتى بين أولئ العظماء العرب الذين لا يعرفون الراحة ولا الطاعة) كما أن كلاً من لوريمر وأرنولد ولسون وريشار سانجر يعتبرون النشاط العماني البحري في عهد اليعاربة وصراعهم مع البرتغاليين (قرصن أنظر : صالح محمد العابد، دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧ - ١٨٢٠، بغداد، ١٩٧٦ ص ٤٣ - ٨٥ .

٤٩ - أنظر : العابد، موقف بريطانيا، مصدر سابق ص ٦٢ .

٥٠ - مقتبس من لوريمر، القسم التاريخي، جـ ٢ - ص ٦٥٥ .

٥١ - المصدر نفسه، ص ٦٦١ . ولسون، المصدر السابق، ص ٣١٤ .

٥٢ - صالح، المصدر السابق، ص ٧١ .

٥ - أنظر : لوريمر، القسم التاريخي، جـ ٢، ص ٦٦٩، ٦٧٨ .

٥٤ - أنظر : العزاوي، المصدر السابق، ص ٤٣ .

٥٥ - فارسي الأصل عمل في خدمة شركة الهند الشرقية، وعين مقيماً في بوشهر، وجاء إلى مسقط لعقد معاهدة مع حاكمها سلطان بن أحمد عام ١٧٩٨م : **Coupland; Op.Cit. p. 95.**

٥٦ - **Selection From states papers, 1600 - 1800, p. 340.**

٥٧ - العابد، موقف بريطانيا، ص ١٠٨ .

٥٨ - عرض حكومة المملكة العربية السعودية، المصدر السابق، ص ١١٦، لوريمر القسم التاريخي، جـ ٢، ص ٦٧٣ .

٥٩ - العابد، موقف بريطانيا، ص ١٠٩ - ١١٢ .

٦٠ - أنظر نص المعاهدة في :

أرنولد ولسون، تاريخ الخليج، ترجمة محمد أمين عبد الله، وزارة التراث القومي، ١٩٨١، ص١٦٨ - ١٦٩، أحمد مصطفى أبو حاكمة، تاريخ الكويت، الجزء الأول، القسم الثاني، الكويت، ١٩٧٠، ص ٩٧ - ٩٩ .

٦١ - **Warden Francis; Historical Sketch of the Rise and Progress of the Government of Musket and continued to the year 1819; In S.R.B. G. No. XXIV. P.172.**

٦٢ - صلاح العقاد، الاستعمار في الخليج، القاهرة، ١٩٥٦م . ص ٤٠ .

٦٣ - لمزيد من التفاصيل أنظر : الرسائل المتبادلة بين مهدي علي خان وحكومة بومباي :

Selection from state papers, 1600 - 1800, p.p.346 - 348.

أما كوبلاند فيضع ألمانيا بدلاً من هولندا :

Sir Regland Coupland ; The Exploitation of East Africa 1856 - 1890, The Slave Trade and The Scramble, (North Western University 1967). P. 8.

٦٤ - كيلي، المصدر السابق، ص ١٠٣ .

٦٥ – فؤاد سعيد العابد، سياسة بريطانيا في الخليج العربي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر (الكويت، بلا تاريخ) ص ٢٦ .

٦٦ – للتفاصيل راجع : العابد، موقف بريطانيا، ص ١١٢ .

٦٧ – لوريمر، القسم التاريخي، جـ ٢، ص ٦٧١ .

٦٨ – العقاد، الاستعمار في الخليج، ص ٥٠ .

٦٩ – كيلي، المصدر السابق، ص ١٠٤ .

٧٠ – تيبو سلطان ميسور (١٧٨٢ – ١٧٩٩م)، كان عدواً للوجود البريطاني في الهند ولهذا عدّته فرنسا حليفاً لها . خاض ثلاث حروب ضد بريطانيا في (١٧٨٠ – ١٧٨٤) و (١٧٩٠ – ١٧٩٢) وانتهت الأخيرة في عام ١٧٩٩ بمصرعه واحتلال ميسور : لمزيد من التفاصيل أنظر :

♦ Denys Forrest; Tiger of Mysor, The Life and Death of Tipu Sultan, (London 1970).

٧١ – روت، المصدر السابق ص ١٤١، صالح، المصدر السابق، ص ٧٥ .

٧٢ – جاء مالكولم إلى الهند جندياً في جيش شركة الهند الشرقية وعمره لا يتجاوز ١٤ عاماً، وشهد العمليات الحربية في ميسور عام ١٧٦٠م، واختير للذهاب إلى بلاد فارس على رأس وفد من قِبَل ولسلي عام ١٧٩٦ : لمزيد من التفاصيل عن حياة مالكولم ونشاطاته أنظر :

♦ John William Kaye ; The Life and Correspondence of Major General Sir John Malcolm (London, 1856). 2 vols.

٧٣ – العابد، موقف بريطانيا، ص ١٢١ – ١٢٣ .

٧٤ – Kaye; Op.Cit. p. 106.

٧٥ – علاقة سلطان تيبو جزء من علاقته بالفرنسيين، حيث كان على اتصال دائم بحاكم عمان، واستمرار وكالته السياسية التي فتحت في عهد أحمد بن سعيد باقية في عهد سلطان بن أحمد والتي أطلق عليها اسم (المفوضية) : لوريمر، القسم التاريخي، جـ ٢، ص ٦٧٩ .

٧٦ – للتفاصيل أنظر : العابد، موقف بريطانيا، ص ١٢١ – ١٢٢ .

♦ Kaye; Op.Cit. p. p. 107 - 108.

٧٧ - والذي عبر عنه أوجدناه رغم أنه محاط ببعض الأبهة، يرتدي ثياباً بسيطة، كان لديه شال يلتف حول رأسه، والعباءة العربية التي تتدلى على أردنيه حيث كانت من قماش أبيض ولا يضع أي زخارف أو حلي : أنظر : فلبس، المصدر السابق، ص ٨٦ – ٩٠ .

٧٨ - المكون من ساعة يدوية أنيقة مطرزة بالماس، وساعة جدارية مصنوعة من الفضة وخنجر من الذهب، وغدارة ذات ماسورتين، ومسدسين صغيرين، ومنظار لأولاده

♦ Kaye; Op.Cit. p. 109.

♦ I, bid; p.p. 110.

٧٩ - للتفاصيل أنظر :

إلا أن لوريمر يبتعد عن الواقع ويجعلهم عشرة أشخاص : لوريمر، القسم التاريخي، جـ ٢ ص٦٧٣ .

٨٠ - لوريمر، القسم التاريخي، جـ ٢ ص ٦٧٢ . ولسون، المصدر السابق ص ٣٧٨ – ٣٧٩ .

٨١ - Aitchison, C.U. ; (Complied; A collection of treaties, Engagments and sanads relating to India and Neighbouring countries (Calcutta 1902). Vols ; AII. P.p.208 - 209.

♦أبو حاكمة، المصدر السابق، ص ١٠٠ – ١٠١ .

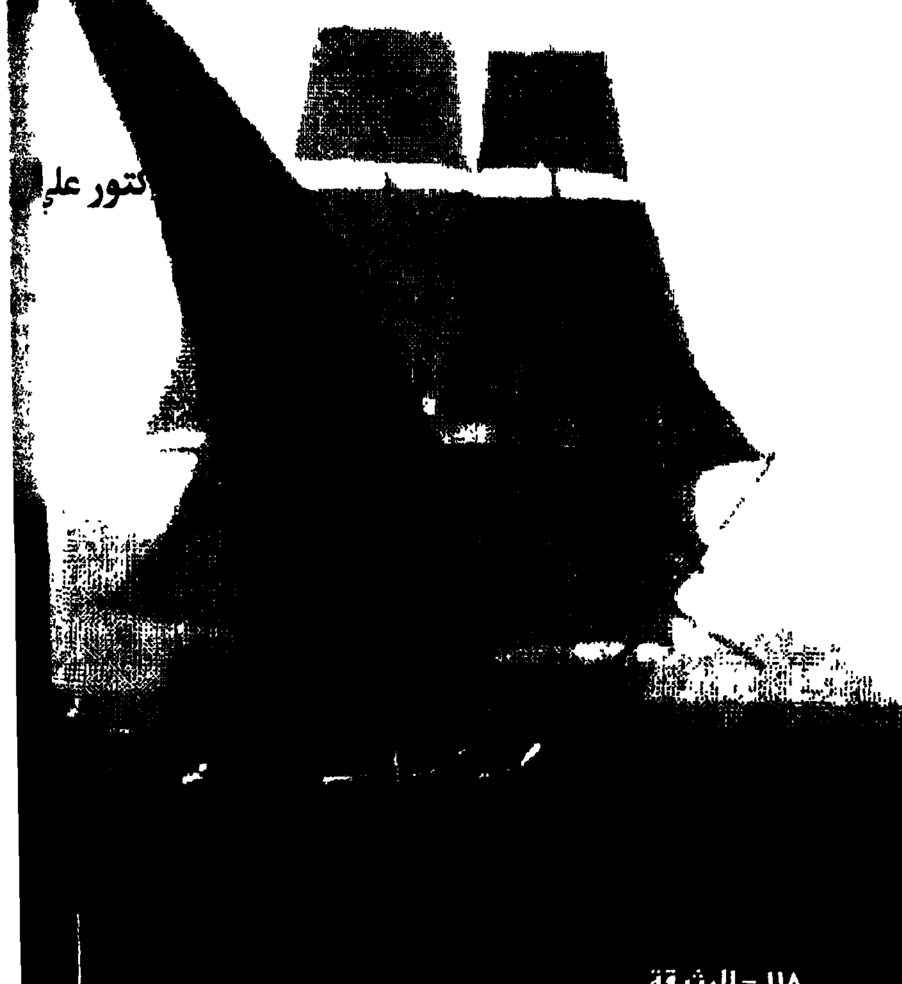
٨٢ - توفى (بوجيل) بعد وقت قصير بسبب مناخ مسقط الذي لم يكن ملائما لصحته، فحل محله (ديفيد سيتون) والذي عمل على إرســاء النفوذ البريطاني في عمان : لوريمر، القسم التاريخي، جـ ٢، ص ٦٧٢ – ٦٧٤ .

٨٣ - Kaye; Op.Cit. p. 106.

٨٤ - Roger M. ; Savory; The Gulf in Early Islamic Times, A.D. 1600 - - 1800, in the Gulf States, (London, 1980). P. 38.

فترة التنافس الأور

ونظرة المبعوثين الأوروبيين



كتور علي

١١٨ - الوثيقة

ين عامى ١٦٥٠-١٨٠٠

قوى العربية الفاعلة آنذاك[١]

استهل الدكتور سلوت بحثه القيم (بمقدمة حول (مصادر تاريخ عرب الخليج) كما ورد في أرشيفات وكتب الدول الأوروبية وتتضمن :

١ - بحوث وكتب الرحالة وما حوته من نصوصٍ وخرائط ورسوم وعددها أقل من خمسين كتاباً وبحثاً .

٢ - ما كتبه الموظفون الأوروبيون العاملون بشركات الهند الشرقية الهولندية والبريطانية وفي القنصليات الفرنسية .

٣ - مصادر (الكنيسة الكاثوليكية الرومانية) وهي (إضافة) يشكر عليها الأستاذ (سلوت) حين ذكرها وعلى الباحثين وطلاب العلم الإطلاع عليها لإضافة حقائق أو تصحيحها فلم يعد الاعتماد على الوثائق البرتغالية والإنجليزية والهولندية والفرنسية فحسب بل أضاف (وثائق الكنيسة الإيطالية) عن عرب الخليج .

٤ - أما (الوثائق العثمانية) فقد أشار إلى أنها تتحدث عن الأحـ
الهامة التي شهدتها الإمبراطورية العثمانية وحسب تقدير أورده
عام الأرشيف التركي في استنبول فإن أرشيفات الدولة تحوي
خمس عشرة مليون وثيقة عثمانية، ومنذ عام١٩٨٩م باشرت (الأ
العامة لمراكز الدراسات والوثائق في الخليج العربي والجزيرة العربـ
بمشروع موفق وهو البحث عن الوثائق العثمانية ذات الصلة بتـ
الخليج والجزيرة العربية وتصويرها ثم ترجمتها ترجمة موجزة)
تم الحصول على أكثر من أحد عشر ألف وثيقة وترجمتها تتحدث
تاريخ الخليج العربي والجزيرة العربية ولازال العمل جارياً يقو
مختصون في استنبول وتقوم الأمانة العامة بتصوير نسخ من هـ
الوثائق لتسليمها إلى المراكز الأعضاء في الخليج العربي والجز
العربية أولاً بأول . لذا يمكن القول بأن الوثائق العثمانية تتحدث
الأحداث الهامة التي شهدتها الإمبراطورية العثمانية وعن الأحـ
التي تلقي الضوء على تاريخ الخليج العربي والجزيرة العربية .

وحين ذكر (الوثائق) التي تملأ الخزانات قال أن ما يتعلق (بعرب الخليج) قليل جداً حتى أنها لا تكون ١٠٪ من عدد (الوثائق الهولندية) التي تعد (بعشرات الآلاف) وأن عدد الوثائق للقرنين السابع عشر والثامن عشر التي تحكي تاريخ الخليج والمتواجدة في الأرشيفات الأوروبية ودور الوثائق ضخمة جداً حيث توجد (عشرات الآلاف من الوثائق الهولندية) و (الآلاف من الوثائق الإنجليزية) و (مئات من الوثائق البرتغالية والفرنسية) لكن حجم المواد

ذات الاهتمام والصلة بتاريخ الخـ
قليل جداً وخاصة بخصوص الـ
الرسمية الهولندية التي رغم ضخا
حجماً تركز أساساً على تجارة الشـ
الهولندية ولا تغطي أكثر من ١٠٪
هذه المواد .

ثم يذكر الآلاف من (الوثـ
الإنجليزية) والمئات من (الوثـ
البرتغالية والفرنسية) وهذا القول يحـ
إلى مزيد من الدقة . فلو راجعنا مثلاً
ورد في كتاب (دور السجلات الهند
وما تصدره (أركايف أدشن) بين -

وآخر من صور الوثائق التي تملأ مجلدات وكذلك ما دونته(بنلوب توسون) في كشافها المنعوت بـ (سجلات المقيميات البريطانية والمعتمدين في الخليج) والمطبوع في لندن ١٩٧٩م لوجدنا أن الوثائق الإنجليزية تعد بأكثر من الآلاف وأن الأرشيف الهندي في بومباي فقط يضم ٨٩ ألف مجلد و٣٠٠ ألف إضبارة . ومثل ذلك الوثائق الفرنسية والبرتغالية . فهي أكثر من أن تعد بالمئات بل بالآلاف تلك التي تحكي تاريخ الخليج العربي .

وقد شهد الخليج العربي في العصر الحديث صراعاً سياسياً تمثل في تنافس القوى الأوروبية فيما بينها من جهة وبينها وبين القوى العربية المدافعة عن سيادتها وثروة بلادها ضد تلك القوى المتمثلة بالاستعمار البرتغالي ثم البريطاني والهولندي والفرنسي . ولم تستفد القوى العربية من التنافس الأوروبي لضرب بعض الدول المتنافسة بالبعض الآخر . ومما ساعد على تدخل القوى الأوروبية في الخليج العربي عوامل كثيرة منها :

ما أصاب الشعوب الإسلامية من صراع خاصة تلك التي تطل على الخليج العربي مما أفسح المجال للتدخل البرتغالي لبسط السيطرة على جزر وموانئ الخليج منذ القرن السادس عشر وما بعده حتى إذا ما ظهرت قبائل عربية امتلكت السفن وسيطرت على الملاحة والتجارة وصيد اللؤلؤ دب بينها الحسد لبعضها البعض فتصادموا فضعفوا مما هيأ الفرصة للقوى الأوروبية أن تجد لها مكاناً مناسباً في الخليج[٢] كما أن رد الفعل (للقوى العربية) في الخليج لم يكن قد خطط له سياسياً وقلما يتعاون العرب مع بعضهم ضد الأجنبي .

وتعليقنا على ما ورد ذكره عن موقف دول الخليج العربية اتحادهم وتعاونهم ضد البرتغاليين فقد حدث في ٢١ نوفمبر ١٥٢١م حينما أرسل إمام مسقط رسله إلى (دبي) و (خورفكان) و (توام) و (ليوا) و (قلهات وصحار ومسقط) و (البحرين) واتفقوا على الثورة ضد البرتغال فتحررت مسقط من نفوذ هرمز .

وكذلك حدث في ٩٢٨هـ/١٥٢٢م أن عرب (هرمز) و(البحرين) و (مسقط وقريات وصحار) قاموا بثورة ضد البرتغاليين في وقت واحد وليلة واحدة حيث قامت تلك المناطق على حين غرة بالهجوم على

البرتغاليين براً وبحراً وقاتلوهم فقتلوا كثيراً منهم وشنق أهل البحرين القائد البرتغالي على شجرة إلا أن وصول المدد للبرتغاليين أحبط الهجوم فسيطر البرتغاليون على الموقف[٣] ثم قام الإمام (ناصر بن مرشد)[٤] بتوحيد المدن الداخلية والساحلية في عمان ثم أرسل رسله إلى (صحار وقريات وشناص) و (خورفكان) و (دبي) و (ليوا) و (البحرين) كما أرسل رسوله إلى الوالي العثماني (بالبصرة) يعلمه على اتفاق المسلمين ضد البرتغاليين . أرسل إلى الساحل الفارسي لإطلاع (القبائل العربية) هناك عن الدولة الجديدة فأبلغ الرسول عرب (هرمز وشيراز وبندر عباس ولنجة وبوشهر وكونك) وإلى القرين (الكويت) أبلغ الجميع بمقاطعة السفن البرتغالية فتجاوب الجميع لنداء الإمام العماني وأيدت (القبائل العربية) في الساحل الفارسي لمناصرة عمان في الثورة ضد البرتغال، وفي ١٠٥٠هـ/١٦٤١م أرسل إمام عمان رسله إلى (القرين) و (البحرين) و (قطر) و(جلفار) و (دبي) و (ليوا) فاتته خمس سفن تحمل المقاتلين من نفس منطقتها مع خمسمائة ألف محمدية[٥] كما جاءت أربع سفن تحمل المدد من القمح والأرز والتمر من (القرين) وأخرى من (البحرين) وثالثة من شمال عمان (الإمارات العربية المتحدة وقطر) وسفينة رابعة جمع تكاليفها (عرب جزيرة خارج) ولقد أصر العرب على تضامنهم بأن يحاربوا مع أهل عمان ضد الأجنبي البرتغالي الدخيل لأنهم اعتبروا القضية قضيتهم وقالوا لا نعتمد على الأجانب في طرد الأجانب من خليجنا العربي . وبنى العمانيون خمس سفن في الهند وعليها المدافع والبحارة المدربين ووقعت المعركة فانتصر عرب الخليج وعقدت اتفاقية وبموجبها دفع البرتغاليون الجزية بانتظام لإمام عمان وسلموا مراكزهم الرئيسية وكافة تحصيناتهم للإمام وأطلق على إحدى السفن العربية اسم (الجلندي) ابن المستكبر أحد أئمة عمان الذي أنقذ سوقطرة من عدوان الروم، وسموا السفينة الثانية (جلفار) رأس الخيمة لتذكر الناس بإحراق البرتغاليين لها وسميت الثالثة (الرستاق) من مدن عمان، والرابعة (شاهين) تذكيراً بتلك السفينة الرائدة في التحذير من خطر البرتغال .

جدير بالذكر فإن (القرين) وهو موضع الكويت الحالي والتي هي جزيرة صغيرة تقع في الشويخ أحد موانئ الكويت كيف أن جزيرة صغيرة تمكنت أن تجمع مالاً وترسل سفينة محملة بالمقاتلين فلابد أن القرين يسكنها جمع غفير من الناس في الفترة التي يتحدث عنها الأستاذ (عبد الله محمد الطائي) حوالي عام ١٠٥٠هـ/١٦٤١م .وأن هذه الرواية لم نعثر عليها فيما اطلعنا عليه من مصادر تاريخ الخليج العربي وهي تحتاج إلى مزيد من التحقيق التاريخي . وخلف الإمام ناصر بن مرشد الإمام (سلطان بن سيف اليعربي) الذي حرر مسقط والبلاد العمانية في عام ١٦٥٠م وعاد إلى (نزوى) ليستقبل المهنئين وعلم أن سفينة عربية يرتفع عليها شراع أبيض كبير قدمت من البصرة تحمل عرباً مهنئين من (قرين) و (كاظمة) و(البحرين) ومن (القبائل العربية ساحل فارس) ومن (قطر) و (دبي) و (خورفكان) و (جلفار) وقد كتب على شراعها : (واعتصموا بحبل الله جميعاً) وكتب أدنى من ذلك : (عرب البحر العربي يهنئون عمان بانتصارها على البرتغال) فعاد السلطان بن سيف إلى مسقط ليستقبل المهنئين العرب وعسى أن يبقى هذا المفهوم في بحرنا وخليجنا العربى فيمتد إلى الأحفاد على مر السنين(٦) .

وأورد الأستاذ (سلوت) في (ص١٤) من بحثه القيم إشارة مستقاة من وثيقة لقديس كاثوليكي في عمان محفوظة في أرشيفات روما لعام ١٦٥٠م حين احتل العرب مسقط على حد قوله دون تفصيل لذلك ومن هنا لابد من البحث عن الوثائق المحفوظة في أرشيفات روما حول ما يلقي الضوء على تاريخ الخليج عامة واتحاد الموانئ العربية في الخليج ضد البرتغاليين عام ١٦٤١م . وقد أشار الدكتور صادق الحلو إلى وثيقة من وثائق وزارة الخارجية الفرنسية لمجهول تحت عنوان (تفصيل العلاقات بين فرنسا وفارس بين عامي ١٦٠٥ – ١٧٢٤م) ذكر فيها طرد البرتغاليين من مسقط على يد أحد القادة العرب . ويستطرد فيقول ولكن كاتب الوثيقة يخطئ في التاريخ فيحدده بعام ١٦٤٩م. وتشير هذه الوثيقة إلى أن السيادة في الخليج بعد هذا التاريخ أصبحت للعرب(٧) . لا أدري لماذا ذكر أن كاتب الوثيقة أخطأ في هذا التاريخ الذي يكاد

طبق مع ما أورده الأستاذ عبد الله
طائي وأن السيادة بعد هذا العام في
خليج أصبحت للعرب كما أنه لم يذكر
، القائد الذي طرد البرتغاليين ربما أن
احث لم يترجم الوثيقة كاملة ولذا
د من الرجوع إليها وقد يكون فيها
يد من التفاصيل . كما أن (هوارت)
اول في كتابه (تاريخ العرب) دور
اصر بن مرشد) في طرد البرتغاليين
ـه نجح في حصرهم في قلاع صحار
سقط ومطرح وقريات وأكمل ابن عمه
ـلطان بن سيف) التحرير وقد أكد
بفرواير دنيس دو ابريك) بيان أن
اقطة أخرجوا البرتغاليين من مسقط
حدود ١٦٤٨م بانتصار هائل كما
اه (هوارت) حيث فتح الطريق أمام
لطان بن سيف) خليفة الإمام (ناصر
مرشد) في التحرير[٨] .

وأورد الأستاذ (سلوت) في (ص١٢)
بحثه وصفاً عن هزيمة البرتغاليين
ن هرمز بتحالف الإنجليز مع
يرانيين عام ١٦٢٢م وذكر ذلك عن
ـالة إيطالي هو (بترو دي لافالي) الذي
ن في إيران معاصراً للأحداث ويتضمن
ـثه معلومات شيقة عن (مقاومة العرب
للبرتغاليين) خاصة في (دبا) . وهذا مـ
يؤكد ما أورده الأستاذ الطائي .

وهناك تعليق على ما ذكره الأستاذ (سلوت) في (ص١٤) وهو يشير إلى الاتفاقية التي ناقشها (الشيخ القاسمي) ككبير للمفاوضين والتي فشلت وكأنها لم تكن واستمرت الحرب فحرر العرب مسقط في أواخر عام ١٦٥٠م ولدينا ثبوت مباشر لهذا الحادث لقديس كاثوليكي في عمان . وهذه الوثيقة محفوظة في أرشيفات روما .

وفي اعتقادنا أن هذه الوثيقة قد تكشف صحة ما ذكره الطائي من اتحاد العرب في الخليج ضد البرتغاليين لذا فقد البرتغاليون مسقط وهي آخر مواقعهم لإمام عمان وبهذا الاندحار لم يعد البرتغاليون منافسين خطرين في أي حقل من حقول التجارة الخارجية[٩] .

وأعود ثانية فأقول لم يذكر (الدكتور العابد) وهو يكتب عن القواسم ولا السيابي عن (الشيخ القاسمي) في هذه الفترة عام ١٦٥٠م إذ أن المعروف بأن نشاط القواسم وهم من القبائل العربية القاطنين بين رأس مسندم إلى أبوظبي حدث خلال (النصف الثاني من القرن الثامن عشر والعقدين الأول والثاني مـ

القرن التاسع عشر) ولم نعثر عليه في (منتصف القرن السابع عشر ١٦٥٠م)[١٠] .

ثم يذكر الأستاذ (سلوت) (ص١٢) (الشيخ القاسمي) الذي ذكره (روي فرير أندريد) ببحث تحت عنوان تعليقات روي فرير عام ١٦٤٣م والتي نشرها (لوسيانو كورديرو) و (باندور نجاسر لنكر) اللذان وصفا التحصينات التي أنشأها (روي فرير) والتي يمكن مراجعتها في (ليفرو دي استادو) . ويستطرد الباحث بقوله : ولأول مرة يذكر (الشيخ القاسمي) في مصدر أوروبي . ولازالت المصادر العربية والإنجليزية المعروفة لدينا تحدد ظهور القواسم سياسياً وعسكرياً في حوالي منتصف القرن الثامن عشر وليس قبل مائة عام وربما أن وثائق إيطالية أو هولندية تكشف عما أورده الباحث .

أما الاتفاقية التي أورد ذكرها الباحث وناقشها (القاسمي) ربما أنه يعني أن (الإمام ناصر بن مرشد) ناقشها وليس (القاسمي) لأن نشاط القواسم حدث بعد هذا التاريخ .

وعود على بدء فإن موقف (الفرس) المناوئ للعرب قد أضعفهما معاً رغم أن الفرس قد عقدوا اتفاقيات مع الأوروبيين ضد سكان السواحل العربية كاتفاقهم مع البرتغاليين ضد العثمانيين المسلمين ومع الإنجليز ضد البرتغاليين وبذلك مهدوا السبيل للسيطرة الاقتصادية ثم السياسية للإنجليز في الخليج خاصة بعد أن دحرت بريطانيا فرنسا في حرب السبع سنوات عام ١٧٦٣م وانفتح المجال لتصفية القوى العربية في الخليج العربي .

وأخيراً فإن ظهور الشركات الأوروبية (كشركة الهند الشرقية الإنجليزية) و (شركة الهند الشرقية الهولندية) وبدء التنافس الاقتصادي بينها من العوامل التي أدت إلى فرض السيطرة على عرب الخليج ففي عام ١٦٠٠م طلب بعض التجار الإنجليز من الملكة اليزابيث الموافقة على القيام بالتجارة في الشرق فصدر مرسوم عام ١٦٠٠م بتأسيس شركة الهند الشرقية لتجارة التوابل ثم بقية السلع الأخرى وبعد فترة قصيرة أصبح للشركة أسطول بحري فاتجهت صوب الخليج العربي لمزاولة عملها بعد موافقة شاه فارس عام ١٦١٥م وأصبح للشركة وكلاء[١١] . ولابد من ذكر دور (الجواسيس والمغامرين)

الذين كشفوا الطريق للأوروبيين ورسموا الخرائط للخليج العربي وأن أول كشف للبرتغاليين سبق التدخل المسلح حين أوفد (بيدرو) شقيق (هنري الملاح) هذا إلى البلاط العثماني وبعثة أخرى إلى البلاط الفارسي لاستجلاء الأمور . كما أرسل ملك البرتغال (دون جوا الثاني) بعثات برتغالية متعددة في صدد البحث عن بلاد التوابل ومن هؤلاء (دي كوافيلو) و(إبراهيم البيجاوي) الذي أوفد إلى كل من بلاد فارس والدولة العثمانية . وأغلب الظن أن بعض (اليهود) في شبه جزيرة إيبيريه قد لعبوا دوراً في نطاق هذه البعثات الاستطلاعية مستغلين فرصة الخلاف التاريخي بين الدولة العثمانية وبلاد فارس وبذلك خطط الغربيون خططهم لجذب فارس إلى صف الغرب في صراع محتمل مع المسلمين في الشرق بما فيهم العثمانيون والعرب وأن التفاهم الذي حدث بين البرتغاليين والفرس إنما هو نتيجة مساع سابقة أدت إلى الحلف الصفوي البرتغالي ضد العثمانيين والعرب خاصة والمسلمين بصورة عامة وبعد أن تضاربت المصالح بين الفرس والبرتغال احتل البرتغاليون هرمز التي كانت ترتبط بروابط مع فارس ثم بدأت سيطرة البرتغاليين على بعض موانئ الخليج[١٢] ومن المغامرين والجواسيس والرحالة الذين قاموا برحلات إلى الشرق منذ عام ١٥٨٣م (رالف فيتش) و (جون نيوبرس) وهما تاجران و (وليم دبدن) الذي يعمل بتجارة الجواهر و (جيمس ستوري) وهو رسام وهؤلاء رحلوا إلى البصرة ومنها عبر الموانئ في الخليج العربي حتى وصلوا إلى هرمز فاعتُقِلوا على يد البرتغاليين على أنهم جواسيس وسجنوا ولكنهم قدموا تقارير عن سكان الخليج المناوئين للحكم البرتغالي وبذلك مهدوا لدخول الإنجليز ليحلوا محلهم وبدأت رحلات الشركة . كما أن الإنجليز شجعوا القرصنة ومن المؤكد أن الملكة اليزابث الأولى عينت (دريك) أميراً لقراصنة البحار ومثله (هوكنز) الذين يقطعون الطرق على السفن العائدة من أمريكا بعد اكتشافها[١٣] .

وعلى نطاق الدول فإن البرتغاليين والإنجليز والهولنديين والفرنسيين هم القراصنة حين جاءوا من بلادهم إلى الخليج العربي .

ولم تقتصر أعمال (شركة الهند الشرقية الإنجليزية) على التبادل التجاري فحسب بل تعدتها إلى نشاط

سياسي وعسكري فقد ساندت الفرس ضد البرتغاليين مقابل نصف عائدات ميناء (جمبرون) أو (بندر عباس) وهناك تأسس فرع للشركة ثم فرع آخر في البصرة عام ١٦٣٥م وما لبثت أن اتحدت الشركات البريطانية عام ١٧٠٨م وأطلق عليها اسم شركة الهند الشرقية الإنجليزية حتى بدأت قوى (هولندية) بالمنافسة لها ولكن الإنجليز هزموها في ١٧٥٩م بالقرب من (جينسورا) وبذلك تفوقت شركة الهند الشرقية الإنجليزية التي بدأت أهدافها الاقتصادية تتحول لأهداف سياسية فاجتاحت القوى الهولندية ثم الفرنسية .

ومما ساعد على تحقيق أهدافها سقوط الأسرة الصفوية على أثر غزو الأفغان لإيران إذ لم تستطع بلاد فارس مقاومة الدول الأجنبية ولكن الشركة انسحبت من (بندر عباس) إلى (البصرة) لتجعلها مركزاً للشركة ثم إلى (الكويت) ثم لتعود إلى (البصرة) وفي هذه الفترة أصبحت للشركة قوة عسكرية بحرية تقاوم بها المناوئين لها من شيوخ وشعوب الخليج باسم مكافحة القرصنة أو تجارة الرقيق وما يضمن لمصالحها الاستعمارية التوسع والاستقرار بينما وقف شيوخ وشعوب الخليج موقف المجاهدين المدافعين عن بلادهم وثرواتها .

وفي الوقت نفسه فقد واجهت الشركة ضغوطاً من التجار والضباط المساهمين والمشرفين على الشركة فتدخلت الحكومة بتشكيل مجلس المندوبين للسيطرة عليها فاستعادت نشاطها بعد عام ١٧٨٤م لتخلف لنا آلاف الوثائق عن الخليج العربي منها : تحت عنوان **I.O.R.G. 29** ومذكرات ويوميات ومراسلات تمتد من ١٧٠٨ - ١٧٦٣م .

وكان الخلاف الذي حدث بين القواسم وحكام عمان قد أضعف كلا من الجانبين ولكنه تحول فيما بعد إلى اصطدام بين القواسم والإنجليز في النصف الثاني من القرن الثامن عشر بالتعاون مع العمانيين والتقرب من (السلفيين) الذين تربطهم مع (القواسم) علاقة يمليها عليهم الوازع الديني ضد الأجانب من الأوروبيين وحلفائهم من الفرس . ولابد من وقفة حول ما يدعيه البعض عن (الوهابيين) فإن ذلك خطأ تاريخي صححه الدكتور محمد بن سعد الشويعر بعد أن حقق في كثير من المصادر

ودلل على أن المقصود (بالوهابية هو لرستمية الخارجية) التي انتشرت في شمال أفريقيا منذ القرن الثاني الهجري على يد (عبد الوهاب بن عبد الرحمن ن رستم) وهو فارسي الأصل فنسبت ليه وهي فرقة من فرق الخوارج التي سسها (عبد الله بن وهب الراسبي) لمتوفي عام ٣٨هـ - ٦٥٨م والذي قتل في معركة النهروان لأنه خرج على الإمام علي رضي الله عنه بعد التحكيم أو قد تكون منسوبة إلى آخر . ولقد ظهر (عبد لوهاب بن عبد الرحمن بن رستم) في مدينة تاهرت ببلاد المغرب حيث أن والده قد أسس الدولة الرستمية في تاهرت بالمغرب فبويع ابنه عبد الوهاب ١٧١هـ ونسبت له فرقة الوهابية لخارجية وأسس الدولة الرستمية في شمال أفريقيا وتوفى عام ٢١١هـ والتي قضى عليها الفاطميون في القرن الثالث لهجري وذلك عام ٢٩٦هـ . أما الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة لسلفية التصحيحية في نجد المولود بالعيينة عام ١١١٥هـ فقد بدأ الدعوة مع لإمام محمد بن سعود في الدرعية منذ عام ١١٥٨هـ ولما كانت معتقدات لرستميين الذين أطلقوا عليها الوهابية وهي تخالف أهل السنة والجماعة وما ثبت في الأحاديث الصحيحة فكانت ممقوتة من أهل المغرب والمشرق . فقد استغل المستعمرون أعداء الإسلام خاصة الأجانب تسميتها بالوهابية ونسبوها للشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة الإصلاحية . وهي سابقة لها بنحو عشرة قرون لذا وجب التصحيح(١٤) .

أما (شركة الهند الشرقية الهولندية) فقد انسحبت من (بندر عباس) إلى (خارج) في النصف الثاني من القرن الثامن عشر رغم مساعداتهم (لنادر شاه) في حربه ضد العمانيين الثائرين إلا أن الهولنديين لم ينجحوا فانسحبوا إلى (خارج) منذ عام ١٧٥٤م وكانت للهولنديين في هذه الفترة علاقات ودية مع العتوب ولابد من ذكر نص أورده الأستاذ (سلوت) وفيه :

(لقد جاء في تقرير هولندي لعام ١٧٥٦م أن مبارك بن صباح الأول ومحمد بن خليفة هما من أهم شيوخ العتوب ورغم أن مبارك كان ينتمي إلى عائلة أكثر (عراقة) وأهم مكانة من نظيره إلا أنه كان حديث السن وفقيراً نسبيا مما جعل محمد بن خليفة الذي كان غنياً ويمتلك عدة مراكب يحظى بسلطة

موازية له) . ويستطرد الأستاذ (سلوت) يقوله : (وفي هذا التقرير عنصران مهمان يتمثل أولهما بآل خليفة الذين يتعاملون بالملاحة ولقد ورد في مصدر إنجليزي معاصر أن ثراءهم قد جعلهم يحظون بعد عشرين سنة ولو مؤقتاً بمنصب شيخ الكويت الرئيسي)[١٥] ولدى الرجوع إلى الأصل الإنجليزي للأستاذ (سلوت) في ص٣٥١ ثم ترجمة ما ورد فيه عن هذا النص في ص٣٤١ وجدنا أن الترجمة ينبغي أن تكون كما يأتي : إن الشيخ مبارك بن صباح ينتمي إلى عائلة ذات (اعتبار واحترام) أي (More prestigious family) وليس كما ترجمت بأن العائلة أكثر (عراقة) فإن العراقة في الإنجليزية هي (Ancient) أو Original antecedent) وتعني أصيل في نسبه والأصالة أو عراقة الجذور (Original roots) أما (Prestigious family more) فتعني عائلة (أكثر اعتباراً واحتراماً وليس (أكثر عراقة) فكلمة (عرق) في اللغة : أصل والأعرق ذو العرق وذو الأصل فيقال هو أعرق منك[١٦] كما ورد في الأصل الإنجليزي أن هناك عنصران مهمان في هذا المرجع هما :

أولاً : وكما يبدو كان آل خليفة (فرعاً من القبيلة) اهتمت بالملاحة . وهذه الجملة لم ترد في النص العربي للأستاذ (سلوت) لأنها تناقض النص الأول فإذا كان آل خليفة فرعاً من القبيلة التي ينتمي إليها آل صباح لذا فليس أحدهما أكثر عراقة من الآخر

والملاحظة الثانية لما ورد للأستاذ (سلوت) للنص الإنجليزي وترجمته العربية : أن ثراء آل خليفة قد جعلهم يحظون بعد عشرين سنة ولو مؤقتاً بمنصب شيخ الكويت الرئيسي - أو ترجمة أخرى (أن ثروة آل خليفة بلغت مستوى بحيث أنهم بعد عشرين سنة تولوا مشيخة الكويت أو مكانة الشيخ الكبير للكويت ولو مؤقتاً) . وقد أشار للمصدر برقم (٨٤) ولدى رجوعنا إلى قائمة المراجع في ص٤٤٣ من الترجمة وجدنا أنه يشير إلى المجلد ٢٠٣ من EBD (يوميات البصرة الإنجليزية - English Basrah Diaries) فطلبنا خطياً إرسال صورة للوثيقة التي اعتمدها فأخبرنا مشكوراً أنه اطلع عليها على ميكروفيلم محفوظ لدى سمو الشيخ سلطان بن محمد القاسمي في الشارقة وأن الفيلم رديء وأشك - والقول

للأستاذ سلوت - فيما إذا ما أمكن تصوير الوثيقة بصورة مقروءة . ويستطرد بقوله : ويمكنك أن تتصل بالأرشيفات الرسمية في بومباي وتطلب منها تصوير الصفحة المطلوبة أو المجلد كله[١٧] .

واستهل الباحث (في ص٧) وتحت عنوان (صورة للخلفية الاقتصادية) قوله : (إن القصد من التواجد الأوروبي هو التجارة) ثم تكررت ثانية في ص٨ بقوله (بأن معظم الوثائق الواردة من الأوروبيين المتواجدين في الخليج قد تناولت النشاط التجاري بشكل أو بآخر) .

وفي (ص٩) من البحث (كانت نقطة التركيز في سياسة هولندا في الخليج مجرد التجارة وكسب الأموال وكان الشريك التجاري الرئيسي إيران وأما بواسطة تقديم الحوافز أو بممارسة الضغط السياسي أو العسكري حاولت هولندا الحصول على أحسن ظروف تجارية لها . ولما برزت مصلحة هولندية تجارية متقطعة مع البصرة العثمانية استمرت نفس السياسة نحو الحكومة العثمانية هناك وتقدم (نيفهاوزن) وهو من كبار الموظفين لشركة الهند الشرقية الهولندية بنظريات حديثة حول التجارة الحرة فأقام مركزاً عسكرياً قوياً على جزيرة (خارج) كي يجعلها ميناءً حراً لجميع الجنسيات التي مارست التجارة في الخليج وقد فشلت هذه التجربة) .

و (التعليق) على ذلك قد أورده الباحث في قوله : حين قدم (نيفهاوزن) نفسه بالاشتراك مع (جان فاندر هلست) مشروعاً (لفتح البحرين) مؤرخ في ١ نوفمبر ١٧٥٤م وجاء في تقريرهما وصف للبحرين وحاكمها أخ الشيخ نصر آل مذكور الذي يملك سفينتين من سفن نادر شاه ولديه حرس مكون من نحو خمسين شخصاً ولا يتجاوز عدد جنوده مائة شخص ويستطرد كاتب التقرير الهولندي وهو مدير شركة الهند الشرقية الهولندية بقوله : فإذا أرسلتم سفينة أخرى وعلى متنها ٢٠٠ ملاح وحوالي ١٥٠ جندياً مع الذخائر فيمكن (فتح البحرين) دون مشقة أو ضحايا . ولقد عرض التقرير على المدير العام وبعد أن تم دراسة مناخ البحرين وعوائدها كمصايد اللؤلؤ فيها وسكانها الذين لا يحبون الحرب ويحبون السلام وأخيراً بعدها عن هولندا فقررت هولندا عدم المغامرة خاصة وأن الدول المجاورة والأوروبية لن يؤيدوا احتلال هولندا للبحرين[١٨] .

وعلى ضوء ذلك فإن هولندا خططت لاحتلال البحرين لكنها عدلت عن خطتها وهذا يدل على أن لها مطامع (سياسية وعسكرية) وليست (تجارية بحتة) وهذا هو شأن الدول الأوروبية الأخرى .

ويستطرد الباحث في ص٩ بقوله (كانت لسياسة بريطانيا نفس الأهداف لسياسة هولندا مع أنه كانت تسودها بعض الخلافات وقبل الستينات من القرن الثامن عشر كانت القوة العسكرية البريطانية في الخليج أقل من قوات هولندا) هذه الفقرة تناقض سابقتها وهي أن سياسة هولندا وبريطانيا مجرد التجارة .

وفي الصفحة العاشرة يذكر الباحث أن الرحالة الإيطالى البندقي (جاسبارو بالي عام ١٥٨٠م) قدم شرحاً تفصيلياً لأساليب الملاحة العربية وصيد اللؤلؤ حين وصف هرمز ووضعها في الخليج العربي ويذكر هذا الكتاب لأول مرة اسم (دبي) .

و (**التعليق**) على ذلك فإن اسم (دبي) قديم في التاريخ .وفي ص١١ قوله : كان من بين (العناصر العربية) من يمارس (حرب العصابات) ضد البرتغاليين والهرمزيين الذين طالبوا بفرض سيطرتهم على التجارة عبر الخليج، ولقد أدى هذا إلى تحالف بين الملاحين العرب وبين الإيرانيين من جهة ضد البرتغاليين غير أنه لم يكن تحالفاً عربياً موحداً ضد البرتغاليين .

التعليق : لا أعلم كيف يمكن وصف (العناصر العربية) الذين يدافعون عن بلادهم ضد الأجانب الذين قدموا إليها من على بعد آلاف الأميال ليسيطروا على ديارهم ويبتزوا خيراتهم كيف يسمون حربهم وهم يدافعون لطرد الأجنبي (بحرب العصابات) . ألا يجدر أن يسميها بـ (حرب غير نظامية مشروعة) (Legal Irregular War). ثم يذكر أن تحالف عرب الخليج لم يكن تحالفاً موحداً ضد البرتغاليين فماذا نسمي إرسال المعونات العسكرية والأفراد الذين لبوا طلب إمام عمان ؟

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه ما أورده الباحث في ص١٢ وهو يصف طرد البرتغاليين عن هرمز بتحالف الإنجليز مع الإيرانيين في عام ١٦٢٢م ويقول (إن رواية الرحالة الهامة لهذه الفترة هي للرحالة الإيطالي (بيترو ديلا فالي) الذي كان في إيران عام ١٦٢٢م ويتضمن تأليفه

ومات مشوقة عن - مقاومة العرب
تغاليين - خاصة في دبا .

وذكر في (ص١٦) أن الرحالة
كولاس دي غراف) الجراح الهولندي
أول أوروبي ذكر في كتابه جزيرة
ب) وذلك خلال الفترة ١٦٧٢ -
١٦م فهل طنب لم تذكر قبل هذا
اريخ؟ الواقع التاريخي يحدثنا أن
يادة العربية على الجزر في الخليج
بي قديمة جداً وتعود إلى بدايات
جود العربي وكانت مملكة هرمز
بية المستقلة أو ما تسمى (بلاد
واحل والجزائر) تضم جزراً كثيرة
لكها سلطان هرمز العربي ومنها طنب
و موسى وغيرها[19] .

وورد في ص١٨ قوله : واشترى
رانيون بعض الجزر التي احتلها
انيون مقابل مبالغ ضخمة فما هي
، الجزر ؟ ومتى تم بيعها ويستطرد
شرة بقوله ومن النقاط المشوقة ذكر
ير هولندي بأن القبائل العربية
احل الإيراني أيدت العمانيين . في
أمر أيدت القبائل العربية العمانيين
ل في بيع بعض الجزر للإيرانيين أم
اذا كان تأييد القبائل العربية
مانيين ؟

أما فرنسا فقد أسست شركة الهند الشرقية الفرنسية عام ١٦٦٤م بعد ظهور الإنجليز والهولنديين ونشاطهم التجاري ثم السياسي والعسكري في الخليج العربي وإن كان للفرنسيين وجود في أواخر القرن السادس عشر ١٥٩٩م على الساحل الفارسي في عهد الشاه عباس الأول وما يصاحب ذلك من نشاط حركة البعثات التبشيرية منذ بداية القرن السابع عشر بالإضافة إلى الرحالة الفرنسيين وما دونوه من وصف للموانئ في الخليج والأحوال السياسية والاجتماعية فيها ومنهم (هوارت) في كتابه تاريخ العرب، و (رافائيل دومان) في كتابه حالة فارس في عام ١٦٦٠م و (مارتن فرانسوا) في مذكراته للخليج العربي في النصف الثاني من القرن السابع عشر والرحالة (كاريه) و(كوديرو) و(دوبريه) و(جيان) وغيرهم في مذكراتهم التي وصفوا فيها أحوال الخليج العربي ومهدوا للتدخل الفرنسي فنافسوا الإنجليز والهولنديين الذين سبقوهم مستخدمين الرحالة التجار أو المبشرين بثياب رجال الدين وأحياناً التدخل بحجة بناء محطات للماء أو الوقود لسفنهم حتى إذا ما تمكنوا أرسلوا البعثات الدبلوماسية[20] فأسست لها

مركزاً في (بندر عباس) ثم عينت لها قنصلاً في البصرة في نهاية القرن السابع عشر ١٦٩٨م عقدت فرنسا اتفاقية مع الدول الكبرى لحماية المنطقة مما يسمونه بالقرصنة وإن كانت تلك الاتفاقية إسمية .

وقد نشر (جين أوتر) القنصل الفرنسي بالبصرة في حوالي ١٧٤٠م كتاباً بعنوان (الأسفار في تركيا وإيران) وفيه أخبار عن (عرب الهوله ودورهم التاريخي في الخليج) ويرى البعض أنه أقدم من أورد إشارة في كتاب مطبوع في أوروبا عن العتوب والهولة الذين تمردوا على طهماسب خان .

ولولا أن بريطانيا دحرت نابليون لحققت فرنسا مخططاتها الاستراتيجية في الخليج العربي واتجهت فرنسا في آخر القرن التاسع عشر نحو مسقط وتعاظم نفوذها إلا أن بريطانيا حافظت على مصالحها في الخليج وقطعت على فرنسا أطماعها ومواصلاتها فاتجهت نحو شرق أفريقيا ويمكن تحديد الفترة بين ١٨٠٧ - ١٨١٠م لانحسار النفوذ الفرنسي عن الخليج العربي وتفوق بريطانيا اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً[٢١] .

وإليك ما ورد في ص٢٣ من البحث للأستاذ (سلوت) عن انسحاب هولندا من جزيرة خارج قوله : "كانت هناك خطط هولندية لتعبئة الجنود من العرب في الخليج لاستخدامهم (كمرتزقة Mercenaries) في آسيا لكنها لم تفلح تلك الخطط الهولندية . كما أن ميناء (خرج) لم يأت بعائدات كافية لتغطية مصاريف احتلال (خرج) فقررت السلطات العليا للشركة التخلي عن جزيرة (خرج) ولكن قبل تنفيذ هذا القرار ورط محافظ (خرج) نفسه في النزاعات المحلية ولم يستطع أن يحافظ على المصالح التجارية إلا بواسطة التحالف مع الإيرانيين وأن رئيس (قبيلة زعب مير مهنا) الذي كان يحارب الإيرانيين قد احتل (جزيرة خرج) وكانت معاملته بصفة عامة مع الهولنديين حسنة فقد سمح لهم بالانصراف إلى بوشهر بدون عائق . وقد وصل خبر سقوط (خرج) في عام ١٧٦٧م إلى القنصل الهولندي في حلب عن طريق الرحالة الدينمركي (كارستن نيبور) والذي زارها وسمع معلومات عنها وطبع كتابة عام ١٧٧٢م .

وتعليقنا على ذلك : إن الهولنديين
تأجروا جزيرة (خرج أو خارج) من
مير (ناصر آل صعب) حاكم ميناء
يك) أو (بندريج) فاستقر فيها
نيفاوزن) مدير شركة الهند الشرقية
هولندية ومعه سفينتان وخمسون جندياً
نى فيها قلعة واستقدم ثمانين عائلة
ينية للاستيطان فيها لإنهاء عروبتها
د إبعاد العرب منها ثم رفض دفع
رة الجزيرة للأمير ناصر آل صعب
خاف الإنجليز من توسع نفوذ
هولنديين ففاوضوا الأمير ناصر على
امة مركز لهم في بندر (ريك) فوافق
مير لكن الأمير مهنا بن ناصر آل
عب) رفض الوجود الأجنبي سواء كان
ولندياً أو إنجليزياً أو فارسياً فقام
حركة مناهضة في أواخر عام ١٧٥٤م إذ
ل مهنا والده ناصر وبعض أعوانه
سلم الحكم فصمم الهولنديون والإنجليز
الفرس على إزالته فحرك الهولنديون
الفرس أخاه حسين بن ناصر فنحي
مهنا) في بداية عام ١٧٥٥م وسجنه ثم
امت حركة مؤيدة (لمهنا) فقتل فيها
أمير حسين آل صعب وعاد (مهنا)
تولي الإمارة فغادرت الوكالة البريطانية
خرج) إلى بندر عباس وبعد أن تخلص
ن الإنجليز اتجه إلى الهولنديين
فطالبهم بدفع أجرة الجزيرة وانتهت الأزمة إلى صلح عام ١٧٦٥م، إلا أن تحالف (الفرس مع الهولنديين) أدى إلى حرب ضد (الأمير مهنا) انتهت بانتصاره وقتل ٧٠ هولندياً ومائتي فارسي ورحل الهولنديون من جزيرة (خارج) بعد استسلامهم ١٧٦٥م وليس ١٧٦٧م كما أشار الأستاذ سلوت نقلاً عن نيبور. وكانت نهاية الأمير مهنا أن حاصره (الإنجليز بتحالفهم مع الفرس) لمدة شهر وصمموا على (تجويع) سكان خرج حتى استسلموا وفر الأمير مهنا إلى الكويت ثم البصرة فأعدمه الوالي العثماني في مارس ١٧٦٩م . وقد حيكت أساطير والأساطير في اللغة أباطيل لا دليل لها تاريخياً تقول : أن سبب ثورة (الأمير مهنا) على والده والتي أدت إلى مقتل الوالد هو أن الأمير ناصر والد مهنا قد أهدى إلى (كنيفهاوزن) مدير شركة الهند الشرقية الهولندية جارية كان ابنه مهنا يحبها مما أثار غضب مهنا فقتل والده وطرد الهولنديين. إن هذه الأسطورة واهية في التاريخ إذ أن الأسباب الشخصية التافهة تذوب أمام الأسباب السياسية الكبيرة فإن الأمير مهنا كان رجلاً شهماً وكريماً حارب النفوذ الأجنبي عن بلاده وقد قال عنه (أرنولد ويلسن) : هكذا

نتهت حياة أجرأ (إنسان) في الخليج العربي[٢٢] .

لقد قدم الدكتور سلوت بحثاً قيماً لما فيه من إضافات موثقة وإن ملاحظاتنا هذه والتي تقبلها الدكتور مشكوراً برحابة صدر مما يدل على رغبته الصادقة في الوصول إلى الحقيقة التاريخية والله يوفق الجميع لخدمة البحث والباحثين وطلاب العلم .

خلاصة التعليقات

كتب في الصفحة الأولى من بحث (الدكتور سلوت) يقول :

إن عدد المطبوعات المعاصرة للرحالة الأوروبيين قليل جداً – أقل من ٥٠ – لكن الوثائق للقرنين السابع عشر والثامن عشر حول الخليج المتواجدة في الأرشيفات الأوروبية ودور الوثائق ضخمة جداً وتوجد عشرات الآلاف من الوثائق الهولندية والآلاف من الوثائق الإنجليزية ومئات من الوثائق البرتغالية والفرنسية لكن حجم المواد ذات اهتمامنا وذات صلة بالخليج قليل جداً وخاصة بخصوص المواد الرسمية الهولندية التي رغم ضخامتها حجماً تركز أساساً على تجارة الشركة الهولندية ولا تغطي أكثر من ١٠٪ من هذه المواد أموراً أخرى[٢٣] .

والتعليق على ما ورد أعلاه في الصفحة الأولى من البحث :

لاشك أن كتب الرحالة (الأوروبيين) التي كتبت عن الخليج العربي أكثر من خمسين وقد ختمنا بحثنا بأسماء بعضهم وعناوين كتبهم أو بحوثهم في الصفحات التالية من بحثنا هذا تحت عنوان (ومن كتب الرحالة) .

ثم يذكر الآلاف من الوثائق الإنجليزية والمئات من الوثائق البرتغالية والفرنسية وهذا يحتاج إلى دقة أكثر . فلو راجعنا ما ورد في كتاب (دور السجلات الهندية) وما تصدره (أركايف أدشن) بين حين وآخر من صور الوثائق التي تملأ مجلدات وكذلك ما دونته (بنلوب توسون) في كشافها المنعوت بـ (سجلات المقيميات البريطانية والمعتمدين في الخليج) والمطبوع في لندن عام ١٩٧٩م لوجدنا أن الوثائق الإنجليزية تعد بأكثر من

الآلاف وأن الأرشيف الهندي في بومباي فقط يضم ٨٩ ألف مجلد و٣٠٠ ألـف إضبارة ومثل ذلك الوثائق الفرنسية والبرتغالية .

وورد في ص٦ من البحث . أسلوب المورفولوجي وفسرها بأنها تعـني (معرفـة أنـواع الوثـائق وأسـهل المصـادر هـي قصـص الأسـفار المطبوعـة أو المكتوبـة بخـط اليد لكافـة الجنسيات .

والتعليق هو :

(أسلوب المورفولوجي Morphological Way) في القاموس أن المورفولوجي هو (فرع من علم الأحياء يبحث في شكل الحيوانات والنباتات وبيئتها كما تعني : دراسة في بيئة شيء أو شكله . لا معرفة أنواع الوثائق[٢٤] .

ثم قوله :تفتقر الوثائق العثمانية إلى معلومات عـن الخليـج وأن سـرد الأحـداث في المصادر العثمانية أيضاً تركز على الأحداث الهامة التي شهدتـها الإمبراطوريـة العثمانيـة وعلى كل قد جاء وصف لبعض الوثائق العثمانية . **وتعليقنا** على ذلك فإن ما كتب عـن دول الخليج العربي في الوثائق العثمانية يضم الآلاف منـها ولـدى الأمانـة العامـة لمراكز الدراسات والوثائق في الخليج العربي والجزيرة العربية أكثر من أحـد عشـر ألـف وثيقة تحكي تاريخ المنطقة .

ونوع آخر هو يوميات كتبتها المؤسسـات الهولنديـة في بنـدر عبـاس والبصـرة حـول الأحداث المحلية . وأنها تغطي فترة قصيرة . ومن نوع مماثل يوجد سرد لأحداث كهنة الكرمل في البصرة . وقد أعد الهولنديون نصوصاً وصفية وتقارير كاملة رسمية عن خلفيـة مصالحـهم في الخليج وهي من أهم المصادر الأوروبية[٢٥] .

واستهل الباحث في (ص٧) وتحت عنوان (صورة للخلفية الاقتصاديـة) قولـه : (إن القصد من التواجد الأوروبي هو التجارة) ثم تكـررت ثانيـة في (ص٨) بقولـه (بـأن معظم الوثائق الواردة من الأوروبيين المتواجدين في الخليج قد تناولت النشاط التجاري بشكل أو بآخر) .

وفي (ص٩) من البحث كـانت نقطـة الـتركيز في سياسـة هولنـدا في الخليـج جر التجارة وكسب الأموال وكان الشريك التجاري الرئيسي إيران إما بواسطة تقديم الـ وافز

أو بممارسة الضغط السياسي أو العسكري حاولت هولندا الحصول على أحسن ظروف تجارية لها)[٢٦] .

والتعليق على ذلك أورده الباحث في قوله : حين قدم (نيفاوزن) نفسه بالاشتراك مع (جان فاندر هلست) مشروعاً لفتح (البحرين) مؤرخ في ١ نوفمبر ١٧٥٤م وجاء في تقريرهما وصف للبحرين وحاكمها أخ الشيخ نصر آل مذكور الذي يملك سفينتين من سفن نادر شاه ولديه حرس مكون من نحو خمسين شخصاً ولا يتجاوز عدد جنوده مائة شخص . ويستطرد كاتب التقرير الهولندي وهو مدير شركة الهند الشرقية الهولندية بقوله : فإذا أرسلتم سفينة أخرى وعلى متنها مائتي ملاح وحوالي ١٥٠ جندياً مع الذخائر فيمكن (فتح البحرين) دون مشقة أو ضحايا .

وتعليقنا على ضوء ذلك فإن هولندا خططت لاحتلال البحرين لكنها عدلت عن خطتها وهذا يدل على أن لها مطامع (سياسية وعسكرية) وليست (تجارية بحتة) وهذا هو شأن الدول الأوروبية الأخرى .

ويستطرد الباحث في (ص٩) بقوله : كانت لسياسة بريطانيا نفس الأهداف لسياسة هولندا مع أنه كانت تسودها بعض الخلافات وقبل الستينات من القرن الثامن عشر كانت القوة العسكرية البريطانية في الخليج أقل من قوات هولندا) هذه الفقرة تناقض سابقتها التي تقول : إن سياسة هولندا وبريطانيا مجرد التجارة .

وفي (ص١١) قوله : كان من بين (العناصر العربية) من يمارس (حرب العصابات) ضد البرتغاليين والهرمزيين الذين طالبوا بفرض سيطرتهم على التجارة عبر الخليج. ولقد أدى هذا إلى تحالف بين الملاحين العرب وبين الإيرانيين من جهة ضد البرتغاليين غير أنه لم يكن تحالفاً عربياً موحدا ضد البرتغاليين .

التعليق : لا أعلم كيف يمكن وصف (العناصر العربية) الذين يدافعون عن بلادهم ضد الأجانب الذين قدموا إليها من على بعد آلاف الأميال ليسيطروا على ديارهم ويبتزوا خيراتهم كيف يسمون حربهم وهم يدافعون لطرد الأجنبي (بحرب العصابات) . ألا يجدر أن يسميها بـ (حرب غير نظامية مشروعة Legal Irregular War) . ثم يذكر أن تحالف عرب الخليج لم يكن تحالفاً موحداً ضد البرتغاليين . إذن فماذا تسمي إرسال

المعونات العسكرية والأفراد الذين لبوا طلب إمام عمان ؟ أليس ذلك تحالفاً موحداً ضد البرتغاليين أدى إلى اندحار البرتغاليين عن الخليج إلى حيث لا رجعة[٢٧] .

وكتب الباحث قوله : كان العتوب في ذلك الوقت يشكلون على ما يبدو اتحاداً يحكمه عدة شيوخ . وقد جاء في التقرير الهولندي لعام ١٧٥٦م أن (مبارك بن صباح) و (محمد بن خليفة) هما أهم شيوخهم . ورغم أن مبارك كان ينتمي إلى عائلة أكثر عراقة وأهم مكانة من نظيره، إلا أنه كان حديث السن وفقيراً نسبياً مما جعل محمد بن خليفة الذي كان غنياً ويمتلك عدة مراكب، يحظى بسلطة موازية له .

في هذا التقرير عنصران مهمان يتمثل أولهما بآل خليفة الذين يتعاملون بالملاحة . ولقد ورد في مصدر إنجليزي معاصر أن ثراءهم قد جعلهم يحظون بعد عشرين سنة - ولو مؤقتاً - بمنصب شيخ الكويت الرئيسي . وقد كانت هجرة آل خليفة وأتباعهم، مع سفنهم، إلى الزبارة وإلى جزيرة البحرين الغنية، نتيجة منطقية لذلك .

أما الترجمة ينبغي أن تكون كما يأتي : إن الشيخ مبارك بن صباح ينتمي إلى عائلة ذات (اعتبار واحترام) أي (More Prestigious Family)وليس كما ترجمت بأن العائلة أكثر (عراقة) فإن العراقة في الإنجليزية هي (Ancient) أو (Original Antecedent) وتعني أصيل في نسبه والأصالة أو عراقة الجذور (Original Roots) أما (More Prestigious Family) فتعني عائلة (أكثر اعتباراً واحتراماً وليس (أكثر عراقة) فكلمة (عرق) في اللغة : أصل والأعرق ذو العرق وذو الأصل فيقال هو أعرق منك في كذا أي أأصل منك . كما ورد في الأصل الإنجليزي أن هناك عنصران مهمان في هذا المرجع هما :

أولاً : وكما يبدو كان آل خليفة (فرعاً من القبيلة) اهتمت بالملاحة . وهذه الجملة لم ترد في النص العربي للأستاذ (سلوت) لأنها تناقض النص الأول فإذا كان آل خليفة فرعاً من القبيلة التي ينتمي إليها آل صباح لذا فليس أحدهما أكثر عراقة من الآخر .

والملاحظة الثانية : لما ورد للأستاذ (سلوت) للنص الإنجليزي وترجمته العربية : أن ثراء آل خليفة قد جعلهم يحظون بعد عشرين سنة ولو مؤقتاً بمنصب شيخ الكويت الرئيسي - أو ترجمة أخرى (أن ثروة آل خليفة بلغت مستوى بحيث أنهم بعد عشرين سنة تولوا مشيخة الكويت أو مكانة الشيخ الكبير للكويت ولو مؤقتاً) . وقد أشار للمصدر

برقم (٨٤) ولدى رجوعنا إلى قائمة المراجع في ص٤٤٣ من الترجمة وجدنا أنه يشير إلى المجلد ٢٠٣ من EBD (يوميات البصرة الإنجليزية – English Basrah Diaries) فطلبنا خطياً إرسال صورة للوثيقة التي اعتمدها فأخبرنا مشكوراً أنه اطلع عليها على ميكروفيلم محفوظ لدى سمو الشيخ سلطان بن محمد القاسمي في الشارقة وأن الفيلم رديء وأشك – والقول للأستاذ سلوت – فيما إذا ما أمكن تصوير الوثيقة بصورة مقروءة . ويستطرد بقوله : ويمكنك أن تتصل بالأرشيفات الرسمية في بومباي وتطلب منها تصوير الصفحة المطلوبة أو المجلد كله[٢٨] .

وورد في (ص١٤) من البحث قوله :

وفي هذه الأثناء قد تعرض البرتغاليون لضغط متزايد من عرب عمان ولم تنفع السلسلة من التحصينات التي كان قد أنشأها (روي فرير) وفي كل وحدة منها حوالي ٢٥ حارساً . وتوجد تسجيلات في أرشيفات (روما) لمحاولات فاشلة لاستيطان اللاجئين الصابئة من شمال الخليج إلى (دبا) .

وتوجد تفاسير مفصلة للانهيار النهائي للبرتغاليين لسنة ١٦٤٨م في الأرشيفات البرتغالية إلا أن هذه الوثائق لا تكشف لنا كثيراً عن أحوال الخليج لأنها تلقي النظر على المناقشات البرتغالية الداخلية عن حماية مواقعهم في عمان وعن سقوط عدة قلاع برتغالية . وطرح حل لتسوية النزاع وبموجبه يسنسلم البرتغاليون بدبا مقابل اعتراف بحكمهم على مسقط . وعلى كل إن الاتفاقية التي ناقشها الشيخ القاسمي ككبير المفاوضين فشلت كأنها لم تكن واستمرت الحرب واحتل العرب مسقط في أواخر ١٦٥٠م ولدينا ثبوت مباشر لهذا الحادث لقديس كاثوليكي في عمان وهذه الوثيقة محفوظة في أرشيفات روما .

التعليق : ربما أن الباحث يعني الإمام (ناصر بن مرشد) إمام عمان وليس الشيخ (القاسمي)[٢٩] .

وورد في (ص١٨) قوله : واشترى الإيرانيون بعض الجزر التي احتلها العمانيون مقابل مبالغ ضخمة . فما هي تلك الجزر ؟ ومتى تم بيعها ؟

ويستطرد الباحث مباشرة بقوله : ومن النقاط المشوقة ذكر تقرير هولندي بأن القبائل العربية للساحل الإيراني أيدت العمانيين . . . ففي أي أمر أيدت القبائل العربية العمانيين ؟(٣٠) .

أما نص كاتب البحث في (ص٢٣) حول انسحاب هولندا من جزيرة خارج قوله : كانت هناك خطط هولندية لتعبئة الجنود من العرب في الخليج لاستخدامهم (كمرتزقة Mercenaries) في آسيا لكنها لم تفلح تلك الخطط الهولندية . كما أن ميناء (خرج) لم يأت بعائدات كافية لتغطية مصاريف احتلال (خرج) فقررت السلطات العليا للشركة التخلي عن جزيرة (خرج) ولكن قبل تنفيذ هذا القرار ورط محافظ (خرج) نفسه في النزاعات المحلية ولم يستطع أن يحافظ على المصالح التجارية إلا بواسطة التحالف مع الإيرانيين وأن رئيس (قبيلة زعب مير مهنا) الذي كان يحارب الإيرانيين قد احتل (جزيرة خرج) وكانت معاملته بصفة عامة مع الهولنديين حسنة فقد سمح لهم بالانصراف إلى بوشهر بدون عائق . وقد وصل خبر سقوط (خرج) في عام ١٧٦٧م إلى القنصل الهولندي في حلب عن طريق الرحالة الدانمركي (كارستن نيبور) والذي زارها وسمع معلومات عنها وطبع كتابة عام ١٧٧٢م .

وتعليقنا على ذلك : أن الهولنديين استأجروا جزيرة (خرج أو خارج) من الأمير (ناصر آل صعب) حاكم ميناء (ريك) أو (بندريج) فاستقر فيها (كنيفاوزن) مدير شركة الهند الشرقية الهولندية ومعه سفينتان وخمسون جندياً وبنى فيها قلعة واستقدم ثمانين عائلة صينية للاستيطان فيها لإنهاء عروبتها بعد إبعاد العرب منها ثم رفض دفع أجرة الجزيرة للأمير ناصر آل صعب وخاف الإنجليز من توسع نفوذ الهولنديين ففاوضوا الأمير ناصر على إقامة مركز لهم في بندر (ريك) فوافق الأمير لكن الأمير مهنا بن ناصر آل صعب) رفض الوجود الأجنبي سواء كان هولندياً أو إنجليزياً أو فارسياً فقام بحركة مناهضة في أواخر عام ١٧٥٤م إذ قتل مهنا والده ناصر وبعض أعوانه وتسلم الحكم وفي ١٧٦٥م رحل الهولنديون بعد انتصار الأمير مهنا عليهم(٣١) وليس كما ذكر الباحث أن تحالفاً بين الإنجليز والفرس أدى إلى نهاية الأمير مهنا .

الدكتور : علي أبا حسين / البحرين

المراجع

١ - **أباحسين**، د.علي، تاريخ الجزيرة العربية، الجزء الأول، طبع مكة المكرمة ١٩٦٦م .

٢ - **التدمري**، أحمد جلال، الجزر العربية الثلاث، دراسة وثائقية طبع في رأس الخيمة .

٣ - **توسن**، بنيلوب، سجلات المقيميات البريطانية والمعتمدين في الخليج. طبع لندن ١٩٧٩م .

٤ - **الحلو**، د. صادق ياسين، الغزو البرتغالي للخليج العربي من خلال المصادر الفرنسية، الوثيقة العدد ٢٦، يوليو ١٩٩٤م .

٥ - **الحيدري**، إبراهيم فصيح صنعة الله، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد وبصرة ونجد (مخطوط) .

٦ - **الخصوصي**، د. بدر الدين عباس، دراسات في تاريخ الخليج العربي. الجزء الأول، الكويت، ١٩٧٨م .

٧ - **الخطيب**، د. مصطفى عقيل، التنافس الدولي في الخليج العربي. ١٦٢٢ - ١٧٦٣م . طبع مصر ١٩٨١م، والمقدمة للدكتور صلاح العقاد .

٨ - **زهدي**، سمور، تاريخ ساحل عمان السياسي، الجزء الأول طبع الكويت .

٩ - **زامباور**، معجم الأسرات الحاكمة، طبع بيروت، ١٩٨٠م .

١٠ - **السالمي**، نور الدين عبد الله بن حميد، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، الجزء الأول والثاني طبع في مطرح، ١٩٨١م .

١١ - **سلوت**، ب.ج.، عرب الخليج، ترجمة عايدة خوري، ط١. أبوظبي ١٩٩٣م من إصدارات المجمع الثقافي .

١٢ - **الشويعر**، د. محمد بن سعد. تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية، طبع الرياض، ١٩٩٣م .

١٣ - **الطائي**، عبد الله محمد، الشراع الكبير، ط ١، طبع روي، ١٩٨١م .

١٤ - **العابد**، د. صالح محمد، دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧ - ١٨٢٠م، ط ١، بغداد ١٩٧٨م .

موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨ - ١٨١٠م، مراجعة جليل كمال الدين، بغداد، ١٩٧٩م .

١٥ - **العابد**، د. فؤاد سعيد، سياسة بريطانيا في الخليج العربي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، طبع الكويت، ١٩٨١م .

١٦ - **العقاد**، التيارات السياسية في الخليج العربي، طبع روى، ١٩٨١م .

١٧ - **فهمي**، د. عبد القوي فهمي محمد، القواسم، طبع رأس الخيمة، ١٩٨١م .

١٨ - **لوريمر**، دليل الخليج، الجزء الأول، القسم التاريخي والجغرافي، ١٩١٥م .

١٩ - **المنجد**، قاموس، مادة (عرق) ط ٢٤ و٢٦ .

٢٠ - **المورد**، قاموس، مادة (Prestigious) .

٢١ - د.**النجار** ود. **أبو مغلي** . جزيرة خارج . ط ١ . بغداد

٢٢ - **الوحيدي**، حسين الوحيدي الخنجي العباسي، تاريخ لنجه، ط ١ ، دبي. ١٩٨٥م .

الدوريات :

١ - دراسات الخليج والجزيرة العربية :

◆العدد ٥، شركة الهند الشرقية الإنجليزية، د. مصطفى النجار، يوليو ١٩٧٨م

◆ **العدد ٧**، العلاقات الاقتصادية بين فرنسا والخليج العربي، د. محمد علي الفراء، يوليو، ١٩٧٦م .

◆ **العدد ٧**، دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧ – ١٨٢٠م، د. صالح محمد العابد، مراجعة د. أحمد عبد الرحيم مصطفى ١٩٧٩م .

◆ **العدد ١٤**، إيضاح المعالم في تاريخ القواسم، لسالم بن حمود السيابي، مراجعة د. نجاة عبد القادر، إبريل ١٩٧٨م .

◆ **العدد ١٥** ، شركة الهند الشرقية الإنجليزية ، د. مصطفى النجار، يوليو ١٩٧٨م .

◆ **العدد ٣٦**، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨ – ١٨١٠م، د. صالح العابد. مراجعة د. جليل كمال الدين، أكتوبر ١٩٨٣م .

◆ **العدد ٣٧**. مقاومة العمانيين للحملات الإيرانية على بلادهم ١٧٣٧ – ١٧٤٤م، د. طارق الحمداني، يناير ١٩٨٤م .

◆ **العدد ٥٨**. طريق بصرة – حلب للقوافل التجارية كما وصفها الرحالة الأوربيون في العصر الحديث، د. فلاح عبد الحسين ومصطفى عباس جعفر، إبريل ١٩٨٩م .

- **المجلة الثقافية**، العدد ٣١، الجامعة الأردنية، يناير ١٩٨١م .
- **مجلة العربي**، العدد ٢٧٧، ديسمبر ١٩٨١م .
- **وثائق وتقارير هولندية وإنجليزية** .
- **الوثيقة** :

◆ **العدد ٣** ، الجبور عربان الشرق، د. علي أباحسين، يوليو ١٩٨٣م .

◆ **العدد ١١** ، التواجد الهولندي في الخليج، د. سلوت، يوليو ١٩٨٧م .

◆ **العدد ١٥**. صفحات من تاريخ البحرين خلال الوثائق العثمانية، د. علي أباحسين، يوليو ١٩٨٩م .

◆ **العدد ١٧**، مكانة الساحل العربي للخليج في الخرائط الأوروبية من القرن ١٧ – ١٩. د. حسام الخادم، يوليو ١٩٩٠م .

◆ العدد ٢١، البحرين كما يراها الرحالة الغربيون، د. علـي أباحسـين، يول
١٩٩٢م .

◆ العدد ٢٦، محاولات ألمانيا في التسلل إلى الخليج العربي، د. رولف جان
كولر، يوليو ١٩٩٤م .

◆ العدد ٢٦، الغزو البرتغالي للخليج العربي من خلال المصادر الفرنسية، د
صادق ياسين الحلو، يوليو ١٩٩٤م .

◆ العدد ٢٩، الحملة العثمانية على شرق الجزيرة العربية ودورها في تشكيل
القوى السياسية في المنطقة، فايق حمدي طهبوب، يناير ١٩٩٦م .

ومن كتب الرحالة :

◆ **أباكاري**، من أسفار أباكاري في الهند والشرق الأدنى من ١٦٧٢ - ١٦٧٤م
ط ٢ (بالإنجليزية)، وصف مجلس الشيخ زايد بالقرب من ميناء كونك .

◆ **بروكس**، رحلة بحرية في الخليج، في ١٨٢٩م .

◆ **بكنجهام**، الأسفار إلى بلاد الرافدين، ١٨٢٨م (بالإنجليزية) .

◆ **بوركهاردت**، ١٨١٠م، سمى اسمه الشيخ إبراهيم المسلم، أصدر كتاب
(ملاحظات عن البدو والوهابيين) .

◆ **بيدرو تكسيرا**، يهودي برتغالي يتظاهر بأنه مسيحي كاثوليكي، رحل إل
مسقط ١٥٨٧م .

◆ **جيمس هورسبيرغ**، مرشد السفن للأسفار من وإلى جزر الهند الشرقية، طبع
لندن ١٨٢٦م (بالإنجليزية) .

◆ **تانيير**، ١٨١٧م .

◆ **تنويرو**، رحالة برتغالي يهودي بقي في هرمز خمس سنوات من ١٥٢٠م .

◆ **تورنيه**، ستة أسفار في ١٦٤٣م .

◆ **دود**، مقتطفات من التقارير الهولندية، كان مع سافاج مدير شركة الهند الشرقية الهولندية، وكتب إلى لندن حول عزم هولندا احتلال البحرين عام ١٧٥٤م .

◆ **جين أوتر**، ١٧٤٠م، قنصل فرنسا .

◆ **دوارتي بارباروسا**، برتغالي ١٥١٨م .

◆ **سادلير**. مذكرات عن رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م، طبع بومباي ١٨٦٦م . ترجمة أنس الرفاعي .

◆ **ستزن**، ١٨٠٢م، كتب عن عنزه وعاش ثلاثين عاماً بينهم . مستشار لإحدى الإمارات الألمانية التابعة وقتئذ لقيصر روسيا، ومات مسموماً في اليمن .

◆ **سترايس**، سائح هولندي ١٧٤٧م .

◆ **علي بك العباسي**، أسباني واسمه دومينجو باديا ليبليش، وهو جاسوس للإمبراطور نابليون الثالث الفرنسي، وكان يريد منه أن يعرف موقف مسلمي الشرق الأدنى من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما وصف مكة والمشاعر في ١٨٠١، وعاد إلى مكة١٨١٨م كما وصف دخول الجيوش إلى الدرعية وعلى رأسهم الإمام سعود .

◆ **الفاريز**، رحالة برتغالي توجه إلى الخليج العربي عام ١٥٢٦م ووصف مسقط وهرمز .

◆ **لوردويسو فاتيما**، رحل من ١٥٠٣ – ١٥٠٨م .

◆ **مانوئيل غودينهو**، برتغالي رحل في طريقه إلى الهند عبر الخليج العربي ووصف بعض موانيه مثل هرمز وجمبرون وكنج والبصرة .

◆ **نيبور**، رحلة في بلاد العرب، كتب عن الساحل الفارسي ١٧٥٩ – ١٧٦٥م .

◆ **ولستد**، الأسفار إلى مدينة الخلفاء عبر الخليج والبحر المتوسط، طبع لندن ١٨٤٠م (بالإنجليزية) .

♦ **هيوجين فان لنشوتن**، رحالة هولندي وصف الطريق من لشبونة إلى الشرق ؤ
فترة ما بين ١٥٨٣ – ١٥٩٢م .

♦ **والان أوغوسطين**، فنلندي أرسله محمد علي باشا ليشتري خيولاً من نجـ
وليستطلع أحوال جبل شمر، وهرمز وذكر أن جزر نخيلو وريق وغيرهما (مأهولـ
بالعرب) .

وهذه مقتطفات من التقارير الهولندية ١٧٥٤م :

أن تاجراً اسمه مستر (دود) كان مع (سافاج) و(نيفهاوزن) مدير شركة الهنـ الشرقية الهولندية في جمبرون (بندر عباس) . وكان مستر (دود) يقوم بزيارات إلى بوشهـ وبندريج وكنكون (للتجسس) خلال فترة ستة أشهر . وقد كتب إلى لندن حول عز هولندا احتلال البحرين وأن مدير شركة الهند الشرقية الهولندية (سافاج) قدم تقرير حول ذلك وأن العرب متشاجرون فيما بينهم ومراكبهم ضعيفة يمكن إغراقها بسهولة ولكل قرية شيخ وأقواهم لا يستطيع تعبئة أكثر من ٤٠٠ جندي ، وإمام مسقط ضعيفـ وينقصه المال ولا يطيعه الناس حتى في بلده وليس لديه إلا سفينة يستخدمها لجلب الرقيق من أفريقيا وليس للحرب . وفي البحرين لم يبق إلا سفينتين من بقايا السفن ؤ عهد نادر شاه وهي غير صالحة للملاحة .

وفي فارس بعد وفاة نادر شاه ١٧٤٧م/١١٦٠هـ ووفاة (قلي خان) ظهر عدد كبير من الحكام لكل قرية ومدينة .

ورحالة ذكرهم كيلي في كتابه بريطانيا والخليج :

♦ رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، مجلدان، طبعة لندن ١٨٢٩م، بقلـ
بكنجهام .

♦ رحلة من الهند في اتجاه إنجلترا خلال عام ١٧٩٧م، بقلم جي. جاكسون.
طبعة لندن ١٧٩٩م .

◆ ملاحظات لعمليات مسح للسواحل الشرقية للخليج في عــام ١٨٢٨م، نشـر في مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، المجلد الخامس ١٨٣٥م .

◆ ملاحظات عن رحلة من غـزة عـبر المنطقـة الداخليـة مـن شبـه الجزيـرة إلى القطيف على الخليج العربي ومنها إلى عمان عام ١٨٦٢ -١٨٦٣م. نشر في مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، المجلـد الثـامن ١٨٦٣ - ١٨٦٤م. بقلـم دبليـو جـي بالجريف .

◆ ملاحظات عن رحلة إلى أواسط وشرق وجنوب الجزيرة خلال عـامي ١٨٦٢ - ١٨٦٣م، نشر في مجلة الجمعية الجغرافية الملكية عـدد ٣٤ ١٨٦٤م. بقلـم دبليـو جي بالجريف . ورحلة أخـرى تقـع في مجلديـن طبعـة ١٨٦٥م، لنفـس المؤلـف والعنوان .

◆ رحلات في شبه الجزيرة العربية، مجلدان، طبع لندن ١٨٣٨م بقلم اللفتنانت جي.آر. ولستد .

◆ بيانات عن رحلة إلى عمـان علـى امتـداد السـاحل الشرقـي لشبـه الجزيـرة، مترجم، نشر في مجلة جمعية بومباي الجغرافية، بقلم إف. وايتلوك .

◆ وصف تصويري لجزر السـاحل الواقـع عنـد مدخـل الخليـج، نشـر في مجلـة الجمعية الجغرافية الملكية ١٨٣٨م، بقلم إف. وايتلوك .

◆ مذكرة تتناول مصايد اللؤلؤ في الخليج، بقلم الميجر دي ويلسن، نشر في مجلـة الجمعية الجغرافية الملكية ١٨٣٣م .

الهوامش

١ – بدعوة من (مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي) للمشاركة في ندوة بعنوان (كتابات الرحال والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي) بكتابة تعليقات عن موضوع (مرحلة التنافس الأوروبي بين ١٦٥٠ – ١٨٠٠م) وقد عقدت الندوة في الفترة بين ٨ – ١١ إبريل ١٩٩٦م وقدمنا هذا البحث والتعليق على الموضوع المطلوب .

٢ – سلوت، عرب الخليج، ص٨٨ .

٣ – الوثيقة، العدد ١/ص١٣٩ صفحات من تاريخ النفوذ البرتغالي، د. علي أباحسين، ١٩٨٢م موغو محمد يعقوب، السياسة العثمانية في المحيط الهندي في عهد القانوني بين ١٥١٧ – ١٥٣٨م استنبول ١٩٧٤م، والأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي، ص٢٥ و ٢٦ ووثيقة احتجاج السلطان دان جوان البرتغالي برقم ٩٢٢ . والشراع الكبير ص٣٦ .

٤ – توفي الإمام ناصر بن مرشد بنزوي عام ١٠٥٩هـ/١٦٤٩م ودامت إمامته ٢٦ عاماً وخلفه سلطان بن سيف بن مالك ثاني أئمة اليعاربة في عمان والذي استطاع طرد البرتغاليين وفقدوا في عهده مسقط في٢٣ يناير ١٦٥٠م وهاجم مراكزهم في الهند وشرق أفريقية . وتوفي عام ١٠٩١هـ/١٦٨٠م . أنظر دليل أعلام عمان ص٨٠ . والسالمي، تحفة الأعيان جـ ٢ . ص٣ . والخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج العربي جـ ١، ص٣٤ .

٥ – المحمدية في الأحساء تساوي ربع قرش ذهبي أو واحد من عشرين من الريال . والريال يساوي عشر الليرة العثمانية الذهب والروبية تساوي خمسة قروش ونصف القرش الذهبي . والمحمدية في عمان تختلف عنها في الأحساء . أنظر لوريمر . دليل الخليج، القسم الجغرافي ص٢٤٦ . والطائي، عبد الله بن محمد . الشراع الكبير ص٣٥ و ٤٣ .

٦ – الطائي، عبد الله محمد . الشراع الكبير . ص٣٥ و٧٠ و٨٠ و٩١ و٩٢ و١٣٠ . والخصوصي جـ ١ ص٣٣ . والعربي، العدد ٢٧٧ ديسمبر ١٩٨١م .

٧ – الوثيقة، العدد ٢٦ . ص٥٨، عن وزارة الخارجية الفرنسية . بحوث ووثائق فارس، الجزء الثامن .

٨ – ن.م.س. ص٦٩ عن تاريخ العرب . جـ ٢ . طبع باريس ١٩١٣م .

٩ – العابد، ص٢٧ و ٢٨ .

١٠ – ن.م.س. ص١٩ وص٦٤ –٦٧ والسيابي، سالم بن حمود، إيضاح المعالم في تاريخ القواسم ص٤١ وعبد القوي، فهمي محمد، القواسم ص٣٥ .

١١ – دراسات الخليج والجزيرة العربية . العدد ١٥، ص١٠١ – ١٠٣، د. مصطفى النجار .

١٢ – الوثيقة، العدد ١٥/ص٦٤، صفحات من تاريخ البحرين خلال الوثائق العثمانية للدكتور علي أباحسين .

١٣ - دراسات الخليج والجزيرة العربية . العدد ٧/ص١٨٢، د. العابد .

١٤ - ن.م.س. العدد ١٥. ص١٠١ - ١٠٥ والعدد ١٤. ص١٣١ والعـدد ٥/ص١٠٦ . والدكتـور الشويعـر، محمد بن سعد، تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية ص٢٧ - ٣٢ .

١٥ - سـلوت، عرب الخليـج، ص٣٤١ المترجـم . وفي ص٣٥١ النص الإنجـليزي نقـلاً عـن E.B.D. Vol. 203. P. 153 .

١٦ - المنجد، مادة (عرق) ص٥٠٠ و ٥٠١، ط٢٤ . والمورد، ص٧٢١ .

١٧ - رسالة مرسلة إلى الأستاذ سلوت بتاريخ ١٤ مايو ١٩٩٤م وجوابها بتاريخ ١٦ يوليو ١٩٩٤م .

١٨ - في.أو.إس. رقم ٢٨٦٤/ص٣٢ تسلسل ٧١ في ١/نوفمبر ١٧٥٤م . وفي ٨ ينـاير ١٧٥٥م/ وتقرير برقم ٢٨٤٨ ص٦٧ في ٧/ أغسطس ١٧٥٥م .

١٩ - التدمري، ص٣٤ .

٢٠ - الوثيقة ٢٦/ ص ٥٦ - ٨٢ و د. مصطفى عقيل ص٢٤٦ - ٢٥٦ دراسات الخليج والجزيـرة العربيـة العدد ٧ / ص١١١ .

٢١ - دراسات الخليج والجزيرة العربية العـدد ٧ / ص١١١ يوليـو ١٩٧٦م . العـدد ٣٦ / ص٢٩٥ أكتوبـر ١٩٨٢م، ولوريمر، دليل الخليج ١ /١١٣ . القسم التاريخي، وجين أوتر، الأسفار في تركيـا وإيـران ص٥٦ و ٥٨ .

٢٢ - د. النجار و د. أبو مغلي . جزيرة خارج، ص٣٨ و ٤٤ و ١١٦ .

٢٣ - وهذا نص الباحث :

The number of contemporary printed books of European travellers is limited, less than fifty, but the amount of documents of the seventeenth and eighteenth centuries concerning the Gulf in European archives and manuscript libraries is huge There are tens of thousands of Dutch documents, many thousands of English and hundreds of Portuguese and French documents. The density of the material interesting for our subject in the huge number of documents concerning the Gulf can be rather low This is especially the case with the Dutch official material which is huge is size, but tends to concentrate on the trade of the Dutch Company in the Gulf, and less than 10% of the material is about other matters

٢٤ - أنظر المورد ص٥٩٣ ط ١٢ / بيروت ١٩٧٨م .

٢٥ - وهذا نص الباحث :

Ottoman narrative sources are also very much concentrated on the great events of the Ottoman Empire, but some Ottoman archival documents have been described."

Another way of looking at the source material is the morphological way: what kinds of documents do we have. The easiest source are the travel descriptions, either printed or manuscript which survive of several nations. Another category are the diaries produced by the Dutch establishments of Bandar Abbas and Basra on local events. They only exist now for certain limited periods. Of a related kind is the chronicle of the Carmelite monks in Basra. The Dutch produced some descriptive texts, full official reports concerning the background of their interests in the Gulf which belong to the most important European sources, and an

٢٦ – وهذا نص الباحث :

B ECONOMIC BACKGROUND PICTURE

The motive of European presence was trade. Trade was not the entire economy of the Gulf, but its cash value exceeded all other economic activities in the mountain deserts and sand deserts which cover the coasts of the Gulf. The only other economic activity which was of considerable importance was pearling. It should however be stated that

the Europeans usually had only a minor share of the trade of the Gulf, a few accidental sources indicate that during the seventeenth and most of the eighteenth century people from India and Arab sailors had a larger share. Anyhow, as trade was the main motive of European presence, most of the documents coming from Europeans present in the Gulf have something to do with the conduct of trading activities. The reason why the very few colonial ventures in the Gulf are stopped was because they were counterproductive in trading terms.

Dutch policy in the Gulf had only one focus: trade and earning of money. The main trading partner was Persia, and either by offering

٢٧ – وهذا نص الباحث :

There had always been a guerilla of Arab elements against the Portuguese-Hormuzian claim of controlling the trade through the Gulf and this produced an alliance of Arab sailors with the Persians against the Portuguese. It was however not so that there was a united Arab front against the Portuguese. Several tribes were willing to cooperate

٢/ – وهذا نص الباحث :

from extending their presence beyond the Upper Gulf. At that time, the Utub seem to have been a federation, ruled by several shaikhs. The Dutch report of 1756 states that at that time the two most important Shaikhs of the Utub were Mubarak bin Sabah and Muhammad bin Khalifa. Mubarak belonged to the more prestigious family, but he was still young and rather poor, so that Muhammad bin Khalifa, who was rich and possessed many ships, had an authority equal to Mubarak. There are two important elements in this reference. The first is that apparently, the Al Khalifa were the shipping branch of the tribe. In fact, their wealth was such that twenty years afterwards, according to a contemporary English reference, an Al Khalifa seems to haven taken over, although temporarily, the position of principal Shaikh of Kuwait.[81] 351

٢' – وهذا نص الباحث :

Meanwhile the Portuguese came under ever more pressure from the Arabs in Oman. Ruy Freire's line of small fortresses with some 25 Lascar soldiers each was untenable. An attempt recorded in the archives in Rome of settling Sabaean refugees from the Upper Gulf in Dibba failed miserably.[31] For the final downfall of the Portuguese we have an exceptionally detailed batch of documents of the year 1648 in the Portuguese archives. These documents are not in the least revealing because they reflect the discussions among the Portuguese about the way their presence in Oman should be maintained. The Portuguese lost several fortresses A settlement was proposed, according to which the Portuguese would give up Dibba in exchange for recognition of their rule over Muscat. However the agreement, for which the chief negotiator on the Arab side was an Al-Qasimi shaikh, came to nothing and the war continued and Muscat was taken by the Arabs end of 1650, of which event we have the most direct testimonies of a Catholic priest in Oman which is kept in the Propaganda Fide archives in Rome.[33]

E. THE PERIOD 1650-1695

Of the events immediately after the fall of Muscat we still have the report of a Dutch trading mission sent to explore the situation in

Muscat, which immediately returned because the place had become very poor and miserable. From the Portuguese side there are also interesting things: an attempt to replace Muscat by an establishment at Khasab (on this the best is a report by a Catholic priest in the Propaganda Fide archives in Rome), and a plan to have the Imam assassinated by

---

32. Tavernier, *Les six voyages*, vol. 1, p. 236-237; cf. Slot, *Arabs of the Gulf*, p. 147

33 Slot, *Arabs of the Gulf*, p. 424

34. Chick, *Chronicle*, vol. 1, pp. 329-330, 42?, 491

٣٠ – وهذا نص الباحث :

anything).[50] In the end the Omanis reached their objective. The Portuguese abandoned their establishment in Bandar Kung, their last foothold on the Gulf, and the Persians bought off the Omani occupation of some of their islands for a considerable sum of money.[51] An interesting point is that a Dutch report mentions that Arab tribes of the coast of Persia had supported the Omanis.[52]

٣١ – د. النجار، و د. أبو مغلي، جزيرة خارج . ص٣٨ – ٤٤ و١١٦ وهذا نص الباحث :

:the Dutch plans with Kharg were very limited and certainly did not include plans for settling Chinese on the island as the British feared. It was true that there were plans to recruit Arab soldiers in the Gulf to use them as mercenaries elsewhere in Asia, but not very much came of this.

The Dutch venture on Kharg came to nothing: the free port generated insufficient income and trade with Persia declined in the 1760's. The profits from Kharg were insufficient to cover the expenses of occupying the island and the Company's higher authorities decided to evacuate the island. Before this decision could be executed, the governor of Kharg had been caught in local conflicts, and he only found a way of protecting the trade interests by an alliance with the Persians. The Zaab chief Mir Muhanna, who was at war with the Persians, then conquered the island, but behaved on the whole in a gentlemanly manner towards the Dutch whom he left free to go to Bushihr."

The news of the fall of Kharg was brought in 1767 to the Dutch consul in Aleppo by a Danish traveller, Carsten Niebuhr, who was the last survivor of a Danish scientific expedition to the Arabian peninsula.[70]

---

68 Ives, *Voyage*, 207-216. On the pearldiving see also W. Floor, 'Pearlfishing in the Persian Gulf in 1757' (*Persica* 10, 1982, pp. 209-222).

69 Slot, *Arabs of the Gulf*, pp. 366-370, 436-428; Floor, 'Dutch on Khark', pp. 190-193

70 According to a letter of the Dutch consul in Aleppo in Archives of the Dutch embassy in Istanbul prior to 1811, 664, Niebuhr had come from the Gulf with the news of the fall of Kharg and he had written a report on it for the Dutch ambassador in Istanbul. Indeed there is between the papers of Basra of 1766 in the same archives (nr. 671) a paper containing approximately the same text as Niebuhr published several years later in his book.

التعليل



يدور معنى التعليل حول تبيين علل الأشياء والظواهر، أي توض
أسبابها، إذ أن العلة من كل شيء هي سببه . ويمكن حصر المفهوم ال
للتعليل، لغوياً وفلسفياً، بالبحث عن العلة، أو عن السبب الذي يؤ
بنفسه أو بوساطة انضمام غيره إليه، إلى أمر آخر يعرف بالمسبب
المعلول . وعملية التعليل قد تكون منطقية صرفة تدور مباحثها
الناحية الصورية فقط، أو طبيعية تتناول ظواهر الطبيعة أو الوج
عامة[1]. وعلى الرغم من أن العلة والسبب هما من المترادفات الذ

تاريخي

س المنطقي .. والأبعاد المنهجية

بقلم :

الدكتور جميل موسى النجار

ـفة، فإن بعض الفلاسفة يفرق بين مفهوميـهما، فيجعـل السـبب
ر الداعي، إلى الفعل ولأجله يفعل الفاعل، بينما يعتبر العلة هي
بعينه، ومن ثم يكون السبب أشد اختصاصاً بالأمور العرضية، أما
اختصاصها أشد بالأمور الجوهرية(٢) . بيد أن كثيراً مـن العلـوم،
، الرياضية منها، لم تتوقف كثيراً عند هذا الاختلاف الفلسـفي -
حول وجود تطـابق بين مفهومي العلـة والسـبب مـن عدمـه،
ـاوزته، في منـاهج بحثها، إلى النظـر لطبيعـة العلاقـة بيـن

العلة والسبب من جهة وبين القانون من جهة أخرى . أما في علم التاريخ، فيبدو لنا أن هناك تماثلا معنويا في الغالب بين العلة والسبب، باستثناء مايراه، من منطلق فلسفي، بعض المؤرخين من أن مفهوم السبب تشوبه التباسات عديدة، منها ما قد يدل عليه من (حتمية) تتنافى مع طبيعة الفعل في الحدث التاريخي . ومنها أن هذا الحدث لا ينجم عن سبب متفرد أو مجموعة من الأسباب يستقل فيها كل سبب بذاته، بل هو يعبر عن نظام من الأسباب يتوجب على المؤرخ أن يصل إليه بتحديد علاقة كل سبب بالآخر وبمعرفة درجات أهمية الأسباب وأولوياتها . فعمل المؤرخ لفهم الأحداث في نظر هؤلاء ليس هو البحث عن (السبب) فحسب، بل هو (تعليل) أو (تفسير) يتحرى فيه المؤرخ المنطق الداخلي لأحداث الماضي[٣] . ولكنه لا يترتب على هذا بالضرورة وجود اختلاف بين مفهومي (علة) الأحداث و (أسبابها)، فلذلك سوف لا نفرق بين العلة والسبب في بحثنا هذا الذي يستهدف التعرف على طبيعة التعليل في الدراسة التاريخية، والأساس الذي يربطه بمباحث المنطق الحديث .

والتعليل قديم قدم الفكر الفلسفي، بل هو في واقع الحال أقدم منه ويقترن وجوده بوجود الإنسان، إذ لم يعدم الإنسان البدائي التفكير في العلاقات السببية بين بعض ظواهر الطبيعة وبعضها الآخر، وإن كان إرجاع المسببات إلى أسباب ميتافيزيقية يطغى لديه على ما عداه من أسباب . وقد استمر مثل هذا الاتجاه الغيبي في تحديد الأسباب واضحاً في فكر الأوروبيين من فلاسفة ورجال دين حتى مطلع العصور الحديثة . إلا أنه أخذت تنمو منذ ذلك الحين مفاهيم واقعية علمية عن أسباب ظواهر الطبيعة، وكان نموها وانتشارها ملازماً للتقدم المطرد الذي كانت تحرزه العلوم .

ويهدف البحث عن الأسباب العلوم إلى معرفة حقيقة وجود ا' شيا. وإذا كان المنهج الاستقرائي الذي يعتم

العلم يخلص إلى الكشف عن القوانين التي تفسر الظواهر، أي تبين كيفية ارتباطها ببعضها، فإن البحث عن سبب أو علة الظاهرة يهدف إلى معرفة سبب وجود هذه الظاهرة على هذا النحو دون نحو آخر. ذلك أن العلم لم يقنع، لفترات من تاريخه، بمعرفة القوانين التي تبين له **كيف** ترتبط الظواهر الطبيعية ببعضها، بل سعى إلى معرفة الأسباب الحقيقية لحدوث تلك الظواهر، **ولماذا** حدثت بالشكل الذي حدثت وتحدث فيه، وما هي غاية حدوثها، "لأن معرفة السبب الحقيقي في وجود ظاهرة ما معناه الوصول إلى تفسيرها على أكمل وجه يقبله العقل"(٤). إلا أن اهتمام العلم بالبحث عن الأسباب أو العلل قد أخذ بالتقلص بعد أن نبذ العلم فكرة البحث عن الأسباب الأولى والعلل العلوية، وركز على استخلاص القوانين لأن القانون يكفي، من وجهة نظر كثير من العلماء والفلاسفة، لتفسير الظواهر وتوضيح العلاقات بينها. وليس هناك من داع، وجوده، للتعرف على أسباب حدوث الظواهر أو غاياتها أو طريقة إيجادها، لا سبيل في الواقع إلى ذلك في كثير من الظواهر الطبيعة.

وعلى الرغم من وجود هذا الاتجاه، الذي يدعو إلى إحلال القانون محل السبب أو العلة، فإن ظواهر ووقائع كثير من العلوم ما تزال، في دراستها والبحث فيها، بحاجة إلى التحري عن العلل أو الأسباب والكشف عنها(٥). إذ لم تستغن بعض علوم الطبيعة عن عملية تقصي الأسباب التي تستهدف تفسير الظواهر وبيان حقيقة وجودها، وذلك من خلال وضع النظريات، أو حتى من خلال القوانين التي تعد مرحلة مؤقتة للوصول إلى ذلك الهدف. علاوة على أن الدراسة في العلوم الإنسانية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بفكرة السببية ولا يمكن لهذه العلوم أن تستغني عنها لأن معظم ظواهرها ووقائعها تصدر عن أفعال إرادية تخضع للتغير والتبدل على عكس الثبات والاطراد الذي تتسم به ظواهر الطبيعة، وللتعرف على هذه الأفعال ينبغي النفاذ إلى جوهرها وبواعثها الحقيقية، أي كشف أسبابها أو عللها(٦). ومن ثم يغدو البحث عن الأسباب أمراً مهماً في العلوم الإنسانية، وبخاصة في علم التاريخ الذي يبدو أن التعليل فيه أكثر أهمية وجدوى لتفسير وقائعه وأحداثه وفهمها على وجه صحيح من البحث عن قوانين تنتظم هذه الوقائع والأحداث، وتفسرها

تفسيراً يطغى عليه القسر تارة والاطراد الذي يخالف طبيعة وقائعه تارة أخرى .

حقاً قد يؤدي البحث التاريخي الذي يقوم على استقراء عدد من الوقائع أو الأحداث الجزئية الخاصة بجانب معين من جوانب التاريخ العام، كدراسة الأديان والتشريعات، إلى استنباط بعض الصيغ العامة الشبيهة بالقوانين . ولكن مثل هذه الصيغ لا تعبر إلا عن تتابع متناسق - أو يبدو هكذا - للوقائع فحسب، وهي لا تقوى على تفسير تلك الوقائع لأنها لا تكشف عن العلة المحددة فيها[7]. وقد لا تصلح في الوقت نفسه للتنبؤ بالمستقبل أو تفسير الوقائع التي سيكشف عنها والانطباق عليها . ومن ثم فإن وقائع التاريخ لا يمكن أن تفسر على أساس انتظامها في قوانين عامة تشبه القوانين التي يستنبطها علماء الطبيعة لكيفيات ظواهرها، وذلك لأسباب متعددة منها أن الواقعة التاريخية تتصف بالتغير والتفرد الذي يخالف الثبات والاطراد الذي تتسم به ظواهر الطبيعة . فوقائع التاريخ وأحداثه هي أفعال إنسانية تتحكم فيها إرادات فردية أو اجتماعية، وهي غير متطابقة مع بعضها وإن تشابه بعضها مع البعض الآخر، لأن الحدث التاريخي "**هو بطبعه أمر مفرد نسيج وحده لا يتكرر هو نفسه أبداً**"[8]. وكما أن الوقائع التاريخية تختلف عن ظواهر الطبيعة. فإن علل الأولى تختلف عن علل الثانية أيضاً، فالعلة في التاريخ تختلف من حيث المعنى عن العلة في العلوم الطبيعية، ولذلك لا يمكن أن نرتب عليها قوانين لأن معناها لا يتمثل في مظهرها الخارجي، بل في جانبه الباطن (Its inner side)، على حد تعبير كولنغوود، بما يعني أنها تكشف عن أفكار معبرة عن رد فعل كائن عاقل حر الإرادة تجاه موقف يتطلب حلا عملياً[9]. ومن الثابت في علوم الطبيعة أن تحدث مسببات معلومة إذا توافرت لها أسباب معينة . ولكن هذه القاعدة لا تنطبق على مفهوم العلية أو السببية في التاريخ، إذ يمكن أن تلاحظ أسباب واحدة إلا أنه قد تترتب عليها مسببات مختلفة تحكمت في تباينها واختلافها ظروف وبيئات متنوعة، وفوق هذه ذلك تقلبات آراء وسلوك الإنسان صانع

أحداث التاريخ . فالأسباب نفسها التي تؤدي إلى حدوث ثورة سياسية قد تنجح في مجتمع من المجتمعات ولا تنجح في آخر . أو أنها قد تتمكن من إحداث الثورة في مجتمع منهما في فترة معينة من تاريخه ولا تتمكن من ذلك في فترة أخرى[10] .

ومن ثم فإن عملية استخلاص الصيغ والقوانين العامة من دراسة التاريخ هي عملية بالغة الصعوبة والتعقيد . والقوانين لا تستطيع، كما تبينا، أن تفسر الوقائع والأحداث التاريخية تفسيراً صحيحاً على الدوام بسبب من طبيعة الواقعة التاريخية التي تختلف عن طبيعة الظاهرة الطبيعية، واختلاف مفهوم العلة بين كل من علم التاريخ وعلوم الطبيعة . أضف إلى ذلك ما يجده المؤرخ من صعوبة كبيرة في السيطرة على تفصيلات أحداث التاريخ العام، التي لا يدخل المعروف منها تحت حصر، والربط فيما بينها بصيغ عامة أو قوانين كلية . وكل ذلك أدى إلى تركيز الدراسات التاريخية على التعليل، وربط أحداث التاريخ ووقائعه بـ (علاقات سببية جزئية)[11] تتكفل بتفسيرها وإيضاح العلاقة فيما بينها بدلاً من القوانين العامة .

والبحث التاريخي في تقصيه عن الأسباب لا يخرج عن الأهداف التي يتوخاها البحث في علم الاجتماع وعلوم الطبيعة، فهذه العلوم جميعاً، بما فيها التاريخ، وإن اختلفت في تفصيلات مناهج بحثها، إلا أن مناهجها تتفق في هدف ربط الظواهر أو الوقائع بقوانين أو بعلاقات سببية تمكن من فهمها وتفسيرها . وهذه القوانين أو تلك العلاقات السببية التي تسعى إليها الدراسة المنهجية هي مما يضفي على موضوع الدراسة صفة العلم[12] . وقد تبين مما تقدم أن الربط بين أحداث الماضي بعلاقات سببية يناسب طبيعة التاريخ، ويفضي إلى فهم الأحداث وتفسيرها، وهو أكثر جدوى وأهمية لهدف الفهم والتفسير من فكرة استخلاص القوانين . وتتمثل أهمية السببية للدراسة التاريخية في أن مظاهر الماضي المختلفة وأحداثه المتباينة غير منفصلة عن بعضها، بل ترتبط فيما بينها بتأثيرات متبادلة، وينبغي لفهمها وتفسيرها إدراك وكشف طبيعة العلاقات

السببية التي تربط بينها وتتحكم فيها، لأن الكشف عن الأسباب يمكن من معرفة الأبعاد الحقيقية والتامة للحدث التاريخي. لذلك يذهب المؤرخ الإنجليزي إدوارد هالت كار إلى القول بأن دراسة التاريخ تقوم على "ترتيب أحداث الماضي في سياق منظم قوامه السبب والنتيجة"[13]، أي أن عمل المؤرخ يرتكز على قاعدة رئيسية ألا وهي التعليل، وإبراز الأحداث أو الوقائع مرتبطة بأسبابها. بيد أن هذا العمل لا يقوى عليه إلا من يستحق بجدارة لقب المؤرخ، إذ أنه، دون غيره، قادر على الإتيان بتعليلات أصيلة توصل إلى الحقيقة التاريخية أو تقترب منها إلى حد كبير.

وقد تنبه بعض المؤرخين منذ عهود التدوين التاريخي المبكرة إلى أهمية تقصي أسباب وقائع التاريخ وبيانها. فقد أشار هيرودوتس (٤٨٤ – ٤٢٥ ق.م.) في مقدمة تاريخه إلى الغرض الذي دعاه إلى تأليفه، وهو ضرورة حفظ أحداث الماضي وإبراز أسبابها "حتى لا تنطمس ذكرى الماضي في أذهان الرجال على مر الأيام وحتى لا تفتقر تلك الأعمال العظيمة الرائعة التي اضطلع بها اليونانيون والأجانب (البرابرة) وخا[...] أسباب نشوب الحرب بينهم إلى [...] يظهرها للملأ"[14]. كما أن آخرين [...] مؤرخي اليونان، مثل ثوسيديدس (٦٠[...] – ٣٩٥ ق.م.) وبوليبيوس (٢٠٥ – ١٢٣ ق.م.)، استقصوا في تواريخهم أسباب كثير من الأحداث وحرصوا على توضيحها، بل لم يكتف بوليبيوس بذلك فقسم أسباب بعض الأحداث إلى أسباب بعيدة وأخرى قريبة[15]، مدركاً الدو[ر] العرضي لبعض الأسباب والدور الحقيقي لبعضها الآخر. وكان ابن خلدو[ن] (١٣٣٢ – ١٤٠٦م) أبرز المؤرخين العرب المسلمين الذين اهتموا بالتعليل وبيا[ن] أسباب الأحداث، فالتاريخ في باطنه كما يقول، "نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومباديها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق.."[16] و[في] العصر الحديث تعد مؤلفات مونتسك[يو] (١٦٨٩ – ١٧٥٥م) التاريخية نقطة انطلاق لاهتمام المؤرخين الأوروبيين بالتعليل التاريخي[17].

والأسباب التي يوليها العم[...] التاريخي عنايته ويهتم بالبحث عن[ها] أكثر من غيرها، لأنها تدخل ضمن نطا[ق] اختصاصه المباشر، هي أسباب وقا[...]

الجزئية الخاصة، لأن العمل التاريخي يتألف عادة من مجموعة مترابطة من هذه الوقائع تخص موضوعاً محدداً بعينه ولكن هذا لا يمنع المؤرخ بالضرورة من البحث عن العلل، أو استخلاص بعض النظريات العامة لمظاهر وجوانب التاريخ البشري الرئيسية، كالجوانب المتعلقة بالأنظمة السياسية أو الاقتصادية أو غيرها. أو البحث عن مثل تلك العلل والنظريات لمجمل التاريخ العام، وإن كان هذا العمل يؤلف محور موضوع فلسفة التاريخ، ويدخل غالباً ضمن اهتمام المشتغلين بها. فالعمل التاريخي في بحثه عن الأسباب لا يخرج عادة عن نطاق حدوده الزمانية - المكانية، وغيرها من الحدود التي وضعها لنفسه، والتي لا تخرجه في نهاية الأمر إلى التأمل الفلسفي المحض. والمؤرخ يبحث، على سبيل المثال، عن أسباب قيام الدولة العباسية، حينما يتناول موضوعه هذه الدولة أو عصراً من عصورها أو جانباً معيناً من جوانب تاريخها، ولا يعنيه بعد ذلك أن يبحث عن القوانين العامة التي تفسر قيام الدول والأنظمة السياسية على امتداد تاريخ الإنسانية، أو أن يفسر قيام الدولة العباسية وفقاً لمثل تلك القوانين.

وتنقسم أسباب الوقائع الجزئية، التي تدخل كما أسلفنا في صميم عمل المؤرخ واختصاصه، إلى: أسباب حقيقية وأسباب عرضية. فالأولى هي الأسباب التي تتفاعل في خلقها ظروف متعددة ومتنوعة تحتاج أحياناً، لكي تتضافر، إلى مدة طويلة من الزمن. أما الأسباب العرضية، فهي أسباب طارئة وغير جوهرية تعمل على تحرك الأحداث وتفاقمها بسرعة، وتسمى أحياناً بالأسباب المباشرة فالسبب المباشر للحرب العالمية الأولى، مثلاً، هو حادث اغتيال ولي عهد النمسا في مدينة سراييفو من قبل شبان بوسنيين زودوا بأسلحة صربية، وما تلاه من خلاف نمساوي صربي أعلنت في أعقابه النمسا الحرب على صربيا. ثم امتد الخلاف ليشمل روسيا، وليتسع بعد ذلك إلى خلاف أوروبي. إلا أن الأسباب الحقيقية لهذه الحرب تختلف عن السبب المباشر لها، فهي أسباب متعددة تتعلق بالمصالح الاقتصادية والسياسية، بل وحتى الإيديولوجية والعرقية للدول الأوروبية. ومن المتعذر أن تفسر الحرب العالمية

الأولى، وتدرك أبعادها دون الكشف عن هذه الأسباب .

ويمكن القول بأن ما يميز الأسباب الحقيقية لحدث من الأحداث التاريخية هو قابلية الاستفادة منها في استخلاص أسباب الأحداث المشابهة، على عكس الأسباب العرضية التي تعتبر أسباباً فردية تختص بحادث معين، ومن ثم فهي غير قابلة للتعميم[١٨] . بيد أن القول بإمكانية الاعتماد على ما هو معروف من أسباب حقيقية لبعض الحوادث في استخلاص أسباب الحوادث المشابهة لها لا يعني بالضرورة أن السببية التاريخية تتصف بالثبات والسكون . فالسببية التاريخية، شأنها شأن السببية في بقية علوم الإنسان والمجتمع، سببية دينامية تختلف عن السببية الطبيعية المادية التي تتصف بالثبات إلى حد كبير[١٩] . وقد سبق القول بأن الأسباب ذاتها قد لا تفرز مسببات واحدة، حيث تؤثر في خلق هذه المسببات ظروف متعددة من بينها حرية إرادة الإنسان . كما أنه إذا عرفت لدينا أسباب معينة لحادث تاريخي محدد فلا يمكن دائماً أن تكون للحادث المماثل له الأسباب نفسها، ومن ثم فقد لا يصح استنباط سبب مجهول بقياس على سبب معلوم لتماثل المسببات .

والبحث عن الأسباب الحقيقية للأحداث يقتضي من المؤرخ أن يتحرى الظروف التي أحاطت بتلك الأحداث. وطبيعة الفترة الزمنية التي سبقتها، ذلك أن أحداث التاريخ بأوجهها وأبعادها المتعددة، وفي تتابعها الزمني أيضاً. ترتبط مع بعضها البعض ارتباطاً عضوياً وثيقاً، ومن ثم فلا يمكن التوصل إلى أسباب الأحداث في التاريخ بأسلوب مباشر كما هو الحال في العلوم الأخرى[٢٠] .

وحينما يتحرى المؤرخ عن الأسباب في إطار محيطها المعاصر والسابق فإنه سيتوصل غالباً إلى عدد من الأسباب للحدث الواحد . بيد أنه لا يُكْتَفى في العمل التاريخي بالتوصل إلى هذه الأسباب وإبرازها فحسب، بل ينبغي ترتيبها ترتيباً قائماً على نظام محدد يوضح طبيعة العلاقة التي تربط بينها. وأولوية بعضها على البعض الآخر. ويحدد السبب الرئيسي فيها أو ما يمكن تسميته بسبب الأسباب، وهو ليس بالضرورة سبباً مفرداً، إذ ربما يكون أكثر من سبب واحد . فالمؤرخ الإنجليزي

إدوارد غيبون (ت ١٧٩٤) يتحدث في كتابه (اضمحلال الدولة الرومانية وسقوطها) عن عدد من الأسباب التي أدت إلى سقوط هذه الدولة، إلا أنه يحصر هذه الأسباب، في التحليل الأخير. بـ "انتصار البربرية والدين"[٢١]. وفي كل ذلك لا يمكن للمؤرخ أن يغفل دور بعض الأحداث غير المتوقعة أو الطارئة، وما تحدثه من أسباب عرضية تؤثر في مجرى الأحداث وأسبابها الحقيقية.

ويبدو أن المؤرخ في عمله الباحث عن الأسباب إنما يماثل طبيعة العمل الذي دفع بالعلم الطبيعي إلى التقدم، فالشرط الضروري الذي أفضى بالمعرفة العلمية نحو التقدم، من وجهة نظر هنري بونكاريه (١٨٥٤ - ١٩١٢م)، إنما كان بتوجه العلم نحو (التنوع والوحدة)، أو (التعقيد والتيسير) رغم ما يبدو من تناقض في هذا التوجه. كذلك يمكن القول أن الأسباب في العمل التاريخي لا تنفك عن التكاثر كلما مضى هذا العمل قدماً في الكشف عن مظاهر الماضي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وجلّى بصورة أكثر المظاهر السياسية والعسكرية، ومن ثم فلا مناص للمؤرخ من محاولة التعرف على الأسباب الكثيرة المتداخلة لهذه المظاهر المتعددة المترابطة، وتنظيمها لتوحيدها وتيسيرها بعد ذلك، بما يجعل هذا العمل مماثلاً لما يقوم به العلم، ودافعاً للتاريخ كي يحرز ما أحرزته العلوم الأخرى من تقدم " عبر هذا السياق المزدوج والمتناقض ظاهرياً"[٢٢].

على أن العمل الذي يستهدف الوصول إلى السبب الحقيقي للحدث التاريخي، عبر علاقة الحدث بالمنظومة التي أشرنا إليها، ليس عملاً ممكناً أو يسيراً في كل الأحيان لغموض الظروف التي تحيط ببعض أحداث الماضي، وقلة معلومات الأصول التاريخية عنها، أو تضارب روايات هذه الأصول. غير أن هذا يجب ألا يحول دون محاولة المؤرخ للوصول إلى أسباب الأحداث وكشفها. كذلك فإن صعوبة العمل الهادف إلى استخلاص أسباب الأحداث لا تنتفي بمعرفة الظروف التي أحاطت بها، ووفرة رواياتها، وتوافق هذه الروايات. ذلك أن هذا العمل مازال يفتقد إلى القواعد المحددة الثابتة، ويعتمد على بعض المبادئ العامة، أو انتقائية المؤرخ واجتهاده. وفي واقع الحال فإن وضع

- ١٦٢٦م) لكشف طبائع الأشياء أو صفاتها النوعية، حيث تسجل في قائمة الحضور كل الأحوال التي تظهر فيها الظاهرة الطبيعية موضوع البحث، فإذا كان البحث حول الحرارة مثلاً، فتسجل حالات حضورها في الشمس والجسم الحي والاحتكاك . .الخ . أما قائمة الغياب فتسجل فيها الأحوال التي لا توجد فيها الظاهرة الطبيعية . ففي مثال الحرارة يسجل عدم وجودها في أشعة القمر والجسم الميت . . الخ . ومن ثم يمكن معرفة السبب المولد للحرارة من خلال مقارنة الأحوال في القائمتين، وهو السبب الذي ينتفي وجود الحرارة بغيابه(٢٧) . إلا أن ما يؤخذ على طريقة استخلاص أسباب الأحداث التاريخية الجزئية هذه هي أنها لا تقوم على أفكار واقعية، بل على أفكار مجردة قد لا تكون حقيقية وعملية عند التطبيق . علاوة على أن مقارناتها لا تمثل غالباً سوى مقارنات بين الكلمات دون معرفة تامة بتفصيلات الأحداث والظروف التي أحاطت بها(٢٨) .

وشبهة الابتعاد عن الواقعية في تفسير الأحداث والتعرف على عللها لا تقتصر على طريقة الاستقراء هذه فحسب، بل تتطرق إلى كل وسائل تفسير الأحداث التاريخية التي تبتغي الوصول إلى علل عامة أو صيغ تفسيرية شاملة لمظهر أو جانب من جوانب التاريخ العام ككل، أو تاريخ مجتمع من المجتمعات الإنسانية . وقد سبق القول بأن مثل هذا العمل قد لا يكون من صلب تخصص المؤرخ وواجبه . والتعليل التاريخي الذي ركز عليه هذا البحث هو التعليل الذي يقتصر على تقصي أسباب الأحداث التاريخية الجزئية دون الأسباب أو العلل العامة لتطور المجتمعات الماضية وأنظمتها المختلفة مما لا يدخل ضمن الاهتمام المباشر للدراسة التاريخية الصرفة . وإن كان هذا لا يحول بين المؤرخ، كما سبق وأن أشرنا أيضاً، وبين التحري عن مثل هذه العلل إذا أراد . ولكن الموضوعية التي تنشدها الدراسات التاريخية تقتضي استبعاد البحث عن علل هي ألصق بالتأملات الفلسفية لمجرى التاريخ العام، وأقرب إلى نظريات فلسفة التاريخ .

الدكتور جميل موسى النجار
ليبيا/ قسم التاريخ – كلية الآداب / بزوارة
جامعة السابع من أبريل

الهوامش

١ - ينظر : المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٩٨٥، الجزء الثاني. ص ٦٢٣ - ٦٢٤ . الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، بيروت ١٩٨٦، المجلد الأول، الاصطلاحات والمفاهيم، ص ٢٨٢، ٤٧٢ .

٢ - الموسوعة الفلسفية العربية، نفسه، ص ٤٧٢ .

٣ - ينظر : كار، إدوارد، ما هو التاريخ، ترجمة ماهر الكيالي وبيار عقل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط.٣، بيروت ١٩٨٦م، ص ٩٨ - ٩٩ .

٤ - قاسم، محمود (دكتور)، المنطق الحديث ومناهج البحث ، ط.٥، دار المعارف، مصر ١٩٦٧م. ص ٢١٩ .

٥ - ينظر : محمد، على عبد المعطي (الدكتور) و عطيتو، حربي عباس (الدكتور)، المنطق ومناهج البحث العلمي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٢م، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

٦ - قاسم، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

٧ - لانجلوا وسينوبوس، المدخل إلى الدراسات التاريخية، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي مع نصوص أخرى عن الفرنسية والألمانية تحت عنوان : النقد التاريخي، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٠م، ص ٢٣١ .

٨ - بدوي، عبد الرحمن (الدكتور)، موسوعة الفلسفة، جـ ٢، المؤسسة العربية، بيروت ١٩٨٤، ص ١٦١ .

٩ - أنفسهما .

١٠ - أنفسهما، وينظر أيضاً : عثمان، حسن (الدكتور)، منهج البحث التاريخي، ط. ٤، دار المعارف، مصر ١٩٨٠م، ص ١٨٧ .

١ - قاسم، ص ٥٢٧ .

١٢ – لانجلوا وسينوبوس، ص ٢٢٩ . وينظر أيضاً : قاسم، ص ٤٥٤ – ٤٥٥، ٤٦١ .

١٣ – ما هو التاريخ، ص ٩٨ .

١٤ – حلاق، حسان (الدكتور)، مقدمة في مناهج البحث التاريخي، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٦م. ص ٢٣٦ .

١٥ – للتفاصيل يراجع : توينبي، أرنولد، الفكر التاريخي عند الإغريق، ترجمة لمعي المطيعي الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٠، ص ١٩٣ – ١٩٤ . حلاق، ص ٢٤١، ٢٥٣ العروي، عبد الله، مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٢، ج ٢، ص ٢٩٣ .

١٦ – مقدمة ابن خلدون، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي، ج ١، ط ٣، دار نهضة مصر القاهرة (د.ت)، ص ٢٨٢ .

١٧ – كار، ص ٩٨ .

١٨ – نفسه، ص ١١٩ – ١٢٠ .

١٩ – الشنيطي، محمد فتحي (الدكتور)، أسس المنطق والمنهج العلمي، دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٠، ص ٢٣٥ .

٢٠ - ينظر : لانجلوا وسينوبوس، ص ٢٣٣ .

٢١ – كار، ص ١٠٠ .

٢٢ – نفسه، ص ١٠٢ .

٢٣ – الشنيطي، ص ٢٣٦ .

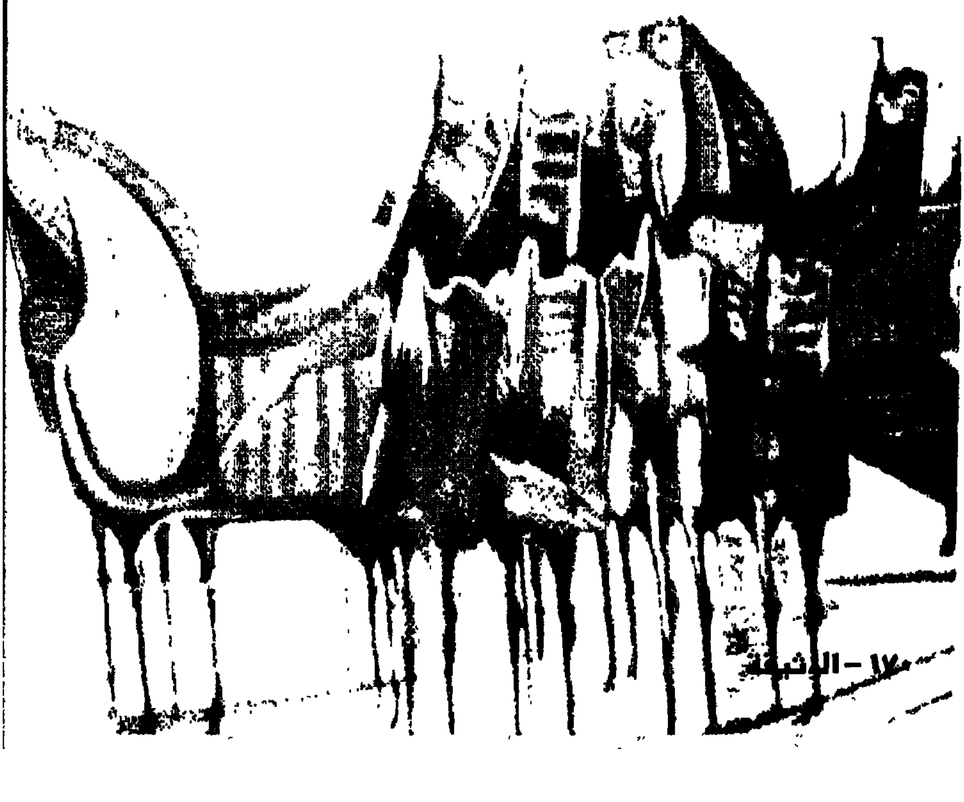
٢٤ و ٢٥ – لانجلوا وسينوبوس، ص ٢٣٥، وتنظر أيضاً الصفحة السابقة لها .

٢٦ – نفسه، ص ٢٣٢ .

٢٧ – بدوي، موسوعة الفلسفة، جـ ١، ص ٣٩٧ . قاسم، ص ١٨٩ – ١٩٠ .

٢٨ – لانجلوا وسينوبوس، ٢٣٢ .

الثقافة العربية



١٧ - الوثيقة

رجعيات وجذور

بقلم:

د. إسماعيل نوري الربيعي

لى الرغم من المحاولات التي بذلت من قِبَل الدولة العثمانية
يم البنية الإدارية والحكومية والرغبة في بلوغ مكانة تؤهلها
دة موقعها السابق . فإن الخراب، كان قد استفحل وغدا
مسيطرة على الحياة العامة، مما حفّز رعايا الدولة للنظر
جَدّي للأوضاع التي ألّمت بالسلطة الحاكمة، حيث برزت
من الدعوات والأصوات المنادية بضرورة الإصلاح وتغيير
الوهن التي غدت مستشرية في أوصال الدولة، ومدى
مها في المفاصل والقطاعات الأساسية من سياسية واقتصادية
اعية . والواقع أن عهد الإصلاح الذي برز بشكل جدي في
القرن التاسع عشر، زمن السلطان محمود الثاني "١٨٠٨ -
م"، لم يحقق النتائج المرجوّة منه، ولم يتحقق شيء من
ولات الإصلاح التي بقيت مجرد مشاريع[1] . إلا

أن هذا القول يعني أن الركود كان ملاصقاً للأمر بشكل مطلق . فقد أتاحت الإصلاحات العثمانية الصادرة علم ١٨٣٩م والمسماة خط شريف كلخانة والخط الهمايوني الصادر عام ١٨٥٦م، منح الفرصة لعناصر التجديد للعمل بحرية أوسع من السابق، وحصلت على مجال أكثر سعة، لإصدار بعض القوانين التي تتلاءم وروح التطورات التي شهدها العصر . ولولا القناعة الراسخة التي تهيأت للسلطة العليا، حول الأوضاع البالغة السوء التي تدور في فلكها الدولة، لما قُيِّضَ لقانون الأراضي العثماني أن يرى النور عام ١٨٥٨م أو قانون تسجيل الأراضي العثماني "الطابو" لضبط حدود الأراضي وتنظيم جباية العُشْر عام ١٨٦١م . ولما كان لهذه القوانين أن تحدث بعض التحولات في علاقة الأفراد بالحكومة أو في مجال الملكية الخاصة . فإن الاعتبارات السابقة والمتمثلة في سيطرة النخبة العثمانية التقليدية في المجال السياسي والديني والعسكري، كان لها الغلبة والكفة الرابحة على الصورة النهائية التي بلغتها مراحل الإصلاح(٢) .

شهد الواقع الثقافي في الدولة العثمانية نشاطا ملحوظا في مجال التعليم الذي تأثر بالتطورات السياسية والاقتصادية التي برزت وكان لها الفعل الواسع على العرب العاملين والدارسين في عاصمة الدولة، بالإضافة إلى الانفتاح الذي شهدته الصحافة التركية، الناطقة بلغة الثقافة "اللغة التركية" إبان تلك الحقبة، والتي استوعبت المواضيع الجديدة التي بدأت تتناقلها أفواه الناس، وتفكر بها، وكان من الطبيعي أن يبرز انعكاس تلك المواضيع بجلاء على رعايا الدولة العثمانية ومنهم العرب الذين نالوا القسط الوافر من الإهمال والعسف . وإذا ما كانت الفسحة التي وفرتها السلطات العثمانية في مجال تناول المواضيع التي تهم الناس وتناقش بعض همومهم وقضاياهم المباشرة، فإنما كانت لخدمة غايات وأهداف بعينها، يقع في مقدمتها امتصاص نقمة الناس على الأوضاع المتردية . فيما كانت هذه الحالة فرصة نادرة للمثقفين العرب للاطلاع عن كثب على المقالات والكتب التي اتسع مجال نشرها في العاصمة وباقي المدن العثمانية الكبرى والتي تناولت الاتجاهات والتيارات الجديدة

التي حفلت بها أوروبا ومثلت موضوعاً حيوياً بالغ الأهمية والتأثير على عقول المثقفين والمتنورين[٣] .

وإذا كان للمتغيرات التي برزت في مركز الدولة العثمانية تأثير على فئة معينة من العرب، فإن التحولات التي أحدثتها التنظيمات العثمانية كان لها أبلغ الأثر في تغيير معالم الصورة الاقتصادية والاجتماعية في المشرق العربي حيث تعرضت العلاقات القديمة داخل القبيلة إلى هزة عنيفة، تمثلت في تحول الشيخ إلى مالك كبير للأرض الزراعية التي كانت مشاعا للقبيلة بجميع أفرادها، فيما توجه أثرياء ووجهاء المدن نحو تملك الأراضي الزراعية بشكل واسع . وإبان تلك الحقبة برزت ظاهرة تدفق رأس المال الأجنبي نحو الوطن العربي لاستثمار الأموال في مشاريع الغاية منها ربط الولايات العربية باقتصاد السوق ونبذ النشاط الاقتصادي السابق القائم على سد الحاجات المحلية . مما مهد السبيل أمام التجار الأوروبيين لتوسيع أنشطتهم وحفزهم نحو تأسيس المصارف لتمويل المشروعات . وكان من الطبيعي أن يبرز دور للتجار العرب الذين برزت منهم فئة تمكنت من لعب دور هام في مجال العلاقات الاقتصادية والاجتماعية، إلا أن تلك الأهمية بقيت تدور في فلك تحقيق المكاسب وتوطيد النفوذ[٤]، بدليل أنها توجهت نحو دعم مركزها على حساب القوى الاقتصادية الأقل حظوة من تجار صغار وحرفيين . وفيما كانت البورجوازية التجارية المحلية منشغلة بتوطيد نفوذها وتدعيم سيطرتها، توجه المثقفون[٥] نحو استيعاب الأفكار الجديدة والمتعلقة بتنظيم المجتمع وقيم الارتباط السائدة على أسس مختلفة عن الأنماط التقليدية التي عفا عليها الدهر وما عادت تستوعب نمط الحياة الجديدة، التي بلغتها الأفكار المنادية بالتحرر والتجديد، إلا أنه من المهم الإشارة إلى أن النخبة المثقفة ما كان لها أن تتحرك بهذه الفاعلية، لولا انبثاقها عن جملة المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي رافقت ظهور البورجوازية التجارية المحلية . فالملاحظة الجديرة بالاعتبار أن أغلب عناصر النخبة المثقفة كانوا ينحدرون من تلك الفئة والتي هيأت لهم فرصة التعليم خارج ولاياتهم، سواء في العاصمة العثمانية، أو في بعض الحواضر الأوروبية . وبهذا يكون ميدان الثقافة قد اكتسب دماءً جديدة، اعتماداً على

إتاحة الفرص أمام فئات واسعة، في حين أن المناخ العلمي والثقافي، كان ذا صبغة عائلية قوامه التعليم الديني التقليدي، حيث أبرزت الشام من الأسماء؛ آل الكزبري والطنطاوي والميداني والنابلسي والمرادي وقدمت مصر الجبرتيان حسن وعبد الرحمن والنفراوي والزبيدي والعيدروسي، فيما طلع من العراق آل الألوسي والحيدري والسويدي والرجبي والشاوي[٦] . وعلى الرغم من التطورات التي فرضت نفسها في ميدان الثقافة والعلوم من خلال ما كانت تتناقله الصحف والكتب المطبوعة، إلا أن ظلال السلطة العثمانية الثقيلة كانت بادية للعيان، وتمثلت في صرامة الرقيب التركي الذي ضيق الخناق على المطبوعات وجعلها تراوح في مضامين محددة . ولم تقف هذه الحالة عند عاصمة الدولة بقدر ما انتقلت عدواها إلى الولايات الخاضعة للسيطرة العثمانية لاسيما ولاية سوريا، التي شهدت هجرة واسعة من قبل مثقفيها للتوجه نحو مصر التي أتاحت للصحافة حرية أوسع في مجال التعبير عن الرأي[٧] .

أتيح لمصر أن تتصدى لموضوعات فكرية أوسع بكثير من الكتابات التي ظهرت في الولايات الخاضعة للسلطان العثماني، وكان هذا الأمر ينبع من عاملين؛ الأول يتلخص في وقوع مصر تحت الاحتلال البريطاني، الذي وجد من مصلحته تعزيز الاتجاه نحو إبراز التناقضات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتحميل الدولة العثمانية وزر تخلفها والعمل على تقويض نفوذها . وهذا الأمر لا يخرج عن نزوع يصب في خدمة الأغراض الاستعمارية للوجود البريطاني . فيما يتلخص العامل الثاني في انشغال المفكرين العرب بالمحنة التي يقاسيها الشعب العربي مركزين على الأوضاع المحيطة بهم دون مراعاة للآتي من الأحداث والأوضاع المستقبلية[٨] . وقد ساهمت سياسة الالتفاف التي أخذت بها السلطات العثمانية بهدف تكريس مفاهيم الخنوع والإصرار على الإبقاء على كل ما هو قديم بدعوى حماية الدين الإسلامي ومحاربة كل دعوة من شأنها الترويج للتنوير والتجديد ووسمها بالبدع والضلال . وعمل السلطان عبد الحميد الثاني ١٨٧٦ - ١٩٠٩م على تكريس نفسه ممثلا للأمة الإسلامية من خلال الدعوة إلى الجامعة الإسلامية وعمل على توجيه وإخضاع كل الجهود لإبراز ...

لنهج. ووصف كل دعوة جديدة تحاول لإفصاح عن آمال وطموحات الشعوب لرازحة تحت السلطان العثماني بأنها .عوة موجهة ضد الدين والشريعة لإسلامية . من خلال تقريب أصحاب لطرق الصوفية الدينية التي كانت منتشرة في المدن، وجعل منها وسائل .عاية له بين العامة، ولم يتوان عن نفي برز شخصية سياسية إبان تلك الحقبة "**مدحت باشا**" الذي كان يتولى منصب "**الصدر الأعظم**" عام ١٨٧٦م، حين شعر أنه من أنصار الاتجاه المنادي بفصل السلطة السياسية عن الدينية[٩] . فيما فرضت رقابة صارمة على الصحف لصادرة في الدولة العثمانية، وتعرض لكتاب والمفكرون إلى متابعة وملاحقة جهاز الأمن، والتي كانت تقوم تهاماتهم على المحاولات التي يعمد ليها بعض المثقفين بإنشاء صحف في بعض الحواضر الأوروبية مثل باريس أو لعمل في الصحف القاهرية[١٠] .فرضت لتطورات التي شهدتها الحياة السياسية لمحيطة بالدولة العثمانية، الاتجاه نحو وجوب دراسة الأوضاع والبحث عن مخرج من التخبط الذي تدور في فلكه . وكان للاتصال الواسع مع الغرب، سواء على صعيد العلاقات الدولية ، أو تأثر الرعايا العثمانيين الذين أقاموا في أوروبا للدراسة أو العمل، دور أتاح الفرصة واسعة لظهور المفاهيم السياسية الجديدة حول السلطة السياسية وبروز الأفكار المنادية بضرورة التغيير في مجال تحديد علاقة الأفراد بالسلطة، من خلال الاستناد إلى القاعدة الدستورية التي تضمن الحقوق والواجبات الكفيلة بسير المجتمع والدولة وفق أسس محددة لا يمكن تجاوزها . ولم تجد النخبة المستنيرة المطالبة بالحياة الدستورية، صعوبة في طرح البديل، حين أشارت إلى إمكان الاستفادة من التجربة الأوروبية في مجال التمثيل البرلماني للشعب . إلا أن هذا لا يمنع من القول، بأن القوى الأوروبية كانت تعد ظهور الدستور في الدولة العثمانية أحد المطالب التي يجب الأخذ بها . وفي ٢٣ كانون الأول ١٨٧٦م تم إعلان الدستور العثماني الذي روعي فيه المواءمة بين الشريعة الإسلامية والدساتير الأوروبية . حيث أتيح للسلطان عبد الحميد انتخاب أعضاء مجلس الأعيان، فيما تم انتخاب مجلس المبعوثان العثماني، وتم للبرلمان الاجتماع في ٩ آذار ١٨٧٧م[١١] .

مثلت التجربة الأوروبية في مجال التحديث وبناء الدولة على الأسس

الحديثة، مثالاً واضحاً على الرقي وحسن التناسق في الأداء. ولم يغفل المهتمون من الإشارة إلى الأسس الصحيحة التي اعتمدتها الأمم الأوروبية في مجال البناء والرقي، مشيرين إلى التدرج الذي اتخذه الأوروبيون سلماً لبلوغ الحالة التي وصلوا إليها. فكان التذكير، بأنه ما من تجربة يمكن لها أن ترى النور، ما لم يتوافر لها الجهد والعمل الجاد والإيمان إضافة إلى استيعاب تجارب السابقين للوقوف على الصالح والطالح من الأعمال، لكي يتم التوصل إلى عمل منظم غايته تحقيق الأهداف المرجوّة، حيث عمد رجال الحكومة العثمانية إلى الإفادة من تجربة الصحف وهي الابتكار الأوروبي، لتوسيع مدارك العامة، وجعل الأخبار والأفكار في مختلف مناحي الحياة بين يديّ مواطني الدولة. ليتسنى لهم الإفادة والإطلاع على ما يجري من حولهم. وفي هذا كان الرأي على أن الصحف وفي حال انتشارها وتوسيع دورها ستكون واسطة للتفاهم وبلوغ حالة من الإدراك بين الجهات الرسمية المثلة بالحكومة وقطاعات واسعة من الشعب، لاسيما النخبة المثقفة منهم. ولم تكن النظرة إلى أهمية الجريدة مجرد وسيلة لنقل الأخبار والإطلاع على المعلومات بقدر ما كان الوعي بها كأداة مساعدة لنشر الثقافة والعلوم وترقيتها والارتقاء بمستواها. إضافة لاعتبارها تجربة جادة من شأنها تهيئة الأفكار لجميع فئات الشعب، لاستيعاب التطورات القادمة، والتي أريد من منبر الصحافة أن تكون الميدان الذي يتم فيه الانفتاح على الناس[١٢].

كانت الأوضاع الاجتماعية في المشرق العربي تفصح عن ضيق ومشاكل متفاقمة، لاسيما بعد المجال الواسع الذي أتاحته السلطات العثمانية للاحتكارات الأجنبية من العمل والسيطرة على منافذ التطور الاقتصادي. حيث أسهمت في تعطيل تطور الدور الاقتصادي لنشاط الحرفيين. مما كان له أبلغ الأثر في ركود الفعاليات وجعلها مقصورة على قطاع صغير ومحدود من الإقطاعيين وتجار المدن الذين وجهوا جلّ أنشطتهم في مجال الصيرفة وتقديم القروض بفوائد كبيرة والتي كان لها الأثر السلبي في إرهاق الفئات العاملة. وعلى هذا فإن القوى الوطنية وعت بشكل لا يرقى إليه الشك أن الخطر يكمن في محورين. يتمثل الأول في السيطرة العثمانية

وتخلف جهازها الإداري والحكومي، فيما يتلخص المحور الثاني في هيمنة الرأسمال الأوروبي الذي فرض وجوده على المنطقة بدعم من الحكومات الأوروبية وبالذات بريطانيا وفرنسا . وكان لاتساع العلاقات التجارية بين بلاد الشام والمناطق العربية كفلسطين وشرق الأردن وشبه جزيرة العرب والعراق، أثره الواضح في تعميق عرى الاتصال وتوثيق آصرة الاتحاد حول المصير المشترك الذي يربط المنطقة في مواجهة التحديات والأخطار الجسام التي تهدد الوحدة الثقافية والقومية للمنطقة . وكان للنشاط الدافق الذي بذله المتنوّرون العرب في توكيد الهوية القومية والوعي بأهمية التصدي لكل الأساليب والأنشطة التي تهدف إلى تعزيز الانفصال والفُرقة بين أبناء الأمة الواحدة . ومثلت اللغة عاملاً رئيسياً في توكيد الوحدة الثقافية، وكانت النخبة المثقفة العربية قد وعت هذه المسألة بشكل جيد، حتى أنها جعلت منها أحد سبل العمل والانطلاق في تحقيق الغايات المنشودة . ولم يكن المثقفون العرب في معزل عن الاتجاهات والتيارات الثقافية والسياسية التي كان لها صدى في العالم . فقد أقدمت الصحف الصادرة في الحواضر العربية على ترجمة المقالات السياسية والفكرية والأدبية التي تتناول أبرز الظواهر في مجالات الحياة المختلفة . وانتقاء روائع الفكر الإنساني لتقديمه إلى القراء العرب، فيما حرص المثقفون والمتعلمون العرب على احتواء رفوف مكتباتهم على المجاميع الفكرية لأساطين الفكر العالمي، وكانت أغلب مقار الصحف أشبه بالنوادي الفكرية على حد تعبير لوتسكي، حيث يتم مناقشة مختلف القضايا ذات المساس بالحياة العامة . ولم تنقطع الصحف عن عامة الشعب أو تنعزل لأداء دور نخبوي موجه لخدمة أهداف وأغراض فئة بعينها، بل كانت أبوابها مشرعة أمام العامة، حتى أن العديد من الفلاحين كانوا يأتون بشكاواهم ضد الإقطاعيين وموظفي الحكومة بشكل مباشر إلى مقار الصحف . وإذا ما كانت الإشارة إلى عسر الأوضاع التي كانت تمر بها البلاد العربية، فإن ذلك لم يجعل النخبة المثقفة تنكفئ في زاوية العزلة . بل حاول المثقفون بكل جرأة ونشاط التعبير عما يجول في خاطرهم إزاء العديد من القضايا التي شغلت العالم . فلا غرو أن يخرج مثقفو بيروت الأحرار عام

١٩٠٩م، معبرين عن احتجاجهم إزاء الحكم الديكتاتوري في أسبانيا[١٣] .

وعت النخبة العربية المثقفة أهمية الصحافة في كسب الرأي العام، وكشف الحقائق وتوجيه الأنظار نحو التناقضات التي تحيط بالأوضاع العامة . ولم يقتصر الجهد في المجال الداخلي، بقدر ما توجه الوطنيون نحو الصحافة العالمية لشرح أبعاد القضايا للمجتمع العالمي . وفي هذا المجال يبرز دور الزعيم الوطني مصطفى كامل، الذي أخذ على عاتقه فضح الأساليب والمناورات التي كانت تعمد إليها سلطات الاحتلال البريطاني في مصر، استناداً إلى الأدلة القانونية والدستورية، ولم يكتف في تدبيج المقالات والدراسات، بل عمد للاتصال بالشخصيات السياسية والبرلمانية والإعلامية الفرنسية، وتنظيم الندوات والمحاورات والملتقيات حول القضية المصرية في فرنسا والنمسا وألمانيا[١٤] . وفي هذا المجال يمكن الإشارة إلى الجهود التي كان يبذلها المثقفون العرب في الإفصاح عن الصورة المربكة التي تحيط بالأوضاع العربية . فلم تعد المطالب تركز على تغيير الصورة السياسية في المجال العثماني، بقدر ما كان التوجه نحو الاهتمام بالقضايا التي تهم الولايات العربية، وفي ذلك يمكن الإشارة إلى التطور السياسي الهام والمتمثل في الانقلاب الذي قامت به جمعية الاتحاد والترقي وإعلانها إعادة العمل بالدستور في ٢٣ تموز ١٩٠٨م. والتحول في مسار السلطة السياسية من الاستناد إلى سلطة فردية ممثلة بالسلطان، نحو حكومة تقوم على الحقوق الدستورية[١٥]، إلا أن الأحداث كشفت عن خيبة أمل مريرة، كشفت عنها التوجهات التي اعتمدها الاتحاديون وحرصوا على تطبيقها . مما حدا بالنخبة المثقفة أن تمارس دورها في توسيع الآفاق الفكرية والعلمية لأبناء الولايات العربية، إدراكاً منها بأهمية المواجهة الحضارية مركزين على إحياء التراث العربي وتعليم اللغة العربية واعتبارها الهوية الثقافية للأمة العربية[١٦] . وبعد أن أفصح الاتحاديون عن النهج العنصري ومحاولة تذويب القوميات في الطورانية التركية، كان من الطبيعي أن تبلغ جذوة الحماس القومي مداها، لتلتف العناصر القومية من الضباط العرب حول شخص عزيز علي المصري، لتأسيس حزب العهد في ٢٨ تشرين الأول ١٩١٣م الذي أكد في منهاجه على استقلال البلاد العربية

والإبقاء على ارتباطها مركزياً مع الدولة العثمانية[١٧] . ولم يعد الارتباط بالدولة العثمانية، إلا مظهراً، في حين كانت اللامبالاة سمة ملازمة لأبناء الولايات العربية حول أدق الأخطار التي أحاقت بالإمبراطورية لاسيما في مجال الخسائر الحربية التي كانت تتلقاها تباعاً. في حين أن التعاطف مع الأخطار التي تهدد الولايات العربية يبرز بصورة أوسع. فحين شنت إيطاليا حربها على طرابلس الغرب عام ١٩١١م، نجد التفاعل قد بلغ أشده ممثلاً في حملات التبرع وإقامة الصلوات وتأجيج الحماس في النفوس . وهنا نجد أن الحس النقدي يأخذ مداه ويظهر بشكل واضح. فلم تعد الأنباء الحربية التي تصدرها دوائر الإعلام العثمانية تثير الاهتمام بقدر ما كانت مدعاة للمناقشة والمحاججة والتفسير الطويل والذي لا يخلو من ضعف الثقة بالأخبار ومصدرها[١٨] .

حرص المثقفون العرب على تحديد علاقتهم بالدولة العثمانية من خلال الدعوة اللامركزية والتي وجدوا فيها الضمانة الكافية لجعل العربية اللغة الرسمية في ولاياتهم مع الإبقاء على عنصر الشراكة والممثل بالدين الإسلامي للوقوف بوجه الأخطار والطموحات الاستعمارية[١٩] . وأخذت هذه الدعوة مداها في المجال السياسي، حين عمّق الاتحاديون من سياسة البطش والاضطهاد، لتبدأ مرحلة العمل المباشر والذي انبثق عنه تشكيل مجموعة من النواب العرب رفعت شعار المطالبة بحقوق العرب، فيما انضوى بعض النواب العرب في حزب الحرية والائتلاف الذي نادى بتطبيق اللامركزية في حكم الولايات العثمانية[٢٠] .

كانت الإجراءات التي بدأها الاتحاديون حول الحياة الدستورية، وإطلاق الحريات العامة، لاسيما إفساح المجال أمام المطبوعات للتعبير بحرية، أن رسمت أمام المثقفين العرب آمالاً واسعة في إمكانية التغيير، حتى أن البعض منهم، أضحت لديهم القناعة بضرورة تبوؤ العناصر الشابة للمراكز القيادية في الدولة وعبروا عن هذا المنحى في ضرورة إقصاء السلطان عبد الحميد عن منصبه، باعتباره من مخلفات العهد القديم . إلا أن هذا الاتجاه لم يكن الوحيد الفاعل والمؤثر في الأوضاع . فإن النخبة التقليدية من الملاك والوجهاء ورجال الدين والممثلين للتيار المحافظ وقفوا بكل ثقلهم إلى جانب السلطان عبد

الحميد مندديـن بالأوضـاع الجديـدة، دامغينها بـالطيش والبعد عن الشريعة الإسلامية حتى أنهم خرجوا بمظاهرة في بغداد[٢١] طالبوا فيها بالعودة إلى الإسلام وإلغاء العمل بالدستور الذي وجدوا فيه شراً من شرور أوروبا . ولم يطل الأمر بالاتحاديين حتى انغمسوا في سياسة عنصرية وجعلوا من الدستور وسيلة لإمرار رغباتهم، مما كان له الأثر البالغ في موقف المثقفين العرب من حكومة الاتحاديين حيث وجدوا في موقفها تنكراً للأهداف التي هللوا لها وساندوها . مما حدا بهم للتوجه نحو تأسيس جمعيات أدبية وعلمية تطالب بتطبيق الدستور، إلا أن واقع التجمع كان يصب في جمع كلمة المثقفين العرب حول موقف موحد من الإجراءات المتعسفة التي بالغ بها الاتحاديون، وقد استطاعت هذه الجمعيات أن تستقطب العناصر المثقفة التي تراوحت مواقفها حول تيار اللامركزية في طبيعة العلاقة السياسية مع الدولة العثمانية، فيما برز اتجاه يطالب بالعودة إلى الإسلام[٢٢].

كان التباين الواضح بين الولايات العربية في مجالات المستوى الاقتصادي والاجتماعي أهم السمات البارزة والواضحة في التأثير على الأنشطة العامة . فقد استطاعت بعض المد
العربية الحصول على فرصة أوسع وأ
في مجال الاتصال بالثقافة ووسائل
بنشاط وفاعلية . ولنا في ذلك أن نش
إلى بلاد الشام، التي تهيأت لها فرص
الاتصال المباشر بوسائل التحديث ع
طريق منافذ مختلفة ومتنوعة، سا
تركز الحياة الاقتصادية الأكثر نشاطاً
المدن في ظهورها للعيان بصورة أسبق م
المناطق الواقعة إلى الجنوب منها
فحين نعمد إلى المقارنة نجد أن الحي
المدنية في بلاد الشام، قد أخذت مداه
في مجال التركز والتأثير وتمكنت م
فرض بصمتها وشئونها وتأثيراتها .
حين أن العراق والجزيرة العربية
كانت تتمثل فيهما الحياة القبلية، على
الرغم من وجود المدن العريقة والقديمة
وإذا ما أريد لنا الوقوف على أسباب
تلك الظاهرة، فلابد أن نعرّج على أهمي
الفعاليات التي اتجه نحوها سكان المد
في بلاد الشام وانغماسهم في الحي
التجارية المستندة إلى فاعلية الاتصا
بالشركات الأوروبية التي حرصت عل
تأسيس وكالاتها التجارية في المد
التجارية وأفسحت المجال أمام السكا
المحليين للاشتغال في هذا المجا
بالإضافة إلى العناية التي أولتـ

الإرساليات التبشيرية والطوائف الدينية لبعض رعاياها المتواجدين في المنطقة[٢٣]. وتبقى أسبقيات الاتصال والمتاح من الفرص للتغيير إلى جانب المدن عادة، مقارنة بالحياة القبلية المستندة إلى العرف المتوارث ورسوخ التقاليد وركود العلاقات الاجتماعية، والخشية مما هو جديد والتشكيك فيه. إلا أن هذا الوصف لا يعني أن الحياة المدنية كانت تقوم على الأنموذج الأمثل، فلم تنج من تفصيلات المؤثرات التي كانت تطبع المجتمع، فالتركز البشري في الحواضر العربية الكبرى كان يخضع لاعتبارات التقارب الديني والقومي بل وحتى القبلي. وهذا التوزيع الجغرافي كان ينبثق عن الرغبة في الحصول على الأمن وهيمنة الاعتبارات التقليدية على التشكيلات الاجتماعية التي تؤلف المدن. ولم يكن هذا الأمر يخرج عن طبيعة العلاقات التي أفرزتها اتجاهات الإدارة العثمانية والإمكانات المتاحة لديها[٢٤].

ترتبت على العلاقات الاجتماعية النازعة نحو العزلة وترتيب شئونها وفق ما تمليه عليها مصالح الطائفة أو القبيلة، علاقات غير مستقرة، اتسمت بالارتباك والفوضى وعدم الثقة حتى أن نشوب الفتن والصراعات المباشرة والتقاتل، لم يقتصر على العشائر فقط إنما كانت الصدامات بين أحياء المدن ظاهرة واسعة لا يمكن تجاوزها أو التغاضي عنها. والاتجاه نحو الصدام المباشر مع القوى المحلية المجاورة أو الفئات الاجتماعية، بقدر ما كانت الصدامات مع السلطة السياسية على صعيد صدامات العشائر العربية مع الحكومة العثمانية، أو النشاط الذي كانت تبديه النخبة المثقفة للتصدي في وجه السلطة العثمانية وكشف أساليبها المتخلفة في الإدارة وتنظيم شئون الولايات العربية. ولم تكن الصدامات تخرج عن إطار صدام الأفكار والاتجاهات والتيارات السائدة، فإذا ما كانت المواجهات تتعلق بقضايا متوارثة وصراعات تقليدية حول مشاكل راكدة لا تتغير، فإن دعوة الإصلاح والمطالبة بالحياة الدستورية، جعلت من الأفكار أحد أهم الأسباب في نشوب الصراعات، لاسيما وأن النخبة القديمة من الإقطاعيين والملاك والوجهاء وبعض رجال الدين، وجدوا في اتجاه الإصلاح والتحديث تقويضاً لنفوذهم مما دعاهم لقيادة معارضة هذا الاتجاه، بل والعمل على المواجهة المسلحة إزاء دعاة التغيير مما كان له أبلغ الأثر في مسار

الإنجازات الإصلاحية وتأخر ظهورها في الولايات العربية[٢٥] .

وإذا ما كان الحديث عن التباين في منافذ بلوغ الثقافة الحديثة والأفكار الإصلاحية إلى الولايات العربية، والاختلاف في الفرص، فإن هذا لا يعني أن الولايات الأقل حظوة في هذا المجال قد بقيت على حالة الركود والسكونية . فما حاولت فيه الدولة العثمانية في سبيل الارتقاء بجهازها الحكومي لتجاوز الأخطاء القديمة وبلوغ مستوى المرحلة الجديدة، والتي برزت آثارها في مجال نشر المدارس الحديثة وتأسيس المطابع وإصدار الصحف، كان له أبلغ الأثر في وصول الأفكار الجديدة إلى الولايات العربية في الجزيرة العربية والموسومة بالعزلة، والإجراءات المشار إليها وإن كانت بالأصل موجهة نحو الارتقاء بالجهاز الإداري العثماني، وغير مهتمة بأبناء المنطقة، إلا أنها أسهمت في تحفيز الوعي الاجتماعي والفكري، وكان لها الأثر في تحريك الدوافع، وعليه نجد صحفاً قد ظهرت في الجزيرة العربية مثل؛ جريدة صنعاء الرسمية ١٨٧٩م وجريدة الحجاز ١٩٠٨م وجريدة شمس الحقيقة في مكة التي صدرت عام ١٩٠٩م وجريدة الرقيب في المدينة المنورة وجريد[ة] الإصلاح الحجازي في جدة[٢٦] .

لم يقتصر الأمر على الصح[ف] الصادرة في الجزيرة العربية، والت[ي] كانت بالأصل تشكو من ضعف قدراتها الصحفية وأدائها الكتابي حتى أنها في أغلب الأحيان، لم تر[ق] على مستوى لغة الكتب الرسمي[ة] المستخدمة في دواوين الحكومة، إضاف[ة] إلى ركاكة الأسلوب وضعف اللغة نتيج[ة] لاشتغال العناصر غير المؤهلة له[ذا] العمل . وكانت الصحف الصادرة [في] مصر وبلاد الشام تصل إلى أيدي القر[اء] في الجزيرة العربية عن طريق عدة مناف[ذ] يكاد يكون موسم الحج أهمها. و[لم] يقتصر الأمر على الصحف الصادرة [في] الولايات العربية فقط، إنما كانت تص[ل] إلى المنطقة العديد من الصحف الصادر[ة] في استنبول[٢٧] أو الصحف الصادر[ة] خارج البلاد العثمانية والتي يشرف عل[ى] إصدارها، المعارضون للسلطا[ت] العثمانية .

وإذا ما كانت الصحف ووسائ[ل] الثقافة الأخرى، قد لعبت دورها [في] إيصال الأفكار الجديدة إلى المنطقة وكان لها الساحة والدور في تف[ع]ـيـ[ل]

الأفكار وتنبيه الأذهان إلى أهمية الإصلاح وضرورة التغيير، إلا أن قلة المتأثرين بها ومحدودية تأثيرهم في المجتمع، جعلت مهمتهم عسيرة إن لم نقل مستحيلة. فالمثقفون أنفسهم والمطلعون على الجديد من الأفكار والمفاهيم، لم تتوفر لديهم القناعة الراسخة فيما كانوا يطلعون ويقرأون. إذ لم يكن أمامهم سوى مجال ضيق ومحدود يمكنهم من استيعاب الأفكار[٢٨]، وإمكانية تطبيقها على أرض الواقع. حتى أن الكثير منهم، كان يرى فيها مجرد أفكار مثالية، وهذا يعود إلى هيمنة التقاليد القديمة التي كانت تفرض سطوتها بكل قوة على المجتمع. أما على صعيد العلاقات العامة بين القوى المحلية، فإن الصراعات المحتدمة بين الإمارات والقبائل. كانت تمثل المادة الرئيسية لاهتمامات وتطلعات المثقفين والأدباء لاسيما الشعراء منهم. فهم بالعادة إلى جانب أحد الفريقين المتناحرين، لاعتبارات تتعلق برابطة الدم والولاء القبلي والحصول على المكاسب المادية. وعليه طغى دورهم في مجال إقرار هذه الحالة، دون أن يبرز لهم أي دور في إيقاف النزيف اللاهب، منشغلين في وصف الحروب والوقائع التي لا تنقطع، وعليه بقي النتاج الشعري المعني بهذا المجال، يراوح في إطار التقليدية ولم يبتعد عن أسلوب القصيدة العربية الكلاسيكية مع بروز التأثيرات الدينية الواضحة والتي يضعها كل فريق كمنطلق رئيسي في الدفاع عن كيانه ووحوده[٢٩].

د. إسماعيل نوري الربيعي

الجامعة الأردنية - كلية الآداب

قسم التاريخ

عمان - الأردن

الهوامش

١ – زين نور الدين زين، نشوء القومية العربية، دار النهار، ط ٢، بيروت ١٩٧٢، ص ٤١ .

٢ – عبد الله حنا، من الاتجاهات الفكرية في سورية ولبنان. . النصف الأول من القرن العشرين، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق ١٩٨٧، ص ٢٧ .

٣ – عبد الزهرة مكطوف الجوراني، الفكر السياسي في المشرق العربي أواخر القرن التاسع عشر حتى عام ١٩١٤، معهد الدراسات القومية والاشتراكية في الجامعة المستنصرية، رسالة دكتوراه غير منشورة ١٩٩٠، ص ٨٤ .

٤ – د. إبراهيم خليل أحمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ١٥١٦ – ١٩١٦، جامعة الموصل. الموصل ١٩٨٣، ص ٣٦٠ .

٥ – تركز الأدبيات المهتمة بدراسة هذه الفترة على استخدام مصطلح "الأنتلجنسيا" الذي يشمل "الموظفون، المعلمون، القضاة، المحامون، ضباط الجيش، متعلمون" وهم يشكلون النخبة الواعية القادرة على قيادة التغيير .

٦ – توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨ – ١٩١٤ معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة ١٩٦٠، ص ١٣ .

٧ – كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، الإسلام في القرن التاسع عشر، ترجمة د. نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط ١، بيروت ١٩٥٠، ج ع ، ص ١٠٠ .

٨ – مجيد خدوري، الاتجاهات السياسية في العالم العربي دور الأفكار والمثل العليا في السياسة، الدار المتحدة للنشر، بيروت ١٩٧٢، ص ٤٦ .

٩ – محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق د. إحسان حقي، دار النفائس. ط ٦، بيروت ١٩٨٨، ص ٥٩٣ .

١٠ – سليمان البستاني، عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، تحقيق ودراسة خالد زيادة، دار الطليعة، بيروت ١٩٧٨، ص ٩٤، أنظر أيضاً، كارل بروكلمان، المصدر السابق. ص ص ٩٠ – ٩١ .

١١ – د. محمد مخزوم، التنظيمات العثمانية محاولة فاشلة للإفلات من براثن التغلغل الأوروبي، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد ٧٧ – ٧٨، آذار – نيسان ١٩٨٥، ص ١٨ .

١٢ – خالد حبيب الراوي، من تاريخ الصحافة العراقية، منشورات وزارة الثقافة والفنون – الجمهورية العراقية، بغداد١٩٧٨، ص ١٠ .

١٣ – فلاديمير لوتسكي، الحرب الوطنية التحررية في سوريا ١٩٢٥ – ١٩٢٧ صفحة مشرقة من النضال العربي ضد الإمبريالية الفرنسية، ترجمة د. محمد دياب، مراجعة د. مسعود ضاهر، دار الفارابي بيروت ١٩٨٧، ص ص ٧٠ – ٧١ .

١٤ – د. جلال يحيى ود. خالد نعيم، الوفد المصري ١٩١٩ – ١٩٥٢، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ١٩٨٤، ص ٥٩ .

١٥ – Bernard Lewis , The Emergence of Modern Turky, London 1968, P. 207 .

١٦ – Abdul Wahab Abbas Al-Qaysi , The Impact of Modernization on Iraq . Society during the Ottoman Era : A study of Intellectual Development in Iraq,1869 - 1917, A Doctoral thesis submitted to the University of Michigan 1958, Unpublished, P. 105 .

١٧ – محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، تقديم د. غسان العطية، دار السلام، ط٢، لندن ١٩٩٠، ص ٢٥ .

١٨ – ستيفين هسلي لونكرك، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ إلى سنة ١٩٥٠، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، الفجر للنشر والتوزيع، بغداد ١٩٨٨، ص ٧٩ .

١٩ – وجيه كوثراني، الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠ – ١٩٢٠ مساهمة في دراسة أصول تكوينها التاريخي، معهد الإنماء العربي، ط ٢، بيروت ١٩٧٨، ص ١٥٣ .

٢٠ – سليمان موسى، الثورة العربية الكبرى وثائق وأسانيد، دائرة الثقافة والفنون، عمان ١٩٦٦، ص ٥٥ .

٢١ – عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، مطبعة شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد ١٩٥٦، ج ٨، ص ١٦٤ .

٢٢ – د. عبد العزيز السعدي، التكوين التاريخي للأمة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٣، بيروت١٩٨٦، ص ص ٢٣٦ – ٢٣٧ .

٢٣ – أمين الريحاني، قلب العراق – كتاب سياحة وسياسة وأدب وتاريخ، بيروت ١٩٣٩، ص ٤٠ .

٢٤ – جلال أحمد أمين، المشرق العربي والغرب – بحث في دور المؤثرات الخارجية في تطور النظام الاقتصادي العربي والعلاقات الاقتصادية العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٧٦، ص ٢٧ .

٢٥ – د. سيار كوكب علي الجميل، تكوين العرب الحديث ١٥١٦ – ١٩١٦، دار الكتب للطباعة والنشر. الموصل ١٩٩١، ص ٣٥٤ .

٢٦ – أديب مروة، الصحافة العربية، بيروت ١٩٦١، ص ١٩ .

٢٧ – الشيخ عبد الواسع بن يحيى الواسعي اليماني، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن، القاهرة ١٩٤٧، ص ٦٨ .

٢٨ – زيد علي الوزير، دراسات في الشعر اليمني القديم والحديث، د.م ١٩٦٤، ص ١٣٤ .

٢٩ – من أبرز أولئك الشعراء، عبد الجليل الطباطبائي، المتوفى عام ١٨٥٣ وأحمد بن مشرف والشاعر إبن عثيمين من مواليد عام ١٨٥٣، أنظر حسان عطوان، ملامح الشعر الخليجي القومي في مرحلة ما قبل ظهور النفط، مجلة الدوحة "قطر" العدد ٦٢، فبراير ١٩٨١، ص ٣٨ .

depredations of the fierce wahhabis, a sect of fanatical Arabs pledged to destroy and plunder all who differed from them, especially other Moslems. They became powerful all over Arabia, came down to the coast and overran Muscat. A report of their methods indicates their simple means of reasoning –

"If you are a captive, and offer all you possess to save your life, they say 'No, it is written in the Koran that it is unlawful to plunder the living, but we are not prohibited in that sacred work from stripping the dead,' so saying, they knock you on the head." Sayyid Sa'id also presented the Kuria Muria Islands, off the south east corner of Arabia, to the English.

After his death, Zanzibar and Muscat were separated and his sons had one each. Sultan Thuwaini, who took Muscat for his share, made a very important agreement with the English:

". . . My faithful ally, the British Government, is at liberty to construct one or more lines of telegraphic communication anywhere within the territories appertaining to the State of Muscat and in any territories that I may hold in lease from the Shah of Persia."

Two years later, in 1866, this Sultan was assassinated by his own son, Sohar. This led to much internal friction until Turki, a son of Sayyid Sa'id, took over and was held in high regard by all the British officials with whom he came in contact. In 1873 he signed a treaty with Sir Bartle Frere for a real suppression of the slave trade. All public slave markets were closed and all liberated slaves granted protection. He also succeeded in at last getting the Sultan of Zanzibar to follow his example to stamp out slavery. In the same year subjects of Indian states, equally with British subjects, became amenable to British consular jurisdiction and seven years later the Agency had its first military guard. Sultan Turki died in 1888 and was succeeded by his son Faisal who ruled until 1913.

The present Sultan, Sayyid Sa'id bin Taimur, succeeded in 1932.

teenth century the Arabs finally drove the Portuguese out of Muscat but it was more than one hundred years before the Sultanate was formed. After so long a reign of power the downfall of the Portuguese is well described by one of their own writers, Faria Y Sousa . . . "The Portugeses endeavouring to gather wealth, but not providing the means to defend it. The Ruine of our affairs proceeds from the little regard the great ones have for the lesser sort, and the covetousness of the small ones, which made them forget their Countrey and their Honour . . . The Portugeses can recover what is lost, but know not how to preserve what they gain, which is the most glorious part, it being the work of Fortune to gain, and that of Prudence to preserve."

At the end of the eighteenth century Sayyid Sultan seized Muscat and the coast and, although a usurper, made himself master of it all and also occupied Gwadur on the Makran coast, Quishim, Chabhar and Hormuz. The Titular Imam retained possession of the interior of Oman and had Rostaq as his capital. The English made a treaty with Sayyid and secured his support against the French and Dutch and, in 1800. Sir John Malcolm installed the first political Agent at Muscat with Sayyid's consent. His name was Bogle and he had already gained the Sultan's confidence for his calling was that of a surgeon and, as such, he had rendered service to Sultan Sayyid. The importance of trade with India no doubt largely influenced the Sultan when he gave preference to the English.

Eleven years after gaining power the Sultan was killed by a musket ball on board one of his own ships, when he was out pirate hunting. His nephew, Badr, succeeded him but was assassinated three years later. Again a usurper took possession, but this time a man of great energy and ability, one Sayyid Sa'id, who ruled for nearly half a century. He extended the territory of his country to Zanzibar, where he spent much of his time, and made treaties with the English to suppress the slave trade and the

"Which far outshone the wealth of Ormus or of Ind." It was the key city to the Gulf until the English appeared on the scene and, with the aid of their Persian allies, drove the Portuguese to surrender. They did so on the condition that they should be sent either to Muscat or India. The English carried out their word so well that a "certificate from the Portugalls" speaks of "their kind usage wherein was performed more than was promised them" and goes on to record –

"the signatories with others doe witness how it is true the English captaines have performed their promise made upon yielding up the castle, by giving two of them our ships or pinnasses to carry away all the people wither they would goe, also by defending them, that at no time neither Moore nor Infidell should do them hurt . . . and more, they have given hospitality to our sick and wounded . . . with so great care and diligence as if they had been their own brothers."

Having obtained the key port to the Gulf the English, in a moment of aberration, presented it to their ally Persia. It was a foolish and a very costly mistake to have made for the Persians immediately stripped the town of all its wealth and luxury until the chief market of the 'gorgeous East' was reduced to the plight of Babylon and left a barren rock on which a handful of people scraped a bare living. An English-man, Thomas Herbert, visited the island only five years later and records that "It has no fresh water, save what the fruitful clouds weep over her, in sorrow of her desolation, late so populous." Thus in so short a time "that late glorious Citie" with a population of 40,000 practically ceased to exist. To crown the sorrows of the English, then represented by the East India Company, they were made to pay their Sovereign, King James I, the sum of £10,000 by way of placating him for the loss of so valuable a port and, as Lord High Admiral, the Duke of Buckingham demanded a like sum.

In the middle of the seven-

"some men and women prisoners whom they did not expect to have any need of, were set at liberty after having their ears and noses cut off."

The Portuguese remained in occupation for twenty-one years until Pir Baig, the notorious Turkish pirate, captured the town and deported the occupying garrison. Twenty-five years later the Portuguese had their revenge and routed the Turkish fleet. This time the occupation lasted nearly thirty years and then again came a change of conquerors. This ding dong clash of arms between Turks and "Portugalls" was finally won by the Portuguese who built the two forts, Mirani, and Jalali, and remained the victors until the end of the century.

Commenting on these forts the great Lord Curzon said –

"How these big names and proud deeds of the old Portuguese conquerors contrast with the shrivelled possessions and the dissipated physique of their present descendants, the dingy domestic servant population of Goa."

These forts are still wonderfully preserved, being built of stone and covered with baked mud. It is worth noting how cleverly the very rock itself has been incorporated into the walls. In that of Mirani, Portuguese inscriptions on the wall are still legible and a circular Roman Catholic chapel, unused for centuries, still exists with the stoup for Holy Water at the entrance and the Latin writing easily decipherable in a panel.

The heat within the walls, even in the winter months, is appalling, for they are so thick that they seem to soak up the sun as a sponge does water. From the windowless openings, often mere slits, the loveliest views are glimpsed of the rocky coast, the cliff girt roadstead and the buildings massed along the waterfront.

In the great days of the fourteenth and fifteenth centuries Hormuz, a small island on the Persian side of the Straits bearing its name, had been made into one of the great cities of the Orient by the Portuguese and is referred to by Milton when drawing comparisons of fabulous wealth –

black, some grey, the former very dapper with their yellow beaks and smart yellow boots contrasting with their with their long and slender black legs, interested spectators of the comings and goings in the bay. An occasional kingfisher skims the brilliantly blue sea, its glorious plumage enhanced by the dazzling sunshine. All is colour and light and movement set in a frame of dark and sombre cliffs under a canopy of clearest blue. But this is a winter picture when the little State is at its best. The summer is terrible, one of the worst in the world, with the sky a hot metallic blue, the sun a pitiless torment and the cliffs and hills so sodden with heat that the nights are as hot as the day. Nor is there any coolness in the sea, nor a tree under which to seek shade, nor a blade of grass to rest tired eyes. Rainfall is so rare that the wells are getting low and the luxury of a garden is unknown. And the Muscatis say among themselves, "God has forgotten Muscat."

Abdul Razzaq of Samarqand visited Muscat in May 1442, and having a fine sense of exaggeration wrote of his visit –

"The heat was so intense that it burned the marrow in the bones; the sword in its scabbard melted like wax, and the gems which adorned the handle of the dagger were reduced to coal. In the plains the chase became a matter of perfect ease, for the desert was filled with roasted gazelles."

HISTORY

The story of Muscat is one of conquest and oppression by both Arabs and Europeans, of wars and rumours of wars and of periods of submission followed by counter attacks and domination. Geographically her position has been of immense importance as well as great vulnerability, standing as she does outside the narrow entrance to the Gulf. Her early history is obscure but we know that, at one period there was a fine mosque in the town for, in 1508, the Portuguese conqueror, Albuquerque, sacked and burned Muscat and destroyed the "beautiful mosque"; also

tivity. Narrow canoes, holding only one or two people, paddle out to sell fish to the deck passengers and the lovely sea shells that can be found on the beaches beyond Sidab. These frail craft ride a heavy swell like corks, and miraculously remain right way up when their occupants clamber back again after diving overboard for money. Long gaily painted rowing-boats, pointed at both ends, have a distinctly Mediterranean air in their appearance as well as a European persistence when clamouring to take the few passengers ashore. The deck passengers, and they can be numbered in hundreds, are transported by native motor dhows; a precarious proceeding that would send a Board of Trade official into a nervous breakdown. Although the boats are flush-decked there appears to be no saturation point, nor is there protection against the frequent rough seas. The weirdest collection of human beings, hampered at every turn by their long robes and innumerable offspring, are somehow transferred from ship to shore, or vice versa, complete with huge bedding rolls, gay tin trunks, baskets full of food, crates of chickens and parrots in cages. Now and again there is a class-conscious passenger who, disdaining the milling throng around his feet, sits, aloof and unsafe on a kitchen chair, saving his stiff-necked pride while jeopardising his mortal body.

The 1951 scene of the life of a deck passenger does not vary one whit from that described by Lord Curzon when he sailed through the Persian Gulf sixty years ago.

On the little quay cluster the sweetmeat sellers and dispensers of tea and coffee; but, as the tourist is unheard of, touts and beggars are mercifully absent. Heavy country boats, so clumsy looking when beached and so graceful when at sea with their full bellying sails, ghost across the bay from Matrah and circle slowly round the steamer while the fast launches of the ships' agents trip their way through the waves. It is a 'day out' for everyone. In the distance, perched on the cruelly jagged rocks are herons, some

Travel in the interior of Oman is still a hazardous and, at times, dangerous undertaking. The authority of His Highness the Sultan is but a formality and turbulent tribesmen and rebellious chieftains keep the pot of unrest at boiling point. It is owing to this state of affairs that would be travellers are advised that entry into Oman can only be at their own risk since there is no one from whom authority to venture there safely can be obtained. Permission to leave the municipality of Muscat and journey up the Batinah coast is granted, upon application, by His Highness the Sultan.

Dr. Thomas, whose father built the Matrah hospital, has recently made a most interesting journey into the interior and visited the Jabel-Akdhar, or Green Mountain, which stands 10,000 feet high. Previously this fascinating place had only been visited twice by white men. One was Paul Harrison an American of the Dutch Reformed Church, a man much beloved by the Arabs, and the other was Lieutenant Wellstead of the Royal Navy who made the journey in 1806. There is a huge palace built on the mountain and containing many hundreds of rooms with ceilings of great beauty that were painted and carved, centuries ago, by the Persians. Dr. Thomas' collection of coloured slides of these rooms, the castle, and the villages and towns he passed through, as well as his studies of the people, make a valuable contribution to the knowledge of this little known part of Arabia. The journey, which was made on camel back, was undertaken because the tribes had need of a doctor and guaranteed his safety. On his way Dr. Thomas met many Arabs who had known his father in the old days. For the ordinary traveller, if his pockets were sufficiently well lined with gold, it is probable that all opposition to his presence could be rapidly overcome; for money talks as loudly in the wilderness as in the city.

The arrival of the mail steamers about once a week, either from Basra or Bombay, galvanises Muscat into life and the waterfront seethes with ac-

market.

Matrah, although a larger town than Muscat, has fewer amenities with no telephone or electric light and seems even more remote, if such a thing is possible, from the world of to-day than its sister town. Despite its aloofness from world affairs life seems far busier in Matrah than in Muscat. There are more boats in the open roadstead and the rather smelly fish market has no lack of discerning customers, small though their purchases may be. The Souk is larger, cheaper and offers more variety than in Muscat, though both towns stock merchandise from America, England, Africa, India and Japan. Outside the main gate of the city wall, the caravans from the interior pursue their timeless journeyings. In the morning long strings of camels laden with dates, firewood and fruit kneel while their burdens are unloaded and carried into the town for disposal. In the late afternoon fresh loads are heaped upon them, this time of rice, grain or fish. At last the caravan is ready to move off into the interior accompanied by a small cavalcade of donkeys, ridden by their owners or merely transporting food or household goods. It is the constant arrival and departure of the caravans that give an air of bustle to the daily life of the town. News of town and country is exchanged, family gossip passed on and the fluctuations of the Maria Theresa dollar (the currency preferred in the Sultanate to the Indian rupee) eagerly discussed. The absence of newspapers is amply compensated for by the wordy Arab who likes nothing better than to sit in coffee house or shop and join in the talks of the day. The women earn a little money at home by working at a crudely made cotton gin.

The fame of the American Mission hospital of the Dutch Reformed Church, so ably run by Dr. and Mrs. Thomas, has spread far beyond the confines of city walls and patients travel hundreds of miles on foot, on camel, donkey or lorry for treatment; a large number of them suffering from the too prevalent eye disease of trachoma.

o the heavy silver jewellery and gaudy beads worn by the other women. There is more colour among the Muscat population than anywhere else in he Gulf and the poorer the amily, the brighter the cosume. In contrast with their vomen folk the men are martial n appearance with rifles slung across their backs, cartridges lotted in their waist bands and hinoceros handled daggers in lecorative silver scabbards; the est silver work being done by he silversmiths of the inland own of Nukli.

The people of the Sultanate, vhich means the inhabitants of nuscat and the narrow coastal plain, live by their exports of ish and dates. Fish is caught in normous quantities and then lried in the sun before being exported. The biggest market for lried fish is Ceylon where it is ought up by the owners of the ig tea gardens for their employees; large numbers of men vho would normally be fishermen having forsaken the sea n l its precarious livelihood for h better pay and conditions of-e :d on the tea plantations. Sharks, which abound round Muscat's rocky coast, provide another source of income for the fisherman. The flesh is salted and dried for local consumption and the fins, much appreciated as a delicacy in the Far East, are exported to China.

The date season is a very short one but has the advantage of being earlier than elsewhere. The largest date gardens are at Seeb which is thirty-seven miles along the Batinah coast, the name given to the coastline between Muscat and the promontory of Masandum. Amid much wild and desolate scenery, haunt of the eagle and the gazelle, the seven miles of date palm around Seeb, and the cultivation enjoyed through the presence of hundreds of wells give a welcoming green restfulness to those who travel in these barren places. It is here that the Sultan and a few wealthy merchants have their 'country cottages.' After harvesting, the dates are loaded on to camels and transported to Muscat, from where they are shipped to India before the Iraq dates have time to flood the

a medieaval fastness give an air of adventure and insecurity which is enhanced by the curfew ordering the inhabitants not to be abroad after twenty-one hours without a lantern; and the use of an electric torch is forbidden. Every night, at this hour an ancient cannon booms out the curfew and anyone, without fear or favour, is arrested and taken to the fort of Jalali if he is caught without a lantern.

Outside the city gates lie the school, a club and a collection of poor stalls that sell cereals, pulses, fruits and dates. A steep track leads to the fishing village of Sidab. Looking down from a gap in the rugged volcanic hills, one sees a huddle of round huts made of reed and palm in a setting of unusual beauty where arms of the sea curl like blue tendrils through the valley. Fishermen toil up the hill with their great catches, huge fish which they suspend on poles, supported on the men's shoulders.

All around both Muscat and Matrah on jagged peak and lofty hill-top stand crenellated watchtowers, like the Crusader type at Carcassonne in France, relics of the stormy past of this once thriving State. To the south the Jabel Bardah, or Saddle Hill, rises over thirteen hundred feet and is the dominating peak.

Muscat is one of the smallest capital cities in the world with a population of only three thousand (which includes seven or eight Europeans) and being only a mile long and a quarter of a mile deep. The houses of the merchants and Sultan's relatives are fine two storeyed buildings with delicately trellised balconies and beautifully carved wooden doors heavily studded with nails or brass. It is a remarkably clean little town for the East and the women make a lovely splash of colour in their brilliant head shawls, imported from Africa. Going to and for from the wells, balancing clay pots on their heads, these Rebeccas are like a Van Gogh canvas of intense yellow, red, and orange as their vivid tattered garments flutter in the wind. An even gayer note is struck by the Baluch women who favour turquoise nose-rings in preference

The extremely photogenic anchorage – it is too exposed to the north to be called a harbour - is guarded by two imposing forts: Mirani, where stand the sentries provided by the Muscat Light Infantry and from which antique cannons are fired from the ramparts when the Sultan visits his capital; and Jalali which is used as the local jail. Between these two Portuguese forts runs the half curve of the waterfront, occupied by the Palace, administrative offices, the hospital and the British Consulate. At the customs house quay everything, from the largest lorry to the smallest packet of cigarettes, is landed by country craft after unloading from the steamers that anchor about one mile off-shore.

The coolies are past masters in the art of balance. They can carry fantastic loads on their heads and shoulders as they stagger along the slippery and heaving decks of open boats.

The population of Muscat, and of the neighbouring town of Matrah (five miles distant along the coast), consists of a heterogeneous collection of Arabs, Indians, Baluchis and Africans. The latter are not pure bred but have a pronounced African strain in them dating from the old days of slavery. There are people still living in Muscat who can recall the days when slaves, chiefly from Zanzibar, were publicly sold in the town's slave market.

The Souk, or Bazaar, must be the smallest in the Middle East; three narrow alleyways roofed over with palm leaves, and allowing of not more than two persons to walk abreast. The booths are on raised platforms and, with the aid of a soap box and a rope, the customer hoists himself up and then subsides on to the rush matting placed there for his convenience. The loss of dignity which this manoeuvre may involve is worth risking, for one is rewarded with a front seat from which to observe the commerce, dress and daily life of the Muscati.

The alleyways coverage into an imposing gateway, the Bab-al-Saqir, which, like the main gateway, the Bab-al-Kabir, is locked at night. These signs of

MUSCAT

THERE is only one place in the Gulf that qualifies for entrance into the glamour class and that place is Muscat which lies embedded in the arms of precipitous and picturesque cliffs and hills, gazing at the deep blue sea that so quickly allows itself to be whipped into white and frothy anger. When a Hollywood producer 'discovers' Muscat there will not be sufficient superlatives to do justice to the world shaking epic of historical romance that will be staged there 'in glorious technicolor.'

jah, eleven miles from Dubai, twice-weekly.

There are direct shipping facilities to Dubai, not only from India but from the United Kingdom.

A hospital has recently been opened in Dubai.

over the side into iron lighters towed by the local craft fitted with engines. The whole system has a crazy, happy-go-lucky air, from the old motor tyres slung round the barges to act as fend-offs to the crowd of gabbling scampering Arabs hitching up their long gowns and shinning up and down the ropes. The men chant monotonously, and not unmusically, a rhythm that goes dee-da-deeay, dee-da-day. In rough weather the skill and balance of these sailors is something to marvel at, as their small craft with slippery heaving decks, and no hold or hand rail of any kind, rise and fall ten to fifteen feet against the steamer's side.

Rice from Resht or Bangkok, wheat from Abyssinia, and barley from Iraq, flour and tinned fruits from Australia, coffee from the Yemen, piece goods from India and motor cars from the United Kingdom are all landed by this primitive method.

The creek bends sharply inland, penetrating deeply so that the water becomes slack. The town of Dubai is on either bank, and the illusion is of a tidal river not an inlet of the sea. Little ferry boats roofed with awnings ply a brisk trade on the waterfronts. The bazaar in this scarcely known town bears easy comparison with the most picturesque that the East has to offer – Peshawar, Damascus, Meshed, or Stamboul. Many of the merchants are of Persian blood, wearing the old-fashioned garments which have long since been discarded in Iran itself; others are Indian, others Arab, but all dressed in their national costume. The finger of Western progress has brushed the sleeve of life very lightly in Dubai.

INFORMATION

The Ruler of Dubai is Shaikh Said bin Maktum, born 1882. Acceded 1912.

There is a branch of the British Bank of Iran and the Middle East at Dubai.

The shipping agents Gray, Mackenzie and Co. Ltd. also have a branch.

The aircraft of Gulf Aviation Company, Bahrain, call at Shar-

place, transforming it from a primitive Bedouin settlement into a thriving centre of the entrepôt trade. The reader will have found this word entrepôt' occurring frequently in this book; it has been employed with reference to Bahrain and Kuwait already, and is once again in point. It is the key to the ancient economy of the Gulf. The populations of these coastal towns have never been large, nor their own demands anything but modest; but they have lain athwart the highways of trade. So with Dubai. Goods arrive by steamer and are re-exported by dhow to Qatar and to Persia, or by land into the interior and over the northern frontier of the Sultanate of Muscat.

As the steamer approaches the roadstead, the outline of Dubai resolves itself into a row of flat-topped towers, resembling toy forts. These are the *badgirs*, or wind towers, of the houses which can catch the breeze from any of the four quarters and draw the cool air downwards into the sitting-room immediately beneath. Two or three miles from the coast the ship drops anchor, and the passenger must get ashore by launch or motor-dhow according to the class he is travelling. The shallow seas are scooped into waves by the lightest wind and it does not need to blow much in order to make disembarkation uncomfortable. If it blows hard the captain will prohibit disembarkation altogether and the patient traveller can then only pray for smoother seas at the next port of call, whether that be Muscat or Bahrain. But given fair conditions the bright bundles of personal belongings tied in striped rugs or blankets, baskets of tomatoes or oranges, crates of chickens, birds in cages, umbrellas with gaudy plastic handles and tin trunks decorated with painted flowers will be lowered over the side, followed by their motley but agile owners. Presently the assorted craft will be heading for the thin line of foam showing on the bar at the mouth of the creek.

Unloading a cargo is a still more highly skilled performance. Everything has to go

exercise these powers? The history of your States and of your families, and the present condition of the Gulf, are the answer. We were here before any other Power, in modern times, had shown its face in these waters. We found strife and we have created order. It was our commerce as well as your security that was threatened, and called for protection. At every port along these coasts the subjects of the King of England still reside and trade. The great Empire of India, which it is our duty to defend, lies almost at your gates. We saved you from extinction at the hands of your neighbours. We opened these seas to the ships of all nations, and enabled their flags to fly in peace. We have not seized nor held your territory. We have not destroyed your independence but preserved it. We are not going to throw away this century of costly and triumphal enterprise; we shall not wipe out the most unselfish page in history. The peace of these waters must still be maintained; your independence will continue to be upheld, and the influence of the British government must remain supreme."

Of the towns on the Trucial coast Sharjah and Dubai alone are of any size; and the former has lost beyond hope of recovery its erstwhile prosperity as a port owing to the silting of its anchorage. This leaves Dubai unchallenged to command the commerce of the whole region, and it looks as though this flourishing town of thirty thousand inhabitants must grow apace. In the last few years business has increased at an astonishing rate, and all this has happened without the impetus elsewhere given by the discovery of oil; drilling by Petroleum Concessions Limited on the Trucial coast having so far proved unsuccessful. It owes its prosperity to the creek which at this spot on the inhospitable shore affords shelter to country craft and to the lighters which bring off the cargoes of ocean-going steamers from the open roadstead. This explains how a colony of foreign merchants, Indian and Persian, have been able to build up the status of the

Not all these pirates were Arabs. The sixteenth century Pir Baig, amongst the most persistent and successful of the lot, was a Turk. He captured Muscat and deported the whole Portuguese garrison. It must be admitted that he was working, officially anyhow, not for himself but for the Sultan of Turkey, his master, who had sent him out to the Persian Gulf when his own more open aggressions had failed. Unfortunately for Pir Baig, he allowed his zeal and enthusiasm for piracy to outweigh caution and was so thorough that he exceeded the instructions even of the terrible Turk. He was called to Baghdad to explain away his excesses, which he failed to do and was then escorted back to Turkey where he had his head chopped off in Constantinople. At the close of the seventeenth century Captain Kidd, the American pirate, appeared in the Gulf, attracted there by the stories he had heard of the rich merchandise that was continually passing to and fro between Europe and India, and anxious to try his own hand in these profitable waters.

The intractable problem of piracy kept the British navy fully occupied and many a famous man-of-war has sailed the Persian Gulf; in May 1775 "Sea-Horse" arrived off Muscat with the future Lord Nelson as one of the midshipmen aboard. Later on, the operations were conducted from naval headquarters in Bombay. Merchantmen played their part by carrying cannon and small arms, whilst the authorities on shore in the "Factories" collaborated in hunting down the pirate so that honest traders might pass safely on their lawful occasions. This pre-occupation continued well into Queen Victoria's reign and the menace had not been removed for good until the closing years of the last century. On 21st November 1903 Lord Curzon, as Viceroy of India, called together the various chiefs of the re-named Trucial Coast and addressed them in memorable words: "Sometimes I think that the record of the past is in danger of being forgotten, and there are persons who ask. Why should Great Britain continue to

THE TRUCIAL COAST

"TRUCIAL" is the name given to the strip of coastline which extends along the sea board eastwards from the base of the Qatar peninsula to a point almost as far as the promontory of Masandum, and then turns inland to reach the sea again at Kalba in the Gulf of Oman. Once known as the Pirate Coast it gets its present name because the Shaikhdoms comprising it have undertaken to observe a perpetual truce with the outer world and with each other. These Shaikhdoms consist of a settlement on the coast with an area inland of varying size owing somewhat uncertain allegiance to the ruling house. From west to east they are: Abu Dhabi, Dubai, Sharjah, Ajman, Umm Al Quwain, Ras el Khaimah and Kalba. The trade of the entire coast is concentrated on Dubai.

night the temperature falls rapidly, thus ensuring reasonably cool nights. The winter months are cold, clear and sunny with strong winds. Dust storms are apt to blow up very suddenly and can last for days.

Electric light and telephone, but no long distance telephonic connection.

An excellent up-to-date hospital.

Communication by air is good. A daily service to Baghdad, twice weekly to Bahrain and twice weekly to London.

The road to Basra, mostly used by lorries, is tolerably good.

All British India steamers call at Kuwait.

Intending travellers must obtain visas and are advised to arrange accommodation in advance, as there are no hotels.

The ruling house is Al Subah and there are also five big merchants' families prominent in affairs. His Highness has a large palace in the town but prefers to spend his time either in the desert or on a neighbouring island. Shooting and hawking are among the pastimes of the ruling house, for gazelle and bustard and sand grouse are in the vicinity.

sons, all of whom he took with him on his voyaging, while she and her daughter remained imprisoned inside his doors. To the élite of Kuwaiti society a recent visit by Iraqi girl students dressed in trousers and tight sweaters was shocking in the extreme. Having said which, one must acknowledge that the impact of the West is being increasingly felt. It could not be otherwise where a throbbing modern city – for the Kuwait Oil Company's encampment at Ahmadi is nothing less – is separated by twenty miles from a mediaeval town. The old ways of thought and behaviour persist. But just as the narrow streets and alleyways are giving place to broad thoroughfares and the old houses and courtyards hidden from view behind forbidding walls are being replaced by modern stone and concrete that are more hygienic but less picturesque; just as the high-powered American cars hoot their way through the Bazaar ousting the haughty camel and the long-suffering donkey, so do the younger generation in the town tend nowadays to question the basis of inheri beliefs and to test the theor of the Occident.

At the time of writing, K wait is very much at the cr roads with the results of sudc wealth only just beginning show. Shops abound and a stocked with luxuries u dreamed of in the days bef oil. But this is only the prelu to solid achievement. The co mercial production of oil h brought untold resources to t coffers of the State. D partments of Health and Educ tion have been opened on grand scale and a scheme provide the population w drinking water by means of distillation plant is being pu sued with energy. Once t problem of water has be solved, this parched town w be transformed into one of t leading cities of the East.

CLIMATE AND AMENITIES

The air of Kuwait is mu drier than that in other parts the Gulf. The summer is ve hot with burning winds but

stance will often hanker after the same happiness at this time, leaving the city walls and returning to a tent in the desert from whence his ancestors came.

He will live in a tent woven by the women of the tribes; of goats' hair, if possible, since this is thicker than sheep's wool and jet black. Where a mixture of the hair from both animals is used, the effect is streaky black and brown. The women are experts at weaving and spinning although their loom is a rough primitive affair of wood. A gazelle horn for tightening and pulling down the threads, and a flat piece of wood are the only tools they use. Besides the work they do for their own families and their needs, they make donkey and camel saddle-bags, strips of carpeting and cushion covers, all of which they bring into the town to sell. Amid these surroundings our Kuwaiti citizen is sure to sigh for the life of a pastoral people with its simple dignity, but the passing days will soon summon him back to his urban routine and presently his motor car will be seen re-entering one of the gateways in the encircling wall. The five mile circumference of that enclosure with its numerous turrets and firing path dates only from 1919 when it was thrown up in feverish haste by the Kuwaitis to protect themselves against the brotherhood of the Nejd – a daily reminder of the continual strife that waged around Kuwait and culminated in the battle of Jahrah thirty-two years ago. Within these walls society submits to a more artificial code of conduct than that which the Bedouin of the desert obeys. For example, the old sea-captains of this walled sea-port town are among the strictest of husbands. No glimmer of enlightenment is allowed to penetrate an unyielding prejudice on the seclusion of their womenfolk. One man whom I met, with a large house on the sea front and a spacious courtyard, would not even allow his hapless wife to venture up on the roof, albeit closely screened, to have a glimpse of the sea and ships at her gate. She had presented her tyrannous spouse with several

ballast, where they take on a cargo of dates destined for India. From South India they pick up the wood used in their shipbuilding trade, then sail across to East Africa for a load of 'chundles' – the lopped trunks of slender trees which serve as rafters for roofs and ceilings overlaid with palm leaves, mud and plaster. Much trading is also done with Zanzibar and it was from this port, in the bad old days, that most of the wretched slaves were sold into captivity.

The 'sambuk' and 'shu'ai' are the boats most commonly used for pearling; and finally there is the 'jalibat,' from which we take our word 'jollyboat,' although the origin of the word is thought to be Portuguese. This is a rectangular shaped hull, lacking the line and character of the others.

The territory of Kuwait is a waterless desert and every cup of drinking-water is laboriously brought by country craft from the lower reaches of the Shatt-al-Arab in Iraq, a distance of nearly one hundred miles. The primitive tankers tie up alongside cement-lined cisterns whence the water is drawn off in goat-skins and kerosene-oil tins and distributed on the backs of pack animals from door to door at a cost of two annas (roughly two pence) a gallon. Mercifully, the average rainfall is between five and six inches a year and the town houses are so built that the drain pipes carry the rainwater down into the courtyard and into underground reservoirs. Outside the city, the rainfall is even more eagerly awaited, for when the rains are adequate the land affords good grazing to the herbs belonging to the nomad tribes of the adjacent countries. Then is the springtime suddenly upon the land, and the desert is awake for a brief spell and carpeted with myriads of tiny flowers and a greening that stretches mile upon mile. 'The wilderness and the solitary place shall be glad for them; and the desert shall rejoice, and blossom as the rose.' The heart of the Bedouin grows lighter as he watches his flocks and herbs become sleek and fat, and the town dweller who is of any sub-

n.i only employed as mer-
1:ntmen in the off-season. enturies before the black gold egan to gush from the barren esert to make its owner the chest man of our time, Ku- ait was the Clyde-side of the rab world, and few of the eoples dwelling along the oastline from Africa to India in have been strangers to the ght of the high-pooped, solid, it shapely craft of the Kuwaiti ariners. A bay offering a nat- al harbour and a dry climate i which the wood is more easi- seasoned than elsewhere in ie Gulf were the compensa- ons for a total lack of local mber; and that deficiency ould gradually remove itself ice there was enough timber construct the first few ships. he Indian market for the fa- ous dates of Basra was always ofitable to the hardy sailors Kuwait who would return ith a supply of timber from lalabar for fresh construction. he competition of modern ethods has, naturally, been irmful to the native industry ic has reduced the number of u vaitis who can find employment in this calling; but a limited activity is still visible in the shipyard, and timber for shipbuilding continues to be imported from the Malabar coast. National pride is still strongly marked in the age old skill of the ship-builder, and His Highness the Ruler has given fresh impetus to this ancient calling by preferring a local built yacht to one of foreign construction.

Boats vary types and size, the *'bums'* being the largest. These are anything up to three hundred and carrying a long straight stem head, the end of which is painted black with a white ring. Distinguishing marks on the stem head are to be found on this as on all types of craft, and tend to make identification easier. The *'baghala,'* slightly smaller than the*'bum,'* resembles a frigate and has somewhat of an eighteenth century style with small square windows set in the high stern. Though not so fast, nor so well-equipped for cargo, the 'baghalas,' travel long distances like the 'bums.' The normal run of these larger vessels during the season, is first to Basra in

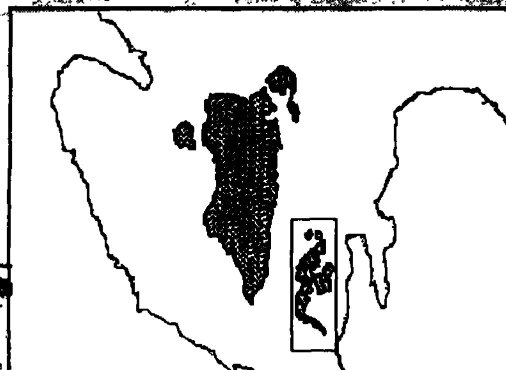
Geography, until the age of oil, governed the development of Kuwait, as it must originally have dictated the admirable choice of its site. Kuwait is the natural doorway to North-East Arabia and is also ideally placed as a port of transhipment for merchandise coming up the Gulf en route for destinations in Iraq and Persia. From its beginning, therefore, it has been able to rely on a lucrative entrepôt trade.

It is interesting, in parenthesis, to record that in the eighteenth century, before the opening of the Suez Canal, the East India Company operated a "Desert Mail' on the route from Europe to India via Aleppo and Kuwait. The documents of the Company show that the camel caravan took thirty days from Kuwait to Baghdad and eighty days from Kuwait to Aleppo, and that a charge of seven hundred English pounds was allotted to each camel load to cover presents to the various shaikhs en route. Similarly in the nineteenth century these physical advantages were marking out Kuwait as the terminus of a railway that should lin rope with the Middle Ea 1856 a private compan tained a concession fror Sublime Porte – for all territories at that time fc part of the Ottoman Empir construct a permanent way the mouth of the Syrian O to Kuwait, but the schem inadequately supported an er materialised. Later whe 'Baghdad-bahn' had becor item in the *Drang nach* of German imperial polic an *idée fixe* in the mind c Kaiser, the emperor expr his personal will that th should be carried to Kuw stead of finishing at Basra.

But apart from the resc which its geographical po could guarantee, Kuwait from the earliest days reno for two industries, namely, building and pearling. Of ling some account is giv another chapter which it i necessary to repeat in this but it is worth mentioning it was from pearling th ship-building industry veloped, the early ships 'pearlers' in the first ins

ND THE GULF (II)*

Maureen Tweedy





BAHRAI

KUWAIT

KUWAIT occupies the north-west corner of the Gulf. Shaikhdom is roughly in the shape of a square, ninety n in each direction, bound on the east by the sea, on the n and west by Iraq and on the south by Saudi Arabia. A s area to the south-east is at the date of writing (1 apportioned neither to Kuwait nor to Saudi Arabia a known as the Neutral Zone. The population of the tow about one hundred thousand and that of the w Shaikhdom is about one hundred and fifty thous 'Kuwait' is thus the name both of the entire territory a its capital; the Arab conception of a principality recalli this respect the 'city-state' of the ancient Greeks. The t is typically Arab, for the factors in its past history have Arabian and the way of life of its people owes next to not to Persian or Indian influences. For instance, during Persian occupation of Basra many Arab merchants left took up residence in Kuwait but none of the Pe invaders seem to have settled there. The traveller who visited say, Bahrain or Muscat, among the Gulf ports, readily perceive the difference.

(Part I of the travelogue was published in Al-W... N

الوثيقة ٣١٣٠

ie:r duty, as well as to bserve the change of their mplexion, which, from :ing pale and languid, is :come fresh and lively: they e so much recovered in rength, as to be able to do vice the duty required of iem, whereas before we quitted Muscat, we could scarcely find men sufficient to do the ordinary duty on board the ship, from the excessive heat; now every man on board can very well bear, and indeed does wear a cloth coat or waistcoat.

were much to the north of Bombay, by observation this day at noon. In consequence of this the two lieutenants, and the master, desired admittance into the cabin, having something of importance to offer to captain Farmer; they were accordingly admitted, when they explained the necessity of leaving such of the convoy behind as could not keep up with the Seahorse; observing, that if the ship could not make any southing, we should fall in which the land to the north of the isle of Dian, where there was no harbor, but on the contrary a dangerous shore, and a sti more inhospitable set (men; and should they kee on the course which we no held, it would not on endanger the loss of h majesty's ship, but the live of every man on boar which they imagined we ha a chance to prevent, if the abandoned the convoy, an made as much sail as th ship could well bear, whil we had sufficient sea roon Captain Farmer thought the reasons so cogent, that l followed their advice, an we left those ships behin which could not keep u with us. The sixth day the wind increased, and in the morning early we could not discover any of the convoy, which we saw astern yesterday evening; we have now in company the Eagle curizer and Betty merchant ship. By observation at noon, we have got twenty-fo miles southing since this tin yesterday, and as the win has shifted from the south t south-west, we now steer th desired course.

It is a great pleasure t see with what alacrity o seamen go aloft, and perfon

August the 8th. Our little fleet being all watered and ready to depart; the signal was made for weighing anchor early this morning, and about sun-rise we were all under sail. The wind blowing off the shore, we were soon out of the port; about two hours after we had wind at south-west, and before noon we found such a surprising difference in the weather for the better, the every man's countenance seemed to brighten. This was entirely owing to a fresh breeze of wind, and our distance from the land, which, before night, we had lost sight of.

At sun-set the heat had diminished twenty-one degrees from the time of the sun's rising this morning, when it was up at one hundred and ten degrees, till it's setting this evening, when it was down to eighty-nine.

As we proceeded on, the heat still lessened gradually; at sun-setting the second day it fell to eighty-two degrees; at the same time the third day seventy- eight degrees, and at sun-setting the fourth day only seventy-three degrees; at which time the wind came to the south, and freshened, when we were obliged to shorten sail to wait for our convoy, as none of them (excepting the Eagle cruiser, and Betty, captain Faulkner) could keep up with the Seahorse.

The wind still increasing and continuing at south, and the sea running high, we observed by the quadrants, at noon on the fifth day, that our course made since the preceding day was to the north of the east point; whereas it was our business to steer to the south, as we

They have a peculiar manner of bringing fresh water on board the ships in this port from the shore, which is done by large boats of the country. The spring is on an eminence at the west part of the town, the road from which being full of sharp pointed rocks does not admit of casks being rolled over them; the water is carried to the boat in skins, which are emptied into the boat until it is nearly full, or deeply laden, (which is what seamen call bringing water in bulk); the boat brings off more water in this manner, but it is subject to a great inconvenience, which sometimes occasions the loss of a whole boat of water. At other times it is nearly spoiled, particularly when many ships are watering at the same time, as it happened with us at present; for not having boats sufficient to bring water to so many ships early in the morning, (when there is little wind) they bring it oftentimes so late, that the sea breeze setting in when the boat is midway between the ship and the shore, the sea washes over the gunwale, and mixes with the fresh water; it is thus either entirely spoiled, or brought on board quite brackish.

At this place we found another large English ship from Bengal, bound to Bussora, the commander's name Blythe; so that here are four large ships, richly laden, for Bussora, which must all return to India with their cargoes. The captain came on board the Seahorse, and desired captain Farmer's permission to join the rest under his protection for Bombay: of consequence he received sailing orders.

to the log. The man, with one short paddle, which he dexterously, and with rapidity, applies on both sides alternately, drives his catamaran along at a quick rate; the water continually washing over and between the logs, so that the fish in the basket, as well as himself, are continually wet. The weather was so exceedingly hot that I envied his situation. We bought excellent fish, of various denominations, for less than a half penny per pound, supposing they had been bought by weight, but they are always bought by tale.

This is the season in which mangoes are ripe, which are so very excellent in their kind as to be preferred to any from India. The stones of the Muscat mangoes are an acceptable present to those gentlemen in India who have gardens large enough to allow room for their growth. We bought a thousand mangoes for two rupees, (five shillings) and endeavored to preserve some of the largest to present to our friends in Bombay; but they were so very ripe, that they would not keep sound during the few days which we remained here. We picked out the largest of the stones, which captain Farmer and myself divided between us.

The form of this port resembles an horse shoe, the entrance being at the south-east part; which position makes it a very safe port; as it is secured from those winds which are most predominant, and blow with the greatest violence in these parts; it is besides so very capacious, that many hundreds of ships may moor here in safety.

When an English convoy comes upon an errand to Muscat, the vessels belonging to Muscat, bound to Bussora, take the benefit of it, as it protects them besides from the Persians. When these ships return from Bussora for India, they are in the same manner convoyed as far as Muscat, which is a double advantage to this place, as they generally sell and purchase goods here. The Muscat vessels have the advantage of being convoyed at the same time.

The dominions of Muscat reach along the coast of the gulf up wards of three hundred miles. This capital is nearly in the center of their territory in the gulf. From cape Rasalgat (which is the point of Arabia terminating the western part, or entrance of this gulf) the land extends northward quite to the straits of Babel Mandeb, at the entrance of the Arabian gulf or Red sea.

Nearly half the countr between both gulfs belong to the king of Muscat, an the other half to the king o Yemen, whose principa trading town is Mocha.

The dominions of Musca reach upwards of thre hundred miles inland, an join the dominions of th king of Yemen. These ar the only two kingdoms i Arabia.

Provisions are very goo and cheap at this place Every ship bought sheep an some oxen. The fish ar brought on board the ship by men who sit o catamarans, which are thre logs of wood, about nine fee long and one wide, fastene together, on which a man sit naked and cross legged before him is placed a baske with various kinds of fish which is fastened with line:

ɪrovisions, a blockade would ıot have any other bad effect han on their trade. While hey are at peace with the :nglish they have no other ɪower to fear, and it is ·ertainly the interest of the :nglish to live in amity with he Muscateers.

It has always been an ısual custom for all English nerchant ships, in their 'oyage from India to 3ussora, to stop at Muscat, ınd send an express by land o the Company's agent of 3ussora, to advice him of heir arrival; on receiving vhich the agent gives lirections to the commander ıf one of the Company's ruisers or ships of war there being seldom less than wo on the Bussora station), ɔ repair to Muscat, and onvoy such ships to 3ussora. This is done to revent them from being ıken by the galliots belonging to the shaub, a piratical prince whose dominions border on the Persian side of the great river, about mid-way between the bar and Bussora creek. These make no distinction, but capture all ships which they can overcome, as they did a few years since an English ship, richly laden, from India, and bound to Bussora, of which David Phillips was commander.

The shaub's principal strong hold is at the head of a creek, which is dry at low water, nor is there ever water sufficient for ships of any force to enter pursue his galliots; besides this security, his town at the head of the creek is walled, and well fortified with a strong castle, so as to be deemed impregnable against any force that can be sent against it from these parts.

many places adjacent to that river.

There are at present such immense quantities of goods in this town, that as there are not warehouses to contain half of them, they are piled up in the streets, and lie night and day exposed, without any watch or guard, yet there never happens . an instance that such goods are robbed, or even pilfered, of the least part.

The inhabitants have a very large inland trade, not only with the subjects of Muscat, but with the numerous tribes of independent Arabs, from whom they receive caravans frequently, who bring great quantities of gums and other drugs of various sorts, ostrich feathers, hides, sheep, and lamb skins, honey, bees-wax, and live cattle and sheep; they send in return, India picce goods, pepper, ginger, rice, tobacco, coffee, and sugar, and many other goods, the produce of India, as well as English cloth, cutlery, toys, and many other articles.

The king or imam of Muscat such is his policy that he suffers the Persians to resort to Muscat with their vessels to purchase goods for ready money, without any molestation, either at Muscat or it's dependent territories or in their voyages to or from Muscat to any part of Persia. but this permission holds good only with regard to such vessels which they meet at sea, trading to other parts and all ships of war, they endeavor to make prizes of.

This port is both safe and convenient, and the castles are so many, and so judiciously situated, on the surrounding hills, as to be secure from attack by sea. As the country abounds in

a man died of those which were attacked.

August the 3d, 1775, at Muscat. This day his majesty's ship Seahorse, with the other ships, moved out of the harbor, and anchored in the outer road, to avoid the excessive heat. Letters arrived from musolem of Bussora to the company's agent, desiring him to deliver up the pasha of Baghdad's two armed ketches to the Imam of Muscat. These letters were immediately sent by an officer (on board the ship Betty, captain Faulkner), and delivered to the agent, who gave immediate orders for their delivery; after which the Muscat flag was hoisted on both. Here are in this port, and in another two leagues to the north, and in sight, thirty four ships of war, four of forty-four guns each (which were built at Bombay), five frigates, from eighteen to twenty-four guns each; the remainder are ketches and galliotes, from fourteen to eight guns, all built in this and in the other port to the north. The greatest part of them are now equipping, in order to convoy a large fleet of vessels, at this time loading with provisions, for the relief of Bussora, and expect to depart in about fifteen days.

Muscat is a place of very great trade to Surat, Bombay, Goa, along the whole coast of Malabar, and to Mocha and Jedda in the Red sea. It is the great magazine or deposit for the goods which they bring from those parts; it is resorted to by vessels from every port in Persia, from Bussora, and all the ports of Arabia within the gulf, and from the coast of Caramania without the gulf, as far as the river Indus, and

left Bushear, until our arrival at Muscat, and on the first day of our arrival, it was at one hundred and twelve degrees, which arises from our situation being surrounded (except at the entrance of the port), by exceeding high hills, so very near us as to reflect the sun's rays on the ships in the harbor from every side.

Every ship is busy in getting water on board, which at this place is exceedingly good, what we took in at Bushear was brackish, and produced fluxes among our crews, and, in conjunction with the excessive heat in coming down the gulf, so debilitated our men that it was common to have eight, ten, and some days twelve men, fall down on the decks through excessive weakness. At length the number on the sick list increased to upwards of

fifty on board the Seahor
and the remainder were
very weak, that if any ha
duty had been required, th
would not have been able
have performed it. Fe
escaped the disorder, eith
officer or private ma
happily it did not last lor
as each individual, by re
recovered in three or fo
days, whilst others, in th
turn, felt the same effects
the excessive heat, whi
was greatly increased by t
continuance of a south wi
during the greatest part of t
time. Captain Farmer a
myself had recourse
sleeping on the bare deck,
the great cabin, near t
windows, which we
always open, it bei
impossible to suffer a she
to be suspended betwee
The captain and ninete
men, out of near one hundr
and seventy, escaped it. N

Our little fleet had fine weather down the gulf with pleasant light gals of wind, although contrary; so that our passage down was a kind of traverse sailing, which though it lengthened our voyage, offered the greater variety; as at different periods we were near both the Arabian and the Persian coasts. We had likewise the pleasure to coast along and sail between the islands on the Arabian shore, and afterwards over to the Persian, the largest island near to which is called Kishma, being above twelve leagues long and from six to eight broad, and, although mountainous, is fertile and well peopled; it is not above six or eight leagues from Gombroon, on the continent, and about twelve from Ormus.

This last little island (for mo e than a hundred years that it was possessed by th Portuguese) was the riches spot in the known world now it is of no consideratior the inhabitants being but fev and excessively poor, livin by hard labor, either i fishing, sulfur and salt, th only natural production (worthy of notice) in th island, and which furnish lading annually to severa small vessels. We sav Ormus, Kishma, an Gombroon at the same time on the 29th of this montl (July), and on the 31st hi majesty's ship Seahors arrived and anchored a Muscat, in the inner road together with the ships unde her convoy.

By the thermometer which I hung up in th captains state roon (removed quite from the ray of the sun), I found the hea to exceed that of Bushear for the whole time since w

irregular shape; some adhere to the inner part of the shell, and are flat on the side which is attached to it, the other part of them is either round, oval, or conical.

It sometimes happens that a man will bring up three or four hundred oysters in a day, and not find as many pearls as are worth five shillings; as there are more which have not any, than those that have; and of these many have only small pearls, some of them so very diminutive as to be incapable of being bored; these are what the English call seed pearls.

The oyster banks have from fifteen to thirty feet of water on them, some of them more, yet the divers make no difficulty in reaching the bottom. They descend from the boat with a small rope fastened round one of their wrists, the other end of which is attached to the boat by pulling which they facilitate their rising. They have a canvass bag which is fastened round their waist and hangs before them, into which they put the oysters The men teach their children or other young boys, the ar of diving, by carrying them down on the shallowes banks at first, and afterwards the deeper by degrees, unti they become proficient in the art. It is not uncommon fo boys of twelve years old to bring up oysters from off the deepest banks.

It sometimes happens that the oysters are found in clusters, so very large as to be immovable; in that case they carry down hammers to separate them. Some of the divers are said to keep under water so long a time, as think incredible even to relate.

officer; the pearls which are found are then carried to the collector, who receives the duty, and the day's business is concluded.

The oyster shells are always the property of the divers, whither they fish for themselves or contracts with others. The shells are bought on the spot and sent to different parts of Muscat, from whence they are sent to Mocha, in the Red sea, from thence to Suez and Grand Cairo; what are not manufactured there go to Constantinople and other parts of Turkey, from whence they are transported to Venice, Leghorn and Germany. Many are carried to |India, and from thence to China. In the latter places they are manufactured into spoons and trinkets of various kinds; of the very smallest pieces which remain, the Chinese make beads, and sell them to the Europeans of all nations.

As every article which is made of these shells is whiter and has more lustre than what is made of other oyster shells, they are justly called the true mother of pearl. Some of the oyster shells are from eight to ten inches in diameter, nearly of a round form, and thick in proportion. The oysters are seldom eaten , as they are generally rank. The sorts and sizes vary so much, that the smallest are not two inches diameter; these are eaten by the people on the spot; the largest shells have not always greatest quantity, nor yet do they contain the largest pearls, as neither the size nor the color indicate their contents, it being mere chance. The round pearls are always found in the fleshy part of the oyster, and many of those that have an

The isles of Bahrain are situated about thirt leagues W.N.W. from Bushear, and within fiv leagues of the Arabian shore,

: at these islands is the greatest and mo: valuable pearl fishery in the known world, th annual produce being seldom less than sixt thousand Bussora tomans, oftener more; som years it amounts to one hundred thousand, a thirty-seven shillings and six pence per toman.

The fishery commenced the beginning of this month, and will continue until the end of next, or perhaps some days longer; it being a free trade to every person who brings ready money to purchase.

The duty on what is taken is one third part to the sovereign, which the collector received each day, either in pearls or their equivalent in money, as the divers, or those who contract with them , can agree; some of divers contract, either by the day, week, month, or for the whole season, to receive a certain sum for their labor; in each case , all the oyster which they bring up to thei associates or friends. I sometimes happens that diver or contractor makes hi fortune in a season. Eac diver has a boat to atten him, from which h descends, and when he rises he delivers the oysters to person in it; when he i weary or hungry he gets int his boat and refreshe himself. The boats are al numbered, and no man i allowed to open an oyster i his boat; but must bring wha he has taken on shore by a certain hour; when they ar opened in the presence of a

RAVELS
FRICA

The Late
ABRAHAM PARSONS
1808

OMBAY



On July the 15th, at five in the morning, I embarked on board His Majesty's ship the Seahorse, Captain George Farmer, who anchored in the outer road to wait for the ships which were to proceed with him to Bombay. At four in the afternoon the following ships joined, the Eagle cruiser, three merchant ships, the Pasha of Bagdad's two ketches, and schooner belonging to the governor of Bombay; the Drake snow, Captain Gage, remaining behind. At six in the evening we all weighed anchor, and sailed down the gulf.

EXTRACTS FRO
IN ASIA A

VOYAGE FROM BUSHEA
CHAPTE



الوثيقة ٢٣٩

distinguished students. This acts as an incentive to other students to distinguish themselves and take their rightful place in society and serve their country. In the matter of Health Service His Highness generously allocated a quarter of the budge in 1963 which kept on increasing every year thereafter. Hospitals, dispensaries and clinics were opened drawing to them foreign specialists. The local students were also sent abroad for specialized training who could take their rightful place in society. These are some instances of the concerns of His Highness. The achievements of the quarter of a century of the rule of His Highness in the social, economic, cultural and administrative fields will be long remembered by the historians . .

As for recent times the catalogue is long and marked by sincerity and dedicated effort. The people remember his dedicated works in building their country and the happiness which he has brought to them. He is beloved of his people for his sincerity and for his proximity to them. He is accessible to all of them, greets them, shakes hands with them and listens to their problems and helps them.

He assists them generously as if they were one of his family making a demand on him personally. There is absolute frankness and a spirit of democracy among them.

Abdullah Bin Khalid Al Khalifa

economic issues to diversify the sources of income instead of a single commodity. Industry, commerce and agriculture have been encouraged with private investments. These projects have shown up good results besides creating jobs and additional national income. Hardly a short time passes when either His Highness or His Highness the Prime Minister or His Highness the Crown Prince or other responsible officials do not inaugurate one new project or the other. The other day the Port Salman (Mina Salman) was opened. Believing in the media reflecting popular opinion, a number of newspapers and magazines were issued. These media adopted a supervisory role in the service of the community in all fields of knowledge. In the field of industry His Highness himself inaugurated and laid the foundation for the aluminium sheet roll factory. He inaugurated flour mills and laid the stone was for the Dry Docks. The Bahrain National Oil Company was also opened. All these projects show at a quick glance that the budget has been duplicating year after year thus showing the overall advancement. Besides His Highness paid attention to education, public health and public utilities. The statistics show that the schools, the students and the number of teachers have registered an upward trend being the result of an ever-increasing budgetary allotment. The crowning piece was the opening of the University of Bahrain and the Gulf University among other educational institutions. On the "National Day" every year His Highness the Amir personally distributes prizes to the

Verily His Highness has certainly realized many achievements by virtue of his determination during the last third quarter of century. At the head of these achievements was the achievement of complete independence and sovereignty. The State of Bahrain also became a member both of the League of Arab States and the United Nations . . The enlightened Government of Bahrain established many cultural edifices internally and externally, not the least among which was the foundation of the basis of consultations and the strengthening of the friendship of brotherly states. The judicial system was made independent under the leadership of His Highness the Amir in the belief that the independence of judiciary was an essential element to infuse confidence among the people and promote economic activity in the country . . In order to provide defence for the country, the Bahrain Defence Force was established based on the sons of the soil capable of defending the motherland . . Similarly the Security Forces were organized to prevent crime so that the people could go about their business in peace and security wherever they worked. Thus was ensured the security of the society. A glance at the cultural achievements during the last one third of century during the rule of His Highness the Amir shows us a tangible evidence of what was announced by His Majesty on the very First National Festival. His Highness renews every year for his people a review of the achievements and further guidance. This guidance has led the enlightened government to divert its attention to the

In the name of God, the Beneficent, the Merciful

A WORD ABOUT THIS ISSUE

THE LEADER AND THE ONWARD MARCH

by

H.E. Shaikh Abdullah Bin Khalid Al Khalifa

His Highness Shaikh Isa Bin Salman Al Khalifa began his Address on 16 December 1971 by saying : " It pleases us on the occasion of assuming our rule to convoy to our generous people our warmest greetings on this auspicious day as every year hereafter as our National Festival " of the State of Bahrain. We, on our part, participate with our gracious people on this unique day while affirming our determination to march forward with our dear country on the road to progress and prosperity.

ENGLISH SECTION

The Cover

[The Eid in the Olden Days]

by the Artist : Ayub Hussain Al Ayub

Kuwait

CONTENTS

ARABIC SECTION

AL WATHEEKAH

Devoted to The Heritage. Thought and History of Bahrain and The Gulf

Bahrain P.B. 28882

Telephone - Historical Documents Center- 664854

All Correspondence to be Addressed to The Editor-in-Chief

AL WATHEEKAH

A REFREED HISTORICAL PERIODICAL
BY THE HISTORICAL DOCUMENTS
CENTER THE STATE OF BAHRAIN

ISSUE No. 34 - 17th YEAR
RABEE'AL AWWAL 1419 H. - JULY 1998

IN THE NAME OF GOD THE BENEFICENT, THE MERCIFUL

بسم الله الرحمن الرحيم

الوثيقة

دورية تاريخية محكّمة
تصدر عن
مركز الوثائق التاريخية
بدولة البحرين

رئيس التحرير
الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة

نائب رئيس التحرير
د. علي أبا حسين

مدير التحرير
السيد أحمد حجازي

العدد الثالث والثلاثون - السنة السابعة عشرة
رمضان ١٤١٨هـ - يناير ١٩٩٨م

الوثيقة

لجنة المجلة

الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة

الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة

الدكتور علي أبا حسين

العنوان : مركز الوثائق التاريخية ص.ب. : ٢٨٨٨٢ المنامة دولة البحرين

تليفون : ٦٦٤٨٥٤

جميع المكاتبات ترسل باسم رئيس التحرير

فهرس

القسم العربي

كلمة العدد:

القسم الإنجليزي

كلمة العدد:

الغلاف الأمامي
[السوق]
للفنان البحريني إسحق الكوهجي
الغلاف الأخير
[البرج]
للفنان الإماراتي حسين الشريف

كلمة العدد

العلاقات الخليجية العربية بعد حرب الخليج

بقلم : سعادة الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة

تحت هذا العنوان نظم مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية بجامعة الكويت ندوة شارك فيها عدد كبير من الباحثين والمؤرخين طرحوا بأبحاثهم عدداً من الأفكار حول تداعيات أكبر كارثة تعرض لها الخليج في تاريخه المعاصر وهي حرب الخليج وفي هذا السياق أقول

إن الأخوة العربية - كانت ومازالت - إحساساً راسخاً في الوجدان العربي الكبير، وكانت الأخوة الخليجية - ومازالت - ركناً ركيناً في وجدان القيادات الخليجية والشعوب التي تحيا على هذه الساحة التي شاء قدرها أن تكون في بؤرة الاهتمام العالمي والعربي على السواء، وبينما الأمور تراوح بين تحفظات الواقع وحلم الوحدة

الكبرى في الهدف والمصير والطريق، انصبت كارثة الغزو العراقي لتعصف بالواقع والحلم معاً وتحول الإحساس الراسخ في وجدان أبناء الخليج إلى دخان غطى مع الدخان المنبعث من الآبار المحترقة، سماء المنطقة بالأسى والذهول .

لقد جاء الغزو العراقي للكويت الشقيق صدمة اهتزت معها أشياء كثيرة، وتغيرت معها أشياء أكثر وهي صدمة هزت الجسد العربي كله هزات عنيفة، ووضعت العالم العربي كله، الذي كان يكافح لسنوات طويلة من أجل لم شتاته وتوحيد كلمته، على حافة هاوية سحيقة من التفكك والتشرذم والانقسام .

أما لماذا كان هذا الغزو صدمة فذلك يعود في رأيي وبإيجاز شديد لعدة أسباب منها :

أولاً : أن الأصول الواحدة التي تجمع بين الشعوب العربية والمتمثلة في اللغة العربية والدين الواحد والتقاليد والأعراف العربية الأصيلة المنحدرة عبر قرون والتي تشكل الوجدان الواحد للشعوب العربية كلها قد صاغت نسيج ما نطلق عليه "الأُخُوَّة العربية" هذه الأُخُوَّة كانت واقعاً فرض نفسه على كثير من النظريات التي حاولت التسلل إلى المنطقة طوال تاريخها واحتفظت لهذه الشعوب بنسيج واحد ترتخي خيوطه أحياناً وتشتد أحياناً أخرى ولكنه موجود دائماً أمام أنظار صناع القرار، له اعتباره وله احترامه عند رسم الاستراتيجيات ووضع السياسات ولم يكن "الغدر العربي"، أمراً وارداً على الإطلاق عند وضع هذه السياسات ذلك أن الأخوة العربية كانت تشكل الوجدان العربي الكبير والواحد وأي خطة تصطدم مع

ذلك كان معناها أنها تعارض أو تناقض هذا الوجدان وبالتالي فهي خطة لا تنطوي على عناصر البقاء ويكون استبعادها أمراً منطقياً وتوفير تكاليفها نوعاً من الحكمة أمام صناع القرار .

ثانياً : عندما تورط العراق في حربه مع جارته إيران، قامت شقيقاته الخليجيات وابتداءً من سنة ١٩٨٢ أي بعد قيام مجلس التعاون بعام واحد بمساعدته بكل ما تستطيع، بل وبأكثر مما تستطيع في كثير من الأحيان وعلى الرغم من أن هذه الحرب لم تكن حرباً خليجية إيرانية، وعلى الرغم من أن الكثيرين لم يكونوا من أنصار قيامها ولا من أنصار استمرارها، خاصة وأنها بين بلدين مسلمين، إلا أن الأموال استمرت في التدفق تأكيداً لالتزام أدبي وهو أن مساعدة الأخ أمر واجب، ومن هنا ما كان أحد يتصور أن يتحول الرصاص الذي اشتُري بأموال الخليج إلى صدور أبناء الخليج وهي الصدور التي ساعدت ودعمت وآزرت وما كان أحد يتخيل أن تغيِّر الجحافل اتجاهها إلى أرض شقيقة وجار شقيق.

ثالثاً : لم يكن هناك دافع واحد يمكن أن يشكل أمام القيادات الخليجية إنذاراً باعتداء محتمل ذلك أن مشاكل الحدود معروف أنها لعبة استعمارية أريد بها أن تكون محور قلق للشعوب العربية، وكل القيادات العربية تدرك ذلك، وتدرك أنه في إطار الأمل في وحدة عربية كبرى على أي شكل من الأشكال، فإن الخلاف حول شريحة من الأرض، يجب ألا يأخذ حجماً أكبر من حجمه، وأن كل خلاف من هذا النوع يمكن حله بصورة أو بأخرى وعلى المائدة التي يسودها الروح العربي وطبقاً للحاجة الماسة لكل أخ شقيق.

رابعاً : أن العراق بنى قوة عسكرية عملاقة كانت محـور فخـار
عربي، هذه القوة الـتي وصفتـها بعـض المصـادر العسـكرية بأنـها
وة الرابعة في العالم كانت تمثل دعمـاً للعـرب في مواجهـة الصلف
تعنت الإسرائيلي، وكانت تجعل العدو التقليـدي للمصير العربـي
تل أبيـب يحسـب ألـف حسـاب لكـل خطـوة يخطوهـا والمتتبـع
صريحات السياسية الإسرائيلية في فترة ما قبل الغزو سوف يلاحظ
ى الخـوف الإسـرائيلي مـن القـوة العراقيـة ولجوءهـم المسـتمر
لايات المتحدة الأمريكية بـهدف الحفـاظ علـى التـوازن العسـكري
ي كان يرهق وبصورة ملحوظة موارد العدو ويمثل ضغطاً كبيراً على
سياسة الإسرائيلية العدوانية، وبالتالي ما كان أحد يتصور أن تتجـه
ه القوة التي كانت حديث كل عربي إلى لون من الانتحار العسـكري
يشـهده تـاريخ الحـروب خاصـة وأن صنـاع القـرار العراقـي كـانوا
لمون جيداً أنهم يستهدفون منطقة تمثل شريان الحياة لبعض القوى
كبرى في العالم ويدركون بالتالي أن أي عدوان على هذه المنطقة أو أي
ء منها لا يمكن أن يكون نزهـة عسـكرية، أو أمـراً يمكـن أن يمـر
لام .

لهذه الأمور وغيرها كثير كان الغزو صدمة هزت الجسد العربـي
ه، بل وأحدثت هزة في العالم، فإذا أضفنا إلى ذلك الصـورة الـتي تم
ا الغزو والوحشية التي صاحبته وهي الوحشية غير المفهومة وغير
ررة والـتي عصفـت بكثـير مـن القيـم الـتي تربـت عليـه القيـادات
شعوب العربية، لأدركنا ولو من بعيد حجم الكارثة .

وعندما وقع الغزو عمت الفرقة العالم العربي، ومنذ الساعات الأولى لوقوع الكارثة ظهر على الملأ أنها كانت أمراً مبيتاً تم الإعداد له في الخفاء، تأكد ذلك من تأييد بعض الشقيقات للعراق، بعضها من أجل حفنة دولارات وبعضها من أجل أطماع قديمة وأحلام تحلق في الخيال بعيداً بعداً سحيقاً عن معطيات الواقع . . وظهر من تتابع الأحداث وتلاحقها صدق قول الشاعر العربي :

جزي الله الشدائد كل خير . . وإن كانت تجرعني بريقي
وما حبي لها شغفاً ولكن . . عرفت بها عدوي من صديقي

لقد كان الغزو موقفاً غريباً وعجيباً، وكان لابد أن تقوم على أساسه مواقف جديدة وعلاقات جديدة طبقاً لردود الفعل التي ظهرت عقب الغزو وطبقاً لموقف كل دولة معه أو ضده وهو أمر منطقي، وإذا كنا هنا بصدد الحديث عن العلاقات الخليجية العربية بعد حرب الخليج فإن هذا لا يمنع من القول بأن الغزو نفسه شجبته كل دول العالم سواء الدائرة العالمية أو الدائرة الإسلامية، تعكس ذلك اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة واجتماعات مجلس الأمن وما صدر عنهما من قرارات تم تنفيذها فيما بعد بتشكيل القوة متعددة الجنسيات التي قامت بتحرير الكويت، أما العلاقات الخليجية العربية فقد أخذت عدة صور سواء على المستوى الشعبي أو الرسمي منها :

<u>أولاً</u> : أنه فور وقوع الغزو فتح مواطنو الخليج قلوبهم وبيوتهم وحساباتهم لإخوتهم الذين شردهم الغزو وتسابق أبناء الخليج ودوله على استضافة إخوتهم من الكويت الذين تعرضوا للمحنة في صورة

رائعة من الشهامة والنخوة كان لها أثر كبير في رأب الصدع النفسي الذي أحدثه الغزو وفي إعادة بعض الثقة في بعض القيم التي سحقتها أقدام الغزاة ولابد لي هنا أن أشيد بموقف خادم الحرمين الشريفين أعزه الله وأيده وموقف حكومته المتميز .

<u>ثانياً</u> : في الوقت الذي لجأت فيه بعض الدول العربية إلى إبعاد الكويتيين المقيمين على أرضها، فتحت بعض الدول العربية الأخرى أبوابها دون قيد أو شرط لاستقبالهم وخصصت لهم كل ما يحتاجون إليه بل إن الكثيرين من مواطني هذه الدول كانوا يتسابقون لتقديم كل ما يلزم إخوتهم ويرفضون تقاضي أي مقابل في صورة رائعة للتلاحم .

<u>ثالثاً</u> : كان طبيعياً أن تثار المأساة في بيت العرب وهو الجامعة العربية وداخل قاعات الجامعة كانت الصورة واضحة أشد الوضوح وظهرت للعيان وأمام الميكروفونات مواقف كل دولة عربية مما حدث، واستهلكت الجامعة وقتاً طويلاً في نقاش وحوار وشجار، ولكن قرارها ظل أسير معادلة "الأغلبية أو الإجماع" وإن كانت هذه اللقاءات قد أظهرت بوضوح موقف كل دولة عضو وهو ما يمكن الرجوع إليه من متابعة هذه اللقاءات والمناقشات والتصريحات في صحف تلك الأيام ورغم كل ذلك فقد بقيت دول الخليج جزءاً من البيت العربي ولم تحاول الانسحاب مدركة أن ذلك قد يسبب انهياراً لهذا التجمع الذي لا يضر وإن كان في كثير من الأوقات لا ينفع.

<u>رابعاً</u> : عندما ظهرت مواقف بعض الدول العربية المؤيدة للعدوان سواء بدعمها السافر للغزو أو في دفاعها عنه عبر لقاءات الجامعة وعبر التصريحات الرسمية التي توالى صدورها عنها إبان

الغزو وفي أعقابه حرصت السياسة الخليجية على أن تظل بينها وبين هذه الدول شعرة معاوية، وعلى الرغم من أن مثل هذه المواقف كانت كافية لقطع كل علاقة ولحشد كل دواعي الغضب ولاتخاذ كل إجراءات الثأر كما حدث في ظروف مماثلة في تاريخ العالم، إلا أن ما قُدِّم من أعذار وجد من يسمعه وما قُدم من اعتذار وجد من يقبله وظلت الأبواب مفتوحة أو منفرجة لم توصد، بل إن بعض دول المنظومة الخليجية وهي دول جريحة من آثار الغزو كانت هي التي سعت وتسعى للصلح.

خامساً : بادرت دول عربية شقيقة باتخاذ مواقف شجاعة أكدت بها إحساسها العربي بالنجدة ورفض الظلم ومقاومة العدوان، وقد تجلى ذلك في مواقف دول إعلان دمشق التي لم تكتف بالدعم السياسي والأدبي وإنما حشدت قواتها لتكون في مقدمة قوات التحرير والتي قدم أبناؤها أرواحهم لتحقيق هذا الهدف النبيل وكان طبيعياً أن تتشكل علاقة دول الخليج بهذه الدول فيما بعد على أساس هذا الموقف الشجاع الذي ترجم بصدق ما تعودنا ترديده عن الأُخُوَّة العربية والتآزر العربي.

سادساً : تحددت بصورة أوضح وعلى محك التجربة أهمية مجلس التعاون الخليجي الذي حاول البعض أن يصوره على أساس أنه تكتل إقليمي منفصل عن الجسد الكبير وتأكد للجميع أنه تجمع عربي يمثل إضافة للحشد الواحد وأنه اجتماع في نسيج العروبة وداخل في كيان الجامعة العربية ليس بعيداً عنها وليس بديلاً لها وليس منفصلاً عن تكوينها وليس تباعداً عن تشكيلها وليس إضعافاً

لأركانها وإنما هو جزء أصيل يساعد كثيراً في توحيد الكلمة ودعم الصف ونموذجاً لما يجب أن يكون عليه العمل في مناطق من العالم العربي تجمعها خيوط متشابهة وروابط متماثلة وأن هذا لا يعني من قريب أو بعيد أنه تكتل ضد أحد، أو تجمع يستهدف العدوان على أحد، وإنما هو خطوة على درب العروبة، يؤكد ذلك أن دول المجلس ورغم ثقل الكارثة لم تنغلق على نفسها فيما تلا من سنوات وإنما ظلت كما كانت جزءاً أساسياً من العمل العربي والمسيرة العربية تشارك وتساهم وتدعم .

بدأت محاولات رأب الصدع الكبير عقب التحرير بسنة واحدة، وقد تصدى لهذه المحاولات بعض الإخوة من القيادات العربية والخليجية ورغم أن الجرح عميق إلا أن النوايا الطيبة لا تكفي لعلاج ولو بعض آثاره وإنما كان لابد أن يدعم هذه النوايا عمل إيجابي ولم يكن هناك أهم من إطلاق سراح الأسرى الكويتيين الذين مازالوا محتجزين بالعراق طوال ما يقرب من ست سنوات دون مبرر على الإطلاق تماماً مثلما كان الغزو دون مبرر وعلى الرغم من الاستعداد الطيب الذي عبرت عنه السياسة الكويتية إلا أنه لا يقابَل باستعداد مماثل من الجانب الآخر إضافة إلى أشياء أخرى .

كانت هذه جولة عابرة حول بعض ملامح الموضوع وبقيت هناك ملاحظتان :

الأولى : أنني حاولت أن ألجأ للتعميم ولم أحاول أن أذكر أسماء دول بعينها رغم علمي أن ذلك يمثل ضرورة لمثل هذا العرض وذلك لأن الموضوع مازال حديثاً والجرح مازال نازفاً ولأنه يتناول علاقات

بين دول شقيقة يحاول المخلصون ليل نهار أن يصلحوا فيها ما فسد وما تسببت فيه بعض السياسات الطائشة، وهذا يمثل - لي شخصياً - بعض الصعوبة والحرج لأن المطلوب على المستوى الرسمي هو تكريس النوايا الحسنة والتغاضي قدر المستطاع عما يثير الحساسية أو الجفوة، ولأن ما يجري من محاولات من وراء الكواليس قد لا يمكن - ومن أجل المصلحة العامة - الكشف عن تفاصيله .

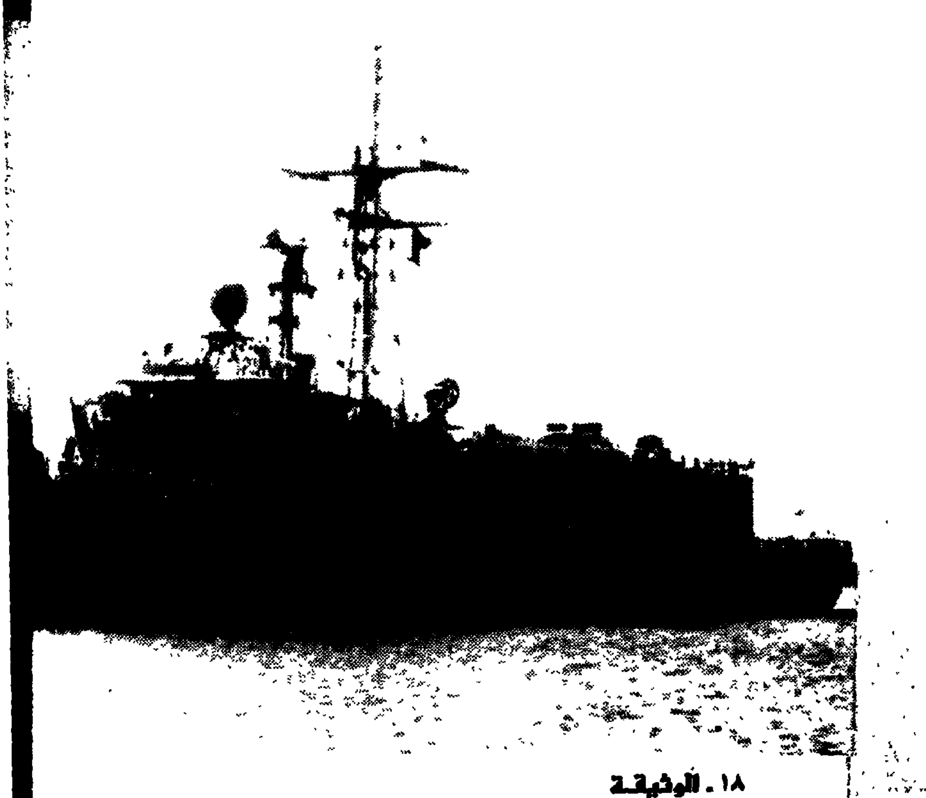
الثانية : أن على العالم العربي أن يدرك وبوعي حقيقي أن خلافات الحدود يمكن أن تتخذ ذريعة تفتح الباب لشرور قد لا يمتد أثرها المدمر للساحة العربية وحدها، إنما يمتد إلى آفاق أبعد من ذلك، وأن يدرك أيضاً أن هذه المشاكل وضعت لهذا الهدف الذي لا يمكن أن يسفر إلا عن ضياع الإمكانات العربية وتكريس الخلافات والصدوع في جسد يعاني أصلاً من هذه الخلافات والصدوع .

عبد الله بن خالد آل خليفة

يوم تاريخي في سجل سـ

"صبحا" إسم عرفته البحار والـ

منظومة قتالية متكاملة وحديثة على سطـ



ـة الأميري البحريني

الأساطيل في الخليج

ـقاطة تنضم لأسطول البحرين

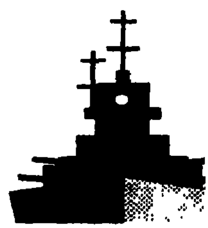
إعداد : الوثيقة



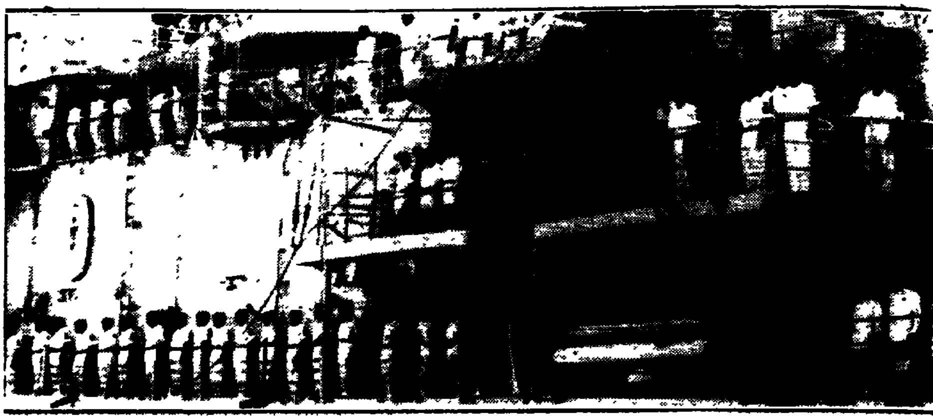
في التاسع من يوليو عام ١٩٩٧ وصلت إلى البحرين أحدث فرقاطة في السلاح البحري الأميري كمنظومة قتالية كاملة تم بناؤها على أحدث معطيات التكنولوجيا الحربية بالولايات المتحدة الأمريكية . . وطوال عامين ونصف العام تم تدريب أفراد الطاقم البحريني الذي سافر إلى هناك على قيادة واستخدام وصيانة الفرقاطة التي تعد قلعة عسكرية عائمة بنظام حديث لمطاردة وقتال الغواصات ونظام للدفاع الجوي ومنظومة للصواريخ سطح – سطح وغيرها من الأسلحة الحديثة والمتطورة التي تعتبر إضافة عظيمة وفعالة تنضم للسلاح البحري الأميري لتكون مع غيرها من الأسلحة والدروع في قوة دفاع البحرين درعاً جديداً تحمي تراب الوطن وتذود عن حرماته .



وزير الدفاع ورئيس هيئة الأركان وسمو العميد الركن الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة رئيس الحرس الوطني وسمو
سلمان بن حمد بن عيسى رئيس مجلس أمناء مركز البحرين للدراسات والبحوث وكيل وزارة الدفاع يتوسطون طاقم الـ



وعبر رحلة في أعالي البحار امتدت ١١ ألفاً و١٢٠ ميلاً بحرياً وصلت الفرقاطة إلى شواطئ البحرين لتعيد للأذهان ملامح من تاريخ ماجد لبلادنا العريقة . . فالاسم "صبحا" ليس اسماً جديداً ولكنه اسم قديم عرفته البحار والجيوش والأساطيل . . عندما كانت "صبحا" واحدة من أكبر ثلاث سفن مخرت عباب الخليج ضمن أسطول الشيخ محمد بن خليفة . وسطرت مع غيرها تاريخ البحرين البحري ذلك السلاح الذي اشتهرت به جزرنا الغالية منذ بداية القرن الثامن عشر بعد أن تمرس العتوب على ركوب البحر وأصبحوا في سنوات قلائل بعد انتقالهم من أعماق شبه الجزيرة العربية إلى ساحلها الشرقي من أمهر وأشهر الملاحين الذين جابوا البحار وصارعوا الأمواج تجارة وصيداً وغوصاً وقتالاً . والذين واصلوا بعد فتح البحرين الميمون سيطرتهم على شطآننا الدافئة وتحدوا أعتى الأساطيل البرتغالية والعثمانية والإنجليزية التي كان همها دائماً هو تحطيم الأسطول البحريني والحد من قوته المتزايدة .



«صبحا» يصطف على ظهرها

ي التاريخ

، ١٩٨٠ تم إنشاء سلاح البحرية الأميري وبمتابعة دقيقة من حضرة صاحب
لشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير البحرين المفدى القائد الأعلى لقوة
حرين، عملت الدولة على توفير كل الإمكانيات المتاحة حتى يعكس هذا
ما اشتهرت به البحرين من مهارة في ركوب البحر والتعامل مع الأمواج
إضافة هامة وفعالة لمنظومة الدفاع عن الأرض الغالية وليحمي الوطن وأبناء
الإنجازات العظيمة التي تمت والتي يتم تحقيقها لصالح هذا الوطن ولصالح
وقد تابع صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء
طوات اللازمة لتحويل هذه التوجيهات إلى واقع . وقام صاحب السمو الشيخ
ن عيسى آل خليفة ولي العهد القائد العام لقوة دفاع البحرين بنشاطه الملحوظ
نه الدائمة بتحويل الحلم إلى حقيقة . وتم اختيار مجموعة منتقاة من
لبحرين البواسل، أرسلوا ليتدربوا على أحدث تكنولوجيا العصر
دوا بالفرقاطة السامقة في أول رحلاتها عبر الأطلنطي إلى أرض
حيث كان في انتظارهم مهرجان كبير اصطف على الشاطئ
م أحدث قلعة عائمة إلى أرض الوطن . ومع قدوم الفرقاطة

ضخمة، وصلت لصاحب السمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ولي العـهد القا .
لعام برقية صاحب السمو الشيخ خليفة بن سـلمان آل خليفـة رئيس الوزراء المو ر
يقول فيها:

"إنه لمن دواعي عميق سرورنا في مناسبة انضمـام الفرقاطـة "صبحـا" الى سلاح البحرية الأميري أن نهنئكم ونهنئ أنفسنا بهذا الإنجاز الطيب الذي يجيء ليضيف دعماً كبيراً لسلاح البحرية بصفة خاصـة وتعزيـزاً لقـوة دفـاع البحرين بشكل عام، وذلك في إطار خطط مواصلة تحديث وتطوير قوة الدفاع . وإننا وقد عايشنا بكل الغبطة والسـعادة هـذه اللحظـات المباركـة لانضمام الفرقاطة "صبحا" لسلاح البحرية، لنود اغتنام هذه المناسبة لنعـبر لكم عن بالغ اعتزازنا بما تولون بذله من جهود لتطوير قوة الدفاع في الرجال والعتاد ورفع كفاءة منتسبيها عسكرياً وتنمية قدراتـهم علـى اسـتيعاب التكنولوجيا العسكرية الحديثة، حتى أصبحت قوة دفاع البحرين بحق، الحصـن الأمـين والدرع الواقي لحماية الوطن والذود عن ترابه المقدس .

ندعو المولى عز وجل أن يحفظكم ويسدد خطاكم في كل ما تسعون إليه من خير



◆ بالورود والرياحين . والمشاعر الفياضة بالاعتزاز والحب...

تقدم ونماء لبلدنا العزيز في ظل القيادة الحكيمة لحضرة صاحب السمو الشيخ بسى بن سلمان آل خليفة أمير البلاد المفدى. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"

وقد أناب صاحب السمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ولي العهد القائد العام الفريق الركن الشيخ خليفة بن أحمد آل خليفة وزير الدفاع نائب القائد العام لحضور الاحتفال الكبير الذي جرى بميناء سلمان بمناسبة وصول الفرقاطة.

وحضر الاحتفال سمو العميد الركن الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة رئيس الحرس الوطني، واللواء الركن الشيخ عبد الله بن سلمان آل خليفة رئيس هيئة الأركان، وسمو الشيخ سلمان بن حمد بن عيسى آل خليفة رئيس مجلس أمناء مركز البحرين للدراسات والبحوث وكيل وزارة الدفاع، والشيخ حالد بن أحمد آل خليفة رئيس ديوان سمو ولي العهد.

كما شارك في استقبال الفرقاطة الفرقة الموسيقية لقوة الدفاع وعدد من الفرق الشعبية والأندية الوطنية وأهالي وأصدقاء وأبناء طاقم الفرقاطة الذين قدموا لهم التهاني بسلامة العودة إلى الوطن وسط الأغاني الشعبية والفلكلورية. وقد أشاد وزير الدفاع نائب القائد العام بالنتائج المشرفة التي حققها طاقم الفرقاطة خلال فترة تدريبهم في



بلت جماهير الشعب الفرقاطة "صبحا"

لولايات المتحدة الأمريكية على هذه المنظومة المتقدمة مؤكداً أن ذلك جاء بفضل العزيمة لصادقة والعمل المخلص الدءوب من أبناء الوطن الشرفاء الذين لا يألون جهدا في سبيل خدمة هذا الوطن العزيز . موضحاً أن دخول هذه الفرقاطة في الخدمة بسلاح البحرية الأميري البحريني وما تحويه من تقنية عالية وتكنولوجيا متطورة وأسلحة ومعدات حديثة سوف يسهم إن شاء الله في زيادة قدراته وفعاليته ليكون عند أعلى درجات الاستعداد والجاهزية القتالية للذود عن حياض وطننا العزيز، وصون مكتسباته ومنجزاته الحضارية لتبقى راية البحرين عالية خفاقة دائماً بإذنه تعالى .

وقد بدأ الاحتفال بعزف السلام الأميري ثم قام وزير الدفاع نائب القائد العام بتفقد حرس الشرف الذي اصطف لتحيته، بعد ذلك قامت المجموعة البحرية الخاصة، وقوارب الإسناد بتقديم عروض خاصة بهذه المناسبة .

بعدها بدأت مراسم رسوّ الفرقاطة "صبحا" على رصيف ميناء سلمان تتقدمها الطائرات العمودية التابعة لسلاح الجو الأميري البحريني وسفن سلاح البحرية الأميري البحريني .

ثم تشرف قائد وعدد من ضباط الفرقاطة بالسلام على وزير الدفاع نائب القائد العام .

وبعد تلاوة آيات عطرة من الذكر الحكيم، ألقى قائد سلاح البحرية الأميري المقدم البحري يوسف مال الله كلمة قال فيها : "إنه يوم عظيم حقاً علينا أن نفتخر ونحتفل فيه بمناسبة عزيزة على قلوبنا جميعاً نحن منتسبي سلاح البحرية الأميري البحريني في هذا اليوم التاريخي احتفالاً بوصول سفينة البحرين "صبحا" إلى أرض الوطن العزيز بحفظ الله ورعايته وهذا ما عودتمونا عليه من مشاركتكم الدائمة والمستمرة لنا في جميع فعاليات تطوير سلاح البحرية الأميري . . وإنني أنتهز هذه المناسبة العزيزة لأرفع إلى مقام حضرة صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير البلاد المفدى قائدنا الأعلى وإلى مقام صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء الموقر، وإلى مقام صاحب السمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ولي العهد القائد العام لقوة دفاع البحرين وإلى معاليكم بأخلص التهاني وعظيم التبريكات على انضمام سفينة دولة

البحرين القلعة "صبحا" كما لا يفوتني أن أهنئ جميع منسوبي قوتنا الفنية بهذه المناسبة العزيزة على قلوبنا جميعاً .

إنها فترة قصيرة في عمر الزمن أن يصل سلاح البحرية الأميري البحريني منذ بدء تشكيله في عام ١٩٨٠م إلى ما وصل إليه اليوم بفضل من الله سبحانه وتعالى، ثم بفضل متابعتكم وحرصكم الدائم على رقي سلاحنا البحري . . وعلى الرغم من صغر حجم الرقعة الجغرافية لدولتنا الحبيبة إلا أن سمعتها الطيبة وبهمة رجالها وصلت إلى ما كنا نصبو إليه . وذلك حال إخوانكم وأبنائكم منتسبي هذا السلاح ذوي العزيمة والإصرار على تحمل المسئولية للارتقاء بسلاحنا البحري إلى الأحسن والأفضل والوصول إلى المستوى الجيد المرموق الذي يمكنه من القيام بواجباته المناطة إليه يحدونا الأمل في مواصلة بناء السد البحري المنيع الذي سيقف دوماً إن شاء الله في وجه من تسول له نفسه المساس بعزة وكرامة وأمن هذا الوطن الغالي .

إن أبناء هذا الوطن الغالي قد أثبتوا قدرتهم وكفاءتهم في جميع المجالات . وأن خير مثال على ذلك هؤلاء الرجال الذين لبوا نداء وطنهم وقوتهم بأن يكونوا طاقماً للفرقاطة "صبحا" حيث استغرق تدريبهم في الولايات المتحدة الأمريكية ما يزيد على العامين والنصف ليكونوا على أتم الاستعداد لاستلام السفينة وبذلك يكون أول طاقم بحريني يعبر المحيط الأطلسي تحت راية بلدنا العزيز فقد أعطوا أروع الأمثال في تمثيل بلادهم خلال فترة التدريب بشهادة من تعامل معهم طيلة فترة تدريبهم وهذا ليس بغريب على أبناء هذا الوطن فقد كانوا ولازالوا يبذلون الغالي والعزيز في سبيل رفعة وكرامة هذا البلد ولا يسعني في هذا المجال إلا أن أحيي فيهم هذه الروح العالية التي تميزوا بها ضباطاً وضباط صف وأفراداً طيلة فترة تواجدهم في الولايات المتحدة الأمريكية وأثناء رحلة عودتهم إلى بلدهم العزيز فهنيئاً لكم يا سيدي هذه الصفوة من الشباب وهنيئاً لنا انتماؤهم لسلاح البحرية متمنياً من الله العلي القدير أن يمدهم بعون من عنده ليواصلوا العطاء والتدريب والصبر على العمل والتضحية لبناء مستقبل هذا السلاح ويمضوا بكل قوة وحماس تواكب عصر التقنية الحديثة ويسيروا في ركب التطور يحدوهم الأمل الصادق والإيمان القوي الذي لا يتزعزع بأن الغد لهم بإذن الله .

كما أن هذا الإنجاز الكبير الذي تحقق في فترة قصيرة قياساً بحجم المشروع ليدعو للفخر والاعتزاز بالنتائج التي تحققت فمنذ ابتداء هذا المشروع فعلياً عندما أرسل فريق يمثل قوة دفاع البحرين إلى الولايات المتحدة الأمريكية لمعاينة السفينة وكان ذلك في أغسطس عام ١٩٩٤م والعمل يجري على قدم وساق وها نحن بعد ٣ سنوات فقط نرى في هذا اليوم التاريخي سفينة دولة البحرين "صبحا" أمامنا الآن وأنه لحلم كبير قد تحقق لنا في فترة قصيرة جداً حيث أن هذا النوع من المشاريع قد يستغرق ضعف الوقت الذي أنجز فيه إن لم يكن أكثر ويجب لنا هنا يا سيدي أن نشيد بمن كان لهم الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في ظهور الإنجاز إلى أرض الواقع وأن نتقدم لهم بالشكر الجزيل على ما قاموا به في سبيل إنجاز هذا الصرح الكبير وأخص بالشكر القوات البحرية الأمريكية والأدميرال توماس فارغو قائد القوات البحرية الأمريكية ومكتب (NAVY IPO)، بواشنطون والأدميرال دوجلاس كاتز الذين بتكاتف جهودهم أعطوا دفعة قوية للإسراع في تنفيذ المشروع في فترة قياسية . . كما لا يفوتني أن أنوه بالجهد الكبير الذي بذل من قِبَل جميع المسئولين بالقيادة العامة بقيادة معاليكم على الجهود الكبيرة التي بذلت من أجل إنجاح هذا المشروع كما لا أنسى قائد وطاقم السفينة "صبحا" الذين كان لهم الدور الرئيسي والفعال في اكتمال هذا المشروع، فلهؤلاء نتقدم بالتحية والشكر الجزيل على ما بذلوه فى تذليل جميع العقبات صغيرة كانت أم كبيرة منذ بداية المشروع وحتى اكتماله اليوم . كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى إدارة الموانئ على التعاون والتسهيلات اللامحدودة التي لاقيناها من قِبَلهم للتحضير لاستقبال الفرقاطة .

ونحن إذ نحتفل في يومنا هذا بهذه القفزة الكبيرة في حجم سلاح البحرية فإنه يكبر فينا الأمل وتزداد التطلعات والطموحات في تحقيق المزيد من المنجزات التي نصبو إليها جميعا بروح المسئولية تجاه سلاحنا وأن نتعامل مع تكنولوجيا الأسلحة الحديثة والتعايش معها بروح العصر في عالم تحكم جيوشه اليوم نظرية الكيف قبل الكم، والنوع قبل العدد . . كما نعاهد الله سبحانه وتعالى ونعاهدكم يا سيدي بأن نكون الجنود الأوفياء وأن نستمد من هذه المناسبات العزيزة الزاد لإحياء الهمم وبعث الطاقات الكامنة لإطلاق كل الجهود نحو آفاق المستقبل . . كما أتقدم لكم يا سيدي بجزيل الشكر

والامتنان على رعايتكم الكريمة باحتفالنا هذا ودمتم لهذا البلد الغالي سالمين غانمين بإذن الله ."

ثم ألقى المقدم ركن بحري صقر حمد المعاودة قائد الفرقاطة كلمة قال فيها : "إنه لمن دواعي الفخر والاعتزاز أن أقف اليوم أمامكم بعد أن وفقنا الله سبحانه وتعالى في مهمتنا الوطنية التي أسندت إلينا وذلك بفضل تمسكنا وطاقم الفرقاطة "صبحا" بتعاليم ديننا الإسلامي الحنيف والعزيمة الصادقة والإخلاص في العمل والولاء والطاعة لقيادتنا الرشيدة وحبنا العظيم لتراب وطننا البحرين لنضيف إنجازاً جديداً لرصيد إنجازات قوة دفاع البحرين خلال مسيرتها المباركة .

لقد كان للاهتمام الكبير الذي خصنا به حضرة صاحب السمو ولي العهد القائد العام واهتمامكم شخصياً ورعايتكم الدائمة وجميع المسئولين بالقيادة العامة لقوة الدفاع أثناء تواجدنا في الولايات المتحدة الأمريكية للتدريب على هذه المنظومة المتقدمة ، أكبر الأثر في نفوسنا جميعاً ضباطاً وأفراداً ، كما أنها كانت المعين والحافز الذي يدفعنا نحو بذل المزيد من الجهد والعمل في سبيل الارتقاء بمستوانا التدريبي لقيادة هذه الفرقاطة واستخدام الأسلحة والمعدات والأجهزة المتطورة عليها بكل كفاءة واقتدار .

إن انضمام الفرقاطة إلى سلاح البحرية الأميري البحريني يشكل إضافة كبرى ونقلة نوعية في تاريخ هذا السلاح الحيوي ، كما أنها سوف تسهم كثيراً في دعم وتعزيز سلاحنا البحري وزيادة فاعلية قدراته ، للحفاظ على أمن واستقرار وطننا العزيز وذلك لما تملكه هذه المنظومة المتقدمة من تكنولوجيا حديثة وتقنية عالية ومتطورة والمتمثلة في أسلحة حرب الغواصات وأنظمة الدفاع الجوي وصواريخ سطح/سطح ، إضافة إلى مقدرتها على العمل في أعالي البحار والمحيطات الأمر الذي يمكنها من التعامل مع الأهداف المعادية خارج نطاق مياهنا الإقليمية وبمسافة كبيرة .

لقد بدا مشروع الفرقاطة "صبحا" في عام ١٩٩٤م وذلك بعد أن تعاقدت حكومتنا الرشيدة مع الحكومة الأمريكية على تزويدها بفرقاطة لدعم وتعزيز القدرات القتالية لسلاح البحرية الأميري البحريني .

وقد تم هذا المشروع على عدة مراحل وعلى النحو التالي :

المرحلة الأولى

تم العمل على إعداد الطاقم المختار لقيادة وتشغيل وصيانة الفرقاطة في مدارس ـلاح البحرية الأميري البحريني، بعدها تم ابتعاثهم لمدة سنة ونصف إلى معاهد ـدارس البحرية الأمريكية للتخصص في مجالي الميكانيكا والأليكترونيات .

المرحلة الثانية

تم تدريب الطاقم البحريني مع طاقم الفرقاطة الأمريكي على كيفية تشغيل هذه ـظومة وأسلوب الصيانة الخاص بها وذلك تمهيداً لتسلمها، حتى جاء اليوم الكبير ـتظر الذي تفضل فيه سمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة وكيل وزارة الدفاع، ـمل برعايته الكريمة حفل التدشين بتاريخ ١٣ سبتمبر ١٩٩٦م .

المرحلة الثالثة

تمت فترة الصيانة للفرقاطة وتطوير القدرة القتالية لجميع الأجهزة والمعدات ـاصة بها في ولاية المسيسبي حيث استغرقت هذه العملية خمسة أشهر .

المرحلة الرابعة

تم الانتقال في هذه المرحلة إلى قاعدة (MAYPORT) بولاية فلوريدا حيث تم ـريب الطاقم على العمل كفريق مقاتل على جميع الأجهزة والمعدات على ظهر ـرقاطة .

المرحلة الخامسة

فقد كان لابد من القيام بتمارين تعبوية لقياس القدرة والكفاءة التي وصل إليها ـطاقم وعليه تم تنفيذ تمرين تعبوي في البحر الكاريبي جرى خلاله تجربة كافة ـجهزة والمعدات على ظهر الفرقاطة . كما تم القيام بعمليات ناجحة لإطلاق صواريخ ض/جو وكافة أسلحة السفينة .

المرحلة السادسة

بدأت رحلة الإبحار من ولاية ساوث كارولينا في ١٢ مايو الماضي إلى بلدنـا العزيـ البحرين مروراً بالعديد من الدول الأجنبية والعربية حيـث قطعـت الفرقاطـة (١١,١٢٠ ميــلاً بحــرياً خــلال ٥٥ يومــاً .

ولقـد كان لنتائج هذه المراحل الأثر الكبير في صقل طاقم الفرقاطة واكتساب الخبر في شتى المجالات العسكرية والملاحية والثقافية .

إننا نعاهد الله ونعاهدكم أن يكون الحفاظ على سلامة الوطـن أقـدس واجباتنـا وأ نذود عن حياضه بكل عزم وبذل وعطاء كما يسرني أن أتوجه بـالشكر والتقديـر إلى كـ من ساهم في إنجـاح هـذا المشـروع الحيـوي وأخـص بـالذكر القيـادة العامـة لقوة دفـا البحــرين، والبحرية الأمريكية متمثـــلة في كـل مـن JS ATLANTIC FLEET, NAVSEA, NATSAFA & FIFTH FLEET على مـا بذلـوه من جهـــد وإســـناد وحسن ضيافة خلال تواجدنا في الولايات المتحدة الأمريكية ."

* * *

ثم قام وزير الدفاع الفريق الركن الشيخ خليفة بن أحمد آل خليفة بتقليد عـدد مـ ضباط الفرقاطة وسام البحرين من الدرجة الثالثة والرابعة وأنـواط الكفـاءة لضبـاط صـفـ وأفراد الفرقاطة .

رفع العلم

بعدها تم رفع علم صاحب السمو القائد العام على الفرقاطة "صبحا" ثم قـام الوزيـ مع كبار الحضور بجولة تفقدية داخل الفرقاطة شملت مختلف أقسـامها حيـث استمـ إلى إيجاز مفصل عنها وما تحتويـه مـن تكنولوجيـا متقدمـة وأسـلحة ومعـدات حديثـ ومتطورة . كما قدمت لوزير الدفاع نائب القائد العام هدية تذكاريــة بـهذه المناسـبة مـ قائد وطاقم الفرقاطة "صبحا" .

الجهاد البحرى

ضـد الغـ

بقلم :

د. علي أباحسين / البحرين



لعربى الإسلامى

زاة البرتغاليين

لقد فرض الله تعالى الجهاد على المسلمين (فرض كفاية) إذا قام فيه من فيه الكفاية سقط عن الباقين ولكنه (فرض عين) ضد الغاصبين من الكفار الذين يبطشون بالمسلمين ويمنعون الحجاج من أداء فريضتهم ويقتلونهم ويحرقون سفنهم[1] .

لقد جاهد المشرق والمغرب العربي عبر التاريخ في البر والبحر ضد الأجانب حيث تعرض للبرتغاليين والأسبان والفرنسيين كما تعرض المشرق للبرتغاليين والإنجليز بحكم الموقع الجغرافي لديار المسلمين في المشرق والمغرب وقد ورد في خطاب سامٍ لجلالة الملك الحسن الثاني قوله : "إن موقع المغرب الجغرافي وتاريخه الحافل يجعله مطوقاً بمسئوليات وأمانات جسام : ■ أنه يقع في ملتقى البحرين فعليه إذن أن



يفكر في السياسة الأطلسية وسياسة البحر المتوسط ■ إن المغرب جاء قريباً من أوروبا فعليه أن يفكر في سياسته بالنسبة للقارة الأفريقية ■ وأن المغرب بلد عربي فعليه أن يفكر في سياسته تجاه العرب ■ وأخيراً أن المغرب دولة إسلامية وعليه أن يفكر في سياسته تجاه الدول الإسلامية"[٢].

وبحثنا حول (الجهاد ضد الغزاة برتغاليين) وقد اشترك فيه سكان خليج العربي والبحر الأحمر والمغرب مربي وكذا المماليك والعثمانيون ومسلمو هند، وسوف نلقي الضوء على أهم سبب لمجيء البرتغاليين للمشرق لمغرب العربي بصورة خاصة ألا وهو لسبب الديني) لنشر الكاثوليكية محاربة الإسلام والمسلمين في كل مكان رانا نعتمد على (مصادر برتغالية ندية وأوروبية) ومنها :

■ ما أورده الشيخ (أحمد زين دين المعبري المليباري) في كتابه تحفة المجاهدين) وقد عاصر أحداث غزو البرتغالي وما رافقه من مآس ضد مسلمين وكتب عنها كعالم وفقيه مؤلف كتب في الفتاوى والتصوف الفقه ثم دوّن تاريخ فترة عاصرها بجرأة ـاتب استعرض مواقف الغزاة البرتغاليين الذين أذاقوا المسلمين الويلات والمصائب وأجبروهم أحياناً على اعتناق النصرانية فهو شاهد عيان عاصر ظلم البرتغاليين واستخفافهم بمقدسات مسلمي (مليبار) وضربهم ونهب أموالهم وإحراق مراكبهم ومساجدهم ومصاحفهم وتعطيل أسفارهم، خصوصاً سفر الحجاج[٣]. وتحريضهم على قبول قول الردة والسجود لصليبهم وتزيين نسوانهم بالحلي والثياب النفيسة لتفتن نسوان المسلمين وقتل الحجاج وسوم المسلمين العذاب وسب رسول الله ﷺ جهاراً وتقييد الأسارى بالقيود الثقيلة وترديدهم بالسوق لبيعهم كما يباع العبيد وتعذيبهم حينئذ بشتى أنواع العذاب وجمعهم في بيت مظلم منتن مخطر وضربهم بالنعل إذا استنجوا بالماء وتعذيبهم بالنار والأعمال الشاقة بلا شفقة وسبي النساء

الأصيلات والتسري بهن حتى حصل لهم منهن أولاد نصارى لكي يؤذون المسلمين وتعذيب وقتل العلماء والخلاصة فإن بغيتهم تغيير دين المسلمين وإدخالهم في النصرانية . وختم المعبري، وهو يصف الحوادث وصْفَ شاهد عيان، بالآية الكريمة : ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾[٤] .

■ وقطب الدين محمد بن أحمد النهروالي كتب كتابه الموسوم (البرق اليماني) وهو معاصر للغزاة البرتغاليين عاش من (٩١٣ - ٩٩٠هـ /١٥٠٧ - ١٥٥٢م) قال : وقع في أول القرن العاشر الهجري من الحوادث الفواجع دخول البرتغال اللعين من طائفة الفرنج الملاعين إلى ديار الهند وإفناء السلاطين العرب في شرق أفريقيا وفي الهند وأندونيسيا ووضعت هذه السنون لبنة الاستعباد الاستعماري لشعوب جنوب آسيا .

■ وجاء (ألفونسو دي البوكيرك) البرتغالي لينشئ دولة بحرية برتغالية في المحيط الهندي وفي الشاطئ الغربي للهند وأصبحت (جوا) مستعمرة برتغالية ١٥٠٧م وأخذ يحتجز الحجاج المسلـ فلا يطلق سراحهم إلا بفدية ويسـ النساء ويبيع الرجال كالعبيد ثم يحـ السفن وإن لم يستطع يحرق السفن بمـ فيها[٥] . وكان هم (البوكيرك) هو القتـ وتدمير المسلمين عامة والعرب خاصـ بروح وحشية وقد كتب لمليكه بعد احتل (كوا) : أنه وضع السيف علـ رقبة كل عربي حيثما أمكنه العثـ عليه . وقد ملأ بهم المساجد وأضرمـ بهم النار[٦] ومات (ألفونسو د البوكيرك) في ١٥ ديسمبر ٥١٥ وبموته انتهت حياة أسوأ مستعمر شر عدو الإسلام وقد خطب أمام جنو يحثهم على احتلال (ملقا) بقوله : الخدمة الجليلة التي سنقدمها للعر بطردنا العرب من هذه البلاد وبإطفائـ شعلة شيعة محمد بحيث لا يندلع لـ هنا بعد ذلك لهب، ثم قال : لو انتز تجارة ملقا هذه من أيدي المسلـ لأصبحت كل من القاهرة ومكة أثراً بعـ عين[٧] وحاول خلفاء البوكيرك إنشـ علاقات دبلوماسية مع الحبشة للقضـ على المسلمين في مياه البحر الأحمـ والوصول إلى الأماكن المقدسة في الحجـ إلا أن ظهور العثمانيين في عهد (سليمـ القانوني) وبالتعاون مع (المماليـ

وخشية الأحباش الأرثوذكس من أهداف البرتغاليين الكاثوليك وبمساعدة (السامري) ملك مليبار في الهند أدى إلى اندحار البرتغاليين في البحر الأحمر . وأخيراً جاء في مقدمة كتاب (تعليقات البوكيرك دي فونسو) قوله : لقد كانت سياسة (البوكيرك) مبنية على تدمير كل مدينة وقلعة ودولة بعد الأخرى وإقامة محطات ومكاتب محصنة محلها وأهمل توطيد دعائم سلطته في المناطق الداخلية مما جعل هذه المحطات والمكاتب عرضة للمقاومة في وقت لاحق . وكان مصمماً على تحويل مجرى نهر النيل إلى البحر الأحمر كي يجعل مصر مجدبة . وأن ينقل عظام (مافوما) المكروه لنفسه وأن يحرقها علناً كي يذهل ويربك أتباعه فيكسب لنفسه شهرة أبدية . ولما قَدِم نحو هرمز ودار القتال مع المسلمين من الساعة السابعة صباحاً حتى الثالثة عصراً قُتِل فيه عدد لا يحصى من المسلمين طارد البوكيرك من فر منهم وقتلهم جميعاً وأحرق قواربهم وقصف الساحل ورمى الناس بالحجارة والسهام[٨] .

■ ومصدر فارسي بعنوان (بيدايش وسقوط امبراطوري مستعمراتي برتقال درهند) لمؤلفه (أحمد فندرسكي) كتبه باللغة الفارسية وأسهب في وصف مهاجمة البرتغاليين للمدن وتدميرها ووضع البوكيرك السيف على رقبة كل عربي ما أمكنه العثور عليه في أي مكان[٩] .

■ و (لادوار يهانسك) (١٨١٩ - ١٨٩١م) نبذة تاريخية عن الهند البرتغالية وهو مستشرق مجري الأصل كان أستاذاً في كلية ويلسون في بومباي وسكن الهند منذ ١٨٤٧م حتى وفاته ذكر عن الروح الصليبية للبرتغاليين وقتلهم للمسلمين وإحراق مساجدهم وإضرامَ النار فيها .

■ أما المستشرق البرتغالي (دافيد لويس) الذي عاش من ١٨٦٧ - ١٩٤٢م فكان مهتماً بأمر الغزو البرتغالي للهند ونشر كتاب (تحفة المجاهدين) . . . وترجمه إلى الأسبانية وطبعه في لشبونة المستشرق الإنجليزي (رولنسون) في مطبعة ليدن بهولنده عام ١٨٣٣م هذا الكتاب عاصر مؤلفه أحداث البرتغاليين في البحر الهندي وديار الهند، وشاهد ما فعلوه من كوارث ضد المسلمين[١٠] .

واستعان البرتغاليون بالجواسيس من تجار اليهود البرتغاليين فجمعوا لهم المعلومات عن بحار العرب والخرائط والمرشدات البحرية وجاءوا عبر مصر وامتطوا سفناً عربية نحو باب المندب فمضيق هرمز والهند وكان اليهود يتكلمون العربية مما سهل عليهم الوصول إلى أهدافهم ليقدموا للبرتغاليين المعارف التي يجهلونها عن الشرق العربي ولقد حدث ذلك قبيل الاستكشافات البرتغالية ببضع سنين فاندفع (فاسكو دا جاما) في عام ١٤٩٨م/٩٠٤هـ يدفعه حرصه على نشر النصرانية في الأراضي الإسلامية وكان فرسان (يوحنا) وهم البرتغاليون يسيطرون على جزيرة رودس ويشنون منها الهجمات المتوالية على الموانئ الإسلامية واستمرت القرصنة على السفن العربية وكانوا يعدون ذلك ضرباً من الجهاد الديني وإن كان للبرتغاليين أهداف أخرى، وكان الهدف الصليبي هو القضاء على الوجود الإسلامي اقتصادياً وسياسياً ودينياً بدافع الروح الصليبية التي أدت إلى سقوط غرناطة وقرطبة وسائر مدن الأندلس . وبارك البابا تلك الأهداف لنشر النصرانية وكان من نتائج ذلك تأسيس امبراطورية برتغالية استعمارية قامت بأفظع الوسائل ضد المسلمين في الخليج العربي والبحر الأحمر وقطعت طرق التجارة العربية عنها وحولتها نحو رأس الرجاء الصالح إلى أوروبا الغربية فعاش العرب ردحاً من الزمن في تدهور اقتصادي وتأخر اجتماعي وثقافي بينما بدأت تباشير عصر النهضة الأوروبية في البزوغ فزادت الثروة وعم الرخاء الاقتصادي في أوروبا عامة والبرتغال بصورة خاصة التي حملت مشعل (التنصير) في كل رقعة وصلت إليها سفنهم .

وبعد أن رست سفن (فاسكو دا جاما) في عام ١٤٩٨م/٩٠٤هـ في مياه كاليكوت ورغم أن ملك (مليبار) أحسن وفادته وحمله رسالة ودية إلى مليكه في البرتغال إلا أن جوابه هو مطالبته بمستعمرة لتجارته في الهند ونشر دينه . وثبّت البرتغاليون أقدامهم في (كاليكوت) ١٤٩٩م[١١] .

وعاد إلى (المليبار) ثانية في ١٥٠٢م ووصل إلى (كاليكوت) وأطلق عليها القنابل وبطش بأهلها ثم سار من كاليكوت إلى كوشين[١٢]، ثم إلى بندر (كشي) وبنوا فيه قلعة وهي أول قلعة بنوها في الهند وهدموا مسجداً كان على

ساحل البحر وحولوه إلى بيعة، وحدثت معركة بحرية بين المسلمين والبرتغاليين في كشي استشهد فيها كثير من المسلمين وحاول (السامري) ومن معه من أهل البلاد الآخرين منع البرتغاليين من دخول ميناء (كشي) فلم يُصَب المسلمون بشيء حتى ضعُف السامري لطول محاربته لهم وراسل سلاطين المسلمين وقتئذ طلباً للإعانة فلم ينفعوا إلا السلطان (محمود شاه) والد (مظفر شاه وعادل شاه) فهيأوا السفن والغربان ولكنهم لم يُوفقوا . أما سلطان مصر (قانصوه الغوري) فقد أرسل الأمير (حسين الخادم) مع بعض العساكر في ثلاث عشرة غراباً (سفينة) ومعه ملك أياس نائب (ديو) بغربانه فلقي بعض مراكب الفرنج فكان النصر للمسلمين عام ١٥٠٨م وغنم غراباً كبيراً للفرنج ورجع بما معه من الغربان إلى (ديو) ففاجأه الفرنج في نحو عشرين مركباً ولم يكن قد استعد لهم ولا المليباريون وكانوا يلاحقون غربان الأمير حسين بصورة خاصة فأخذوا بعض غربانه وطاح البواقي وعاد البرتغاليون منتصرين إلى كشي بينما رجع الأمير (حسين) إلى مصر فأخذت الغوري الغيرة فأرسل نحو اثنين وعشرين غراباً كبيراً وجعل عليها أميراً هو (سلمان الرومي)مع الأمير (حسين) فوصلا بالغربان إلى جدة ثم قمران بينما اتجه سلمان إلى بندر عدن ثم رجع إلى جدة فالتحم بحرب مع الأمير (حسين) وقتل (الغوري) على يد الشريف (بركات) ووقعت مملكته في قبضة السلطان (سليم شاه) .

وفي يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة خمس عشرة وتسعمائة هجرية الموافق للخامس من يناير ١٥١٠م نزل البرتغاليون في (كاليكوت) محاربين وأحرقوا المسجد الجامع الذي عمره النوخوذا (مثقال) ودخلوا بيت (السامري) الذي كان خارج البلاد وأحرقوه ودافع أهل البلاد وقتلوا كثيراً من الفرنج وغرق من غرق منهم وعاد الباقون خائبين . إلا أنهم قد نزلوا في (فنان) وأحرقوا نحو خمسين من المراكب في ساحلها واستشهد نحو سبعين رجلاً كما نزلوا (عدن) إلا أنهم انخذلوا، وولوا مهزومين وكان ذلك في أيام الأمير (مرجان) وصالحوا حاكم (كولم) وبنوا فيها قلعة(١٣) .

■ وكتب المؤلف الهندي (أرون بتاشارجي) في كتابه (تاريخ الهند) أن البرتغاليين حيث اتجهوا للاستكشافات

لم يكن هدفهم التجارة بل مارسوا القرصنة وتدخلوا في سياسة الشعوب ودبروا المؤامرات ضد الدول حين وجدوا أن إمبراطورية المغول في الهند أقوى منهم فتظاهروا بصداقتهم للإمبراطور (أكبر) وأبرم (كابرال) السفير البرتغالي اتفاقاً معه أكد بموجب الاتفاق الأمان للحجاج المسلمين وهم في طريقهم إلى مكة المكرمة، لكن البرتغاليين لم يكونوا صادقين في عهدهم فقد تآمروا مع حاكم (أسير كره) ضد الإمبراطور (أكبر) بينما تظاهروا بالصداقة مع المغول، كما حاولوا أن يرتد الإمبراطور (أكبر) عن إسلامه ويعتنق النصرانية في عام ١٥٨٠م ولكنهم فشلوا(١٤) .

وأكد كثير من الكتاب أن هدف البرتغاليين عدا الحصول على طريق الهند وتوابلها هو التوسع بروح صليبية وإحراق سفن المسلمين في كل البحار التي أبحروا فيها وأسسوا الأديرة والكنائس وتحقيقاً لأهدافهم الصليبية فقد اتجهوا لاحتلال الأماكن المقدسة للمسلمين(١٥) .

ومضت (الدولة العثمانية) في تحطيم قوة البرتغاليين في البحار الشرقية فأرسلت أسطولها إلى مسقط وحاصرت هرمز واتصلت بعمان والبحرين والإحساء ولكنها فشلت في إزالة الوجود البرتغالي في شرقي الجزيرة العربية حتى تخلت بعد عام ١٥٥٤م عن سياستها في محاربتهم في المحيط الهندي والخليج العربي واتجهت نحو البحر الأحمر وأصدرت مرسوماً يحرم على السفن غير الإسلامية الإبحار فيه .

وجدير بالذكر فإن العثمانيين لم يظهر لهم كيان سياسي وعسكري في الخليج العربي والبحر الأحمر حتى عام ١٥١٧م حيث انتصر السلطان (سليم الأول) على الشاه (إسماعيل الصفوي) كما هزم السلطان (الغوري) في مصر ودخل القاهرة ١٥١٧م ثم دخل الحجاز سلماً وكان البرتغاليون قد تمكنوا وقتئذ من دخول هرمز بوابة الخليج العربي وتفوقوا على العثمانيين بسلاحهم البحري وبدأ التصدي للبرتغاليين في اليمن واستولوا عليها في عهد السلطان (سليمان القانوني) ١٥٣٨م وأغلقوا البحر الأحمر في وجه البرتغاليين(١٦) .

وحدثت معركة (وادي المخازن) تلك التي خطط لها البرتغاليون لاحتلال المغرب بمساعدة (محمد المتوكل) الذي استنجد بهم وقد اشتركت مع القوات

بية قوات عثمانية وفي يوم الاثنين
ثين من جمادى الأولى عام ٩٨٦هـ
ق للرابع من أغسطس ١٥٧٨م كان
ار البرتغاليين ومقتل ملكهم (دون
ستيان) كما قتل (محمد المتوكل)
استنجد به وفتحت هذه المعركة
التعاون بين المغاربة والعثمانيين .
عهد السلطان مراد الثالث طلب عقد
ف عسكري ضد الأسبان وذلك في
ب ١٨/سبتمبر١٥٨٠م[١٧] . كما فتح
التعاون بين سكان الخليج العربي
اربة فانتصر إمام مسقط على
غاليين وقال الشاعر عبد العزيز
تالي يصف الواقعة التي جرت
هـ/١٥٥٣م في منطقة الخليج ويهنئ
هل المغربي أحمد المنصور الذهبي
راً إلى الربط بين مصير الجهتين :

هنأت أرض العراق بك العلا

ووافت بك البشرى لأرض عمان[١٨]

■ وذكر (جهانكير قائمقامي) وهو
خ فارسي أن ألفونسو البوكيرك
ب في ١٥٠٧م إلى الشاه إسماعيل
وي إذا أراد الشاه غزو مكة فإنني
القول لألبوكيرك - أدخل إلى البحر
مر وأهاجم (جدة) وإذا أراد أن

يدخل الجزيرة العربية سأقود الأسطول الملكي بنفسي وأغزو (عدن) وساحل الجزيرة العربية والبحرين والقطيف والبصرة وأخبرك بأنني سألاقيك في الخليج في محل ما وأساعدك في قتال أعدائك وإذا أردت أن تأتي إلى (كجرات) التي يملكها حاكم (كامباي) سأهاجم موانيها لأن جميع قواته مركزه فيها وبذا يحكم الشيخ إسماعيل الصفوي البلاد بسرعة وما على الشاه إلا أن يرسل سفيراً له إلى بلاط ملك البرتغال مطالباً إياه الصداقة والمساعدة في قتال أعدائه . هكذا تفتقر السياسة البرتغالية إلى النضج والتأمل والمبادئ الإنسانية كما كان تنفيذ خططهم سيئاً إذ كانوا ظالين ومتكبرين وكانت تصرفاتهم حتى التجارية سيئة للغاية[١٩] .

وذكر أن بعض رسل أمام مسقط أرسلهم إلى جميع أقطار الخليج العربي من عمان حتى البصرة ليوضحوا لحكام هذه الأقطار أن الحياة لا يكون لها معنى إلا بطرد الأجنبي المستعمر (البرتغالي وقتئذ) . وقد جاءت إلى الكويت (القرين) هذه الرسل لنشر هذه المهمة وقال أن أحد الرسل أبحر إلى

القرين وهو اسم من أسماء الكويت (ليبلغ أهلها عن التخطيط في مقاطعة سفن البرتغال) ومن يقف على هذا الفصل يتبين له مسيس الحاجة إلى جميع الكتب التي تتحدث عن كيفية إجلاء البرتغاليين عن الخليج العربي . فإنك تجد في هذا الفصل حواراً يجريه المؤلف بين شخوص أعتقد أنها لم تكن من خيال المؤلف وإنما هي أسماء حقيقية إذ أنهم هم الذين قادوا طليعة الأسطول العربي التي حاربت السفن البرتغالية، وهي خمس سفن صنعت في الهند ودرب بحارتها على القتال البحري ويستشف من هذا الحوار أن هذه السفن قد أطلق على إحداها اسم (الجلندي بن المستكبر) أحد أئمة عمان لأنه أنقذ سقطره من عدوان الروم، وسميت السفينة الثانية جلفار (رأس الخيمة) لتذكير الناس بإحراق البرتغاليين لها، وسميت الثالثة (الرستاق) إحدى مدن عمان، والرابعة (شاهين) تذكيراً بتلك السفينة الرائدة في التحذير من خطر البرتغال، وأطلق على السفينة الخامسة اسم (مصر) لما كان للمصريين من مساهمة في طرد الأجنبي .

على أننا نجد في هذا الفصل أموراً تاريخية هامة تستدعي تحقيقاً دقيقاً من المهتمين بتاريخ هذه المنطقة، وأهم هذه الأمور قول المؤلف : أن أحد رسل الإمام العماني (ناصر بن مرشد) استطاع أن يجمع مبالغ وفيرة، بلغت خمسمائة ألف محمدية من قرين والبحرين وقطر وجلفار ودبي وليوا لتمويل الثورة، وقوله ص٨٤: إن الرسول استطاع أن يحصل على أربع سفن، إحداها كانت من القرين، وإذا ما رجعنا إلى ما قاله المؤرخون عن لفظة القرين أنها اسم جزيرة صغيرة تقع في الشويخ، أحد موانئ الكويت، فكيف أن جزيرة صغيرة كل ما لها من أهمية أن السفن ترسو عندها تتمكن من المساهمة بمبالغ مالية، وسفينة كبيرة لها أهميتها . هذه قصة تاريخية تعني بأن القرين مدينة يسكنها جمع غفير من الناس بخلاف ما يقوله عنها المؤرخون، والفترة التي يتحدث عنها المرحوم الأستاذ عبد الله الطائي مؤلف هذه القصة تقع في سنة ١٠٥٠هـ (الموافقة لسنة ١٦٤١م) كما أورد المؤلف اتفاقية برتغالية عمانية مجملها أن البرتغاليين

ن الجزية لإمام عمان ويسلمون له ئز الرئيسية ماعدا القلعة الرئيسية . وقع البرتغاليون هذه الاتفاقية صلوا على وقت كاف ريثما يأتيهم . من البرتغال[٢٠] .

■ وورد عن (إيجرتون) وهو قريب د للبرتغاليين قوله : لما قاتل حاكم حرين (مقرن بن أجود بن زامل ىبري) البرتغاليين في ١٥٢١م وجرح بهم توفى على أثر ذلك خلال ثلاثة ام فما كان من البرتغاليين إلا أن لعوا رأسه وأرسلوه إلى (جوا) هدية إلى حاكم العام البرتغالي (ديوجو لوبيز كويرا) ووقع القائد البرتغالي الذي خل البحرين اسمه فيما بعد(أنطونيو وريا باريم) أي أنطونيو كوريا بحريني . وأخذ البرتغاليون يغرقون لسفن العربية التي تبحر بدون أن تدفع لرسوم ويدفع التاجر أيضاً مبلغاً مقابل ما يصطاده من المحار والصدف[٢١] .

■ وذكر (الدكتور صالح أوزبران) التركي أن (لويس منزيس) أخو والي الهند البرتغالي قام في عام ١٥٣٤م بالإغارة على خمس سفن للمسلمين وأحرق أربعاً منها ونهب مدينة سمر وقبض على من يراه من تجار المسلمين في البحر الأحمر لكن القوة العثمانية المتزايدة في البحر الأحمر لم تمكن البرتغاليين من السيطرة على الموقف في هذا البحر[٢٢] ومن هنا لابد أن نذكر التحالف بين الصفويين الفرس والبرتغاليين ضد العثمانيين والعرب والموالين لهم من المسلمين وهذا ما أكده وكتبه (ألفونسو دي البوكيرك) إلى شاه فارس في ٩١٥هـ/١٥٠٩م قوله : "إنني أقدر لك احترامك للمسيحيين في بلادك وأعرض عليك الأسطول والجند والأسلحة لاستخدامها ضد قلاع الترك وإذا أردت أن تنتصر على بلاد العرب أو نهاجم (مكة) فستجدني بجانبك في البحر الأحمر إما في (جدة) أو في (عدن) أو في (البحرين) أو (القطيف) أو (البصرة) وسيجدني الشاه بجانبه على امتداد الساحل الفارسي "وسأنفذ له مايريد"[٢٣]. وفي يناير ١٥١٤م/٩٢٠هـ أرسل (البوكيرك) ابن عمه (بيرو) إلى جزيرة البحرين المشهورة بثروتها وقد زوده بأربع سفن فوصل إلى (رأس كاديفو) فأسر سفينتين فيهما حجاج مسلمين بينما اتجهت خمسون سفينة فلجأت إلى ميناء هرمز[٢٤] .

■ وكتب (تشارلز بلجريف) يقول : حين احتل البرتغاليون مسقط بعد قتال عنيف سقط فيه الكثير من سكان المدن الساحلية في عمان ورفضت مسقط الاستسلام فقصفتها مدفعية البحرية البرتغالية وأسرت كثيراً من المدافعين عن بلادهم وتعرضوا لمعاملة قاسية سواء كانوا رجالاً أم نساءً أو أطفالاً فقطع البرتغاليون أنوفهم وآذانهم ونهبوا المدينة بالكامل ثم أحرقوها مع السفن الراسية في مينائها ومن ثم تقدم الأسطول على الشاطئ وتعاملوا مع الناس فيها بنفس القساوة (٢٥) وحدثت المقاومة من الخليج فقد حدثتنا الوثائق العثمانية في عام ٩٢٨هـ/١٥٢٢م أن (توران شاه) حاكم هرمز قام بتنسيق المقاومة مع البحرين، ومسقط، وقريات، وصحار ضد البرتغاليين، وفي ليلة واحدة قامت جميع هذه المناطق بترتيب من توران شاه وعلى حين غرة بالهجوم على البرتغاليين براً وبحراً وحاصروا (دوم جرسيا كوتينهو) قائد قلعة هرمز البرتغالي ولكن لم يفلح الحصار . أما في البحرين فقد هاجم الأهالي القلعة وقبضوا على قائدها البرتغالي وشنقوه إلا أن وصول المدد للبرتغاليين أعاد السيطرة على الموقف(٢٦). هكذا أدان التاريخ البرتغاليين حين كتب المؤرخون ما قاموا به من قتل وحرق وتدمير ليقيموا لهم امبراطورية استعمارية صليبية وقد استعرضنا طرفاً مما دوّنه معاصرون من البرتغاليين أنفسهم ومن أمم أخرى عن تلك الأحداث البشعة ضد العرب خاصة والمسلمين عامة من المغرب الأقصى إلى الخليج العربي وموانئ الهند وأفريقية ولكن جهاد المسلمين البحري ضد الغزاة البرتغاليين أدى إلى اندحار البرتغاليين من الخليج العربي والهند ومن المغرب إلى حيث لا رجعة .

د.علي أباحسين / البحرين

THE

COMMENTARIES

OF THE GREAT

AFÔNSO DALBOQUERQUE,

SECOND VICEROY OF INDIA.

TRANSLATED FROM THE

PORTUGUESE EDITION OF 1774,

WITH Notes and an Introduction,

BY

WALTER DE GRAY BIRCH, F.R.S.L.

[illegible]

ST.161

[illegible]

LONDON:

PRINTED FOR THE HAKLUYT SOCIETY

[illegible]

face long, and fresh-coloured, his nose aquiline, his aspect agreeable, and made venerable by the white beard which reached down to his waist. He was perfectly intimate with the Latin tongue, and as discreet when he spoke as when he wrote. He was loved and feared, without his benevolence degenerating into partiality or his correction into rigour. He observed truth religiously, naturally abhorred lying, and executed justice promptly. In so many battles both by sea and land he had frequently been wounded, bearing witness with his blood, that he had ever sought the place where danger was more certain. He was profusely generous, giving to the Captains the spoils obtained in so many victories, whereof he never reserved the least part for himself, for his desire was more for glory than for wealth. He always adhered to the utmost fidelity with his domestic enemies, and only brought his political sagacity to bear upon strangers.

"There were two actions suggested by the magnanimity of his heart which he determined to perform. One was to divert the channel of the Nile to the Red Sea, and prevent it from running through Egypt, thereby to render the lands of the Grand Turk sterile; the other to carry away from Mecca the bones of the abominable Mafamede, that, these being reduced publicly to ashes, the veneration of so foul a sect might be confounded. His name will be eternally applauded by the voice of Fame, as it was in the thoughts of the greatest Monarchs, and by the pens of illustrious writers, for D. Fernando, King of Castile, praised him as an illustrious captain to Pedro Correa, the Ambassador of the King D. Manuel, and the Grand Turk to D. Alvaro de Sande, Captain of the Emperor Charles V.

"Of the authors who have mentioned him the first is Maffei,[1] towards the end of the fifth book of his History of

[1] *Johannes Petrus Maffei; Historia Indica, cum Ignatii Loyolæ vita*, Colon. Agripp., 1590 and 1593.

مذكرات الفونسو د. البوكيرك

الهوامش

١ – الطريحي : ص ٢٠٥ .

٢ – التازي : د. عبد الهادي . التاريخ الدبلوماسي للمغرب ص ٢٦ .

٣ – المليباري : أحمد زين الدين المعبري، تحقيق محمد سـعيد الطريحـي ص ١٩ وص ٢١٧ ط ١ بـيروت ١٩٨٥م .

٤ – المعبري ص ٢١٨ .

٥ – ن.م.س. ص١٥٨ و١٦٣ .

٦ – الطريحي ص ١٧٠ .

٧ – ك.م. بانيكار : السفير الهندي في كتابه آسيا والسيطرة الغربية . انظر الطريحي، تحفة المجاهدين ص ١٧٣ و١٧٤ .

٨ – تعليقات البوكيرك الفونسو . المقدمة ص ١٩ و٤١ و١١٨ و١١٩ (بالإنجليزية) .

٩ – ن.م.س. ص ١٧٠ و١٧١ .

١٠ – ن.م.س. ص٢٦ .

١١ – المليباري ص ٢٢ .

١٢ – ن.م.س. ص ٧٠ و٧١ .

١٣ – المعبري، تحفة المجاهدين ص ٢١٤ و٢١٧ .

١٤ – آرون بتاشارجي . تاريخ الهند . ص ٢٢٩ و٢٣٠ ، طبع دلهي، ١٩٨٦م (الطبعة الإنجليزية) .

١٥ – د. صلاح العقاد . التيارات السياسية في الخليج العربي . ص ١٤، طبع مصر ١٩٧٤م .

١٦ – د. عبد العزيز الشناوي . الصراع بين المسلمين والبرتغاليين في شرقي الجزيرة العربية ص ٣ .

١٧ – الدكتور عبد الهادي التازي، ص ٤٧ و٤٨ .

١٨ – الوثيقة، العدد ٤ – ص ٦٢ بقلم الدكتور عبد الهادي التازي .

- جهانكير قائمقامي . مسألة هرمز والعلاقات بين إيران والبرتغال ص ٢٢٠ . طبع طهران ١٩٧٤م وثيقة برتغالية رقم ٤٣ .

- مقالة بقلم عبد الرزاق البصير في مجلة العربي بعددها ٢٧٧ الصادر في ديسمبر ١٩٨٦م عن قصة (الشراع الكبير) للأستاذ عبد الله محمد الطائي .

١ - المكتبة الوطنية بلندن . مخطوطات إيجرتون ١٦٤٦م ص ٨٨ - ٩١ . والطريحي ١٩ .

٢ - د. صالح أوزبران . الإمبراطورية العثمانية وطريق الهند . مجلة التاريخ . العدد ٣١ مارس ١٩٧٨م طبع استنبول ص ٩٠ و١٣١ .

٢ - الوثيقة . العدد الأول . ص ١٢٠ يوليو ٨٢ .

٢ - لويس دي كاستنهيدا . تاريخ الاكتشافات والاحتلال البرتغالي للهند، الجزء ٣، ص ٨٠٢ و٨٠٣ (بالإنجليزية) .

٢٤ - تشارلز بلجريف . ساحل القرصنة ص ٦ و٧ طبع لندن ١٩٦٦م .

٢٦ - موغول محمد يعقوب . السياسة العثمانية في المحيط الهندي في عهد القانوني بين سنتي ١٥١٧ - ١٥٣٨م باللغة التركية، استنبول ١٩٧٤م . وانظر مجلة الوثيقة ١٥/ ص٦٨ يوليو ١٩٨٩م .

وقد كان لهذا الموقع أثر كبير في اختيار البحرين مركزاً لعديد من الحركات السياسية نازعت السلطة المركزية في العصرين الأموي والعباسي، فقد كانت حركة القرامطة التي ظهرت في القرن الثالث للهجرة واحدة من تلك الحركات التي عبرت عن نواياها السياسية والفكرية بأساليب العنف التي مارستها تجاه السكان من نهب وقتل الحجاج ومهاجمة المدن والقرى وأخذهم الحجر الأسود خارج مكة . هذا بالإضافة إلى ما تعرضت له البحرين آنذاك من أحداث جسام اقترفتها حركات فارسية اتسمت بنزعتها الشعوبية في وقت كان الشعب العربي في البحرين بريئاً من كل ذلك، فقد قبلها بعضهم تحت وطأة ظروف إرهابية قاسية من تهديد بالقتل والسلب ورفضها غالبيتهم وذلك بالخروج عليها كلما سنحت له الفرصة معلناً إيمانه بوحدة الدولة العربية الإسلامية(٥) .

أما تسمية البحرين : فقد اختلف الجغرافيون والبلدانيون العرب في تسمية البحرين والتي وردت لها عدة تفسيرات تعتمد على وجود بحيرة من نواحي البحرين عند باب الإحساء .

وكان ماؤها راكداً ولا يفيض وزعاقاً(٦) ويتفق الجغرافيون والبلدانيون على اشتقاق اسم البحرين من معنى بحر(٧) . ويقدم ابن المجاور(٨)، تفاسير عدة أقربها إلى الصواب ما يقوله عن جزيرة أوال : "جزيرة في بحر مالح فوق بحر عذب"، فلأجل ذلك سميت البحرين . والراجح أن تسمية البحرين جاء لتوفر المياه المالحة والتقائها بالمياه العذبة التي مصدرها العيون والينابيع المنتشرة في باطن الأرض وقاع البحر وخاصة تلك التي تتدفق من قاع الخليج العربي تحت الماء المالح والتي مصدرها البر .

ومن الواضح أن هذه التسمية وردت في القرآن الكريم في أكثر من آية عن التقاء الماء المالح بالعذب في قوله تعالى "وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج"(٩). وقوله تعالى "وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج"(١٠)، وقوله تعالى "مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان"(١١) . وقد وردت التسمية باسم (البحران)(١٢) ولا ندري من أين جاءت هذه التسمية . ويبدو أن مصطلح

البحرين كان شائعاً منذ عهد الرسول ﷺ فقد ذكر ابن خياط في تاريخه أن الرسول ﷺ ولي أبان بن سعيد على إدارة البحرين[١٣] .

إدارة البحرين

أولاً : النظام الإداري في البحرين (١٣٢ - ٢٨٢هـ) = ٧٤٩ - ٨٩٥م)

عرفت البحرين منذ عصر ما قبل الإسلام نظام الولاية التي يديرها ويرعى شئونها وأوضاعها فقد كانت تابعة إدارياً للفرس الذين احتلوا أراضيها وعينوا عليها من قِبَلهم المنذر بن ساوى[١٤] .

ويبدو أن المنذر بن ساوي كانت له صلاحية مستقلة في إدارة الإقليم ولا علاقة له بالإدارة الفارسية بدليل أنه كان من أوائل الذين دخلوا الإسلام في البحرين، وقد وجدت الرسائل والوفود بين الرسول ﷺ وبين المنذر حول موقف الجاليات الموجودة في البحرين من الإسلام ومنهم الفرس واليهود[١٥] . وهكذا ارتبطت البحرين بالحجاز إدارياً باعتباره مقر الدولة العربية الإسلامية الأولى، وأرسل الرسول ﷺ عدداً من الولاة على البحرين[١٦] . كما تعاقب عليها الولاة في عهد الخلفاء الراشدين منذ خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي قسم الجزيرة العربية إلى عدة ولايات وعين على كل ولاية منها والياً يرتبط بالعاصمة (المدينة) مباشرة وهي : مكة، الطائف، صنعاء، حضرموت، نجران، جرش، البحرين[١٧] .

وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتسعت الدولة العربية الإسلامية بعد حركات التحرر والفتوح الإسلامية فتطلب الأمر أن يضع الخليفة نظاماً إدارياً يتناسب مع مساحتها لذلك عده الكثير من المؤرخين أول من وضع النظام الإداري في الدولة الإسلامية[١٨] . ففي عهده ضُمت عمان إلى البحرين وأصبحتا إدارة واحدة وليها عثمان بن أبي العاص متخذاً من عمان مقراً له ووجه أخاه لإدارة البحرين نائباً عنه[١٩] .

وفي خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه التحقت إدارة البحرين بولاية البصرة وأمر عليها عبد الله بن عامر (٢٥ - ٣٦هـ) = (٦٤٥ - ٦٥٦م)[٢٠] وذلك لاتخاذه البصرة قاعدة لحركة الفتوح الإسلامية في منطقة الخليج العربي بدلا من البحرين[٢١] . مما شجع على هجرة

بعض عشائر البحرين إلى البصرة من عبد لقيس والأزد[٢٢] . واستمر الوضع خلال لعصر الأموي حتى العصر العباسي حين أصبحت كل من البحرين وعمان واليمامة إقليماً واحداً بسبب الأحداث التي شهدها الإقليم[٢٣]

إدارة البحرين في العصر العباسي

(١٣٢ - ٢٨٢هـ) (٧٤٩ - ٨٩٥م)

يعد إقليم البحرين من الأقاليم المهمة في الدولة العباسية، ولذلك فقد حرص الخلفاء العباسيون على اختيار أفضل الولاة وأخلصهم ليحسنوا إدارتها ومعالجة أوضاعها ففي خلافة أبو العباس (١٣٢ - ١٣٦هـ) = (٧٤٩ - ٧٥٣م) ولى عمه داود بن علي إدارة البحرين واليمامة ومكة والمدينة[٢٤] . ودامت ولايته سنة واحدة ثم عين عمه سليمان بن علي والياً على البصرة وأعمالها كور دجلة والبحرين وعمان[٢٥] .

وقد تعاقب على إدارة البحرين طوال ولاية سليمان بن علي على البصرة عدد من العمال كانوا بمثابة عمال له منهم : السيح بن الحواري ثم عبد الله بن سليمان بن المنذر ثم عمر بن حفص[٢٦] . وفي خلافة المنصور (١٣٦ - ١٥٨هـ) = ٧٥٣ - ٧٧٤م) استمرت ولاية عمه سليمان بن علي إلى سنة ١٤٤هـ = ٧٦١م[٢٧] . وتولى البحرين بعده عدد من العمال منهم السرى بن عبد الله الهاشمي[٢٨] . وشعبان بن معاوية بن يزيد بن المهلب ثم قشم بن العباس بن عبد الله، وتلاه عبد بن شريط بن عبد ربه[٢٩] فأبو الساج الذي استمرت ولايته إلى سنة ١٥٢هـ = ٧٦٩م[٣٠] ثم سليمان بن حكيم العبدي الذي استولى على البحرين إثر محاولة انفصالية قام بها[٣١] . وعين عقبه بن مسلم واستمرت ولايته للبصرة والبحرين معاً إلى أن عزل لأسباب تتعلق بسوء معاملة أسرى البحرين، وتولى بعده يزيد بن عبد الله الهلالي[٣٢] . وفي سنة ١٥٧هـ = ٧٥٣م تولى سعيد بن دعليج الذي عين ابنه تميم والياً على البحرين[٣٣] .

وفي خلافة المهدي ١٥٨ - ١٦٩هـ = ٧٨٥ - ٧٩٦م أضاف إدارة الأحواز إلى ولاية البصرة والبحرين وولى محمد بن سلمان الذي كانت ولايته من ١٦٠

- ١٦٣هـ = ٧٧٦ - ٧٧٩م[٣٤] . وفي سنة ١٦٤هـ = ٧٨٠م تولى صالح بن داود ثم أعقبه روح بن هاشم ثم النعمان بن محمد فولى الخليفة المهدي الذي أضاف إليه ولايتي فارس وكرمان[٣٥] . ثم أعقبه سويد بن سويد واستمرت ولايته إلى خلافة الهادي سنة ١٦٩ - ١٧٠هـ = ٧٨٥ - ٧٨٦م[٣٦] .

وفي خلافة الرشيد ١٧٠ - ١٩٨هـ = ٧٨٩ - ٨١٨م استحدث منصب إداري أطلق عليه اسم إقليم البحرين والغوص، وأنيطت إدارة الإقليم إلى أحد كبار قادة الرشيد المعلى الذي نجهل اسم أبيه[٣٧] . وتزامن عهده مع ازدياد نشاط قراصنة البحر وتعرضهم لحركة التجارة والنقل وأماكن الغوص واستخراج اللؤلؤ[٣٨] . كما أضاف إلى إقليم البحرين اليمامة وأسند إدارته إلى السندي بن يحيى الحرشي[٣٩] . وفي خلافة المأمون ١٩٣هـ = ٨١٨م أسند إدارة الإقليم إلى ابن أبي عيشبه[٤٠] . ولما تولى المعتصم الخلافة ٢١٨هـ = ٨٣٣م ولى إسحاق بن إبراهيم بن أبي حميصة إدارة البحرين[٤١] . وفي خلافة الواثق أضاف إلى إقليم البحرين طريق مكة، وفي خلافة المتوكل عمدوا إلى سياسة تقسيم أقاليم الخلافة بين أبنائه الثلاثة فكانت البحرين من حصة ابنه المنتصر بالله[٤٢] . وتولاها مروان بن الجنوي، وقد أعاد الخليفة المنتصر ٢٤٧ - ٢٤٨هـ = ٨٦١ - ٨٦٢م محمد بن إسحاق لإدارة البحرين[٤٣] . وفي عهده ثار علي بن محمد (صاحب الزنج) وكان ذلك سنة ٢٤٨هـ = ٨٦٢م للسيطرة على هجر والإحساء إلا أنه غلب فاتجه إلى الأعراب في البادية[٤٤] . ولم تذكر المصادر والي البحرين إذ ذاك وما موقفه من علي بن محمد وأشارت المصادر إلى أن الخليفة المعتز ٢٥٢هـ = ٨٦٦م ولى محمد بن أبي عوف بعد أن أعاد ولاية البحرين واليمامة إلى ولاية البصرة[٤٥] .

وأعقبه سعيد بن صالح حتى خلافة المعتمد الذي عزله وولى مكانه ياركوج[٤٦] . وفي سنة ٢٦١هـ = ٨٧٠م تولى موسى بن يفا إدارة إقليم فارس والأحواز والبحرين واليمامة[٤٧] . ثم أسند المعتمد إدارة الإقليم إلى أحمد بن يور[٤٨] . وقد تزامنت ولايته على البحرين مع نشاط أبي سعيد الجنابي

ـذي تمكـن مـن السـيطرة علـى بحرين[٤٩] .

ثانياً : إدارة البحرين في فترة الانفصال

٢٨٢ - ٣٣٤هـ) (٨٩٥ - ٩٤٥م)

اتسمت هـذه الفترة بظـهور حركـة لقرامطة التي اتخذت من إقليم البحرين مركـزاً لهـا وهـي جـزء مـن حركـات انفصالية ظهرت قبل هذا التاريخ والـتي انفصلـت إدارياً عـن الدولـة العباسـية ، وأصبحت تشكل خطـراً لا علـى الدولـة فقـط وإنمـا علـى المجتمـع العربـي الإسـلامي في الخليـج العربـي . فقـد اختلف المؤرخون في بداية ظـهور حركـة القرامطة ، ويرجح أغلبـهم أنـها ظـهرت في سـنة ٢٨١هـ = ٨٩٤م عندمـا قـدم رجل يعرف باسم يحيي بن المهدي إلى مدينـة القطيـف ونـزل في ضيافـة رجـل يدعى علي بن المعلى بن حمدان - وقـد كان من المغالين في الديـن - وأخـذ كـل من علي ويحيى يدعوان الناس فيـها إلى دعوتـهما(٥٠) . وفي روايـة أخـرى أن عيدان أرسـل أبـا سـعيد الجنـابي إلى البحريـن وزوده بـالأموال والكتـب[٥١] . وقد حاول أبو سعيد الجنابي جمع أكبر عدد مـن المؤيديـن ومـن انضم إليـه مـن الأعراب واللصوص . فتمكن من السيطرة على القطيف[٥٢] . ثم سـعى إلى توسـيع رقعة أراضيـه بضـم مـدن جديـدة فـهدد مدينة البصـرة وتمكـن مـن دحـر جيـش الخلافة ثـم تفـرغ لحصـار مدينـة هجـر وتمكن من اقتحامها وقتل مـن فيـها ولم ينج إلا من هرب(٥٣) .

وفي سنة ٢٩٠هـ = ٩٠٢م تجـددت المعارك مـع ابـن جـور عـامل الخليفـة العباسي ثم تبع ذلـك فـترة هـدوء حتـى سنة ٢٩٩هـ = ٩١١م ولم تذكـر المصـادر أي نشاط لأبي سعيد أو موقف الخلافـة منـه ويبـدو أنـه تمكـن من طـرد الـوالي العباسـي مـن البحريـن وتفـرغ للنواحـي الإدارية والعمرانية من أجل إقامة النظام السياسي الذي وصـف بأنـه : نظـام ذو وجوه ومرافق وقوانين ومراصـد وضـروب مرسومة شملـت سـائر مرافـق الحيـاة في البحرين[٥٤] . جـاعلاً مـن نفسـه القـائد الأعلى للجيش والسلطة كافة[٥٥] .

وقد ادعى أنه يسـتمد تعاليمـه مـن (إمـام الزمـان) الـذي أصبـح أبـو سـعيد عاملاً له وحاكماً باسمه ومؤديـاً الطاعـة له[٥٦] . يعاونه مجلس مؤلف من أتباعه المقربين وأهله[٥٧] . ويتكون المجلس من اثني عشر عضواً يقـوم بـإدارة الدولـة في

النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية[٥٨] . وكان أبناء أبي سعيد أعضاء في هذا المجلس وكانت لهم مسئولياتهم في إدارة الدولة وعند وفاته سنة ٣٠١هـ = ٩١٣م ترك وصية حدد فيها النظام السياسي الذي يسيرون بموجبه[٥٩] . ولقد قضى أبو سعيد الجنابي في إدارة البحرين مدة ١٩ سنة من ٢٨٢ - ٣٠١هـ = ٨٩٥ - ٩١٣م وضع خلالها الهيكل الإداري والسياسي والاقتصادي من خلال الإجراءات التي قام بها، وقداعتبر فريق من المؤرخين أنه أقام نظاماً اشتراكياً وذلك من خلال التدابير الاقتصادية التي اتصفت بنزعة ثورية يسارية[٦٠] وفي حين عده البعض الآخر نظاماً اشتراكياً متطرفاً[٦١] . وقد ذهب باحثون آخرون إلى أن نظامه نظام اجتماعي واقتصادي يحقق على حد زعمهم المساواة الاجتماعية والرفاه المادي[٦٢] . ومن المؤرخين من لا يرى أن نظامه لا يتصف لا بالاشتراكي ولا بشبه الاشتراكي لكونه لم يقم على أسس نظرية يمكن دراستها ضمن مجرى الفكر الاشتراكي[٦٣] . ويبدو من تطبيقات النظام أن مجتمع البحرين مجتمع طبقات ففيه العبيد الأرقاء الذين بلغ عددهم ٣٠ ألف عبد زنجي وحبشي[٦٤]. وإلى جانبهم الإماء (الجواري)[٦٥]، وقد قسم العمل على أساس الطبقات . فطبقة العبيد والزنج والإماء مهمتهم العمل في الزراعة وفلاحة البساتين ورعاية الحيوانات[٦٦] . وأغلب أفراد القبائل العربية يعمل في الجندية، كما لم يلغ النظام الإداري في البحرين الملكية الفردية سواء أكانت ملكية الأرض أو المال، فقد وزعت الأراضي على أقربائهم وأتباعهم بدليل أنهم نصبوا على أراضيهم العرفاء وأقاموا عليها العمال والفلاحين من العبيد[٦٧] . والأكثر من هذا لم تعد الملكية عامة فقد كانت ممتلكات أبي سعيد الجنابي على سبيل المثال سنة ٣٠١هـ = ٩١٣م من الأبقار والثيران ألف رأس، ومن الخيل والجمال ألف رأس ومن الأواني الذهبية والفضية ما قيمته مائة ألف دينار، ومن النقود ألف ألف دينار[٦٨] .

كما استحوذ على نصف ما يستخرج من البحر بالإضافة إلى امتلاكه الطواحين كافة[٦٩] . أما توزيع الأموال فلم نلمس في توزيعها أي وجه للنظام الاشتراكي الذي وصفه بعض المؤرخين، فإن الأموال كانت تذهب إلى الطبقة الخاصة بنسب اتفقوا عليها وحرمت

بقية فئات المجتمع منها، وقد وصف ابن حوقل[٧٠] نسب الأموال التي تذهب إليهم فقال :

ما يدفع من الأموال إلى صاحب الزمان تصل نسبته إلى الخُمس من المال الذي يساوي ألف ألف دينار ولربما يزيد على المائة والمائتي ألف دينار، ويعطي ثلاثة أخماس لأبناء أبي سعيد، كما يدفع الخُمس الباقي إلى السنابره .

والواقع أن هذا النظام الذي وضعه أبو سعيد الجنابي لم يكن يعرفه أهل البحرين من قبل، وبوفاته انتقلت إدارة البحرين إلى أبنائه من بعده لإكمال مسيرة نظامه . وقد ترك وصية أن يكون القيم بأمرهم هو سعيد ابنه إلى أن يكبر أبو طاهر، فإذا كبر كان المدبر وقد جرى الأمر على ذلك[٧١] .

وقد حكم سعيد البحرين بين سنتي ٣٠١ - ٣٠٥هـ = ٩١٣ - ٩١٧م[٧٢] . ولم تحفل المصادر التاريخية بذكر أي حدث خلال فترة حكمه مما دفع بعض المؤرخين إلى القول أن هذه الفترة سادها السلام والوئام وحسن العلاقة والتقرب من الخلافة العباسية مما أثار حفيظة الدولة الفاطمية في مصر والتي أثارت الفتن بين أبناء أبي سعيد فخلعوا سعيداً وولوا أخاه أبا طاهر[٧٣] . ومهما يكن من أمر فإن أبا طاهر تولى إدارة البحرين سنة ٣٠٥هـ = ٩١٧م يعاونه إخوته أبو القاسم سعيد وأبو منصور محمد وأبو إسحاق إبراهيم وأبو العباس محمد وأبو يعقوب يوسف[٧٤] . وقد أطلق ناصر خسرو[٧٥] عليهم اسم "السلاطين ثم السادات" فكانوا قادة الإقليم وبيدهم إدارته يعاونهم ستة وزراء وأطلق على هؤلاء الوزراء اسم السنابرة . ويرأس مجلس الوزراء أبو طاهر وصهره أبو محمد سنبر أحد رجال البحرين المعروفين[٧٦] .

ويتولى هذا المجلس قيادة الجيش وإدارة مجلس الوزراء، ويعقد المجلس جلساته في دار الهجرة التي تم بناؤها في عاصمته المؤمنية[٧٧] .

وبوفاة أبي طاهر تولى إدارة البحرين أخوه أبو القاسم سعيد وهيمن على مقاليد الحكم[٧٨] .

واستمرت إدارة البحرين بين أبناء أبي سعيد الجنابي يتناقلها الأبناء عن الآباء حتى تم القضاء عليهم على يد الأسرة العيونية سنة ٤٦٩هـ = ١٠٧١م[٧٩] .

الأوضاع السياسية في البحرين وموقف الخلافة العباسية (X)

اتخذ إقليم البحرين أكثر من مرة مركزاً لعدد من الحركات التي أعلنت خروجها على الدولة العباسية، ويبدو أن للعامل الجغرافي أثره في ذلك لبعد البحرين عن مركز الخلافة مما جعل الإقليم محافظاً على عاداته وتقاليده العربية الأصيلة وتغلب الروح القبلية فيه فضلاً عن وجود أجناس غريبة في هذا الإقليم من فرس ويهود والتي لعبت دورها في هذه الحركات. كما لم يكن العامل الاقتصادي أقل أهمية من العوامل الأخرى فقد كانت الحالة المعيشية للسكان متدهورة وكان لها أثرها على الأوضاع الاجتماعية والثقافية مما دفعهم إلى قبول أية دعوة من شأنها أن ترفع مستواهم الاقتصادي المتدني[٨٠] مما جعل سكان البحرين صيداً للحركات التي اتخذت من البحرين مركزاً لها كحركة علي بن محمد (صاحب الزنج) وحركة ابن سعيد الجنابي القرمطي التي وعدت بالرخاء ورفاه الأحوال[٨١] . وتشكل الحركات التي ظهرت في البحرين جزءاً من حركات انفصالية ظهرت في عدد من أرجاء الدولة العربية الإسلامية ولكنها لم تلبث قليلاً سوى حركة قرامطة البحرين التي دامت ما يقارب أربعة قرون استهدفت فصل إقليم البحرين عن الخلافة العباسية[٨٢] . وكانت أولى الحركات التي ظهرت في البحرين وأعلنت عصيانها على الخلافة العباسية حركة سليمان بن حكيم العبدي الذي استطاع انتزاع مقاليد الولاية من أبي الساج عامل الخليفة المنصور مستغلا انشغال الخليفة بأمر خراسان[٨٣] . إلا أن المنصور كان متفانياً في المحافظة على وحدة الدولة العربية الإسلامية فاستدعى عامله على البصرة عقبة بن مسلم سنة ١٥٠هـ = ٧٦٧م ووضع الخطط اللازمة

لقمع الحركة فاتجه إلى البحرين وتمكن من القضاء عليها(٨٤) .

وفي خلافة الرشيد ١٧٠هـ =٧٨٦م قام سيف بن بكير بحركته في البحرين معلناً تمرده على الخلافة العباسية ومتخذاً من مدينة هجر قاعدة له(٨٥) . فأسرع الرشيد بإسناد قمع الحركة إلى محمد بن يزيد الذي تمكن من القضاء عليها وقتل قائده في معركة عين النورة(٨٦) .

وفي خلافة المستعين(٢٤٨ - ٢٥٢هـ) = (٨٦٤ - ٨٦٨م) تحرك علي بن محمد من مدينة سامراء سنة ٢٤٩هـ = ٨٦٥م إلى مدينة هجر معلناً تمرده وعصيانه على الخلافة العباسية(٨٧) ولم تكن سامراء مركزاً صالحاً لأي عصيان لكونها عاصمة الخلافة ولبعد البحرين عن العاصمة . وزعم علي بن محمد النسب العلوي(٨٨) ليضفي على حركته الصفة العلوية، كما ادعى أنه من قبيلة عبد القيس في حين أن عبد القيس من القبائل التي أسهمت في القضاء على حركته مع قوات الخلافة(٨٩) . وأن ابن أبي الحديد يطعنه في نسبه ودينه ويرميه بالزندقة والإلحاد(٩٠) . ويؤكد جمهرة من المؤرخين أنه من أصل فارسي من قرية (ورزنين) في فارس واسمه (بهبود)(٩١) .

ومهما يكن من أمر في اختلاف نسبه وعقيدته فإنه اتخذ من مدينة هجر مركزاً لحركته فاتبعه جماعة ورفضته أخرى مما أدى للاقتتال بينهما فانتقل إلى الإحساء متخذاً منها مركزاً لحركته(٩٢) . ولكنه سرعان ما ترك الإحساء لفشله في التوفيق بين قبائلها فاتجه إلى البادية مستغلاً بساطتهم، فقد أوهم الناس بأنه يحيى بن عمر العلوي الذي قتل على مقربة من الكوفة وزعم أنه المهدي المنتظر(٩٣) . وبهذه المزاعم استطاع كسب أعداد كبيرة من أعراب البادية(٩٤) . مما دفع إلى محاولة توسيع سلطته إذ تمكن من جمع جيش من الأعراب زحف بهم إلى مدينة الردم وجرت معركة بين أتباعه وسكان المدينة بقيادة العربان بن الهيثم الذي تمكن من سحق قوات علي بن محمد فاضطر إلى ترك البحرين واللجوء إلى مدينة البصرة سنة ٢٥٤هـ = ٨٦٨م(٩٥) .

وفي سنة ٢٨١هـ = ٩٤٠م ظهرت حركة جديدة في البحرين متمثلة بحركة (القرامطة) والتي تعد من أشد الحركات الخارجية خطراً على الخلافة العباسية

لاستخدامها أساليب العنف والقوة تجاه سكان المدن وقوافل الحجاج والتجارة لزرع الرعب والخوف في النفوس[٩٦] .

وترجع بداية ظهور حركة القرامطة في العراق إلى سنة ٢٧٨هـ-٨٩١م عندما قدم رجل من الأحواز يعرف باسم عبد الله بن ميمون القداح من أهل قورح ادعى فيها النبوة وحاولت السلطة العباسية القبض عليه فهرب وبرفقته رجل من أصحابه يعرف بـ (الحسين الأحوازي) فنزلا على قوم من أولاد عقيل بن أبي طالب ﷺ في مدينة البصرة، وأخذا يعملان على تنظيم حركتهما محاولين كسب أعداد من السكان إلا أن أمرهما كشف فهربا إلى مدينة شامية واستمر عبد الله بن ميمون في نشر دعوته إلى أن توفي فخلفه ابنه أحمد وإليه يرجع الجهد في تنظيم وتوسيع قاعدتهم، فأرسل حسين الأحوازي كداعية إلى سواد العراق فاستطاع أن يكسب رجلاً يدعى حمدان بن الأشعث فأرسله إلى الكوفة داعياً هناك[٩٧] . ونزل على رجل يدعى (كرميتة) فسمي هو بنفس الاسم نسبة إلى صاحب الدار الذي نزله[٩٨]، ثم حوّر الاسم فقيل له قرمط (٩٩) .

وقد سعى حمدان قرمط إلى توسيع قاعدة حركته باتباع مختلف الوسائل منها أنه أخذ يظهر الزهد والتقشف ويكثر من الصلاة ، ثم بدأ يدعو إلى إمام من آل بيت الرسول ﷺ فاستجاب لدعوته جمع كثير منهم رجل يدعى (عبدان) الذي أخذ يؤلف الكتب في توضيح أفكارهم[١٠٠] .

أما نشأة الحركة القرمطية في البحرين فقد اختلف المؤرخون في تاريخ نشأتها وعلى أرجح الآراء تعود إلى سنة ٢٨١هـ = ٨٩٤م عندما قدم رجل يعرف باسم يحيى بن المهدي إلى مدينة القطيف فنزل في ضيافة رجل يدعى علي بن المعلى بن حمدان وقد كان من المغالين في الدين، وأخذ علي ويحيى يدعوان الناس في القطيف إلى دعوتهما[١٠١] . وفي رواية أخرى أن (عبدان) هو صهر حمدان قرمط أرسل أبا سعيد الجنابي إلى البحرين وزوده بالأموال والكتب[١٠٢] . وقيل بأن حمدان هو الذي أرسل داعيه إلى البحرين بعد أن وجد فيه القدرة

والكفاءة[١٠٣] . وإليه يرجع الفضل في نشر دعوة القرامطة . فقام بتنظيم الدعوة واجتمعت إليه الأعراب فكان منهم من قبيلة عبد القيس بن ربيعة[١٠٤] .

كما انضم إليه من بقي من الزنج[١٠٥]، وانضم إليه عدد ممن لهم شأن كبير في البحرين منهم أبو سنبر وأخواه حمدان والحسن فصاهرهم وعظم أمره بهم[١٠٦] . فتمكن من السيطرة على القطيف وتوسع سلطانه إلى مناطق أخرى كما ساعده في ذلك النزاعات القبلية[١٠٧] . وفي سنة ٢٨٦هـ = ٨٩٩م اشتد خطر أبي سعيد الجنابي وذلك بتهديده بالاستيلاء على البصرة مما دفع أميرها محمد بن يحيى الواثقي لإنشاء سور حول المدينة[١٠٨] . وبادر الخليفة المعتمد إلى نقل العباس الغنوي من ولاية فارس سنة ٢٨٧هـ = ٩٠٠م وعينه والياً على اليمامة والبحرين وزوده بألفي فارس لقتال الجنابي، كما انضم إليه عشرة آلاف من المتطوعة[١٠٩] . ومع ذلك فقد تقدم الجنابي لاحتلال البصرة سنة ٢٨٩هـ = ٩٠٢م وكاد الغنوي أن ينتصر على أبي سعيد لولا هروب المتطوعة من الأعراب وأخذ الغنوي أسيراً مع ٧٠٠ من جنده، وفي اليوم الثاني أقدم أبو سعيد على قتل جميع الأسرى ثم أحرقهم وأخذ الغنوي أسيراً إلى البحرين، ولم يلبث أن أطلقه وحمله رسالة إلى الخليفة العباسي[١١٠] . وبعدها اتجه أبوسعيد إلى هجر وفرض الحصار عليها وقطع المياه عن أهلها مما دفعهم إلى الاستسلام فقتل من أهلها خلقاً كبيراً دون رحمة وهرب عدد كبير منهم إلى البصرة، وأخذ من بقي منهم إلى الإحساء، وقدر عدد من قتلهم بـ ٣٠٠,٠٠٠ حرقاً بالنار[١١١] . وأكثرهم من النساء والشيوخ والأطفال إذ هيأ لهم ما يعرف بـ (الخطار) وهي محرقة فأشعل النار بهم[١١٢] . وإزاء هذه الهزائم التي لحقت بجيش الخلافة والجرائم البشعة التي ارتكبها أبو سعيد في مدينة هجر أصبح لدى الخلافة العباسية قناعة بأن أبا سعيد يحمل أهدافاً توسعية لذلك اقترح الوزير علي بن عيسى مكاتبة الجنابي وإرسال الوفود له، وبينما الوفد في طريقه إلى البحرين ترددت أنباء مقتله على يد خادمه الصقلي[١١٣] . فتوقف الوفد في انتظار موقف الخلافة التي أصدرت أمرها باستكمال الرحلة والتفاوض مع أبنائه[١١٤] . وقد توصل الوفد إلى اتفاق بأن يعلن القرامطة طاعتهم للخليفة

مقابل السماح لهم بالتسوق من سيراف[١١٥] .

تولى أبو سعيد الإبن الأكبر أمر القرامطة ولكنه عجز عن القيام بالأمر فغلبه أخوه أبو طاهر ٣٠٤هـ = ٩١٧م وتولى إدارة البحرين[١١٦] . وسار سيرة أبيه بشن غارات على المدن وقتل الحجاج وسلب ما يقع في يده . بادر سنة ٣٠٧هـ = ٩١٩م بمهاجمة البصرة وسلب ونهب وعاد إلى مهاجمتها عام ٣١١هـ = ٩٢٤م فاستباحها وقتل أهلها كما قتل واليها سبك المفلحي وخرب كافة المرافق الدينية والاقتصادية فيها[١١٧] .

وإزاء هذه المآسي التي حلت بسكان البصرة أقدم الخليفة على تعيين محمد الغارقي والياً على البصرة، وإرسال تعزيزات عسكرية لإنقاذها، كما تعرض أبو طاهر لقافلة من الحجاج قادمة من مكة المكرمة فأوقع بالقافلة وأسر مرافقها أبو الهيجاء مع عدد من كبار رجال الدولة وترك قسماً من القافلة بينهم النساء والأطفال فمات أكثرهم من الجوع والعطش[١١٨] . وكانت ردود فعل العامة أن هاجموا دار الوزير ابن الفرات ونعتوه بالقرمطي الكبير[١١٩]، وقد هدف أب عامر من هذه الأعمال إلى إرغام الخلاف على قبول شروطه بضم البصر والأحواز[١٢٠] . وإزاء عدم تلبية مطالب أعاد هجومه على البصرة والكوفة وقواف الحجاج سنة ٣١٢هـ وحاول الخليف المقتدر معالجة الموقف فأمر بنقل يوسف بن أبي الساج من ولاية فارس سن ٣١٤هـ = ٩٢٦م وخصص خراج للنفقات العسكرية[١٢١] . أما أب طاهر فلم يعر أي اهتمام لهذا الإجر ففي سنة ٣١٥هـ = ٩٢٧م هاجم الكوف بعد أن علم أن واليها قد أعد المؤ لقوات أبي الساج فأسرع بالدخو للكوفة قبل قوات أبي الساج فأخذ المؤ دون مقاومة[١٢٢] . وهرب سكانها إ بغداد وحلوان وهمدان[١٢٣] . وتابع أب طاهر هجومه على عين التمر والأنب وهيت، وكانت مدينة هيت محصن وأهلها على استعداد لقتاله فقتلوا أعداد كبيرة من أتباعه ومنهم أحد قادته أب الدرداء القرمطي[١٢٤] . فاضطر أبو طاه إلى الانسحاب وأخذ في طريقه يهاج المدن والقرى كالرحبة وقرقيبيا ورأ العين وصيبين وسنجار حتى بلغ مدين الموصل[١٢٥] . عاد بعدها إلى سو الكوفة ليمارس نشاطه فيها .

وفي سنة ٣١٧هـ = ٩٢٩م تقدم أبو طاهر نحو مكة المكرمة وكان يوم التروية والحجاج يؤدون مناسك الحج فقتل الحجاج في المسجد الحرام، كما قتل أمير مكة وقارب عدد القتلى ٣٠,٠٠٠ حاج، ورمى قسماً منهم في بئر زمزم، وسلب كسوة الكعبة ونهب دور أهل مكة وقلع الحجر الأسود ونقله معه إلى هجر كما قلع الباب والمحاريب الفضية وبلغ ما أخذه من الأموال ألف ألف دينار والدرة اليتيمة وعصا موسى والقناديل(١٢٦) . وأعيد الحجر الأسود إلى مكة بعد ٢٢ سنة(١٢٧) أي سنة ٣٣٩هـ =٩٤١م .

وعاد أبو طاهر إلى مهاجمة الكوفة سنة ٣١٩هـ = ٩٣١م فهرب أهلها إلى بغداد فخرج أهل بغداد رافعين المصاحف طالبين التصدي لأعمال وجرائم أبي طاهر(١٢٨) . فمكث فيها ١٥ يوماً سفك الكثير من الدماء ونهب الأموال وعاد إلى هجر(١٢٩) . وأخذ يهاجم المدن الساحلية المطلة على الخليج العربي بهدف التحكم بطرق التجارة وتعطيل حركة النقل(١٣٠) . كما هاجم سنة ٣٢٣هـ = ٩٣٤م مدينة القادسية وقوافل الحجاج وأعاد هجومه على الكوفة(١٣١) .

وكانت ردود فعل الخلافة أن تضرع الخليفة الراضي إلى الله لشدة حزنه لما أصاب الحجاج كما صام عدة أيام(١٣٢)

ويبدو أن أبا طاهر كان هدفه من هذه الأعمال الإجرامية المتكررة الحصول على الأموال بسلب ونهب المدن وقوافل الحجاج وإرغام الخلافة على الاعتراف بما تحت يده من الأراضي ولتأمين طريق الحج لقاء مبلغ من المال يدفعه الخليفة له مما اضطر الخليفة سنة ٣٢٥هـ إلى إرسال وفد لمفاوضته بأن الخليفة على استعداد لدفع ١٠٠ ألف دينار سنوياً بشرط أن يدخل أبو طاهر في طاعة الخليفة فلم يجبه(١٣٣) . وفي رواية أخرى : أن صاحب أفريقيا طلب منه الكف عن مهاجمة قوافل الحجاج مقابل أن يدفع خمسة دنانير على الجمل و٧ دنانير على المحمل(١٣٤) . ومنذ عام ٣٢٦هـ = ٩٣٧م لم يظهر لأبي طاهر أي نشاط سياسي أو عسكري تجاه قوافل الحجاج ومدن وأقاليم الدولة العباسية .

د. توفيق سلطان اليزبكي
كلية الآداب - جامعة الموصل

الهوامش

١ - الأزهري : تهذيب اللغة جـ ٥ ص ٤٠، ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٩٤٧، النووي : تهذيب الأسماء جـ ١ ص ٣٧ .

٢ - ابن رستة : الأعلاق النفيسة ص ١٨٣، ابن محمد : معدن الجواهر ص ٩٣ .

٣ - ابن رستة : ص ١٨٣، البكري : الممالك والمسالك ص ١٣٧، ابن خلدون: تاريخ جـ ٤ ص٩٣.

٤ - الشامي : إقليم العروض في كتابات الجغرافيين العرب ص ١٦ - ١٧ .

٥ - للتفاصيل أنظر : (البحرين، دراسة سياسية حضارية) رسالة ماجستير للسيد طلال عبد الرزاق أشرف عليها د. توفيق اليوزبكي / كلية الآداب /جامعة الموصل .

٦ - الزعاق : الماء المر الطعم والكثير الملح : أنظر ابن منظور : لسان العرب جـ ١ ص ١٤١ .

٧ - الزمخشري : كتاب الجبال والأمكنة والمياه، ص ٣٢، ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص٥٠٦، أبو الفداء : تقويم البلدان ص ٩٩ .

٨ - ابن المجاور : تاريخ المستبصر ص ٣٠٠ .

٩ - سورة فاطر، آية ١٢ .

١٠ - سورة الفرقان، آية ٥٣ .

١١ - سورة الرحمن، آية ٢٠ .

١٢ - لجنة تدوين تاريخ قطر : البحرين وقطر القديمة للمسميات الحديثة، جـ ١ ص ٤٢ .

١٣ - ابن خياط : تاريخ، جـ ١ ص ٦٢ .

١٤ - ابن هشام : السيرة النبوية، ق ٢ حـ ٢ ص ٥٧٥، البلاذري : فتوح البلدان، ص ٨٩، الطبري : تاريخ، حـ ٢ ص ٦٤٥ .

١٥ - البلاذري : فتوح البلدان، ص ٨٩ .

١٦ – ابن خياط : تاريخ، جـ ١ ص٦٢، العاني : البحرين في صدر الإسلام، ص ١٥٣ .

١٧ – حسن ابراهيم : النظم الإسلامية، ص ١٧٠ .

١٨ – صبحي الصالح : النظم الإسلامية ص ٣٠٩ .

١٩ – ابن خياط : تاريخ، جـ ١ ص ١٥٩ .

٢٠ – المصدر نفسه والصحيفة .

٢١ – كيرفان : حفريات قلعة البحرين، جـ ١ ص ٧ .

٢٢ – العلي : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ص ٤٢ .

٢٣ – المسعودي : مروج الذهب، جـ ٢ ص ٢٦٤ .

٢٤ – ابن الأثير : الكامل، جـ ٥ ص ٤٤٥، الإحسائي : تحفة المستفيد، ص ٧٩ .

٢٥ – الطبري : تاريخ، جـ ٢ ص ٤٥٩، ابن قتيبة : المعارف، ص ٣٧٥ .

٢٦ – ابن خياط : تاريخ، جـ ٢ ص ٤٣٩ .

٢٧ – الطبري : تاريخ جـ ٧ ص ٥٥١، ابن الأثير : جـ ٥ ص ٥٢٧ .

٢٨ – المسلم : ساحل الذهب، ص ١١٣ .

٢٩ – السيوطي : تاريخ الخلفاء، ص٢٦٩، ابن خياط : جـ ٢ ص ٤٦٣ .

٣٠ – اليعقوبي : تاريخ، جـ ٣ ص ١٢٩ .

٣١ – الأصبهاني : مقاتل الطالبيين، ص ٤٠٤ .

٣٢ – ابن خياط : جـ ٢ ص٤٦٤ .

٣٣ – الطبري : جـ ٨ ص ٥٢، ابن خلدون : جـ ٣ ص ٢٠١ .

٣٤ – الطبري جـ ٢ ص ١٣٤، ابن الأثير : حـ ٦ ص٦٢ .

٣٥ – المسلم : ساحل الذهب ص ١١٤ .

٣٦ – ابن الأثير : جـ ٦ ص ٩٤، ابن خلدون : جـ ٣ ص ٢١٤ .

٣٧ – الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك، ص ١٠٩، أباحسين : صيد اللؤلؤ، مجلة الوثيقة، العدد ١٠ لسنة ١٩٨٧م ص ١١٤ .

٣٨ – ابن خياط : جـ ٢ ص ٤٨٠ .

- شاكر مصطفى : دولة بني العباس، جـ ٢ ص ٣٧٣ .
- المبرد : الكامل في الأدب، جـ ٢ ص ٢٦ .
- الإحسائي : تحفة المستفيد، ص ٨١ .
- الطبري تاريخ جـ ٩ ص ١٥٦، ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ ١ ص ٤١١ .
- الطبري : تاريخ، جـ ٩ ص ١٨٣، الشابشتي : الدبارات ص ٨ (نديم المتوكل من الشعراء).
- المصدر السابق والصحيفة، ابن خلدون ، جـ ٣ ص ٢٧٥ .
- المصدر نفسه جـ ٩ ص ٣٥٤ .
- المصدر نفسه جـ ٩ ص ٤٧٦ .
- المصدر نفسه جـ ٩ ص ٥١٤، ابن الأثير : جـ ٧ ص ٥٤١ .
- المصدر نفسه والصحيفة .
- ابن الأثير : الكامل جـ ٧ ص ٥٢٦ .
- ابن سنان : تاريخ ص ١٣، ابن الأثير جـ ٧ ص ٣٩٣، ابن كثير : البداية، جـ ١١ ص ٨١
- ابن حوقل : صورة الأرض ص ٢٥٢ .
- الطبري : ج ـ ١٠ ص ٧١، الذهبي : دول الإسلام، ج ـ ١ ص١٧٢، ابن الجـوزي : المنتظـم، جـ ٦ ص ١٨ .
- المسعودي : مروج الذهب، جـ ٤ ص٢٦٤. مجهول : العيون والحدائق، جـ ٤ ص ٩١ .
- ابن حوقل : صورة الأرض ص ٣٣٠ .
- سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ٤٢ .
- جوزي : من تاريخ الحركات الفكرية ص ١٩١ .
- لويس : أصول الإسماعيلية ص ١٥٩، ثامر : القرامطة أصلهم ونشأتهم ص ٧٧ .
- غالب : القرامطة بين المد والجزر ص ٣٩٨ .
- ناصر خسرو : سفرنامه ص ١٤٣، المقريزي : اتعاظ الحنفاء ص ١٦٤ .
- الدوري : دراسات في العصور العباسية المتأخرة ص ٢٦ .
- تامر : القرامطة أصلهم ونشأتهم ص ٧٢ .

٦٢ - فوزي : الخلافة العباسية ص ١٦٦، غالب : القرامطة بين المد والجزر ص ٣٥١ .
٦٣ - محمود اسماعيل: الحركات الفكرية في الإسلام ص ١٧٨ .
٦٤ - ناصر خسرو : سفرنامه ص ١٤٣ .
٦٥ - المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ١٦٤ .
٦٦ - ناصر خسرو ص ١٤٣ .
٦٧ - المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ١٦٢ .
٦٨ - ابن كثير : البداية والنهاية، جـ ١١ ص ١٢٢ .
٦٩ - ناصر خسرو : ص ١٤٣ - ١٤٤ .
٧٠ - ابن حوقل : صورة الأرض، ص ٣٣ - ٣٤ .
٧١ - المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ١٦٥ .
٧٢ - مسكويه : تجارب الأمم، جـ ٤ ص ٣٣ .
٧٣ - تامر : القرامطة ص١١٣ .
٧٤ - مسكويه : المصدر السابق جـ ٤ ص٥٦ .
٧٥ - ناصر خسرو : سفرنامه ص ١٤٣ .
٧٦ - الهمداني : تكملة الطبري، جـ ١ ص ١٤٠، ابن الجوزي : المنتظم، جـ ٦ ص ١٤٠ .
٧٧ - ناصر خسرو ص ١٤٣ .
٧٨ - الهمداني جـ ١ ص ١٤٠، ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ٤١٦ .
٧٩ - كيرفان : حفريات قلعة البحرين، جـ ١ ص ١٢ - ١٥ .
x - أنظر التفاصيل (البحرين دراسة سياسية حضارية) رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، للسيد طلال عبد الرزاق، أشرف عليها الدكتور توفيق سلطان اليوزبكي .
٨٠ - الحميدان : إمارة العصفوريين ودورها السياسي، مجلة الوثيقة، العدد ٣، لسنة ١٩٨٣م ص ٩٤ .
٨١ - أبو النصر : الاشتراكية الشيوعية في الإسلام، ص ١٤٣ .
٨٢ - بندلي جوزي : من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام، برنارد لويس : العرب في التاريخ .

- السيوطي : تاريخ الخلفاء، ص ٢٦٤ .
- الطبري : جـ ٨ ص ٣٩، ابن الأثير : جـ ٥ ص ٦٠٤، الأحسائي : تحفة المستفيد ص ٨٠، الأزدي : تاريخ الموصل، ص ١٧٥ .
- أباحسين : عن صيد اللؤلؤ : مجلة الوثيقة، العدد ١٠ لسنة ١٩٨٧م ص ١١٤ .
- الأحسائي : تحفة المستفيد، ص ٨١ .
- الطبري : جـ ٩ ص ٤١٠، ابن كثير : البداية ، جـ ١١ ص ١٠٨، أبو الفدا : المختصر، جـ ٢ ص ٤٦ .
- ويقول السيوطي (أن علي بن محمد كان يصعد المنبر ويسب عثمان وعلي ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة، وكان ينادي على المرأة العلوية في عسكره بدرهمين وثلاثة وكان عند الواحد من الزنج العلويات يطؤهن ويستخدمهن (تاريخ الخلفاء ص ٣٦٤) .
- ابن الطقطقي : الفخري من الآداب السلطانية ص ٢٥٠ .
- ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة، جـ ٨ ص ٣٢٢ .
- السيوطي : ص ٢٤٢، ابن الجوزي : المنتظم، جـ ٥ ص٦٩، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة، جـ٣ ص ٤٨ .
- الطبري : جـ ٩ ص ٤١٠، ابن الأثير : جـ ٧ ص ٣٠٦، ابن خلدون : تاريخ، جـ ٣ ص٣٠٢ .
- الطبري : جـ ٩ ص ٤١١، السامر : ثورة الزنج ص ٤٣ .
- الردم : مدينة لبني عامر بن الحارث بالبحرين (أنظر ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص٤٠) .
- أباحسين : قرامطة البحرين أشد الحركات المعارضة، مجلة الوثيقة، العدد الأول لسنة ١٩٨٢م، ص ١٥٦ .
- المرجع نفسه .
- المقريزي : ألفاظ ص ٢٥ - ٢٦ .
- ابن الأثير : الكامل، جـ٧ ص ٤٤٦ .
- مجهول : العيون، جـ ٤ ص ١٢٩ ، ابن الأثير : جـ ٧ ص ٤٤٦، ابن العبري : مختصر ص ١٥٠ .

١٠٠ – الطبري، جـ ١٠ ص٢٤، مجهول : جـ ٤ ص ١٢٦، جوزي : من تاريخ الحركات الفكرية ص ١٦٤ .

١٠١ – ابن الأثير جـ ٧ ص ٣٩٣، ابن كثير : جـ ١١ ص ٨١، ابن خلدون : تاريخ، جـ ٣ ص ٣٥٠ .

١٠٢ – ابن حوقل : صورة الأرض، ص ٢٥٨، ابن النديم : الفهرست، ص ٢٦٦، لويس : الدولة الإسماعيلية، ص ١٦٩ .

١٠٣ – البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٦٧ .

١٠٤ – ابن الأثير : جـ ٧ ص ٤٩٣، ابن العماد : شذرات الذهب، جـ ٢ ص ١٩٢ .

١٠٥ – الذهبي : دول الإسلام جـ ١ ص ١٧٢، اليافعي : مرآة الجنان، جـ ٢ ص٢١٣ .

١٠٦ – ابن سنان : تاريخ، ص ١٠٢، المقريزي : ألفاظ ، ص ١٦٠ .

١٠٧ – ابن المقرب : ديوان ابن المقرب، ص ٦٣٩ .

١٠٨ – الطبري : تاريخ، جـ ١٠ ص ٧١، ابن سنان : تاريخ، ص ١٧ .

١٠٩ – ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ ٥ ص ٤٣١، ابن الأثير : البداية، جـ ١١ ص ٨٣ .

١١٠ – الطبري : جـ١٠ ص ٧٥، ٨٩، ابن سنان : ص ١٦، ابن الجوزي : المنتظم، جـ ٦ ص٢٤.

١١١ – الطبري : جـ ١٠ ص ٧٥، المسعودي : مروج، جـ ٤ ص٢٦٦، الأزهري : الروض ص ١٥٦، المقريزي ص ١٦٢ .

١١٢ – عريب : صلة الطبري ص ٤١، الهمداني : تكملة الطبري، جـ١ ص ١٤، مسكويه : تجارب الأمم، جـ ١ ص ٣٣ .

١١٣ – مسكويه : جـ ١ ص٣٤، الذهبي : دول الإسلام، جـ١ ص ١٨٣ .

١١٤ – الذهبي: جـ ١ ص ١٨٦، ابن العماد : شذرات الذهب، جـ ٢ ص ٢٥٠ ابن سنان: ص ٣٧، عريب : ص ٩٧ .

١١٥ – عريب : الطبري، ص ٥٧، ابن كثير : جـ ١١ ص ١٢٣ .

١١٦ – مسكويه : تجارب الأمم جـ ١ ص ٥٧، المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ١٦٥ .

١١٧ – مسكويه : جـ ١ ص ١٠٤؛ ابن الجوزي : المنتظم، جـ ٦ ص١٧٣ .

١١٨ – ابن سنان : ص ٣٨، مسكويه : جـ ١ ص ١٢٠، الصابئ : الوزراء ص ٥٦، عريب : ص ١٠٣ .

١١٩ – المصدر السابق والصحيفه .

١٢٠ – ابن سنان : ص ٤٥، مسكويه : جـ ١ ص ١٣٩، مجهول : العيون، جـ ٤ ص ٢٢٦ .

١٢١ – ابن الوردي : تاريخ، جـ ١ ص ٣٥٨، ابن خلدون : تاريخ، جـ ٣ ص ٣٧٧ .

١٢٢ – ابن سنان : ص ٤٦، مسكويه : جـ ١ ص ١٦٥، المسعودي : التلبية، ص ٣٨١ .

١٢٣ – الهمداني : تكملة الطبري، جـ ١ ص ٥٩، مسكويه : جـ ١ ص ١٥٧ .

١٢٤ – الخطيب الموصلي : غاية المرام، ص ١٣٨ .

١٢٥ – ابن سنان ص ٥١، مجهول : العيون والحدائق، جـ ٤ ص ٢٤٠ .

١٢٦ – ابن سنان : ص ٥٣، مسكويه : جـ ١ ص ٢٠١، الذهبي : جـ ١ ص ١٩٢، المسعودي : التنبيه ص ٤٣٤ .

١٢٧ – ابن الآبار : الحلة السيراء، جـ ٢ ص٢٨٩ .

١٢٨ – السيوطي : تاريخ الخلفاء، ص ٣٨٤ .

١٢٩ – عريب : صلة الطبري ، ص ١٣٩ .

١٣٠ – المقريزي : اتعاظ الحنفاء، ص ١٨٣، مسكويه : تجارب الأمم، جـ ٤ ص٢٨٤، ياقوت : المعجم، جـ ٢ ص ٥٦ .

١٣١ – ابن سنان : ص ٥، المسعودي : التنبيه، ص ٣٨٩، مسكويه : جـ ٤ ص ٢٨٧ .

١٣٢ – الصولي : أخبار الدولة العباسية، ص ٦٨ .

١٣٣ – مسكويه : جـ ٤ ص٣٦٧، مجهول العيون، جـ ٤ ص ٢٩٩ .

١٣٤ – ابن خلدون : تاريخ، جـ ٤ ص ١٠٠، ابن العماد : شذرات الذهب، جـ ٢ ص ٣٠٨ .

مصادر ومراجع البحث

◆ ابن الأبار : عبد الله محمد بن عبد الله أبي بكر (ت و ٦٦٠هـ = ١٢٦٠م) .

١ – (الحلة السيراء) مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة ١٩٦٣م .

◆ ابن الأثير : عز الدين بن الحسن علي بن آلكرم الشيباني (ت ٦٣٠هـ = ١٢٣٢م) .

٢ – (الكامل في التاريخ) دار صادر بيروت للطباعة ١٩٦٥ .

◆ ابن أبي الحديد : عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـ = ١٢٥٨م) .

٣ – (شرح نهج البلاغة) مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٩م) .

◆ ابن تغري بردي : جمال الدين أبي المحاسن (٨٧٤هـ = ١٤٦٦م) .

٤ – (النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة) طبع المؤسسة المصرية للتأليف والطبع ١٩٥٦م .

◆ ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ = ١٢٩٧م) .

٥ – (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) دار المعارف العثمانية / الركن ١٩٣٧ .

◆ ابن حوقل : أبو القاسم النصيب (ت ٣٦٧هـ =٩٧٧م) .

٦ – (صورة الأرض) مكتبة الحياة بيروت ١٩٧٩م .

◆ ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ = ١٤٠٥م) .

٧ – (العبر ديوان المبتدأ والخبر) دار الأعلمي للمطبوعات ١٩٧١م .

◆ ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد (ت ٦٨١هـ = ١٢٨٢م) .

٨ – (وفيات الأعيان) دار صادر بيروت ١٩٧١م .
◆ ابن خياط : أبو عمر خليفة (ت ٢٤٠هـ = ٨٥٤م) .
٩ – (تاريخ خليفة) مطبعة الآداب – اليمن ١٩٦٧م .
◆ ابن رسته : أبو علي أحمد بن عمر (ت ٢٩٠هـ = ٩٠٣م) .
١٠ – (الأعلاق النفيسة) طبع بريل – لندن ١٨٩١م .
◆ ابن سنان : ثابت (ت ٣١٥هـ = ٩٧٥م) .
١١ – (تاريخ أخبار القرامطة) طبع دار العلم بيروت ١٩٧١م .
◆ ابن الطقطقي : محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ = ١٣٠٩م)
١٢ -(الفخري في الآداب السلطانية) دار صادر – بيروت ١٩٦٦م .
◆ابن العبري : غريغوروس أبو الفرج بن هارون السلطي (ت ٦٨٥هـ = ١٢٨٦م) .
١٣ – (تاريخ مختصر الدول) المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩٥٨م .
◆ ابن العماد : أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ = ١٦٧٨م) .
١٤ – (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) نشر المكتب التجاري – بيروت .
◆ ابن قتيبه : محمد بن عبد الله الدينوري (ت ٢٧٦هـ = ٨٨٩م) .
١٥ – (المعارف) مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة ١٩٦٠م .
◆ ابن كثير : أبو الفدا الحافظ الدمشقي (ت ٧٧٤هـ = ١٣٦٢م) .
١٦ – (البداية والنهاية) نشر مكتبة المعارف – بيروت ١٩٧٧م .
◆ ابن محمد : الشيخ نعمان بن العراق (القرن العاشر الهجري = السادس عشر الميلادي) .
١٧– (معدن الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر) طبع مجمع البحوث والآداب – إسلام أباد ١٩٧٣م .
◆ ابن المجاور : جمال الدين يوسف بن يعقوب (ت٦٩٠هـ = ١٢٩١م) .
١٨ – (تاريخ المستبصر صفة بلاد النجف ومكة وبعض الحجاز) طبع ليدن ١٩٥١م .
◆ ابن المقرب : جمال الدين بن المقرب العيوني (ت ٥٧٢هـ = ١١٧٦م) .
١٩ – (ديوان ابن المقرب) نشر مكتبة التعاون – الإحساء ١٩٦٣م .

◆ ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ = ١٣١١م) .
٢٠ - (لسان العرب) طبع دار صادر - بيروت ١٩٥٥م .
◆ ابن هشام : أبو محمد عبد الملك بن أيوب (ت ٢١٨هـ = ٨٣٣م) .
٢١ - (السيرة النبوية) مطبعة البابي الحلبي - القاهرة ١٩٥٥م .
◆ أبو الفدا : عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل (ت٧٣٢هـ = ١٣٢٦م) .
٢٢ - (المختصر في أخبار البشر) المطبعة الحسينية - مصر ١٩٤٨م .
◆ الأربلي : عبد الرحمن سنبط قيتو (ت ٧١٧هـ = ١٣١٧م) .
٢٣ - (خلاصة الذهب المسبوك) نشر مكتبة المثنى - بغداد .
◆ الأزدي : أبو زكريا يزيد بن محمد (ت ٣٣٤هـ = ٩٤٥م) .
٢٤ - (تاريخ الموصل) طبع لجنة إحياء التراث الإسلامي - مصر ١٩٦٧م .
◆ الأزهري : أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٢٧٠هـ = ٩٨٠م) .
٢٥ - (تهذيب اللغة) مطبعة سجل العرب - القاهرة ١٩٦٧م .
◆ الأصبهاني : أبو الفرج بن الحسين (ت ٣٥٦هـ = ٩٦٧م) .
٢٦ - (مقاتل الطالبيين) المطبعة الحيدرية - النجف ١٩٣٣م .
◆ البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي (ت ٢٧٩هـ = ٨٩٢م) .
٢٧ - (فتوح البلدان) طبع دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٧٨م .
◆ البغدادي : عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩هـ = ١٠٣٧م)
٢٨- (الفرق بين الفرق) دار الآفاق الحيدرية - بيروت ١٩٧٣م .
◆ الحميري : محمد بن عبد المنعم (ت ٧٢٦هـ = ١٣٢٢م) .
٢٩ - (الروض المعطار في خبر الأقطار) نشر مكتبة لبنان - بيروت ١٩٨٤م .
◆ خسرو : ناصر (ت ٤٨١هـ = ١٠٨٨م) .
٣٠ - (سفرنامه) مطبعة دار القلم - بيروت ١٩٧٠م .
◆ الخطيب الموصلي : ياسين خير الله العمري (ت ١٢٢٠هـ = ١٨٠٠م) .

٣١ – (غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد . . . دار السلام) نشر دار المصري – بغداد ١٩٦٨م .

◆ الذهبي : الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ = ١٣٤٧م) .

٣٢ – (دول الإسلام) نشر الهيئة المصرية للكتاب – القاهرة ١٩٧٤م .

◆ الزمخشري : جار الله محمد بن عمر (ت ٨٣٥هـ = ١١٤٤م) .

٣٣ – (كتاب الأمكنة والمياه والجبال) مطبعة السعدون – بغداد .

◆ السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ = ١٥١١م) .

٣٤ – (تاريخ الخلفاء) مطبعة منير – بغداد ١٩٥٢م .

◆ الصابئ : أبو الحسين هلال بن المحسن (ت ٤٤٨هـ = ١٠٥٦م) .

٣٥ – (شمعة الأمراء في تاريخ الوزراء والكتاب) مطبعة البابي الحلبي – مصر ١٩٥٨م

◆ الصولي : أبو بكر محمد بن يحيى (ت٣٣٥ هـ = ٩٤٦م) .

٣٦ – (تاريخ الدولة العباسية) نشر دار المسيرة – بيروت ١٩٧٩م .

◆ الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ = ٩٢٢م) .

٣٧ – (تاريخ الرسل والملوك) نشر دار المعارف – مصر ١٩٦٦م .

◆ عريب : ابن سعيد القرمطي (ت ٣٦٦هـ = ٩٧٦م) .

٣٨ – (صلة تاريخ الطبري) نشر دار المعارف – القاهرة ١٩٣٩م .

◆ مؤلف مجهول .

٣٩ – (كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق) المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩٧٢م .

◆ المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ = ٩٥٧م) .

٤٠ – (التنبيه والإشراف) نشر مكتبة خياط – بيروت ١٩٦٥م .

◆ مسكويه : أبو علي أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ = ١٠٤٩م) .

٤١ – (تجارب الأمم وتعاقب الهمم) نشر مكتبة المثنى – بغداد ١٩١٥م .

◆ المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ = ١٤٥٥م) .

٤٢ – (ألفاظ الخفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا) طبع القاهرة ١٩٦٧م .

◆ النووي : أبو زكريا يحيى بن شرف الدين (ت ٦٧٢هـ = ١٢٧٢م .
٤٣ - (تهذيب الأسماء واللغات) نشر شركة علاء للطباعة بيروت .
◆ الحمداني : محمد بن عبد الملك بن إبراهيم (ت٥٢١هـ = ١١٢٧م) .
٤٤ - (تكملة تاريخ الطبري) المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٦١م .
◆ ياقوت : شهاب الدين أبي عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ = ١٢٢٨م) .
٤٥ - (معجم البلدان) دار صادر بيروت للطباعة - بيروت ١٩٥٥م .
◆ اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الإخباري (ت ٢٩٢هـ = ٩٠٤م) .
٤٦ - (تاريخ اليعقوبي) نشر المكتبة الحيدرية - النجف ١٩٧٤م .
◆ اسماعيل : محمود .
٤٧ - (الحركات السرية في الإسلام . . رؤية عصرية) دار العلم - بيروت ١٩٧٣م .
◆ الإحسائي : محمد بن عبد الله .
٤٨ - (تحفة المستفيد بتاريخ الإحساء في القديم والجديد) مطابع الرياض ١٩٦٠م .
◆ تامر : عارف .
٤٩ - (القرامطة . . أصلهم ونشأتهم وتاريخهم) نشر دار الكتاب العربي - بيروت .
◆ جوزي : بندلي .
٥٠ - (من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام) مطبعة الجهاد - بيروت .
◆ الدوري : عبد العزيز .
٥١ - (دراسات في العصور العباسية المتأخرة) مطبعة الريان - بغداد ١٩٤٥م .
◆ العاني : عبد الرحمن النجم .
٥٢ - (البحرين في صدر الإسلام) دار الحرية للطباعة والنشر - بغداد ١٩٧٣ .
◆ غالب : مصطفى .
٥٣ - (القرامطة بين المد والجزر) دار الأندلس ١٩٧٩م .
◆ كيرفان : مونيك .
٥٤ - (حفريات قلعة البحرين) دار الآثار والمناخة البحرية ١٩٧٩م .

◆ لويس : برنارد .
٥٥ – (أسرى الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية) دار الحداثة – بيروت .
◆ المسلم : محمد سعيد .
٥٦ – (ساحل الذهب الأسود) نشر مكتبة الحياة – بيروت ١٩٦٢م .
◆ مصطفى : شاكر .
٥٧ – (دولة بني العباس) وكالة المطبوعات – الكويت ١٩٧٤م

◆ أباحسين : علي .
٥٨ – (قرامطة البحرين أشد الحركات المعارضة) طبع المؤسسة العربية – البحرين ١٩٨٤م .
٥٩ – (وثائق سياسية عن صيد اللؤلؤ) مجلة الوثيقة العدد العاشر ١٩٨٧م .
◆ الحميدان : عبد الله ناصر .
٦٠ – (إمارة العصفوريين ودورها السياسي في الخليج العربي) مجلة الوثيقة – العدد ٣ – سنة ١٩٨٣م .
◆ الشامي : عبد العال عبد المنعم .
٦١ – (إقليم العروض في كتابات الجغرافيين العرب) مجلة دراسات الخليج والجزيرة – الكويت سنة ١٩٨٧م .
◆ كرفران : وأبو خلدون .
٦٢ – (حفريات قلعة البحرين) مجلة الوثيقة – العدد الأول ١٩٨٢ .

الاستقرار العربى فى الب



نب الشرقي للخليج العربي

خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة

بقلم : د. محمد كريم إبراهيم

اتصف الخليج العربي بأهمية متميزة منذ العصور القديمة، تتضح تلك الأهمية بسبب موقعه الجغرافي ودوره في طرق المواصلات التجارة العالمية ولما يتمتع به من موقع استراتيجي مهم، كان سبباً ي تنافس عدة قوى دولية ومحلية منذ أقدم العصور وحتى الآن لسيطرة عليه والتحكم في مقدراته .

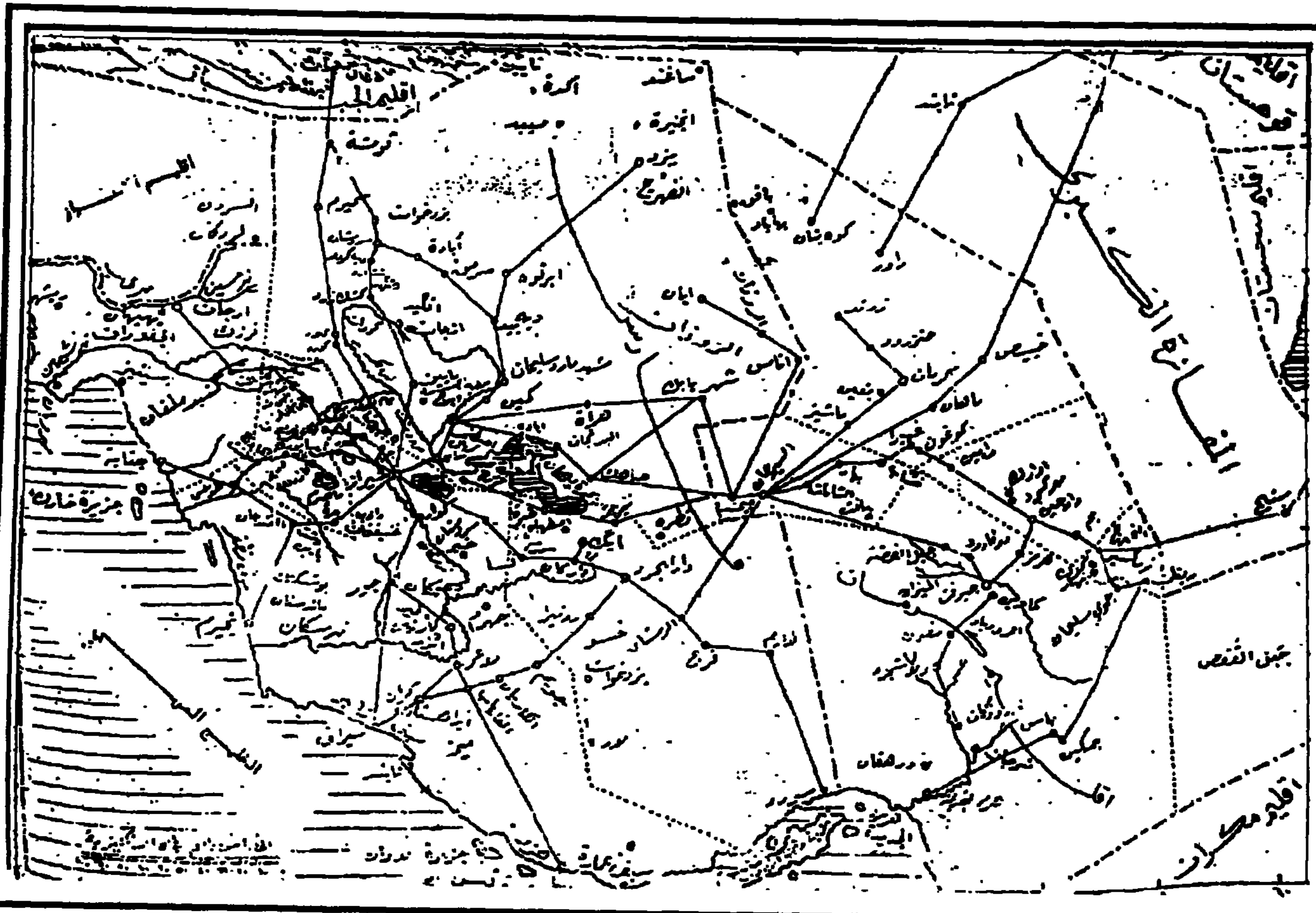
تبدو تلك الأهمية واضحة عبر العصور التاريخية وعلى مختلف لأصعدة : السياسية والاقتصادية والفكرية، وما تعرضت إليه هذه لمنطقة الحيوية من اعتداءات مستمرة منذ فجر التاريخ، مما جعل لكتاب العرب وغيرهم يولونها اهتماماً متميزاً في كتاباتهم، وظلوا

يشبعون الجانب الغربي من الخليج العربي دراسة دون الجانب الشرقي منه، الذي لابد من دراسته دراسة شاملة والعناية به عناية خاصة، بسبب استقرار العرب في هذا الجانب وامتداده إلى الداخل منذ عصور قديمة تعود إلى القرن الرابع الميلادي .

يهدف هذا البحث لدراسة الاستقرار العربي في الجانب الشرقي للخليج العربي، الممتد من مهروبان إلى ميناء سيراف، فضلاً عن المناطق الداخلية، منذ العصور القديمة وحتى أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، ذلك الاستقرار الذي أصبح واضحاً جلياً ابتداءً من حركات التحرير العربي الإسلامي، وإيضاح دور القبائل العربية التي استقرت في السواحل والمناطق الداخلية من الجانب الشرقي والغربي منذ العصور القديمة وحتى عصرنا الراهن، نستدل على ذلك من آثار العرب الخالدة على جانبيه في المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية والعمرانية . تلك الآثار التي نقل العرب من خلالها حضارتهم ومظاهرها وفكرهم إلى أمم وشعوب شتى . وأصبح وجودهم حقيقة ماثلة تدل على دورهم الإنساني في ركب التاريخ والحضارة الإنسانية .

استقرار العرب في السواحل والجزر

تعد الهجرات البشرية مسألة طبيعية بالنسبة للشعوب في مرحلة النمو السريع، أو ما يسمى بـ : مرحلة الشباب، لاسيما إذا ترافق نموها مع أوضاع سيئة اقتصادياً وأوضاع سياسية غير طبيعية مشوبة بالنزاع المستمر على الأرض في الداخل وعلاقات مترديـة مع جيرانها في الخارج، لذا كانت هجرة القبائل العربية من اليمن وجنوب شبه الجزيرة العربية نحو شمالها وخارج حدودها، مسألة لابد منها بعد انهيار سد مأرب عصب الحياة لبلاد اليمن



الجانب الشرقي للخليج العربي

قديماً، وفي هذا الصدد يقول الهمداني[1] : "... ولحق كثير من ولد نصر بن الأزد بنواحي الشحر وريسوت وأطراف بلد فارس .. "، ويبدو أن الضائقة الاقتصادية التي كان يمر بها العرب في ذلك العصر، اقترنت بوضع سياسي سيئ في بلاد فارس، إذ كان الملك فيها طفلا لا يملك القرار .

قام العرب بهجرات منظمة من البحرين وكاظمة إلى السواحل الشرقية للخليج العربي، واستقروا في أبو شهر وسواحل كورة أردشير خرة[2] ، ويؤكد الثعالبي[3] ذلك إذ يقول : "... فسار جمع عظيم من بلاد أياد وناحية بلاد عبد القيس والبحرين وهجر وكاظمة وغيرها إلى أطراف العراق وأسياف فارس ...".

يتضح لنا من هذا النص أن هجرة العرب هذه كانت هجرة منظمة، لأنها جماعية وليست فردية، شملت مجموعة كبيرة من القبائل، كان أهم نتائجها استقرار العرب في السواحل الشرقية وسيطرتهم على اقتصاديات المنطقة التي هاجروا إليها، لكن الأمر غير الواضح هو وصف الدينوري لهؤلاء العرب بأنهم : "أعراب"، ونحن نتساءل هل كان للبدوي علم بركوب البحر والملاحة، خصوصاً وأن العرب انتقلوا من الساحل الغربي إلى الساحل الشرقي للخليج العربي، وهذا يعني استخدامهم سفناً بحرية، إذ لا يمكن بحال من الأحوال أن نتصور هؤلاء العرب سوى كونهم ذوي معرفة واسعة بركوب البحر، ولديهم سفنهم المُعَدَّة لذلك وهم ذوو إطلاع مسبق بأحوال الساحل الشرقي للخليج العربي من الناحيتين السياسية والاقتصادية، إذن فلابد أنهم كانوا يترددون على هذا الساحل بسفنهم لغرض التجارة وغيرها، وهم يعرفون جيداً الوضع السياسي والعسكري لهذا الساحل .

وتجدر الإشارة إلى أننا لا نتفق مع الثعالبي[4] الذي برِّر هجرة العرب بسبب وضعهم الاقتصادي المتردي، ونقول أن العرب كانوا أصلاً مستقرين في هذه السواحل منذ زمن بعيد، لهذا كانت قبائل عديدة أو جموع منها مستقرة فيها وامتلكوا المواشي والأراضي والزروع، ويحتمل أن استقرار العرب في هذه المنطقة حدث منذ القدم وقبل هذه الهجرات المنظمة في السواحل الشرقية، وكان ضعف السلطة المركزية للسلطة

الفارسية، حافزاً دفعهم إلى الهجرة الجماعية، بغية الاتساع في معايشهم . ومن المحتمل أيضاً أن تكون تلك المناطق أصلاً قليلة السكان، مما أدى بدوره إلى تشجيع هجرة العرب إليها وتملكهم الأراضي ومن ثم محاولتهم التخلص من السيطرة الفارسية، لذا قام سابور بن هرمز (ذو الأكتاف) بعدما امتلك أمره، بأعمال عسكرية كبيرة ضدهم . ولو افترضنا - جدلاً - أن أعداد العرب كانت قليلة ولم يحاولوا الاستقلال سياسياً عن دولة فارس، فكيف نفسر عجز دولة كبرى حينها عن إبعاد هؤلاء العرب طوال المدة التي كان فيها ملك فارس طفلاً ؟

ذكر الدينوري[٥] أن سابور ذو الأكتاف لما امتلك أمره قام بتجريد حملة عسكرية كبيرة ضد العرب المستقرين في السواحل الشرقية، معبراً عن حقده الدفين وحقد الفرس على العرب سكان المنطقة الأصليين، مستهدفاً تشتيتهم وانتزاع أراضيهم وممتلكاتهم بأسلوب غادر خبيث، ولم يقتصر سابور بعمله العدواني على ذلك فقط، بل قام بحملة عسكرية واسعة النطاق على السواحل الغربية للخليج العربي وديار العرب التي انطلقت منها الهجرات العربية إذ ورد أرض البحرين وبلاد عبد القيس وبكر بن وائل واليمامة وغيرها، وقتل وسبى الكثير من العرب في هذه القبائل[٦] .

توضح لنا هذه الحوادث أن العرب كانوا يمثلون قوة كبيرة، بدليل تجهيز دولة كبرى في ذلك العصر، مثل فارس، جيشاً لقتالهم في الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية، وكذلك في السواحل الغربية للخليج العربي وديار العرب، لكن العمليات العسكرية هذه لم تحقق أهدافها، بل على العكس من ذلك فقد عاد سابور وأسكن العرب في العديد من مناطق الساحل الشرقي للخليج العربي، ويبدو أنه رضخ للأمر الواقع ، أو أنه أدرك أنه من الحكمة مهادنة العرب وتسوية مشاكله معهم بأسلوب سياسي بدلاً من الأسلوب العسكري، مستهدفاً السيطرة على تلك القبائل بهذا الأسلوب الجديد .

وتعزيزاً لما ذكرناه يشير الثعالبي[٧] إلى ذلك مؤكداً عروبة المنطقة وعدم جدوى السياسة الفارسية في تهجير العرب، إذ يقول : "فأسكن بني تغلب دارين وعبد القيس وقبائل من تميم هجر

وبكر بن وائل كرمان وبني حنظلة تُوَّج من كور فارس وأسكن وجوههم مدينته المسماة فيروز سابور[٨] . . . " .

وإذا تأملنا هذا النص جيداً يتضح لنا أن رؤساء أو شيوخ قبيلة بني حنظلة أسكنهم سابور مدينته (فيروز سابور)، ونعتقد أن ذلك لم يكن أبداً من باب التكريم لهم، إنما من المحتمل جداً أن يكون هذا الأمر قد تم لغرض إحكام السيطرة على القبيلة من خلال السيطرة على رؤسائها، خصوصاً إذا علمنا أن نظام القبيلة يقتضي وجود الشيخ إلى جانب قبيلته لمباشرة أمورها .

لم يكن استقرار العرب في الساحل الشرقي للخليج العربي محدداً في بقعة جغرافية معينة من هذا الساحل، وإنما كان ممتداً على طوله من الشمال حتى مضيق هرمز تقريباً، وكانت الهجرات العربية مستمرة عبر التاريخ قبل الإسلام وبعد حروب التحرير العربية، إذ يرجع استقرار العرب في الساحل الشرقي للخليج العربي إلى عهود قديمة قد تمتد إلى أوائل القرن الرابع الميلادي أو قبلها[٩]، ويبدو لنا أن الهجرات العربية كانت متتابعة ومنطلقة من كل أجزاء الساحل الغربي للخليج العربي نحو الساحل الشرقي، فالأزد انطلقوا نحو كرمان وأسس سُليمة بن مالك[١٠] من قبائل الأزد إمارة حكمها هو وأولاده من بعده، حيث استقر في جزيرة جاسك[١١] أو جاشك، قرب الساحل الشرقي للخليج العربي وتزوج هناك، وملك سُليمة بن مالك كرمان، وتوفي وهو ملك عليها، ثم اختلف أولاده من بعده، فزال ملكهم وتفرقوا في أرض فارس وكرمان[١٢]، يقول العوتبي[١٣] : ". . . وسليمة بن مالك، وولده بأرض كرمان وفارس، وبعمان منهم الأقل . . ." .

انطلقت من عمان أكثر الهجرات العربية قاطبة إلى الساحل الشرقي للخليج العربي، وأهمها هجرة بني الجلندي من الأزد، وقد شكل هؤلاء مجموعتين قبليتين هما : آل عمارة وآل الصفار، ووصف الأصطخري[١٤] آل عمارة بقوله : ". . . ومنهم آل عمارة ويعرفون بآل الجلندي، ولهم مملكة عريضة وضياع كثيرة وقلاع على سيف البحر بفارس متاخمة لحد كرمان، ويزعمون أن ملكهم هناك قبل موسى عليه السلام، وأنه الذي قال الله ﷻ [فيه] "وكان وراءهم ملك . ."، هو الجلندي . ." . وأكد الهمداني[١٥] هذا

الرواية، إذ ذكر أن قسماً كبيراً من قبيلة الأزد هاجروا إلى الساحل الشرقي واستقروا فيه، خاصة في موقع يقال له: الجويم[١٦]، استقر فيه آل الجلندي .

وعلى الرغم من المبالغة الواردة في نص الأصطخري، في كون مُلك آل عمارة من الأزد كان قبل نبي الله موسى عليه السلام، لبعد الزمن بين عصر موسى وعصرهم، لكن من المؤكد أن هجرتهم هذه كانت قبل الإسلام بكثير، بل إنهم امتلكوا مملكة واسعة تقع شرقي جزيرة قيس[١٧]، وقد وصفهم الأصطخري[١٨] بقوله : "وهم قوم من أزد اليمن، ولهم إلى يومنا هذا منعة وعدة وبأس وعدد، لا يستطيع السلطان أن يقهرهم . . ." .

يتضح لنا أن كثيراً من المصادر تجمع على عراقة وجود العرب من آل الجلندي واستقرارهم في الساحل الشرقي للخليج العربي، وكانوا يتمتعون باستقلال سياسي شبه تام منذ عصر متقدم جداً حتى منتصف القرن الرابع الهجري كما يبدو لنا من نص الأصطخري، بل كان لهم أيضاً تأثير سياسي وعسكري كبير، بدليل وجود قلاع مهمة لهم تشرف على الخليج العربي، تمكنوا من خلالها من السيطرة على حركة مرور السفن وفرض الرسوم والعشور عليها، ويؤكد الأصطخري[١٩] ذلك، إذ يقول : ". . . وإليهم أرصاد البحر وعشور السفن . . "، وقد بنى آل عمارة قلعة صعبة المنال لا يمكن فتحها بسهولة لمنعتها، ومنها يتم رصد السفن واستحصال العشور عليها، وتسمى بـ : قلعة الديكدان[٢٠]، وكانت القلعة تطل على الميناء[٢١] .

نستنتج من ذلك أن آل عمارة كانوا معنيين بأمن الخليج العربي، من حيث سلامة وأمن السفن والتجارات المارة فيه، فضلاً عن كونهم يمتلكون القوة الكافية من حيث العدد والعدة والموقع الاستراتيجي، بما يمثله مدخل الخليج العربي من أهمية وما تمثله قلعتهم من وسيلة دفاعية مهمة في مدخله، من هنا تمكن آل عمارة من استحصال الرسوم والعشور عن هذه التجارات، وبما أن بعض هذه التجارات يدخل إلى المنطقة، لذا لابد من قيام ميناء صالح لرسو السفن (المراكب) فأقاموا ميناء يمكنه استقبال وتفريغ حمولة عدد منها دفعة واحدة .

أما القبيلة الثانية من آل الجلندي فهم : آل الصفار، وهم الذين نسب

إليهم جزء من ساحل كورة أردشير خرة، وصفهم الأصطخري[٢٢] بأنهم : "... أقدم من ملوك الإسلام بفارس، وأمنعهم جانباً ..." . ويدل هذا النص دلالة قاطعة على أن وجود آل الصفار يرجع إلى ما قبل الإسلام، فهم من حيث الاستقرار في الجانب الشرقي للخليج العربي أقدم من ولاة الإسلام، ونستدل من النص أيضاً على قوتهم العسكرية فهم في منعة من التدخل في شئونهم الداخلية أو ملكيتهم للساحل والأرض .

ومن آل الصفار صاحب زم الكاريان[٢٣] ، فقد بقي هذا الزم بيد عرب الأزد طوال تلك المدة، على الرغم من عدم علمنا متى كان ذلك بالضبط، لكننا نعرف - في الأقل - أن هذا الزم بقي بأيديهم، إذ تذكر بعض المصادر[٢٤] قلعة الكاريان الحصينة، وكان مالك هذا الزم أحمد بن الحسين الأزدي وابنه حجر من بعده، ويبدو أن الأخير كان حياً في منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي . ذكر العاني[٢٥] أن القوات العسكرية لهذا الزم بلغت ثلاثة آلاف مقاتل، ومن خلال وقفة سريعة عند هذا العدد يمكننا استنتاج حجم الاستقرار العربي في هذا الزم من خلال تفحصنا لعدد مقاتليه .

وذكر الأصطخري[٢٦] أن زم اللوالجان كان بأيدي آل الصفار، لكن الأمور لم تكن لصالحهم في منتصف القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، إذ انتُزِعت ملكيته من أيديهم .

استقرت أعداد كبيرة من العرب من قبيلة سامه بن لؤي في الساحل الشرقي للخليج العربي، منهم آل أبي زهير المديني، وينسب إليهم سيف بن زهير المتد من مدينة نُجَيْرم[٢٧] الساحلية إلى الحد الفاصل مع سيف آل عمارة، ومركز استقرارهم مدينة كُران[٢٨]، وقد برز الكثيرون من رجالهم، مثل جعفر بن أبي زهير الذي بلغ من نبوغه السياسي أن قال فيه الخليفة العباسي هارون الرشيد : "لولا طرشٌ به لاستوزرته ..."[٢٩] .

واستقر فرع من آل أبي زهير، وهم آل المظفر إلى الشمال من المنطقة سالفة الذكر على الساحل نفسه، ابتداءً من مدينة نجيرم جنوباً حتى مدينة جنابه شمالاً، وقد وصفهم الأصطخري[٣٠] بقوله : " ... والمظفر بن جعفر الذي

يملك عامة الدستقان وله مملكة السيف من حد جنابه إلى حد نُجيرم وسائر آل بني زهير من نجيرم إلى حد بني عمارة وسكن آل بني زهير كران، وسكن المُظفر على ساحل البحر بصفارة . . ." .

يتبين لنا من هذه النصوص أن قبائل عربية عديدة كانت تقطن الساحل الشرقي للخليج العربي قبل الإسلام، ابتداءً من مضيق هرمز حتى مدينة جنابة الساحلية شمال الخليج العربي، وما بعد ذلك فهو يدخل ضمن إقليم الأحواز العربي .

كان لحروب التحرير العربية دور مهم في استقرار القبائل العربية في هذه المنطقة، ذكر مؤلف كتاب "فارسنامة"[٣١] أن العرب من القبائل العربية النجدية والعمانية واليمانية نزحوا إلى الساحل الشرقي في عهد الدولتين الأموية والعباسية واستقرارهم يرجع إلى فجر الإسلام . وعلى الرغم من أن رأيه هذا لم يكن صحيحاً ولا دقيقاً - إذ سبق أن أوضحنا أن الاستقرار العربي في هذا الساحل يرجع إلى عصور سبقت الإسلام - إلا أن كلامه يؤكد الاستقرار العربي في السواحل الشرقية .

ولما خرج الخريت بن راشد - وهو من بني ناجية - على الخليفة علي ﷺ، اتجه إلى الجانب الشرقي وإلى أسياف (سواحل) البحر، وذلك لكسب المؤيدين له من ناحية، ولأجل الامتناع بقومه من ناحية أخرى، لوجود بطون كثيرة من قبائل عبد القيس وبني ناجية، روى الطبري[٣٢] ذلك بقوله : " . . . فنبئ بمكانه بالأسياف، وأنه قد رَدَّ قومه عن طاعة علي، وأفسد من قبله من عبد القيس ومن والاهم من سائر العرب، وكان قومه قد منعوا الصدقة عام صفين ومنعوها ذلك العام أيضاً . . ." . ويتضح لنا أن بعض قبائل بني ناجية وكذلك عبد القيس وعرباً آخرين استقروا في هذه السواحل، منذ وقت مبكر من بداية التحرير العربي للمنطقة، بل من المرجح أن هؤلاء العرب استقروا في هذه السواحل قبل الإسلام، وكانت لهم القوة الكافية من الرجال والعدة . بحيث أنهم منعوا الصدقة والزكاة عامين، وهذا دليل على ضعف إيمانهم، ولعلهم من أوائل العرب الذين عبروا من

سواحل البحرين وكاظمة وغيرهما قبل الإسلام بقرون[٣٣] .

وهنالك أيضاً قبيلة عربية من قبائل الأزد هي : آل الصفاق، يرجع نسبها إلى مالك بن فهم، ولها عدد ورئاسة، وصفها ابن الفقيه[٣٤] بقوله " . . . وفي شرق هذا البحر [الخليج العربي] فيما بين سيراف ومسقط من البلاد سيف بني الصفاق وجزيرة ابن كاوان . . . " .

لجزر الخليج العربي القريبة من الساحل الشرقي أهمية لا تقل عن أهمية الساحل نفسه، من حيث الاستقرار العربي فيها، بل إن المنطق يحتم علينا أن ندرك إمكانية قيام استقرار بشري عربي في الساحل الشرقي للخليج العربي دون السيطرة على هذه الجزر، وأهمها : جزيرة ابن كاوان، أو بني كاوان التي ذكرها الحموي[٣٥] بقوله : " . . . كاوان اسمه الحارث بن امرئ القيس بن حجر بن عامر بن زياد بن عصر بن عوف بن عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس . . . " .

إن نسبة جزيرة مهمة في مدخل الخليج العربي إلى رجل عربي يعني عائديتها إلى العرب منذ القدم، ووصف بن خرداذبة[٣٦] أهلها بأنهم [شراة أباضية] . ونعتقد أن قرب هذه الجزيرة من عمان، ووحدة المذهب الأباضي بين أهل عمان وأهل هذه الجزيرة، يجعلنا نرجح أن أهل هذه الجزيرة هم من نفس جنس الشريحة الاجتماعية المستقرة في عمان، أي من قبائل الأزد العمانية العربية، وإلى ذلك يشير بن حزم[٣٧] بقوله : " . . . وللجلندي عقب يملكون جزيرة واسعة بقرب عمان إلى اليوم" . ونستنتج من هذا النص أن العرب من نسل الجلندي كانوا مستقرين في هذه الجزيرة في الأقل حتى أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وهو عصر بن حزم المذكور .

تعد جزيرة بني كاوان، أو (لافت) من فتوح عثمان بن أبي العاص عام ١٩ هـ/ ٦٤٠م، وكان قائد الحملة الحكم بن أبي العاص، إذ حررتها قوات مكونة من ألفي مقاتل من قبائل الأزد وعبد القيس وتميم وبني ناجية[٣٨]، ويبدو أن هذه الجزيرة تميزت ببعدها عن قبضة السلطة المركزية، مما كان له أثره لأن تصبح وكراً للمعارضة السياسية، حيث كانت الملجأ الأمين للخوارج، إذ التجأ

إليها شيبان بن الحلس بن عبد العزيز اليشكري الشيباني الخارجي، ووقعت هناك معركة فاصلة بين قواته وقوات الدولة العباسية عام ١٣٤هـ/٧٥١م[٣٩].
من الواضح جداً أن سكان جزيرة بني كاوان هم من العرب فقط، إذ جنَّدهم يزيد بن المهلب بن أبي صفرة أيام ولايته على العراق والبحرين وعمان في عهد الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك، وانفرد العوتبي[٤٠] برواية يؤكد فيها هذا الأمر، إذ يقول : "... وبعث يزيد بن المهلب المنهال بن عيينة إلى جزيرة بني كاوان وأمر زياد بن المهلب [وهو أخوه وعامله على عمان حينها] أن يفرض لأهل كاوان ويوجههم المنهال إلى البصرة ... ".

من خلال هذا النص وبحكم معرفتنا الكافية بآل المهلب واعتمادهم على العرب وقومهم من الأزد بالدرجة الأولى في القتال، نرجح بأن يكون سكان جزيرة بني كاوان من قبائل الأزد فقط، إن لم يكن معهم بعض العرب من قبائل أخرى .

أما الجزيرة الثانية في الأهمية بالنسبة لجزر الخليج العربي، والتي كان لاستقرار العرب فيها دور مهم، فهي جزيرة قيس، وتقع إلى الشمال من جزيرة بني كاوان، ومازالت تعرف وتكتب على خوارط الخليج العربي باسم : (جزيرة كيش) خطأً، والصحيح : قيس .

برزت أهمية جزيرة قيس بعد زلزال عام ٣٦٦ - ٣٦٧هـ / ٩٧٦ - ٩٧٧م، الذي ضرب المنطقة ودمر ميناء سيراف[٤١]، وأشار الحموي[٤٢] إلى إعمار هذه الجزيرة وأثره على ميناء سيراف بقوله : "... فمنذ عَمَّر [قيس] بن عميرة جزيرة قيس صارت فُرضة الهند وإليها مُنقلب التجار خربت سيراف وغيرها. ."

أما القفطي[٤٣] فقد أوضح سبب اختلاف تسمية وعائدية جزيرة قيس للعرب، وسبب تحريف اسمها إلى كيش بقوله : "... إحدى جزائر البحر الهندي [الخليج العربي] قد اشتهرت تسميتها بذلك، وهو على غير الأصل والحقيقة في تسميتها جزيرة قيس، منسوبة إلى قيس بن عُميرة، من ربيعة الفَرَس، كان قد نزلها واستوطنها هو وأهله بعده، ثم استولت عليها بعد ذلك الأعاجم، وملكها قوم من فارس من

أولاد الأساورة وسموها كيش، عجّموا قيساً . . ." .

يتضح لنا من هذا النص أن جزيرة قيس جزيرة عربية، لأن أول من استقر بها وبنى بها البناء وجعلها ميناءً عامراً بالحركة ترسو فيه السفن، هم العرب، ووصفها القزويني[44] بأنها : "مُنقلب التجارة ومتجر العرب والعجم، شربها من الآبار ولخواص الناس صهاريج . حولها جزائر كلها لصاحب قيس . ." .

وهناك جزر عديدة في الخليج العربي قرب الساحل الشرقي، يبدو أنها قليلة السكان، وربما قليلة الأهمية، لذا لم نذكر سوى أسمائها مثل : قشم وهنجام وخارك وغيرها من الجزر[45] .

أما ميناء سيراف فهو مدينة تقع في سيف آل زهير من بني سامة بن لؤي[46]، وعلى هذا الأساس فإن العرب استقروا في هذا الميناء بحكم ملكيتهم ووجودهم في السيف (الساحل)، وهناك إشارات إلى استقرار الكثير من العلويين في سيراف، منهم : الحسن وعلي ابنا محمد بن أحمد بن عبيد الله، توفيا في سيراف ولهما عقب (أبناء)، كذلك هناك عقب من أولاد أبي عبد الله الحسن نقيب الهاشميين بن عبيد الله الأصغر[47] .

ونظراً لأهمية ميناء سيراف لكل من العراق بشكل عام، والبصرة بشكل خاص، وكونه محطة رئيسة للتجارة، فقد وفد إليه الكثير من تجار العرب واستقروا فيه، ففي رواية[48] أن كاتباً عراقياً من سواد الحِلة اسمه علي النيلي، عمل لتاجر هندي سكن سيراف .

استقرار العرب في المناطق الداخلية

١ - مدينة فسا ودارا بجرد[٤٩] :

لم يقتصر استقرار وانتشار العرب على السواحل الشرقية للخليج العربي، وإنما انتشروا في المناطق الداخلية، وإلى ذلك يشير البلاذري[٥٠] بقوله : "وبفسا قلعة تعرف بخرشنة ابن مسعود من بني تميم ثم من بني شقرة كان مع ابن الأشعث فتحصن في هذه القلعة ثم أومن فمات بواسط وله عقب بفسا . . ."، ولا يمكننا قبول فكرة استقرار ذرية خرشنة في بيئة فارسية دون أن تكون هناك أحياء عربية بكاملها في مدينة فسا، على أن البخاري الذي كان حياً في منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، يؤكد أن هنالك الكثير من العلويين الذين استقروا في هذه المدينة، إذ يقول[٥١] : ". . . بفسا فارس من ولد علي بن عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي قدر ثلاثمائة رجل . . .، وكان منهم عقيل المقتول ﷺ ولاه عضد الدولة بن بويه ثم قتله . . ." .

يتضح لنا أن عددا من العرب العلويين استقروا في هذه المدينة، وقد لعبت الظروف السياسية في عهد الدولتين الأموية والعباسية أثراً كبيراً في استقرارهم في هذه المدينة أو غيرها من المدن التي سيرد ذكرها، ولعل العلويين وجدوا لهم المؤيدين في هذه المناطق سواء من العرب أو من الأعاجم الناقمين على السلطة العربية في دمشق أو بغداد، فإذا كان عدد هؤلاء العلويين في هذه المدينة ثلاثمائة رجل، فنحن نتساءل كم هو عدد العرب جميعاً فيها ؟

كما استقرت جماعة أخرى من العرب العلويين في هذه المدينة من أحفاد موسى الكاظم ومحمد بن الحنفية، منهم : القاسم وعبد الله والحسن أبناء إسحق بن عبد الله وغيرهم[٥٢] .

تعد مدينة دارا بجرد وهي قصبة (عاصمة) كورة دارابجرد، من المدن التي استقر فيها العرب، وصفها الأصطخري[٥٣] بقوله : ". . . وليس بها في زماننا كثير من العجم . . ." .

وبما أن هذه المدينة كبيرة وتتصف بحركة دائبة أيام الأصطخري في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، فلابد أن تكون غالبية سكانها من العرب، وفي اعتقادنا أن ذلك هو التفسير المنطقي والأكثر صواباً، لكن من المحتمل وجود بعض الأقليات في هذه المدينة من الفرس والأكراد وغيرهم .

٢ - كورة اصطخر :

لعل من أهم الأسباب التي أدت إلى ازدياد هجرة العرب إلى الجانب الشرقي للخليج العربي، هي عملية التحرير العربي الإسلامي وما تمخض عنها من دخول العرب إلى بلاد فارس، والتي كانت سببا إضافياً مهماً في استقرار العرب بعد توحيد المجتمع الجديد برباط الدين الإسلامي الحنيف، وانتشار اللغة العربية لغة العرب فيه . وكانت كورة اصطخر إحدى هذه الكور التي استقر فيها العرب، فقد استقر بها آل حنظلة من بني تميم ولعبوا دوراً سياسياً واقتصادياً بارزاً في هذه الكورة ومدينتها اصطخر بشكل خاص وفي عموم المنطقة بشكل عام(٥٤) .

كانت حركة أبي بلال مرداس بن أُديَّة أو حدير(٥٥) الخارجي - الذي تمرد على الدولة الأموية في إقليم الأحواز عام ٥٨هـ/٦٧٧م - سبباً في مقتل أخيه (عروة) في البصرة من قِبَل عاملها عبيد الله بن زياد (٥٦)، ومن ثم إرسال عدة جيوش لقتال مرداس تمكنت من قتله عام ٦١هـ/٦٨٠م في مدينة تُوَّج(٥٧)، كل ذلك أدى إلى انتقال أبناء عروة بن أُديَّة من البصرة إلى اصطخر، ويؤكد الاصطخري(٥٨) ذلك في حديثه عن العرب في هذه المنطقة، إذ يقول : "ومنهم آل حنظلة بن تميم من ولد عروة بن أدية فسكنوا اصطخر ونواحيها. وملكوا الأموال الكثيرة والقرى النفيسة" . ويدلل هذا النص على سبب انتقال آل حنظلة، والغريب أن النص يحدد عبورهم الخليج العربي من البحرين. وليس بطريق البر أو البحر من البصرة ثم فارس واصطخر، علما بأنهم ممن استقروا في البصرة قبل انتقالهم إلى اصطخر، ويدل النص على كثرتهم وهذا أمر طبيعي، فالفارق الزمني كبير بين مقتل عروة ومرداس في منتصف القرن الأول الهجري تقريباً ومنتصف القرن الرابع الهجري، إذ من المؤكد أن ذريتهما بلغت عدداً كبيراً جداً إن ل

ترتحل معهم أعداد من بني حنظلة التميميين حينها، وهم الذين أسهموا جدياً في الحركات الخارجية في البصرة وفارس .

يشير ابن حزم[٥٩] إلى ذرية مرداس بن أُديَّة في اصطخر، إذ يقول : "ولأبي بلال [مرداس بن أُدَيَّة] هذا عقب كثير بأصطخر" . ويبدو أن أهل هذا البيت كانوا من الموسرين جداً، يقول الأصطخري[٦٠] : "وكان منهم عمرو بن عُيَيْنة، وبلغ من يساره أنه ابتاع بألف ألف درهم مصاحف فوقفها في مدن الإسلام، وكان مبلغ خراج أهل هذا البيت في ضياعهم نحو عشرة آلاف ألف درهم . . ." . إن هذا الثراء يدل على ما كان لهذا البيت من يد طولى في اقتصاد اصطخر، إذ بلغ مقدار الخراج السنوي لآل حنظلة في اصطخر حوالي عشرة ملايين درهم، وهو مبلغ كبير جداً يدلل على القدرة الاقتصادية لهذه القبيلة في اصطخر .

ومما لا ريب فيه أن الاقتصاد والقدرة المالية يلعبان دوراً أساسياً كبيراً ويشكلان أهمية كبيرة في هذا الخصوص، إذ يمكن من خلالهما إعداد قوات عسكرية وتدريبها بشكل جيد، ومن المحتمل أن يكون لآل حنظلة مثل هذه القوات، بل لابد وأنهم سيطروا سياسياً وعسكرياً على مساحات كبيرة من أراضي أصطخر، لذلك ولّى الخليفة العباسي المأمون أحد أعيان هذه القبيلة حماية الخليج العربي وتطهير مياهه من لصوص البحر والقراصنة الذين كانوا يهددون التجارة المارة فيه، ويشير الأصطخري[٦١] إلى ذلك بأن الخليفة المأمون ولّى عمر بن إبراهيم الحنظلي حماية البحر بقتال القراصنة واللصوص، بل برز من هذا البيت رجال طموحون امتاز بعضهم بفتوته العربية، خصوصاً بعد سيطرة الأجانب المرتزقة على مقدرات الخلافة، وعمل على انتزاع هذه المنطقة من أيدي الجند الأتراك، ويروي الأصطخري بخصوص ذلك، إذ يقول : "واستولى محمد بن واصل [الحنظلي] على فارس، فبُعِث إليه من بغداد عبد الرحمن بن مفلح، وكان على جيشه طاشم في جيش عظيم، فهُزِم جيش عبد الرحمن وقُتِل طاشم، وأسر عبد الرحمن وقتله، فصفت له فارس . . ." . ويبدو أن نهاية حكم محمد بن واصل للمنطقة كانت على يد يعقوب بن الليث الصفار أمير سجستان، الذي جاء بدعوة من ابن عم محمد بن واصل، وهو

مرداس بن عمر بـن إبراهيم الحنظلـي، لأن ابن واصل حاول قتل ابن عمه هذا، لكن أمر محمد بن واصل انتـهى بأسـره وقتله في سيراف، بعد هزيمة قواته أمـام قوات يعقوب بن الليث الصفار .

ومن الآثار التي تدل على الاستقرار العربي في اصطخـر، القلعـة المعروفـة بـ "قلعة زياد"، التي تحصن فيها زياد بن أبيه مدة من الزمن بعـد أن أقـام عليـها تحصينـات مهمـة، عندمـا كـان عـاملاً للخليفـة علـى ﷺ، ثـم تحصـن فيـها آخر أيام بـني أميـة منصور بـن جعفـر اليشكري، الـذي كـان عـاملاً للأمويـين على بلاد فارس، ثم خربـها محمـد بـن واصـل الحنظلـي بعــد سـيطرته علــى فـارس، لكنــه احتـاج إليـها فأعــاد بناءهـا[٦٢] . وهكـذا تعـد هــذه القلعــة شـاهداً صريحـاً علـى الاسـتقرار العربـي ليـس بالنسبة للـولاة فحسـب، إنمـا للسكان العرب الذين أعادوا بناءها أكـثر من مرة .

كذلـك اسـتقر العـرب مـن قبـائل الأزدفي مدينة اصطخر . لاسيما من نسل فراهيد بن مالك بن فهم الأزدي، ومنهم أبو دُرسـة وولـده، وهـو أبـو دُرسـة بـن راشد بن عمرو الحديدي بن النعمان بـن حي بن حاضر بن ظالم بن فراهيد[٦٣] .

ويظهر الأثر العربي واضحاً في هذه الكـورة، بدليـل تسـمية إحـدى مدنـــها باسم عربي، وهي مدينـة البيضـاء، ومـا يـزال هـذا الاسـم متـداولاً إلى يومنـا هــذا[٦٤] .

٣ - مدينة شيراز :

يبدو الأثر العربي باستقرار العـرب واضحاً في هذه المدينة، متمثلاً بالدرجـة الأولى في بناء العرب لهـا، إبـان مرحلـة التحرير العربي الإسلامي .

تتفق الروايات على أن الـذي بنـى هذه المدينة هو محمد بن القاسم بن أبـي عقيـل الثقفـي، بـن عـم الحجــاج بـن يوسـف الثقفـي والي العـراق المشــهور في عصر الدولة الأموية، وذلك حين أرسـله لفتـح بـلاد السـند[٦٥] . وهنــاك خطــأ بخصـوص مدينــة شـيراز، فقــد ذكــر المقدسي[٦٦] خطأً أنها مدينة قديمـة مـن بناء شيراز بن فارس، ودليلنا على خطأ روايـة المقدسـي مـا ذكـره الأصطخـري عنها، إذ قـال[٦٧] : "وكـانت [شيراز] معسكراً للمسلمين لـمـا أنـاخوا علـى فتـح اصطخـر، فلمـا فتحــوا اصطخــر نــزل

(محمد بن القاسم) بهذا المكان فجُعل معسكر فارس، وبناها مدينة . . ." . وهذا شيء منطقي فكيف لجيش فاتح أن يسكن مع أبناء ذلك البلد في مدينة واحدة ؟ إذن لابد أن بناءها كان تدريجياً، وبين فتح اصطخر وولاية محمد بن القاسم الثقفي لفتح السند زمن طويل، ومن المحتمل أنها بنيت بين عامي٨٥ -٩٢ هـ / ٧٠٤ - ٧١٠م[٦٨]. أي قبل فتح بلاد السند من قِبَل هذا القائد، كما أن العرب جعلوها قصبة (عاصمة) للجانب الشرقي للخليج العربي، ومقراً لدار الإمارة والحبس والدواوين[٦٩] .

إن وجود مقر لعامل المنطقة وإدارتها وبقية المؤسسات العسكرية والمدنية في مدينة شيراز، لا يمكن أن يتم إلا بعد توفر الأمن - في الأقل - في بداية هذا العهد الجديد الذي ظهر بعد التحرير العربي الإسلامي للمنطقة، ومن هنا نستنتج أن هذه المدينة قد تم بناؤها بعد توزيعها خططاً على المقاتلة العرب، فقد أطلق على ربض المدينة اسم [ربض زياد]، الذي نسب إليه كثير من العلماء العرب، منهم : إبراهيم بن أحمد بن عثمان بن المثنى الباهلي الشيرازي الربضي[٧٠]، كذلك هناك الدروب والسكك العربية في شيراز والتي سميت بأسماء قبائل عربية أو أسماء أبرز رجالها، ولا بد أنها تشير إلى خطط تلك القبائل، مثل : درب أسلم ودرب غسان وكذلك دار الإمارة في شيراز التي عرفت بـ : دار حراب بن ضرار المازني[٧١] .

وصل الكثير من العرب إلى شيراز إثر استقرار الأحوال السياسية في هذه المنطقة، لاسيما بعد تعريب الدواوين للعمل في هذه المؤسسات، مثل المُعَلى بن النظر وهو عراقي الأصل عمل كاتباً للحسن بن رجاء، استقر بشيراز ومات بها، وكذلك الحسن بن عبد الله أبي سعيد بن المرزبان، وأصله من مدينة فسا استقر في شيراز، وهو منسوب إلى بني مروان من جهة أمه . وعمل في ديوان فارس فأجاد فيه، على الرغم من صعوبته، بسبب اتساع الرقعة وتنوع اقتصاديات المنطقة وضخامتها[٧٢] .

واستقر في شيراز من البيوتات العربية آل حبيب، ومنهم مدرك وأحمد والفضل، كذلك آل أبي صفية من موالي باهلة، وبني مازن وهم مع آل حبيب من الأسر والبيوتات العربية المشهورة،

والتي كانت تتناوب أعمال الدواوين بفارس منذ الفترات الإسلامية الأولى(٧٣) .

ومن العرب الذين استقروا في شيراز جماعة من الهاشميين والعلويين، منهم الحسن بن زيد الأسود . وكان له من الولد : الحسن ويحيى والحسين وإبراهيم ومحمد وزيد، كما استقر في شيراز أحمد وعلي ابنا القاسم (المتوفى بشيران) بن أحمد بن سليمان بن القاسم الرسي العلوي، واستقر في شيراز أيضاً الكثير من أحفاد جعفر الصادق وموسى الكاظم وغيرهما(٧٤) .

مما سبق تتضح لنا كثرة العرب العلويين في هذه المدينة، وكان للأوضاع السياسية إبان قيام الدولة الأموية والعباسية وما تعرّض له العلويون من ضغوط سياسية، بسبب قيام بعضهم بحركات ضد السلطة المركزية، أمثال عبد الله بن معاوية ومحمد وإبراهيم النفس الزكية، كل ذلك جعلهم يبتعدون عن مركز الخلافة ومناطق السيطرة المطلقة للخليفة باتجاه المناطق البعيدة ومنها مدينة شيراز ومن المحتمل أن عقيل بن الحسن بن حمزة بن أبي هاشم نقيب فارس(٧٥) استقر في شيراز، ذلك لأنه أطلق عليه لقب [نقيب فارس]، لأن شيراز هي عاصمة المنطقة .

ولم يكن العلويون مستقرين في مدينة شيراز فحسب، وإنما انتشروا في أريافها، فقد استقرت طائفة من أحفاد موسى الكاظم في قرية [جُرَّة] من رستاق شيراز، منهم الحسن بن إبراهيم وولده(٧٦) .

وكان للظروف السياسية في المناطق القريبة من فارس أثرها على المنطقة، ومن ملاحظة الأحوال السياسية في كل من البصرة والبحرين وعمان وغيرها من الأقاليم القريبة لفارس، نجد أنه كلما تعرضت هذه المنطقة لأية تغيرات سياسية أو عسكرية فإنها حتماً سوف تسبب انتقال بعض البيوتات أو أجزاء من بعض القبائل العربية إلى الساحل الشرقي للخليج العربي حيث الاستقرار والهدوء النسبي، ففي إثر الفتن التي وقعت في عمان عام ٢٧٧هـ/٨٩٠م أيام الخليفة العباسي المعتضد بالله، واستنجاد أهل عمان بعامل الخليفة في البحرين، وهو : محمد بن بور (أو ثور)، نزح الكثير من العرب في عمان، وخرج أهل مدينة صحار بعوائلهم وأموالهم إلى مدينة شيراز(٧٧) . وهكذا

يتضح لنا أن مدينة ساحلية عريقة في عمان هي (صحار) هجرها سكانها العرب ليستقروا في مدينة شيراز، وهذا يدل على ارتفاع حجم الاستقرار العربي في مدينة شيراز بشكل كبير جداً، خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

وبما أن مدينة شيراز هي قصبة (عاصمة) فارس، وبسبب أهميتها السياسية والاقتصادية والعلمية، فقد استقرت فيها نخبة من العلماء، منهم آل الخرجوشي ممن عاش في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وهم من العرب منهم : محمد بن عبيد الله بن جعفر بن أحمد بن خرجوش بن عطية بن معن بن بكر بن شيبان بن منيع الخرجوشي الشيرازي، وابنه عبيد الله المتوفى بشيراز عام ٣٩٠هـ / ٩٩٩م، وحفيده أبو الفرج محمد بن عبيد الله الذي سكن بغداد، وهؤلاء هم أبرز رجال هذه الأسرة[٧٨] .

٤ - كورة أرَّجان :

تقع هذه الكورة على الحدود مع إقليم الأحواز العربي، الذي استقر فيه العرب منذ زمن بعيد جداً مثل قبيلتي حنظلة وبكر بن وائل[٧٩] . ويبدو أن قبيلة حنظلة من بني تميم استقرت أيضاً في أرجان، ففي رواية للقفطي[٨٠] أن لبني حنظلة ضياعاً ومزارع كثيرة في كورة أرُجان، وفيها من الموالي ممن انتسب إلى آل حنظلة .

واستقر في هذه الكورة أيضاً ومدينتها أرَّجان عديد من العرب العلويين، منهم نقيب العلويين فيها أبو الحسن علي بن الحسين بن عبيد الله بن علي، واستقر فيها من ولد القاسم بن الحسن بن يزيد، العباس بن الحسن بن محمد بن الحسن البطحاني وعقبه محمد فيها . كما استقر في أرَّجان من ذرية جعفر الصادق : زيد بن الحسين بن زيد بن موسى بن جعفر الصادق، وأخوه أبو جعفر محمد وكثير من العرب الهاشميين العلويين[٨١] .

وبنى الولاة العرب إبان حروب التحرير العربية وبعدها الكثير من المساجد والجوامع فيها، فبنى الحكم بن نُهيك الهُجَيْمي، عامل الحجاج بن يوسف على أرُجان مسجداً ودار إمارة فيها[٨٢] . ويحتمل وجود الكثير من المؤسسات التي أقامها الولاة العرب

هناك، لكن المصادر لا تزودنا - مع الأسف - بمعلومات كافية حولها .

٥ - مدينة توَّج :

يرجع استقرار العرب في هذه المدينة إلى عصور قديمة، منذ القرن الرابع الميلادي تقريباً، حين أسكن سابور ذو الأكتاف بني حنظلة فيها[٨٣]، ويبدو أن استقرار بني حنظلة في تُوّج جعل منها قاعدة لاستقرار أعداد أخرى من العرب من بني تميم وغيرهم في هذه المدينة والمدن الأخرى في السواحل الشرقية .

وبقيام حركات التحرير العربية الإسلامية، اجتازت القوات العربية الإسلامية، الخليج العربي لتخوض معارك عنيفة ضد جيوش كسرى، فقد عبرت هذه القوات بقيادة عثمان وأخيه الحكم بن أبي العاص عام ١٩هـ/٦٤٠م، وتم تحرير مدينة توّج، فبنى بها المساجد وأسكنها عبد القيس ومصرها[٨٤] .

وصف بن خياط[٨٥] عثمان بن أبي العاص المقاتلة العرب، بقوله : "فنزلوا توّج وابتنوا بها البناء ثم تحولوا عنها"، لكن هذا الأمر يبدو غريباً فمن يبني بناءً لابد أن يستقر فيه ولا يمكن بأية حال أن يبني الجيش بناءً وهو غير مستقر وفي حالة كر وفر، إلا إذا كان المقصود من ذلك أنهم استقروا مدة طويلة ثم انتقل المقاتلة منها فقط .

ويؤكد البلاذري[٨٦] استقرار العرب في توّج بعد التحرير، إذ يقول : "فنزل [عثمان بن أبي العاص] تُوَّج ففتحها وبنى بها المساجد وجعلها داراً للمسلمين وأسكنها عبد القيس وغيرهم"، ويتضح لنا من هذا النص أن مدينة تُوَّج أصبحت القاعدة العربية التي تخرج منها الجيوش نحو المناطق الأخرى في الجانب الشرقي للخليج العربي، بعد أن تحولت هذه المدينة إلى (دار هجرة) وبنى [عثمان بن أبي العاص] مسجداً جامعاً، فكان يحارب أهل أردشير حتى غلب على طائفة من أرضهم، وغلب على ناحية من بلاد سابور وبلاد اصطخر وأرّجان . . ."[٨٧] .

ويشير الدكتور ناجي حسن[٨٨] إلى تركيبة جيش عثمان بن أبي العاص فيقول : "وضم جيشه عبد القيس والأزد، وتميم، وبني ناجية الذين أسكنهم تلك المناطق" .

وهكذا انتشر العرب من قبائل عديدة واستقروا في تُوّج وغيرها من المناطق الأخرى، وكونوا المادة الرئيسية لجيش التحرير في المشرق الإسلامي، وعربوا تلك المناطق من خلال نشرهم اللغة العربية لغة القرآن الكريم ومادة الصلاة الرئيسية في الدين الإسلامي الحنيف، ومن خلالهم دخل المشرق الإسلامي مرحلة جديدة من التطور .

ويؤكد بن دريد[٨٩] وجود قبيلة عبد القيس في توج، لاسيما فصيلة منها تدعى اللبّو[٩٠]، إذ يقول : " وللبّو عدد كثير بتُوِّج وغيرها، وليس فيهم رجل معروف إلا رجل يقال له زياد الفرَس" . وليست لدينا معلومات عن زياد هذا، ولكن النص يؤكد وجود هذه القبيلة في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وفي الأقل في العقود الأولى منه، ومن المحتمل أن يكونوا من أحفاد أولئك الرجال الذين سكنوا تُوَّج قبل الإسلام، أو أثناء حروب التحرير العربية الإسلامية وبعدها .

وذكر الحموي[٩١] في رواية عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، فصيلة اللبّو هذه، إذ يقول : "وقال أبو عبيدة اللبّو قوم ينزلون في قلعة يقال لها معسر فوق سيراف في موقع يقال له فوزان" . ويؤكد هذا النص رواية بن دريد - سابقة الذكر - حول انتشار هذا البطن أو الفصيلة من قبيلة عبد القيس في تُوّج وغيرها من مناطق الجانب الشرقي للخليج العربي .

وكان للظروف السياسية أو الاقتصادية التي تمر بها المنطقة، أثرها في توجيه سياسة العمال، فقد قام بعضهم بتوطين العرب فيها، نستدل على ذلك من رواية أوردها ابن الجوزي[٩٢]، لم يذكر فيها العرب صراحة، حول قيام عضد الدولة البويهي بإسكان أقوام في فارس، نرجح أنهم من العرب إذ يقول : "وحوّل من البادية قوماً فأسكنهم بين فارس وكرمان فزرعوا وعمروا البرية" . ويؤكد لسترنج[٩٣] عروبتهم في حديثه عن تُوّج، إذ يقول : "وقد أسكن عضد الدولة البويهي فيها عرباً جاء بهم من الشام" . وهذا النص يؤكد أن العرب الذين استقروا في توّج بتوجيه من عضد الدولة البويهي جاءوا من الشام، ولعل هدفه كان إبعادهم عن ديارهم وإلحاق

الأذى بهم، ولكن دورهم كان إيجابياً فزرعوا وعمروا البادية .

٦ - مدينة سابور :

انتشر العرب في هذه المدينة واستقروا فيها، وقد اتخذها الخوارج - لاسيما فرقة الأزارقة - داراً لهجرتهم واستقرارهم واعتصامهم من السلطة المركزية المتمثلة بالدولة الأموية، ففي القرن الأول الهجري، وبعد عام ٧٣هـ /٦٩٢م، يؤكد ابن أعثم[٩٤] ذلك بقوله : "والأزارقة يومئذ بها وقد جعلوها دار هجرتهم" . ومن خلال نظرة واحدة إلى جيش الأزارقة يتضح لنا حجم الاستقرار العربي في هذه المدينة، فقد بلغ عددهم أكثر من عشرين ألف مقاتل[٩٥]، ونتساءل كم يا ترى عددهم مع ذويهم ؟ خصوصاً وأن المصادر تؤكد أنهم عندما خرجوا من مدينة سابور، - بسبب ضغط جيش الدولة الأموية عليهم وشدة الحصار خرجوا مع نسائهم وذراريهم، ويروي ذلك ابن أعثم[٩٦] فيقول : "خرجت الأزارقة من مدينة سابور مع نسائهم وأموالهم وأولادهم هاربين على وجوههم" .

استقرت في مدينة سابور فيما بعد طائفة من العرب الهاشميين العلويين، منهم أحفاد وأبناء محمد بن أحمد بن عبيد الله . . . بن الحسن بن علي وأحفاد محمد بن الحنفية[٩٧]، كما استقرت فيها أعداد كبيرة من العلويين مثل : المرعشية والمحمدية، وهم من أحفاد محمد بن الحنفية وغيرهم[٩٨] .

واستقرت في المنطقة أقوام عربية من قبيلة الأسد " ومن بني شهميل بن الأسد : بنو قيس بن ثوبان، بطن لهم عدد بفارس"[٩٩] . وهنالك عرب في فارس من بني هلال، زارهم اللغوي البصري أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، وفي رواية[١٠٠] أن أبا عبيدة خرج إلى فارس، إلى الهلالي موسى بن عبد الرحمن فأعطاه، كما أن عضد الدولة البويهي ولّى القضاء ببغداد عام ٣٦٩هـ / ٩٧٩م عربياً يسكن فارس، "وقلد قضاء القضاة أبو سعد بشر بن الحسين وهو شيخ كبير مقيم بفارس واستخلف له ببغداد أربع | كذا خلفاء . . ."[١٠١] ، ولابد أن يكون هذا الرجل من ذوي العلم والرئاسة في المنطقة حينها .

د. محمد كريم إبراهيم

قسم التاريخ / كلية التربية

الجامعة المستنصرية - بغداد

الخلاصة

أكد البحث أن الخليج عربي بشاطئيه الغربي والشرقي، استقر فيه العرب منذ زمن بعيد يرجع إلى القرن الرابع الميلادي، إذ كان استقرارهم في الساحل الشرقي قبل حملة سابور ذي الأكتاف على شبه الجزيرة العربية، واستمر هذا الاستقرار حتى يومنا هذا، فمازال العرب يقطنون السواحل الشرقية للخليج العربي .

أثبت البحث ازدياد الهجرات العربية بعد حروب التحرير العربية لهذا الجانب، بل ازدادت أكثر في عهد الدولتين الأموية والعباسية، ولعب العرب دوراً سياسياً وعسكرياً متميزاً إلى الحد الذي أخضع بعضهم الجانب الشرقي له، ولم يقتصر استقرار العرب على السواحل الشرقية للخليج العربي والجزر القريبة منها، بل امتد استقرارهم إلى المناطق الداخلية للجانب الشرقي ومدنه المهمة .

أكد البحث ملكية جزر الخليج العربي كلها للعرب وعائدية الجزر القريبة من الساحل الشرقي للخليج العربي للعرب، مثل : جزيرتي بني كاوان وقيس، لذا فإن الجزر الواقعة في وسط الخليج العربي وقرب ساحله الغربي هي حقاً جزر عربية .

وكان دور العرب الريادي في حماية الخليج العربي واضحاً، بتعزيز الأمن والاستقرار فيه منذ زمن بعيد جداً، مما أدى إلى ازدهار الحركة التجارية البحرية والبرية، فبقي الخليج عربياً وظل الطابع العربي هو الطابع الذي يميز هويته العربية الأصيلة، على الرغم من كونه محطة لأنواع عديدة من التجارات العالمية .

أبرز البحث دور العرب في البناء والإعمار، إذ قاموا ببناء مدينة شيراز التي أصبحت عاصمة للجانب الشرقي بأجمعه، كما بنوا القلاع وحصنوها وبنوا المساجد والجوامع ودور الإمارة في كل المنطقة، لاسيما في شيراز التي استقر فيها العرب، وبقيت الكثير من دروبها وأرباضها وسككها تحمل أسماء عربية، فضلاً عما تركه العرب من آثار تخلدهم في أرّجان وتُوَّج .

ملحق رقم (١) استقرار القبائل العربية في الجانب الشرقي للخليج العربي

القبائل العربية	السواحل	توّج	سيراف	فسا	سابور	شيراز	اصطخر	أرجان	الملاحظات
الأزد	= آل عمارة آل الصفار آل الصفاق						= من بني فراشيد		وهناك من الأزد من بني سليمة بن مالك بن فهم في بلاد فارس (غير معروف استقرارهم) ومن المحتمل هم من استقر في السواحل أو في جزيرة بني كاوان
عبد القيس	=	=	=						
بنو ناجية	=								
تميم بنو حنظلة، بنو شقرة		= بنو حنظلة		= بنو شقرة			= بنو حنظلة	= بنو حنظلة	
بنو سامة بن لؤي آل رهين آل الظفر	=		=						
أسد، بنو جهيمل									وهم بطن كبير في بلاد فارس ولكن لم نستطع تحديد مناطق استقرارهم
العلويون			=	=	=	=		=	وهناك الكثير منهم ممن لم تحدد المدينة أو المنطقة التي استقروا فيها
ربيعة	= في جزيرة قيس								
عرب غير محددين بقبيلة ما					= الخوارج				الخوارج تركيبة كبيرة من تميم وبنو ناجية وعبد القيس وغيرها من القبائل

المصادر والمراجع

[أ] المصادر القديمة :

◆ ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، (ت : ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) .

١ – الكامل في التاريخ، مجلد ٣، ٨، دار صادر ودار بيروت، ١٩٦٥م .

◆ الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، (ت: ٣٤١هـ/٩٥٢م) .

٢ – كتاب الأقاليم، منشورات مكتبة المثنى، (بغداد، د ت)

٣ – المسالك والممالك، تحقيق : د. محمد جابر عبد العال، (القاهرة، ١٩٦١م) .

◆ ابن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد، (ت: ٣١٤هـ/٩٢٧م) .

٤ – الفتوح، ج ٧، الطبعة الأولى، (حيدر أباد الدكن، ١٩٧٠م) .

◆ البخاري، أبو نصر سهل بن عبد الله، (كان حيا عام ٣٤١هـ/ ٩٥٢م) .

٥ – سر السلسلة العلوية، المكتبة الحيدرية، (النجف، ١٩٦٣م) .

◆ ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم، (ت: ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) .

٦ – تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، (رحلة ابن بطوطة)، جـ ١، مطبعة مصطفى محمد، (القاهرة ١٩٣٨م) .

◆ البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر، (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) .

٧ – الفرق بين الفرق، تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثري، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، ١٩٤٨م .

◆ البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، (ت: ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)

٨ – المسالك والممالك، جـ ٢، مخطوطة مصورة فوتوستات، نسخة مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب / جامعة بغداد، رقم ١٢٦٠ .

◆ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) .

٩ – فتوح البلدان، الطبعة الأولى . مطبعة الموسوعات . (القاهرة، ١٣١٩هـ/١٩٠١م) .

◆ الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، (ت: ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) .

١٠ – تاريخ غرر السير، المعروف بكتاب: غـرر أخبـار ملوك الفرس وسيرهم (منسـوب للثعـالبي)، منشورات مكتبة الأسدي، (طهران، ١٩٦٣م) .

◆ ابن الجوزي، أبو الفتوح عبد الرحمن بن علي، (ت: ٥٩٧هـ/١٣٠٠م) .

١١ – المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، المجلد ٧، الطبعة الأولى، دائرة المعارف العثمانية، (حيدر أبـاد الدكن، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م) .

◆ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، (ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) .

١٢ – جمهرة أنساب العرب، جـ ١ – ٢، تحقيق عبد السلام محمد هارون، منشورات دار المعارف، (القاهرة، ١٩٦٢م) .

◆ الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، (ت : ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) .

١٣ – المشترك وضعا والمفترق صقعا، منشورات مكتبة المثنى، (بغداد، ١٩٤٦م) .

١٤ – معجم البلدان، مجلد٢، ٣، ٤،مكتبة السدي، (طهران، ١٩٦٥م) .

◆ ابن حوقل، أبو القاسم محمد النصيبيني، (ت: ٣٦٧هـ/٩٧٧م) .

١٥ – صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت، د.ت) .

◆ ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، (توفى في حدود سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م)

١٦ – المسـالك والممالك، باعتنـاء : دي غويـه، مطبعـة بريـل (ليـدن، ١٨٨٩م)، نسـخة مصـورة بالأوفست، منشورات مكتبة المثنى، (بغداد، د.ت) .

◆ ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر، (ت : ٦٨١هـ/١٢٨٢م) .

١٧ – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، جـ ٥، تحقيـق : الدكتـور إحسـان عبـاس، منشـورات دار الثقافة، (بيروت، ١٩٦٩م) .

◆ ابن خياط، خليفة، (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م) .

١٨ – التاريخ، القسم الأول، تحقيق : سهيل زنكار، (دمشق، ١٩٦٦م) .

◆ ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسين، (ت : ٣٢١هـ/٩٣٣م) .

١٩ – الاشتقاق، جـ ٢، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، منشورات مكتبة المثنى،

(بغداد، ١٩٧٩م) .

٢٠ – جمهرة اللغة، جـ ١، منشورات مكتبة المثنى، (بغداد، د.ت) .

◆ الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، (ت : ٢٨٢هـ/٨٩٥م) .

٢١ – الأخبار الطوال، تحقيق : عبد المنعم عامر، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، (القاهرة، ١٩٦٠) .

◆ الزبيدي، أبوبكر محمد بن الحسن، (ت : ٣٧٩هـ/٩٨٩م) .

٢٢ – طبقات النحويين واللغويين، تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، مطبعة الخانجي، (القاهرة، ١٩٥٤م) .

◆ السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد منصور، (ت: ٥٦٢هـ/١١١٦م) .

٢٣ – الأنساب، جـ ٥، باعتناء: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، الطبعة الأولى، (حيدر أباد الدكن،١٩٦٢م)

◆ شيخ الربوة، أبو عبد الله محمد بن أبي طالب، (ت: ٧٢٧هـ/١٣٢٦م)

٢٤ – نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، (لايبزك، ١٩٢٣م) .

◆ ابن طباطبا، أبو إسماعيل إبراهيم بن ناصر العلوي، (كان حيا عام٤٧١هـ/١٠٧٨م).

٢٥ – منتقلة الطالبية، تحقيق : محمد مهدي السيد حسن، الطبعة الأولى، المطبعة الحيدرية، (النجف، ١٩٦٨م) .

◆ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت. ٣١٠هـ/٩٢٢م) .

٢٦ – تاريخ الرسل والملوك، جـ ٢، ٥، ٧، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات دار المعارف، (القاهرة، ١٩٦٨ – ١٩٧٢م) .

◆ ابن عنبة، أحمد بن علي بن الحسين، (ت: ٨٢٨هـ/١٤٢٤م) .

٢٧ – عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، الطبعة الثانية، (بومبي، ١٣١٨هـ)

◆ العوتبي، سلمة بن مسلم الصحاري، (من علماء القرن الخامس الهجري) .

٢٨ – الأنساب، جـ ٢، الطبعة الثانية، (عمان ١٩٨٤م)

◆ ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني، (ت. ٣٦٥هـ/٩٧٥م) .

٢٩ – مختصر كتاب البلدان، الطبعة الأولى، مطبعة بريل، (ليدن ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م)

◆ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، (ت: ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) .

٣٠ - آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر ودار بيروت، ١٩٦٠م .

◆ القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، (ت: ٦٤٦هـ/١٢٤٨م) .

٣١ - أنباء الرواة على أنباء النحاة، جـ ١، ٣، تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة،١٩٥٢م) .

◆ المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، (ت: ٢٨٥هـ/٨٩٨م) .

٣٢ - الكامل في اللغة، جـ ٢، منشورات دار المعارف، (بيروت، د.ت)

◆ المسعودي، أبو الحسن بن علي بن الحسين بن علي، (ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م) .

٣٣ - مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ ١، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، مطبعة السعادة، (القاهرة، ١٩٦٤م) .

◆ مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد، (ت: ٤٢١هـ/١٠٣٠م) .

٣٤ - تجارب الأمم، جـ ٢، باعتناء : ه.ف. آمدروز، مطبعة شركة التمدن الصناعية،(القاهرة، ١٩١٤م) .

◆ المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالبشاري، (ت: ٣٧٥هـ/١٩٠٩م) .

٣٥ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، باعتناء . دي غويه، مطبعة بريل، (ليدن، ١٩٠٩م) .

◆ مؤلف مجهول، (كان حيا في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي) .

٣٦ - قصص وأخبار جرت في عمان، مطابع سجل العرب، (القاهرة ١٩٧٩م) .

◆ الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، (ت.د· ٣٦٠هـ/٩٧٠م) .

٣٧ - صفة جزيرة العرب، تحقيق : محمد بن علي الأكوع الحوالي، منشورات دار اليمامة، (الرياض، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) .

◆ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، (ت: ٢٨٤هـ/٨٩٧م) .

٣٨ - التاريخ (تاريخ اليعقوبي)، مج ٢، دار صادر ودار بيروت، (بيروت، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م) .

ب – المراجع الحديثة :

◆ أمين، أحمد .

٣٩ – ظهر الإسلام، جـ ٢، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٩٦٩م) .

◆ حسن، د. ناجي .

٤٠ – القبائل العربية في المشرق خلال العصر الأموي، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، (بيروت، ١٩٨٠م)

◆ الخطيب، د. مصطفى عقيل .

٤١ – سياسة إيران في الخليج العربي على عهد ناصر الدين شاه، ١٨٤٨ – ١٨٩٦م، منشورات دار الثقافة، (الدوحة، ١٩٨٧م) .

◆ الدجيلي، محمد رضا حسن .

٤٢ – فرقة الأزارقة، مطبعة النعمان، (النجف، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)

◆ السالمي، نور الدين عبد الله بن حُميد، (ت: ١٩١٣م) .

٤٣ – تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، جـ ١، الطبعة الخامسة، (القاهرة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)

◆ العاني، د. عبد الرحمن عبد الكريم .

٤٤ – البحرين في صدر الإسلام وأثرها في حركة الخوارج، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٧٣م) .

٤٥ – عمان في العصور الإسلامية الأولى، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٧٧م) .

◆ العناني، أحمد .

٤٦ – جذور الحاضر الخليجي، الطبعة الأولى، المطبعة الوطنية، (دبي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)

◆ فوزي، د. فاروق عمر .

٤٧ – تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى، الطبعة الثانية، دار واسط، (بغداد، ١٩٨٥م) .

◆ كحالة، عمر رضا .

٤٨ – معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، جـ ١، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٦٨م) .

◆ لسترنج، كي .

٤٩ - بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، (بغداد، ١٩٥٤م) .

◆ المظفر، أحمد شهاب أحمد .

٥٠ - إقليم الأحواز في ظل الدولة العربية الإسلامية، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، (غير منشورة)، مقدمة إلى كلية الآداب/جامعة البصرة عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

◆ معروف، د. ناجي .

٥١ - عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية، جـ ١، الطبعة الأولى، مطبعة الشعب، (بغداد، ١٩٧٦م) .

◆ ناجي، د. عبد الجبار .

٥٢ - دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، مطبعة جامعة البصرة، (البصرة، ١٩٨٦م) .

ج - الدوريات :

◆ العلي، د. صالح أحمد .

٥٣ - امتداد العرب في صدر الإسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ٣٢، جـ١، (بغداد، ١٩٨١م) .

◆ القوصي، د. عطية .

٥٤ - سيراف وكيش (قيس) وعدن من القرن الثالث الهجري حتى السادس، المجلة التاريخية المصرية، المجلد ٢٣، (القاهرة، ١٩٧٦م) .

الهوامش

١ - صفة جزيرة العرب ص ٣٧٤، أنظر أيضاً: ♦ العناني، جذور الحاضر الخليجي ص٤٢ .

٢ - الدينوري، الأخبـــار الطوال ص٤٨ (وقد وصـف العـــرب بأنهم أعراب، أي بـدو)، أنظر أيضاً: ♦ الطبري، تاريخ الرسل، جـ٢ ص٥٥ .

٣ - تاريخ غرر السير (منسوب) ص ٥١٤، أنظر أيضاً : ♦ كحالة، معجم قبائل العرب، جـ١، ص ٩٤ ♦ العاني، البحرين في صدر الإسلام ص ٥٩ .

٤ - تاريخ غرر السير،ص ٥١٤ .

٥ - الأخبار الطوال ص ٤٨، أنظر أيضاً ♦ الطبري، تاريخ الرسل، جـ٢، ص ٥٧ .

٦ - الثعالبي، تاريخ غـــرر السير، ص ٥١٩، أنظر أيضاً ♦ كحـالة، معجم قبـــائل العـــرب، جـ١ ص ٩٤، ♦ العاني، البحرين ص ٦٠ .

٧ - تاريخ غرر السير، ص ٥٢٩، أنظر أيضاً ♦ العـاني، البحريـن في صدر الإسـلام ص٦٠ ♦ العلـي، امتداد العرب ص ٤٥ .

٨ - مدينة بناها سابور تقع في إقليم الأحواز، البكري، المسالك والممالك، جـ٢ ورقة ١٦٤ .

٩ - الدينوري، الأخبار الطوال ص ٤٨، أنظر أيضاً ♦ الطـــبري، تـــاريخ الرســل، جـ٢ ص٥٧، ♦ العاني، البحرين، ص٥٩ .

١٠ - هو سليمة بن مالك بن فهم بن غالب بن دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بـن عبـد الله بن مالك بن نصر بن الأزد . . . العوتبي، الأنساب، جـ٢، ص١٨١ .

١١ - جاسك : جزيرة كبيرة بين جزيرة قيس وعمان، الحموي، معجم البلدان مج ٢ ص ٩ .

١٢ - السالمي، تحفة الأعيان، جـ١ ص٤١، ٤٧ .

١٣ - الأنساب جـ٢ ص ١٨١، أنظر أيضاً : ♦ السالمي، تحفة الأعيان جـ١ ص ٤٧، ويقول مـا نصـه : ". . . وجمهور بني سليمة بأرض فارس وكرمـان لهـم بـأس وشـدة، وعـدد كثـير، وبعمـان منـهم الأقل. . ." .

١٤ - المســـالك والممالك، ص ٣١، ٨٥، أنظر أيضاً : ♦ الحمـــوي، معجـم البلـدان، مج ٢ ص ٧١١، ♦ القزويني، آثار البلاد وأحوال العباد ص ٢٣٥، ♦ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٩٢،

العاني ، عمان ص ٩٧ .

١٥ – صفة جزيرة العرب ص ٣٧٤ .

١٦ – مدينة في الجانب الشرقي للخليج العربي تسمى : جويم أبي أحمد، ♦ الحموي، معجم البلدان مج ٢ ص ١٦٤ .

١٧ – المسالك والممالك، ص ٨٥، أنظر أيضاً : ♦ المسعودي، مروج الذهب جـ١ ص١١٠، ♦ الحموي معجم البلدان مج ٢ ص ٧١١، ♦ لسترنج، بلدان الخلافة ص ٢٩٢ .

١٨ – المسالك والممالك ص ٨٥، أنظر أيضاً : ♦ الحموي معجم البلدان مج ٢ ص ٧١١، ♦ القزويني، آثار البلاد ص ٢٣٥ ، أنظر أيضاً : ♦ العاني، عمان ص ٩٧ .

١٩ – المسالك والممالك ص ٨٥، أنظر أيضاً : ♦ ابن حوقل . صورة الأرض، ص ٢٤١، ♦ الحموي، معجم البلدان مج ٢ ص ٧١١ .

٢٠ – الاصطخري، كتاب الأقاليم ص ٦٠، أنظر أيضاً : ♦ المسالك والممالك ص ٧٣، ويسميها ابن حوقل: الداكباياه، ويقول : ". . . قلعة بن عمارة وتسمى قلعة داكباياه يريدون باسمها أنها كثلاث آثاف لأنها قارة على ثلاث شعب كقرار القدر على الأثافي . . ." . صورة الأرض ص ٢٤١.

٢١ – لسترنج، بلدان الخلافة ص ٢٩٢، وذكر أن القلعة تطل على ميناء يتسع لعشرين مركباً .

٢٢ – المسالك والممالك، ص ٨٥ .

٢٣ – الزم : هو المنطقة التي يسكنها الأكراد (أكراد فارس)، وجمعها زموم، ذكر الحموي أنها : الرموم، معجم البلدان، مج ٣ ص ٨٣٦ (ولعل ذلك تصحيف)، والزموم التي كان يسكنها أكراد فارس هي خمسة، وهي كالممالك، وعلى كل زم رئيس واجبه توفير الحماية للطرق والقوافل المارة بمناطق نفوذهم، أنظر : الأصطخري، المسالك والممالك ص ٧١ – ٧٣ و ٨٧ – ٨٨، كتاب الأقاليم ص ٥٨، المقدسي، أحسن التقاسيم ص ٤٤٧ .

٢٤ – الأصطخري، كتاب الأقاليم ص ٦٠، المسالك والممالك ص ٨٥، ابن حوقل، صورة الأرض ص ٧٦، ♦ الحموي، معجم البلدان، مج ٢ ص ٧١١ .

٢٥ – عمان ص ١٠٠ .

٢٦ – المسالك والممالك ص٨٧ .

٢٧ – الحموي، معجم البلدان مج ٤ ص ٧٦٤، ووصفها بقوله : "بليدة مشهورة دون سيراف مما يلي البصرة على جبل هناك على ساحل البحر . . ." .

- الاصطخري، المسالك والممالك ص ٨٥، أنظر أيضاً : ♦ الحموي، معجم البلدان مج ٣ ص ٢١٧، ♦ لسترنج، بلدان الخلافة ص٢٩٢، (وذكر أن مركزهم : كوان) .

- الأصطخري، المسالك والممالك ص ٨٥ .

- المسالك والممالك ص ٨٥، أنظر أيضاً : ♦ لسترنج، بلدان الخلافة ص ٢٩٢ .

- فسائي، حسن حسين، فارسنامه جـ٢ ص ٣١١، نقلاً عن : الخطيب، سياسة إيران في الخليج العربي ص ١٠٤ .

- تاريخ الرسل، جـ ٥ ص ١٢٤ - ١٢٥، أنظر أيضاً : ♦ ابن الأثير، الكامل مج ٣ ص ٣٦٨ . حوادث سنة ٣٨هـ .

- الدينوري، الأخبار الطوال ص٤٨، أنظر أيضاً : ♦ الثعالبي، تاريخ غرر السير (منسوب) ص ٥١٤، ♦ كحالة، معجم قبائل العرب جـ ١ ص ٩٤ .

- مختصر كتاب البلدان ص ١١، ويشير ابن بطوطة إليهم، لكن يبدو أن التسمية (بني سقاف) مُحرَّفة، إذ يقول : "... وفيهم طائفة من عرب بني سقاف وهم الذين يغوصون على الجوهر" . تحفة النظار جـ ١ ص ١٧٦، أنظر أيضاً : ♦ فوزي، أ.د. فاروق عمر . تاريخ الخليج العربي ص ٧٦ .

معجم البلدان مج ٢ ص ٨٠، أنظر أيضاً الخارطة الملحقة بالبحث .

المسالك والممالك ص ٦٢ .

جمهرة أنساب العرب جـ ٢ ص ٣٨٤، وتعد جزيرة بني كاوان، أو (لافت) من أكبر جزر الخليج العربي ؛ كما أنها تتحكم في مدخل هذا الخليج، أنظر الخارطة الملحقة بالبحث .

البلاذري، فتوح البلدان ص ٣٩٣ - ٣٩٤، ويرى المسعودي أنها من فتوح عمرو بن العاص وليس عثمان، ومسجده بها إلى هذه الغاية (أي إلى عصر المسعودي) مروج الذهب جـ ١ ص١١١، أنظر أيضاً : ♦ العوتبي، الأنساب جـ ٢ ص ١٢٢ فما بعدها، ♦ ابن الأثير، الكامل مج ٣ ص ٤١ .

الطبري، تاريخ الرسل جـ٧ ص ٤٦٣، أنظر أيضاً ♦ ابن الأثير، الكامل مج ٥ ص ٤٥١ .

- الأنساب جـ ٢ ص ١٤٨ .

المقدسي، أحسن التقاسيم ص ٤٢٦، أنظر أيضاً : ♦ القوصي، سيراف وكيش (قيس) وعدن ص ٥٩، والغريب أن الباحث يرجح تسمية كيش على أنها التسمية الصحيحة وترادفها : (قيس) في عنوان بحثه، والعكس تماماً هو الصحيح كما ذكرنا أعلاه .

٤٢ – معجم البلدان مج ٣ ص ٢١٢ .

٤٣ – أنباء الرواة جـ ٣ ص ٤٠ .

٤٤ – آثار البلاد ص ٢٤٣ .

٤٥ – المسعودي، مروج الذهب جـ ١ ص ١١٠ وما بعدها .

٤٦ – لسترنج، بلدان الخلافة ص ٢٩٣ .

٤٧ – ابن طباطبا، منتقلة الطالبية ص ١٧٩ .

٤٨ – ابن حوقل، صورة الأرض ص ٢٤٨ .

٤٩ – أنظر موقع هاتين المدينتين في الخارطة الملحقة بالبحث .

٥٠ – فتوح البلدان ص ٢٩٨ .

٥١ – سر السلسلة العلوية ص ٩٤ .

٥٢ – أنظر : ابن طباطبا، منتقلة الطالبية ص ٢٣٤ – ٢٣٥، وانظر أيضاً : ابن عنبة، عمدة الطالب ص ٣٣٢ .

٥٣ – كتاب الأقاليم ص ٦٢ .

٥٤ – الأصطخري، المسالك والممالك، ص ٨٥ .

٥٥ – ابن حزم، جمهرة أنساب العرب جـ ١ ص ٢٢٣، إذ قال عن عروة ومرداس ابني أدية : "ومن بني ربيعة بن حنظلة : أبو بلال مرداس وعروة ابنا أُديَّة، وهي أمهما، وأبوهما جرير بن عامر بن عبد كعب بن ربيعة . . ."، أما الطبري فقد أطلق على أبيهما اسم : حدير، تاريخ الرسل جـ ٥ ص ٤٧٠ – ٤٧١ .

٥٦ – المبرد، الكامل في اللغة، جـ ٢ ص ١٩١، أنظر أيضاً : ◆ الطبري، تاريخ الرسل جـ ٥ ص٣١٢ ◆ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٥٥ .

٥٧ – الطبري، تاريخ الرسل جـ ٥ ص ٤٧٠ – ٤٧١ .

٥٨ – المسالك والممالك ص ٨٥ .

٥٩ – جمهرة أنساب العرب جـ ١ ص ٢٢٣ .

٦٠ – المسالك والممالك، ص ٨٥ – ٨٦، أنظر أيضاً : ◆ أمين، ظهر الإسلام جـ ٢ ص١٦ .

٦١ – المسالك والممالك ص ٨٦، وقد اعتمدنا عليه في المعلومات التالية حتى نهاية محمد بن واصل على يـ

يعقوب بن الليث الصفار .

٦٢ – الدينوري، الأخبار الطوال،ص ٢١٦، وانظر أيضاً : ◆ الطبري، تاريخ الرسل، جـ ٥ ص ١٣٧ – ١٣٨، ١٧٦، ◆ الأصطخري، كتاب الأقاليم ص ٦٠، ◆والمسالك والممالك ص٧٣، ◆ ابن حوقل، صورة الأرض ص ٢٤١ – ٢٤٢، ◆ ابن الأثير، الكامل مج ٣ ص ٣٨٢ .

٦٣ – العوتبي، الأنساب جـ ٢ ص ٢٢٧ – ٢٢٨ .

٦٤ – الطبري، تاريخ الرسل، جـ ٥ ص ١٣٨، (وكانت تسمى في عصره قلعة منصور)، انظر أيضاً : ◆ الأصطخري، المسالك والممالك، ص ٧٧، ◆ ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٤٧، ◆ لسترنج، بلدان الخلافة ص ٣١٦ .

٦٥ – الأصطخري، المسالك والممالك، ص ٧٦ – ٧٧، وانظر أيضاً : ◆ الحموي، معجم البلدان، مج ٣ ص٣٤٩، ◆ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ١٧٧، ◆ لسترنج، بلدان الخلافة، ص ٢٨٥ .

٦٦ – أحسن التقاسيم ص ٤٢٣، أنظر أيضاً : ◆ ناجي، أ.د. عبد الجبار . دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية ص ٤٠٠ .

٦٧ – المسالك والممالك، ص ٧٧، أنظر أيضاً : ◆ كتاب الأقاليم ص ٦٣، ◆ ابن حوقل، صورة الأرض ص ٢٤٦ .

٦٨ – اليعقوبي، التاريخ مج ٢ ص ٢٨٨، ◆ معروف، عروبة العلماء جـ ١ ص٦٣، ◆ العلي، امتداد العرب ص ٤٥ .

٦٩ – الأصطخري، كتاب الأقاليم ص ٦٣، أنظر أيضاً : ◆ المقدسي. أحسن التقاسيم ص ٤٢٣، ◆ شيخ الربوة، نخبة الدهر ص ١٧٧ ◆ لسترنج، بلدان الخلافة ص ٢٨٥ .

٧٠ – الحموي، معجم البلدان مج ٢ ص ٧٥١، ◆ المشترك وضعاً ص ٢٠١ .

٧١ – ناجي، دراسات في تاريخ المدن ص٤٠٥ .

٧٢ – الأصطخرى، المسالك والممالك ص ٨٨ – ٨٩ .

٧٣ – المصدر نفسه، ص٨٩، أنظر أيضاً : ناجي، دراسات في تاريخ المدن ص ٤٠٥ .

٧٤ – للتفصيل أنظر : ابن طباطبا، منتقلة الطالبية ص ١٨٨ – ١٩١، ◆ابن عنبة، عمدة الطالب ص ٢٠٠، ٢١٩، ٢٢٥ .

٧٥ – البخاري سر السلسلة العلوية ص ٧٤ .

٧٦ – ابن طباطبا، منتقلة الطالبية ص ١٠٩ .

٧٧ – مؤلف مجهول، قصص وأخبــار جرت في عمان ص ٥٩ – ٦٠، أنظر أيضــاً : ◆ الســالمي، تحف
الأعيان جـ ١ ص ٢٥٦، ويروي أن أهل صحار وما حولها من الباطنة خرجــوا بـأموالهم وذراريهـ
وعيــالاتهم إلى سيراف والبصرة وهرمز، أنظر أيضاً : ◆ فوزي، تاريخ الخليج العربي في العصو
الوسطى .

٧٨ – السمعاني، الأنساب جـ ٥ ص ٨٤ – ٨٥ .

٧٩ – المظفر، أحمد شهاب، إقليم الأحواز في ظل الدولة العربية الإسلامية ص٤٦ .

٨٠ – أنباء الرواة جـ ١ ص ٢٠٥ .

٨١ – للتفصيل أنظر : ابن طباطبا، منتقلة الطالبية ص ١٦ – ١٨، ◆ ابن عنبة، عمدة الطالب ص ١٩٧

٨٢ – البلاذري، فتوح البلدان ص ٤٠٠، أنظر أيضاً : ◆ المقدسي، أحسن التقاسيم ص٤٢٥ .

٨٣ – الثعالبي، تاريخ غــرر السير ص ٥٢٩، أنظر أيضــاً : ◆ العــاني، البحريــن ص ٦٠، ◆ العلـي
امتداد العرب

٨٤ – البلاذري، فتوح البلدان ص ٣٦٤ .

٨٥ – التاريخ، جـ ١ ص١٣٥ .

٨٦ – فتوح البلدان، ص ٣٩٤ . أنظر أيضاً : ◆ الدينوري، الأخبار الطوال ص ١٣٣ .

٨٧ – الدينوري، الأخبار الطوال ص ١٣٣، أنظر أيضاً : ◆ حسن، د. ناجي، القبائل العربية في المشـر
ص ١٦٥ .

٨٨ – القبائل العربية في المشرق ص ١٦٥ .

٨٩ – الاشتقاق جـ ٢ ص ٣٢٤ .

٩٠ – "اللِّبو بن عبد القيس قبيلة من العرب"، ابن دريد، جمهرة اللغة جـ ١ ص ٣٢٩ .

٩١ – معجم البلدان مج ٣ ص ٩٢٢ .

٩٢ – المنتظم مج ٧ ص ١١٤ .

٩٣ – بلدان الخلافة ص ٢٩٥ .

٩٤ – الفتوح جـ٧ ص ١١٧، وانظر أيضاً : ◆ البغدادي، الفــرق بين الفرق ص ٥١، ◆ الدجيلي، فر
الأزارقة ص ١٢٩ .

٩٥ – البغدادي، الفرق بين الفرق ص ٥١ .

- الفتوح جـ ٧ ص ٢٨ .

- ابن طباطبا، منتقلة الطالبية ص ١٧٨ - ١٧٩ .

- البخاري، سر السلسلة العلوية ص ٢٠، ٥٩، ٨٦، أنظر عن بيوتات العرب العلويين ممن سكن فارس دون تحديد مناطق سكنهم : ♦ ابن طباطبا، منتقلة الطالبية ص ٢١٣ - ٢١٤ .

- ابن دريد، الاشتقاق جـ ٢ ص ٤٨٤ .

١ - الزبيدي، طبقات النحويين ص١٩٣، أنظر أيضاً : ♦ ابن خلكان، وفيات الأعيان جـ ٥ ص ٢٤ .

١ - مسكويه، تجارب الأمم جـ ٢ ص ٣٩٩، أنظر أيضاً : ♦ ابن الأثير، الكامل مج ٨ ص ٧١٠، ♦ حوادث سنة ٣٦٩هـ .

ميناء مكرا

بقلم :

د. إبراهيم عطا ا



١١٢ ـ الوثيقة

الناحية الجغرافية

ميناء التيز[1] في الشمال الغربي من منطقة مكران،
الميناء وما وقع من المدن والقرى في جنوبي وشرقي
ن كان تابعاً لإقليم السند إدارياً وجغرافياً قبل الإسلام
ى نهاية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وبعد
أصبحت المنطقة إقليماً مستقلاً أطلق عليه إقليم
ان[2] وإقليم مكران برمته يطلق عليه بلوشستان
جستان" حالياً، وهذه التسمية أطلقت عليه منذ القرن
ي عشر الهجري "الثامن عشر الميلادي"[3] وفي صدر
لام لم تحدد معالم إقليم مكران "بلوشستان" لأن
زاء الشمالية الشرقية مثل عاصمة بلوشستان الإيرانية
ي تسمى الآن مدينة زاهدان وقديماً دزدآب " أي ماء
ص" وما جاورها كانت تابعة لإقليم سجستان "سيستان"

حالياً، أما مثل مدينة إيران شهر وبربور "بميور حالياً" وما كانت واقعة شمال مكران فكانت تابعة إداريا لإقليم كرمان، والبقية تابعة لإقليم السند ومركزها الإداري فنزبور "بنجكور" حاليا، وميناؤها الرئيسي التيز[4] بعد أن فتح الله على المسلمين منطقة مكران والسند كاملة، أصبحت مدينة فنزبور هي المركز الإداري ومقر الوالي المسلم من قِبَل الخلفاء لإقليم مكران كله، بما في ذلك الأجزاء الشمالية والشمالية الشرقية، أما قبل ذلك فكان والي مكران غالباً ما يقيم في بربور "بميور" ويؤيد ذلك :

أولاً: رواية الطبري وابن الأثير وغيرهما من أن أول جيش للمسلمين التقى بكفار مكران عند نهر، فنصر الله المسلمين عليهم، وظاهر أنه لا توجد أنهر في مكران، وأن النهر المقصود هو وادي بربور . لأن غزارة مياه الوادي تشبه النهر وهي جارية على الدوام .

* * *

ثانياً : أنه عند قدوم جيش المسلمين بقيادة محمد بن القاسم الثقفي إلى مكران التقى بأميرها محمد بن هارون وأقام عنده عدة أيام، ثم توجها إلى ديبل وأول ما واجههما من المعارك في فنزبور حيث لقيا الذين نقضوا العهد والكفار من أهلها، إلا أن الله فتحها على المسلمين، ثم تقدما إلى أرمابيل باتجاه ديبل .

فيظهر من ذلك أنه حتى تلك الفترة أي سنة ٩٣هـ كان مقر والى التيز ومكران برمته غير فنزبور[5] وإقليم مكران الذي يسمى الآن بلوشستان "بلوجستان" كان كما ذكرنا مجزأ قديماً، وهو منقسم حالياً كذلك بين أربع دول : ١ - عمان. ٢ - إيران . ٣ - باكستان . ٤ - أفغانستان، فقد كان ميناء جوادر Gwader وضواحيه تابعاً لسلطان عمان ١٣٧٩هـ - ١٩٥٨/٩/٢٧م وبعدها انتقلت ملكيته إلى باكستان[6] وهكذا كانت حالة تيز مكران "جابهار" فقد أصبحت من أملاك سلطان عمان منذ ١٧٩٢م - ١٨٧٢م بعدها انضمت إلى إيران وكان والي عمان يحكم المنطقة حكماً مباشراً ويجبي منها سنوياً مائة ألف روبية هندية إلى خزينة السلطنة بمسقط[7] .

نع ميناء تيزمكران شمال ميناء حالياً ويبعد عنه بأربعة أميال، رتفع بموضع واد . ومن الآثار قلعة مازالت موجودة وتبلغ ها ثلاثة أميال مربعة تقريباً : صف طولاً، ومائتي ياردة عرضاً، ت الحاضر اتسع شابهار فضم ن أجزاء الميناء القديم، ويطلق ـيزمكران حالياً "شابهار" ه . ويقع شابهار حالياً شمال يناء جوادر الباكستاني بـ ١٥٠ باً[٨] وهذه المرتفعات تحيط بالتيز يع الأطراف ماعدا الجنوب البحر وفي المرتفعات الشمالية ـ بارتفاع ١٠٠ قدم على سفح ت، وربما كانت معابد النار ن لحرق الموتى وبالسفوح صور حيوانات وموقع التيز مهجور د به حالياً إلا خمسون أو ستون وت السعف والأكواخ[٩] والميناء لى رأس خليج يطلق عليه Rasnun (أنظر الخارطة) .

الغرب منه يقع رأس بيشخان Raspisl[١٠] وسعة الخليج فرسخاً طولاً وما بين ٨ - ١٢ أ عرضاً، وهذا الخليج أكسب مكران جمالاً و شهرة، ويطلق عليه خليج شابهار "جابهار"[١١] وجوها حار ورطب على مدار العام . وهي على الساحل، وأرضيتها مالحة ليست زراعية إلا أن بها أشجاراً ملائمة للسواحل مثل : الأثل، السدر جش Tchech كلير Kalir، الدوم "بيش Pich"، الأثل البري والبحري Pir توج Touj جكرد Tchegerd جكر Jogr، وزهرة العقرب[١٢] . وبسبب موقع المنطقة على الساحل، فالمياه بها شحيحة ويحفر أهلها الآبار للسقي أو يأتون بالمياه من خارج المنطقة وأقرب واد إليها هو ما يسمى حالياً نيم كور "أي نصف وادٍ" ويصب في البحر على بعد خمسة أو ستة أميال غربي التيز "جابهار"[١٣] .

وعلى أطراف تيزمكران أراض زراعية يكثر بها النخيل وغيرها من الثمار وبالتيز رباطات فاضلة ومسجد حسن، وكانت عامرة حين مرور المقدسي بمنطقة فارس وذلك في نهاية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)[١٤] .

السكان

سبق أن ذكرنا أن أكثر الأجزاء الجنوبية والشرقية والساحلية لإقليم مكران كانت تابعة لحاكم السند، وهو من البراهمة، وهؤلاء قد استولوا على كثير من المناطق في تلك الناحية قبل الإسلام بفترة طويلة . وكان الحاكم عند الفتح الإسلامي هو داهر بن جج[١٥] والبراهمة ملكوا المنطقة واستعبدوا أهلها الأصليين وهم الميد والزط "الجت" فمن هؤلاء من بقي في عبوديته وصبر، ومنهم من أصبح من القراصنة "لصوص البحر"[١٦] ومنهم من انتشر وسكن صحاري السند ومكران والسواحل[١٧] ويوضح مير أحمد أن امتدادهم كان شمالا على سواحل فارس : هرمز وسيراف وغيرهما لأكثر من أربعة وأربعين قرية ومدينة وميناء، قبل دخولهم الإسلام حتى سنة ٦٦٤م .

ويذكر الباركبوري أن من الزط والسيابجة من هاجر إلى مناطق الجزيرة العربية وغيرها قبل الإسلام وبعده. كاليمن، ونجران، ومكة واليمامة، والبحرين والخط، وهجر، ودارين، والقطيف وعمان، خاصة صحار، إلى جانب العراق والشام فقد رُوي أن طبيباً زطياً عالج السيدة عائشة رضي الله عنها بالمدينة المنورة . وكان أكثر الميد صيادي أسماك وسمكة التيز كبيرة جليلة وهي أفضل الأنواع وكان طعام أهل تيز السمك وطير الماء[١٨]، ويذكر إيرج أنه عند ميناء تيز مكران "جابهار" يوجد قرابة مائتي صنف من الأسماك ومن أجود الأنواع وأفضلها وأعلاها . ١ - الحلو . ٢ - قباد . ٣ - الأسدي . ٤ - هامور ٥ - عروس البحر . ٦ - ينامة . ٧ - سنجسر وغيرها .

ويذكر ابن حوقل أن أكثر الذين يقطنون البراري والصحاري هم من الزط . وغذاؤهم الرئيسي الألبان والأجبان وخبز الذرة، لأنها تزرع كثيراً هناك وهم أصحاب إبل وجمال . وجمال مكران من أجود الأنواع المشهورة في الأقطار. ويصف حياتهم أنها في الغالب كحيا البربر وأكثرهم رجالة قليلو الدواب[١٩]

وقد مارس الميد مهنة صيد السمك السواحل وخاصة في ساحل وخليـ تيزمكران . لأن البحر هادئ الأمواـ وإلى فترات متأخرة، كان أهالي المنا الساحلية المجاورة "لتيزمكران" يأ لصيد السمك في هذا الخليج، لأن ع خليج التيز لا يزيد عن ثمانية عش مع أن عمق البحر الهندي مقابل

٣٣ متراً . كما أن عمق ساحل
سه عند هرمز يبلغ ٧٣ متراً .
امل الطبيعية شجعت الصيادين
هذا الخليج على الدوام . إضافة
نب الأمني الذي جعل كثيراً من
التجارية الكبيرة ترسو في
على بعد كيلومتر من الساحل
بضاعتها إلى ميناء التيز بواسطة
سفن صغيرة[20] أما الصنف
ن السكان وهم السكان الأصليون
كران فهم القفص والبلوص "كوج
وكان أغلبهم يقطنون على حدود
وسجستان أي شمال وشمال
كران حتى سنة ٥٥٠م وبعد هذه
مل عليهم أنوشيروان فقتل من
بح من ذبح ونزح الباقون إلى
والوسط من مكران حتى حدود
إلى مناطق متفرقة وبعيدة[21] وقد
ثير منهم من التيز وجوادر
ل إلى أفغانستان والهند وحدود
خاصة إلى أشك أباد "عشق أباد"
٢) .

م يستقر لأهل التيز وإقليم مكران
م ينالوا حقوقهم وقدرهم إلا في
سلام وهذا اعتراف من أحد
المعاصرين المنصفين يقول محمد
سردار خان *"لم ير أهل مكران حقوقهم الإنسانية حتى في عهد الحضارة الحديثة في القرن الرابع عشر الهجري "العشرين الميلادي" من أيدي الهنود والباكستانيين والفرس ولا قبل الإسلام مثل ما حصل لهم أيام الفتوحات الإسلامية العربية وحكمهم للمنطقة بالعدل فقد بلغ الرقي والغنى، بسبب التجارة والمعاملة الحسنة حداً بعيداً وهاهم اليوم عادوا كما كانوا قبل الإسلام من البؤس والحرمان*[23] *وممن سكن التيز وسواحل مكران والمناطق الداخلية كثير من القبائل العربية والهندية وأقوام آخرون .*

حتى بلغت الكثافة السكانية في التيز ما هو مشاهد في العصر الحاضر[24] *ففي العصر الحاضر يبلغ سكان جابهار "التيز" حوالي ستة آلاف نسمة*[25] *والسكان الأصليون كانوا ومازالوا متوسطي القامة، ممشوقي القوام، هيف القدود ذوي عضلات مفتولي الساعدين. ومدوري الرؤوس، مربعي الوجوه ، مستقيمي الأنوف كحل العيون، شعورهم طويلة وزيتية سوداء*[26] *والغالب على خلقتهم النحافة والسمرة وتمام*

الخلقة[٢٧] *ويقول المقدسي عن أهل مكران وهم قوم وسط المال لا علم لهم ولا ظرف*"[٢٨] والغالب على القفص والبلوص، الجلد وشدة العيش وقساوة القلب، ويتميزون بالصراحة والإخلاص والوفاء والأمانة[٢٩].

اللغة واللباس

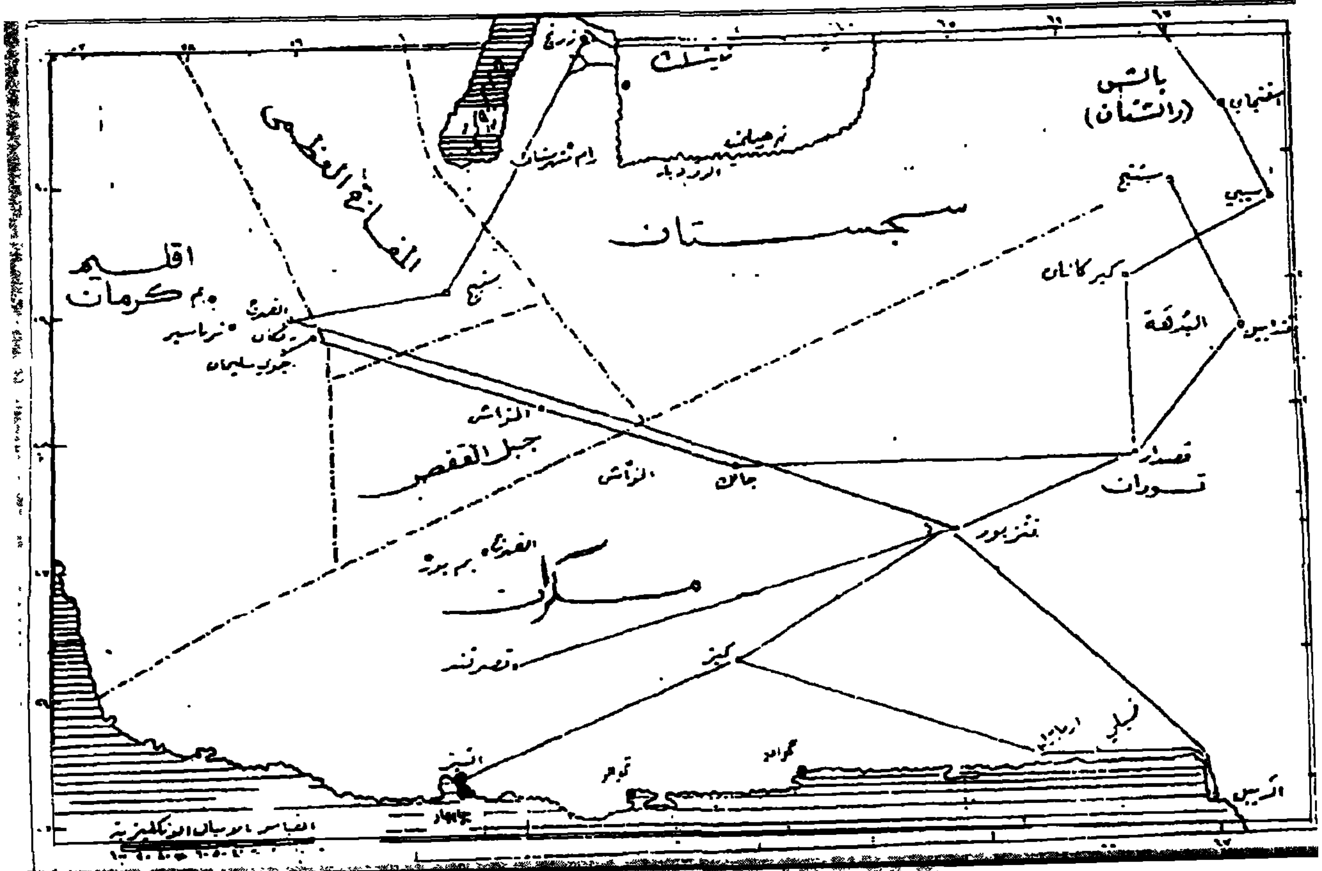
يقول المقدسي : لغة أهل تيزمكران الفارسية، والمكرية "والبلوصية" وكلامهم يشبه أصوات الطيور بقرب أول مخرج[٣٠] واللغة البلوصية "البلوشية" تشبه كثيراً اللغة الفارسية وهي من اللغات الآرية[٣١] وكثير من ألفاظ اللغة البلوشية تمتزج مع اللغة العربية، إلا أن أكثر ألفاظها فارسية والكتابة مثل الفارسية[٣٢] أما الزط والميد فكانوا يستعملون اللغة الدراوينية "الهندية القديمة" بجانب اللغة البلوصية[٣٣] أما لباسهم وما يتزينون به، فكان "الرجال" يلبسون القراطق، أما التجار فكانوا يلبسون القمص والأردية والعامة يلبسون لباس أهل فارس والعراق[٣٤].

وكانوا يسبلون الشعور، ويشققون الآذان مثل أهل الهند، ويعلقون الحلقات الفضية والذهبية ويكثرون لبس الإزار "لحرارة المنطقة"[٣٥] كذلك كان التجار والأعيان يتعممون بالفوط والمناديل المصفحة بالذهب مثل تجار العراق وفارس وحكامهم يتشبهون بزي ملك الهند[٣٦].

وكانت دياناتهم الزرادشتية لمجاورتهم الإمبراطورية الفارسية، وبعضهم على الديانة الهندوسية لأن بعض أجزاء المنطقة كانت تابعة لملك السند، ومنهم من لا يعتقد شيئاً لتفشي الجهل بسبب الظلم عليهم، وسبب انتشار الديانة الزرادشتية أنه بعد مقتل يزدجرد الثالث بيد المسلمين سنة ٧٢٠م ثم تتابعت الفتوحات في العهد الأموي فرت كثير من الأسر والعوائل من أصفهان إلى مناطق نائية بدينها الزرادشتي ومن هذه المناطق تيزمكران والسواحل الهندية[٣٧].

الناحية التجارية والطرق البحرية والبرية

يعتبر تيزمكران الميناء الرئيسي لإقليم مكران والمركز التجاري لتصدير واستيراد بضائع كرمان وسجستان[٣٨]



إقليم مكران مع قسم من إقليم سجستان

وهو ميناء قديم كانت السفن التجارية ترتاده منذ آلاف السنين(٣٩) . يقول الإدريسي عن الميناء : وغربي كيز يقع ميناء التيز على البحر، وهي مدينة صغيرة لكنها مشهورة وعامرة بالسفن والمراكب التي تأتي من عمان وفارس وجزيرة كيش فهي ذات ثراء بالتجارة وقد أطلق عليها البيروني بأنها قصبة مكران، لعظم شأنها التجاري وحركة السفن العالمية إليها[٤٠] ومكانة هذا الميناء وأهميته ليست مقصورة على إقليم مكران أو تجارة سفنه، وإنما أخذ شهرة بين الشرق والغرب خاصة لمرور ورسو السفن التي تأتي من البصرة والأبلة ومنطقة الخليج المتجهة إلى أقصى الشرق أو الهند .

وحتى التي كانت تريد عمان وعدن وبحر القلزم "البحر الأحمر" وموانئها . لابد أن تمر على ميناء تيزمكران، لأغراض عدة، منها أن الفجوة والمسافة فيما بين موانئ سواحل فارس أو عمان بعيدة عن موانئ الهند والسند مثل ديبل "كراتشي" تقريباً وتانه "بمنى" .

والسبب الثاني أن السفن التي تأتي من الشمال فتمر على سيراف كانت تخشى بعد مرورها مضيق هرمز القديم "ميناب حالياً" كانت تخشى اللصوص قراصنة البحر من الزط والميد وغيرهم وخاصة في بحر العرب وبحر الهند بالقرب من ميناء ديبل وما جاوره، فالناحية الأمنية أعطت التيز أهمية أكبر ورغبة في ارتياد السفن فترسو في ميناء التيز لتمون نفسها بما تحتاج إليه للانطلاق إلى المسافات الطويلة من موانئ الهند. ملبار وكولم ملي، والشرق أو إلى موانئ عمان صحار ودبا وقلهات وهكذا إلى عدن وبحر القلزم[٤١] .

وسبب ثالث أنه بعد الفتح الإسلامي لجأ كثير من المناهضين للخلافة الأموية منذ ٩٣هـ - ٧١٢م من الخوارج وغيرهم عن طريق هرمز أو عمان إلى مكران وانتشروا فيها عن طريق ميناء التيز فكانت الحركة دائبة ليلا ونهاراً[٤٢] . والسفن التي تنطلق من الأبلة والبصرة إلى الصين والشرق الأقصى، لابد من أن تمر على موانئ مثل جزيرة قيس وهرمز القديم وتيزمكران والديبل وهكذا[٤٣] .

والسفن التي تنطلق من الخليج وعمان محملة، ببضائع مختلفة تبيع وتفرغ حمولتها في تيزمكران وديبل وكولم ملي . ثم تعود محملة ببضائع

السند والهند فتقف عند تيزمكران وتتزود بالوقود والمياه حتى تواصل السير نحو عدن فجده ثم إلى عيذاب[٤٤] كما كانت التيز إحدى منطلقات السفن إلى شرقي أفريقيا "الحبشة" حتى إلى زنجبار، وكذلك إلى البحرين ومناطق الخليج الأخرى بل كانت التيز تستقبل سفناً من غير هذه المناطق[٤٥] .

وكذلك السفن القادمة من أقصى الشرق تمر وترسو في ميناء التيز ومنها تأخذ أحد مسارين إما إلى صحار وموانئ عمان والجزيرة العربية مثل أوال ودارين والقطيف وغيرها أو تأخذ الخط الشرقي الساحلي باتجاه البصرة والأبلة وهذه الحركة الدائبة استمرت بقوتها حتى القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، ثم ضعفت حتى القرن الرابع عشر الهجري "العشرين الميلادي" والآن أخذ دورها يعود ثانية منذ نصف قرن كما ذكرنا[٤٦] وهناك موانئ صغيرة على ساحل مكران والسند كانت تأتي إليها السفن المحلية الصغيرة التجارية وغيرها أما ميناء التيز فكانت السفن الكبيرة والعالمية ترسو به، وهذه السفن الضخمة كانت تدفع ضرائب للميناء فالسفن الصينية تدفع ألف درهم، أما السفن الإسلامية العربية فكانت تدفع عشرة دراهم إلى درهم واحد إكراماً للعرب، أما بعد الفتح الإسلامي، فقد خصصت ضرائب معينة معروفة[٤٧] .

الطرق البرية إلى تيزمكران

لم تقل الحركة التجارية البرية قدراً عن التجارة البحرية، فكانت القوافل أو صاحب البريد ينطلق من بغداد مروراً بالبصرة والأهواز وشيراز . ثم سيرجان ونرماشير، وفهرج، وبربور وقصر كند "كسرقند" حتى يصل إلى تيزمكران ثم يتابع سيره إلى كيزوكلوان "كلوا حالياً" وهي آخر حدود مكران، ثم راهوق وهي أول مدن السند وأرمابيل "ليس بيله" وديبل وهكذا شرقاً[٤٨] أما القوافل التي تنطلق من التيز محملة بالبضائع ومتجهة إلى كيز، فمن كيز تأخذ مسارين شرقاً إلى أرمابيل مباشرة وقمبلي "هب حالياً" حتى تصل ديبل أو تتجه من كيز باتجاه الشمال الشرقي فتصل فنزبور "بنجكور" ومنها إلى ديبل مباشرة . أو تأخذ مساراً من فنزبور إلى

قصدار أو الشمال الغربي إلى الفهرج من إقليم كرمان[٤٩] وهناك طريق شمالي مباشر من التيز إلى سيستان أو هرات[٥٠] أو من التيز إلى قندهار ثم كابل ومن كابل إلى ملتان أو من قندهار تسير القوافل مباشرة إلى الملتان[٥١] .

صادرات ميناء التيز

إلى جانب تبادل السلع الآتية من الشرق والغرب ثم تصديرها إلى مناطق مختلفة برية وبحرية . فقد كانت هناك سلع محلية خاصة من المواد الغذائية، إذ كانت تصدر إلى الأقطار المنتوجات الزراعية مثل قصب السكر "قند" والفانيد المشهور "سكر النبات" والنارجيل، والقنا، والخيزران، والتمر، ورماح مكران مشهورة وتصدر عن طريق التيز إلى جميع الأقطار[٥٢] وأسماك خليج التيز مشهورة، وهي أجود الأنواع عالمياً وكانت تصدر إلى الخارج[٥٣] يقول ياقوت عن مكران، وهي معدن الفانيذ ومنها ينقل إلى الآفاق وأجوده الماسكاني، أحد مدنها وقصب السكر والتمر[٥٤] ومن المنتجات الزراعية الأرز، فكانت أيضاً تصدره إلى المناطق الإسلامية[٥٥] .

العملة

حولت الخلافة الإسلامية في عهد عبد الملك بن مروان رحمه الله التعامل عن العملة الفارسية والبيزنطية "الدرهم والدينار" إلى السكة الإسلامية فكانت تضرب في كشمير من عواصم الأقاليم الإسلامية سواء في عهد الأمويين أو العباسيين أو الدول المتعاقبة ويذكر اسم الوالي والإقليم والفترة في العملة كما كان الدينار اليوسفي واليعقوبي المعروف نسبة إلى ولاة الأمويين في العراق لوجود معدن الذهب والفضة في العراق وهكذا في كثير من المناطق الإسلامية مثل برهمان آباد المنصورة "حيدر آباد الباكستانية حالياً" من العصر العباسي والأمثلة كثيرة إلا أنه لم يثبت إصدار عملة مستقلة باسم حاكم إقليم مكران في التيز في صدر الإسلام ربما لقلة المصادر المالية ولقلة هذا المعدن الثمين، ولم يجد الباحثون شيئاً من ذلك حتى القرن الثالث عشر الهجري "التاسع عشر الميلادي" ١٢٣٧هـ - ١٨٢١هـ[٥٦] .

وبسبب هذه الحركة التجارية العالمية التي كانت تدر لأهل تيزمكران وعلى الإقليم كله، إلى جانب الدخل الآخر فقد كانت الخلافة تجبى من إقليم مكران إلى بغداد في عهد العباسيين مليون درهم سنوياً حتى ٢٠٤هـ (٥٧) .

الفتح الإسلامي لميناء تيزمكران

كانت أراضي منطقة مكران أهم المعابر البرية والبحرية للقوافل والتجار ثم للجيوش العابرة من الشمال إلى الشرق أو العكس كما حصل في عبور الإسكندر المقدوني قبل الإسلام عند عودته من الهند سنة ٣٢٦ قبل الميلاد(٥٨) .

وكذلك أصبحت هذه الأراضي المعابر الرئيسية للجيوش الإسلامية وأصبحت بيد المسلمين العرب لأكثر من ثلاثة قرون حتى نهاية القرن الرابع الهجري "العاشر الميلادي"(٥٩) فالفتوحات الإسلامية للهند والسند ومكران أخذت ثلاثة مسارات : الجيوش البرية تعبر الكوفة والبصرة وإقليم فارس وكرمان حتى تصل مكران ثم السند فتأخذ طريق القوافل في فتحها لمكران أو السند .

أما ما كانت تنطلق من الخليج بحراً متجهة إلى مكران أو السند فتنزل على الساحل الفارسي جنابة أو سينيز أو سيراف ثم تأخذ الطريق البري كما سبق . والمسار الثالث الجيوش البحرية التي هاجمت موانئ الهند : تانه أو ديبل وغيرهما .

فكانت تنطلق من موانئ عمان : صحار ومسقط وقلهات ودبا وهكذا فكانت أولى الحملات في عهد سيدنا عمر ﷺ سنة ٢٣هـ بقيادة الحكم بن عمرو التغلبي وهو صحابي جليل ومعه كثير من الصحابة فكان مساره عن طريق البر وحين وصول الخبر إلى أهالي مكران استنجدوا بملك السند(٦٠) فأمدهم ملك السند وكان آنذاك آخر ملوكهم وهو داحر بن جج بن سيلانج البرهمي وهذه الأسرة حكمت قرابة ثمانين عاماً حتى قضى عليهم محمد بن القاسم الثقفي نهائياً سنة ٩٣هـ - ٧١٢م(٦١) .

فأمدهم هذا الملك بجنود وفيلة وأعتدة أخرى يقول الطبري فانتهوا جميعاً إلى دوين النهر وقد انفض أهل مكران . فاقتتلوا حتى نصر الله المسلمين

وأرسل الحكم صحار العبدي بخبر النصر مع الغنائم إلى عمر ﷺ وكان من شأن سيدنا عمر أن يسأل عن كل قادم إلى المدينة عما جرى للمسلمين في المنطقة التي يقدم منها وعن صفة البلاد والعباد فقال صحار العبدي أمام عمر ﷺ "*هي أرض سهلها جبل، وماؤها وشل، وتمرها دقل، وعدوها بطل، وخيرها قليل، وشرها طويل، والكثير فيها قليل، والقليل فيها ضائع وما وراءها شر منها*" . فقال عمر : "*لا والله لا يغزوها جيش لي ما أطعت*"[٦٢] وقد تضاربت الروايات وذكر المؤرخون أسماء قيادات وحملات كثيرة في عهد سيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا علي ومعاوية ﷺ بمختلف الأزمنة فمن الصحابة والتابعين من قاد الجيوش وفتح مناطق فاستشهد أو قتل ومنهم من عاد إلى دار الخلافة وأناب عنه آخر في مكران حتى حدود السند طوران "قصدار وقيقان وقندابيل" فكثرة الحملات، التي تدل عليها تلك الروايات، كانت إما بسبب نقض العهود والخروج على الخلافة مرات من المناطق المذكورة . أو أن المسلمين حاولوا التقدم سنة بعد سنة إلى اتجاه فتح السند فلم تستقر الأحوال حتى فتح الله على المسلمين السند كلها على يد محمد الثقفي رحمه الله .

وحين نذكر فتح مكرانٍ أو السند باعتبار تيزمكران جزءاً رئيسياً من إقليم مكران فما حصل للإقليم حصل لميناء تيز . وهذه أسماء بعض القادة للجيوش الإسلامية أو بعض الولاة والأمراء لإقليم تيزمكران ومكران عامة، وبعض أجزاء السند منهم من قاد معارك في شمال مكران مع القفص والبلوص، ومنهم من توغل حتى وصل بلاد البدهة :

١ - الحكم بن عمرو التغلبي وسهل بن عدي الأنصاري سنة ٢٣هـ - ٦٤٣م.

٢ - عبيد الله بن معمر التميمي ٢٩هـ - ٦٤٩م .

٣ - مجاشع بن مسعود السلمي ٣١هـ - ٦٥١م .

٤ - سعيد بن كندير القشيري سنة ٣٥هـ - ٦٥٥م .

٥ - الحارث بن مرة العبدي ٣٨/٣٩هـ - ٦٥٨/٦٥٩م .

٦ - عمر بن عبيد الله بن معمر التميمي ٤١هـ - ٦٦١م .

ـد بن عمرو العبدي ٤٢هـ –
٦م وفي رواية من ٥١/٥٣هـ –
٦٧٦/٦م.

د الله بن سوار العبدي ٤٣هـ –
٦م والولاية الثانية ٤٧هـ –
٦م واستشهد فيها وفي رواية
انت ولايته من ٤٦/٤٩هـ
٦٦٩/٦م .

نان بن سلمة الهزلي ٤٨هـ –
٦م وفي رواية أنه كانت ولايته
لى سنة ٤٩/٥١هـ ٦٦٩/٦٧١م
لاية الثانية ٥٣/٥٧هـ –
٦٧٦/٦م .

نذر بن جارود العبدي٦١هـ –
٦م وقيل منذ ٥٩/٦٣هـ –
٦٨٢/٦م .

حكم بن المنذر بن جارود
دي ٦٣/٦٤هـ – ٦٨٢/٦٨٣م .

عيد بن أسلم الكلابي ٧٥/٨٠هـ
٦٩٩/٦م وبعد سعيد تولى
وارج المعروفون بالعلاقيين أمر
ـران منذ ٨٠/٨٥هـ –
٧٠٤/٦م وقد قتل العلاقيون
لي سعيد بن أسلم واستمروا في
كم حتى أرسل الحجاج الوالي .

١٣ – مجاشع بن سعد التميمي ٧٦هـ – ٦٩٥م وقبل ٨٥/٨٦هـ ٧٠٤/٧٠٥م .

١٤ – محمد بن هارون النمري سنة ٨٠هـ – ٦٩٩م وأصح الروايات أنه تولى ٨٦/٩٢هـ – ٧٠٥/٧١٠م .

١٥ – محمد بن القاسم الثقفي ٩٣هـ – ٧١١م فقد توجه من العراق سنة ٩٢هـ – ٧١٠م ماراً بشيراز وكرمان حتى وصل مكران والتقى بواليه محمد بن هارون وأقام أياماً ثم توجها إلى ديبل لفتحها وفي طريقها واجها مقاومة من أهالي فنزبور لكن الله نصرهما عليهم ثم تقدما إلى أرمابيل وأدركت الوفاة الوالي محمد بن هارون هناك ودفن بها وبعدها توجه الثقفي إلى ديبل ففتح الله عليه ذلك والسند كلها واستقرت الأمور في تيزمكران والإقليم عامة فأصبح والي التيز ومكران يقيم بفنزبور، وأصبحت المركز الإداري والتجاري والسياسي لإقليم مكران(٦٣) .

د. إبراهيم عطا الله البلوشي
أستاذ التاريخ الإسلامي
بجامعة الإمارات العربية المتحدة

الهوامش

١ - تاج العروس جـ ٤ ص ١٢ . وأطلق هذه التسمية على الميناء وذلك بسبب الحركة التجارية الدائبة للسفن من وإلى الهند والشرق والغرب . يقول الزبيدي .... الخ

٢ - Encyclopedia Of Islam . Brill, 1991 .V. V1 , P.192-3

٣ - C.E. Bosworth : Studia Iranica :Rulers of Makran And Qusdar In The Early Islamic Period, London, 1994 P. 199.

٤ - كامل القادري : قديم بلوجستان، كراجي ١٩٧١م ص ٩١ - ٩٤ .

♦ وسميت زاهدان (ماء اللصوص) لأن صحراء سجستان ليس بها ماء ولا بشر، فكان قطاع الطرق يزودون أنفسهم من هذا الماء إلى أن عمرت المنطقة . ووصف المنطقة ولصوصها موجود في المصادر الإسلامية .

٥ - تاريخ الرسل، القاهرة ١٩٦٣م جـ ٤ ص ١٨١ - ١٨٢ .

♦ الكامل بيروت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م جـ٣ ص٩٩ - ١٠٠، جـ٤ ص٥٣٧

♦ البلاذري : فتوح البلدان، بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ص٤٢٠ - ٤٢٣ .

♦ A.W. Hughes : The Country of Baluchistan, Quetta Pakistan, 1977, P.61

♦ G.N.Curzon : Persia And The Persian Question, London, 1966. V.2 P. 264, 266.

♦ Sykes : History of Persian. London, 1915 V.1 P. 298.

♦ A.T. Wilson : Persia, U.S. 1933 P.10.

♦ Muhammad Sardar Khan Baluch : The Great Baluch, Bakistan, Karachi, 1965. P.55.

وبمبور أكبر مدينة في مكران، وهي مدينة أثرية قديمة وقد مر بها الإمبراطور الإسكندر المقدوني، حين عودته من الهند ٣٢٦ ق. م . ونهر بمبور الذي يطلق عليه "هليل رود" - تجتمع مياهه في خليج هامون - "جازموريا" وعمق وادي هليل ١٩٠٠ قدم ولا يعرف نهر بهذا المستوى مكران إلا هذا النهر، وهو شمال بمبور بثلاثة أميال، راجع :-

◆ G.N.Curzon : Persia And The Persian Question, V.2, P. 264 - 266.

◆ Sykes : History of Persian. London. V.1 P. 298 A.T. Wilson : Persia. U. S. 1933, P. 10.

◆ Muhammad Sardar Khan Baluch : The Great Baluch, Bakistan, 1965, P.55.

٦ – جريدة جنك JANG ، العدد الخامس، كراجي ١٩٩٥/١/٢٧م ص٥ – صاحب المقالة، سليم إيم ميان بعنوان "جوادر في التاريخ" .

٧ – ◆ J.M. Kinneir : Geographical Memoir of The Persian Impire, London, 1813

◆ G.N. Curzon : Persian, V.2 P. 257- 8. P. 206

وجابهار هذه بنى الشاه بها سنة ١٩٧٠م أكبر قاعدة عسكرية بحرية وجوية في المحيط الهندي بل وفي الشرق الأوسط.

◆ Asdulla Alam : The Shah and I London1991. P. 105- 6.

٨ – Lorimer : Gazetteer of The Persian Gulf, Geography Part. India 1970. V.2 P. 1145, 1147, 1155.

ولمزيد من المعلومات عن القلعة والآثار بتيزمكران، راجع :

◆ أحمد اقتداري : آثار شهرهاي باستاني، تهران ١٣٤٨هـ ص٣٩٦ – ٤٠١ . وتبعد جابهار عن إيران شهر ٢٢٠ كم وعن طهران ٢٤٠٦ كم عن طريق زاهدان وكرمان كما أنها تبعد عن كرمان ١٢٧٣ كم وعن زاهدان ٧٥٦ كم .

◆ فرهنك جغرافي إيران، جـ٨ ص ١٠٨ .

٩ – J.M. Kinneir : Geographical, P. 206 .

١٠ – Sykes : History of Persia, 1912 V.2 Map. S.O. No. 369.

١١ – ذبيح الله ناصح : بلوجستان، طهران ١٩٦٦م ص ١٧٧ .

١٢ – سبهد أمان الله : سر كزشته بلوجستان، ص ٩٦ .

١٣ – Mir Ahmad Yar Khan : Inside Baluchistan, Karachi 1975, P. 58.

١٤ – المقدسي أحسن التقاسيم، ليدن ١٩٠٦م، ص ٤٧٨ . والرباطات هي الفنادق في العصر الحاضر، فكانت موجودة في المدن والمراكز التجارية والموانئ الرئيسية وهي جمع أربطة .

١٥ – خان بهادر خداداد خان : لب تاريخ سند، كراجي ١٣٧٨هـ – ١٩٥٩م ص ١٤ – ١٦ .

١٦ - الطرازي : الموسوعة الإسلامية لبلاد السند والهند، السعودية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، جـ٢ ص١١١ .

١٧ - ابن حوقل : صورة الأرض، ليدن، ١٩٣٩م ط ٢، ص ٣٢٣ .

١٨ - المباركبوري : العقد الثمين في فتوح الهند . بمبي ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م ص ١٥ - ١٧ .

◆ Mir Ahmad Yar Khan : Inside Baluchistan Karachi, 1975 . P. 58.

١٩ - ابن حوقل : صورة الأرض، ص ٣٢٣، ٣٢٨ -

◆ إيرج سيستاني سيستان بلوجستان، تهران ١٣٦٣هـ ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

٢٠ - سيروس نيساري : كليات جغرافي إيران، تهران ١٣٥٠هـ - ١٩٧١م ص ٨٨ .

◆ ذبيح الله : بلوجستان، ص ١٧٧ - ١٧٨، ١٨٣ .

◆محمد برقعي : نظري به بلوجستان، سفر نامه طهران، ١٣٥٠هـ - ١٩٧٨م، ص ١٦٢ .

٢١ - ◆ M.A. SHAH : Sardari Jirga in Baluchistan. Pakistan Quettan 1992. P. 5,12.

◆ Mir Khuda Bakhsh Marry : Search Light on Baluch. And Baluchistan Pakistan Quetta, 1977 P. 7370.

٢٢ - معن العجيلي : بلوشستان ديار العرب ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ص ١٣٤ .

٢٣ - M. Sardar : History of Baluch, P. 230.

٢٤ - ذبيح الله بلوجستان، ص ١٧٧ - ١٧٨ .

٢٥ - كتابشناسي : أطلس جيبي، إيران، ص ١٣٠ وفي العصر الحاضر يعتبر ميناء جابهار "التيز" مركز الإقليم ويتبعها عدة قرى ومدن، مثل مدينة دشتياري عدد سكانها ٢٠,٠٠٠ فرد في القرن الثالث عشر الهجري "التاسع عشر الميلادي" والتي تبعد عن جابهار "تيزمكران" ٧٢ كم . ومدينة نيكشهر ١٦,١٠٦ أفراد وتبعد عن جابهار بـ ١٦٢ كم ومدينة قصرقند ١٠,٢٣٣ فرداً وتبعد عن جابهار بـ ٢٣٤ كم

راجع : سبهد أمان الله : سركز شته بلوجستان، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

٢٦ - Donald N. Willer : Pakistan Its People Its Society. U.S. 1963, P55

٢٧ - الأصطخري : المسالك والممالك، بريل ١٨٧٠م، ص ١٦٤ .

٢٨ - أحسن التقاسيم، ص ٤٧٨ .

٢٩ - Saeed Abdulqadir : The Tribal Baluchistan, Pakistan 1990. P.75

ن التقاسيم، ص ٤٨٢ .

Mir Ahmad Yar Khan : Inside Baluchistan Karachi, 1973 . P61

Lorimer : Gazetteer of The Persian Gulf, V.2, P. 1137 .

Hilary Adamson : Traveling to Pakistan, Pakistan 1981. P.328.

طخري : المسالك والممالك، ص ١٧٧ .

سي : أحسن التقاسيم، ص ٤٨٢ .

ازي : الموسوعة . جـ ٢ ص ١٤٦ .

ي عبد الرحمن صابر : مكران تاريخ كي أهينة مي، كراجي ١٩٦٧م ص ١٠٢ .

◆ Richard. N. Frye : The Golden Age of Persia London, 1975. P. 96.

Bosuworth : Journal of The British Institute of Persian Studies, Qufchis in Persian History XIV, 1976. V.2 P.9.

Mexsellany : Pakistan, Karachi, 1958 VII, P. 11

ة المشتاق : روما، ١٩٦٦م ص ١٧٣ .

لبيروني : تحقيق ماللهند من مقولة، حيدر أباد، الهند ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م ص ١٦٧ . وكيز هـي بت حاليا تبعد عن التيز بخمس مراحل ومن كيز إلى فنزبور مرحلتان، ومن أراد من فنزبور إلى ز فطريقه على كيز ومن التيز إلى البدهة وهي منطقة كيز كانان "قلات وكجي" حاليا في عشرة .

راحل الأصطخري : المسالك، ص ١٧٨ – ١٧٩ .

ع الطرازي : الموسوعة، جـ ٢، ص ١٠١ فضلو حوراني : العرب والملاحة في المحيط الهندي، مرة، ١٩٥٨م ص ٢٠٩ .

، وتاريخها البحري : وزارة الإعلام، سلطنة عمان، ص ٣١ – ٣٢ .

اني : العرب والملاحة، ص ٢٠٩ .

ازي : الموسوعة . جـ ٢ ص ١٠١ .

M. Sardar Khan Baluch : History of Baluch, Karachi, 1958. P181/1

R. Roolvink and Others : History , Atlas, Amsterdam 1957 P.17/

ازي : الموسوعة، جـ ٢ ص ١٠١ – ١٠٢ .

طخري : المسالك، ص ١٧٦ – ١٧٧ .

◆ الطرازي : الموسوعة جـ ٢ ص ١٠٣، ١٨٦ .

٤٩ – كي، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، ت : بشير وغيره بيروت ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م ط ٢، أنظر الخارطة رقم ٧ ص ٣٦٠ – ٣٦١ .

٥٠ – باستاني باريزي : يعقوب ليث، طهران ١٣٤٤هـ ص ٨٧ .

٥١ – R. Roolvink : History Atlas, P. 18.

٥٢ – الطرازي : الموسوعة جـ ٢ ص ١٠٥

◆ ابن الفقيه : كتاب البلدان ليدن ١٣٠٢هـ ص ٥٠ .

٥٣ – Mir Khan : Inside, P. 47.

٥٤ – معجم البلدان : جـ ٥ ص ١٨٠ .

◆ راجع الأصطخري : المسالك ص ١٧٧ .

٥٥ – Bosworth : Roler of Makran, P. 200.

٥٦ – Bosworth : Same P. 204. H. 20.

٥٧ – أبو الفرج البغدادي : كتاب الخراج، بريل ١٨٨٩م ص ٢٣٦، ٢٤٢ .

٥٨ – A.T. Wilson : Persia. U.S. 1933. P. 10.

◆ P.M. Sykes : History of Persia, P. 12, 277, 297.

٥٩ – M.A. Shah : Sardary, P. 12 - 13.

٦٠ – الطبري : تاريخ الرسل، القاهرة ١٩٦٣م جـ ٤ ص ١٨١ – ١٨٢ .

◆ المباركبوري : العقد الثمين ص ٥٠ .

٦١ – خان بهادر خداداد خان : لب تاريخ سند ص ١٤ – ١٦ .

٦٢ – الطبري : تاريخ الرسل، جـ ٤ ص ١٨١ – ١٨٢ .

◆ ابن الأثير : الكامل، جـ ٢ ص ٥٥٤، جـ ٣ ص ٤٥ – ٤٦ .

وقد سبق أن ذكرنا عن النهر وموقعه حسب الروايات التي هي أقرب للصواب، لأن المؤرخين والجغرافيين القدامى لم يذكروا موضع ومسمى النهر، وإنما مجموع الروايات تدل على النهر المسمى بنهر بمبور "بربور قديما" وهناك رواية في مرجع متأخر تذكر أن النهر هو نهر مهران "نهر السند" .

◆ الطرازي : الموسوعة، جـ ١ ص ١٣٣ – ١٣٤ .

ـع المباركبوري : العقـد الثمـين، ص ٥١، ٥٢، ٧١، ٧٤، ٨١، ٨٤، ٩٤، ٩٩، ١٠١، ١١٠، ١، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٧، ١٥١ .

الزركلي : الأعلام، بيروت ١٩٧٩م ط ٤، جـ ٢ ص ١٥٧، جـ ٥ ص ٢٧٧، جـ ٧ ص ٢٩٢ .

ابن الأثير : الكامل، جـ ٣ ص ٩٩ - ١٠٠، ٤٣٧، جـ ٤ ص ٣٨٠، ٥٣٧ .

البلاذري : فتوح، ص ٤٢٠ - ٤٢٤ .

الطرازي : الموسوعة، جـ ١ ص ١٤٨ - ١٥٩ .

نفصل في جانب الفتح الإسلامي لمكران حيث كتبنا عنها في البحث العلمي عن ميناء ديبل ـاشي" .

تاريخ الخليج والبحا

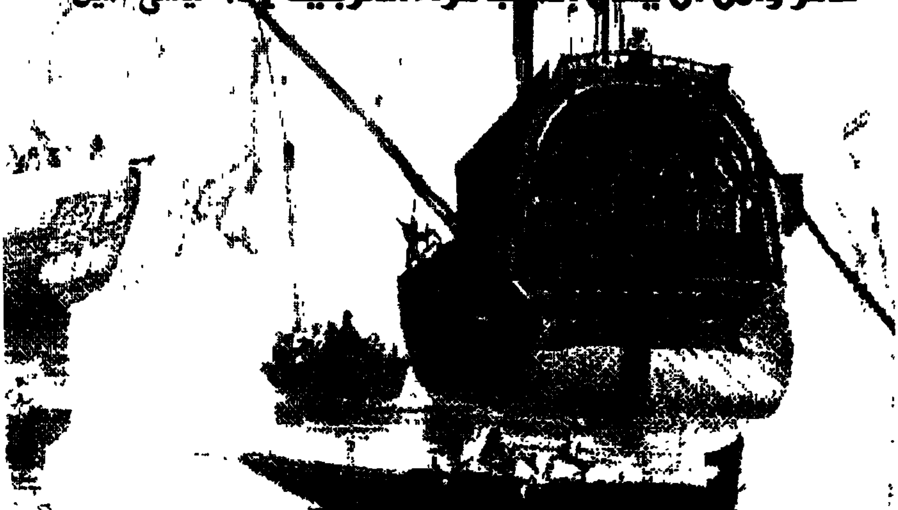
ملوك هرمز ومقتطفا

ترجمه إلى الإنجليزية ويليام إف سنكلير

(متقاعد من ديوان موظفي الحكومة الإنجليزية في بومبي)

ونقله إلى العربية الدكتور عيسى أمين

[حباً في معرفة تاريخ الخليج، ورغبة في دراسة أصول التدخل الأجنبي وأسبابه، أقدم هذه الترجمة لكتاب نادر وآمل أن ينال إعجاب قراء العربية] د. عيسى أمين



أسفار بيدرو تينحسيرا "٢"

كتاب ملوك فارس

" قدمنا في العدد ٣١ من الوثيقة الجزء الأول من هذا الكتاب النادر الذي يترجم لأول مرة إلى العربية . . ويسعدنا أن نقدم على هذه الصفحات الجزء الثاني منه راجين أن يحقق الهدف وأن يميط اللثام عن كثير من الأحداث التي دارت على الساحة، خاصة وأنه كتب بقلم شاهد عيان "

[الوثيقة]

إننا نعلم الآن ومن قراءتنا للفصل السابق أن بيدرو تينحسيرا قضى زمناً طويلاً في هرمز تعلم فيه اللغة الفارسية وترجم ملحمة توران شاه(١) – (ملوك هرمز) وملخص تاريخ فارس (مخطوط ميرخوند).

[illegible] عاد رحالتنا إلى البرتغال في ١٦٠١م أحضر معه التراجم المذكورة [illegible] وبسبب عودته السريعة مرة أخرى إلى الهند لأمور مالية تخصه لم [illegible] حيث استقر في [illegible] ١٦٠ [illegible] – ١٦٠٩م ونشر ما كتبه من ملحمة [illegible] إلى فترة دخول العرب إليها . وذلك بعد [illegible]صوله على تصريح بذلك . واستجابة لبعض الأصدقاء قام بنشر تاريخ ملوك [illegible]رس باللغة الأسبانية بدلاً من البرتغالية . وأضاف إليه كتاباً آخر وبنفس [illegible]لغة عن رحلاته وأسفاره [illegible] أبريل ١٦٠٩م .

في عام ١٩١٠م خرج كتاب تينحسيرا إلى الناس عامة بمقدمة جميلة تذكر أسفاره ومحتوى الكتاب وقد لاقى هذا الجهد استحسان القراء واستخدم الكتاب كمرجع لهم عندما كتبوا عن الشرق وخاصة فارس . وبعد وفاته بفترة قصيرة خرج كتابه مرة أخرى بلغة ثانية (الفرنسية) وفي النهاية جاءت الترجمة الإنجليزية بواسطة الكابتن جون ستيفنز .

كانت ترجمة ستيفنز مجزأة غطى الجزء الأول منها الفترة (١٦٠٠ - ١٦٠١م) و (١٦٠٣ - ١٦٠٥م) من أسفار تينحسيرا ونشرت هذه الترجمة في سلسلة مقالات شهرية في مجلة [المجموعات الجديدة للرحلات والأسفار] والمطبوعة في لندن في بداية ديسمبر ١٧٠٨م واستمرت إلى عام ١٧١٠م .

هذه المجموعة من المقالات أعيدت طباعتها مرة أخرى في ١٧١١م وكانت هذه المقالات تحمل عنواناً مثل "رحلة بيتر تينحسيرا من الهند إلى إيطاليا عن طريق البر" أما باقي الترجمة (ترجمة ستيفنز) فقد عادت للظهور في سنوات تالية في كتاب تزين غلافه مناظر ترمز إلى تاريخ فارس - ويحمل عنواناً طويلاً هو "تاريخ فارس الحاوي على سيرة وأعمال ملوكها منذ نشأة الملكية حتى يومنا هذا" شرح مفصل للمناطق الفارسية ووصف للهند والصين وبلاد التتار وكرمان وجزيرة العرب ونيسابور وجزر سيلان والتيمور والمدن الكبيرة مثل شيراز ، سمرقند ، بخارى ، وعادات وطباع الفرس من عبدة النار ، والأشجار والحيوانات والمنتوجات التجارية . وصف لطرق دفن الموتى الغريبة وحرق الموتى ، ومشروبات الدول المختلفة ، والصيد البري والبحري ، والفيزياء وأشهر الأطباء في الشرق ، ومنجزات تيمورلنك ، وملخص ملوك هرمز ، وتاريخ فارس المكتوب بالعربية بواسطة المؤرخ الفارسي الشهير (ميرخند) وتاريخ هرمز الذي كتبه توران شاه ملك جزيرة هرمز ومترجم إلى الأسبانية بواسطة "أنطونيو تينحسيرا الذي قضى عدة سنوات في فارس والهند ، وقد ترجمت هذه الأعمال إلى الإنجليزية الآن بواسطة الكابتن جون ستيفنز في لندن" . والذي يحاول إضافة تاريخ فارس حتى بداية القرن الثامن عشر . أما تينحسيرا فإنه يعطي شرح

موجزاً لمقاطعات فارس وشجرة أنساب ملوك الفرس مع شرح مطول عن تاريخ هرمز .

أما في الكتاب الثاني فإن ستيفنز استطاع اختصار الفصول في كتاب تينحسيرا (تاريخ فارس) من تسعة وخمسين فصلا إلى ثمانية وأربعين ، ولذا نجد أن إعادة فهرسة كتاب تينحسيرا أصبحت كالتالي :

١ - ترجمة مختصرة لمخطوط ميرخوند (تاريخ فارس) ورغم احتواء تلك الترجمة على عدة أخطاء إلا أن الفضل يعود إلى تينحسيرا في تعريف العالم الأوروبي بهذا الفرع من المعرفة .

٢ - ترجمة مختصرة أخرى للشاهنامة (المفقودة) والتي كتبها توران شاه ونقلها تينحسيرا وله يعود الفضل مرة أخرى حيث أنها الوحيدة الموجودة الآن . ولقد اعترف بفضله الباحث السير هنري يول (Sir Henry Yule) وأكد أهميتها .

٣ - ملخص لأسفاره ١٦٠٠ - ١٦٠١م و ١٦٠٤ - ١٦٠٥م والتي نستشف منها أنه كان ذا عيون راصدة ، وشديد المراقبة ، ودقيق في التسجيل والنقل .

٤ - مجموعة من المعلومات أدخلها تينحسيرا في كتابه (ملوك فارس) رغم عدم ترابطها مع موضوع الكتاب واحتوائها على معلومات عن طبيعة آسيا وأفريقيا والأصول السكانية فيهما والتاريخ الطبيعي والدوائي وملاحظات شخصية أخرى ، سواء شهدها أو نقلاً عن رواة آخرين ولكن جميعها ذات فائدة للدارسين .

لقد كانت وفاة السيد دبليو إف سينكلير (W. F. Sinclair) سبباً في عدم اكتمال الترجمة الأخرى لكتاب تينحسيرا ولكننا نستطيع أن ننقل رأيه من الأوراق التي تركها لنا حيث يقول في يناير ١٨٩٩م :

" إنني أنظر إلى تينحسيرا على أنه كان شاهداً ممتازاً ومراقباً ثاقب النظر ، ولكنني لا أستطيع أن أجزم - حالياً على الأقل - وأؤكد حقيقة كل ما كتبه (رغم ثقته الشخصية الكاملة) ولكن ورغم ذلك فقد ترجمت أسفاره دون حذف أي شيء منها .

لقد قمت بترجمة الشاهنامة الخاصة بتوران شاه لأنها النسخة الوحيدة الآن .

أما بالنسبة (للملوك الفرس) فإن قيمته الآن أصبحت دون الترجمة الموجودة لكتاب (روضة الصفا) . "

يعود السيد سينكلير ليكتب في ٢٣ يناير ١٨٩٩م قائلاً "**إنني أعتبر تينحسيرا من الرحالة الأوائل في العالم** " .

وفي فبراير من نفس العام يضيف قائلاً *"أنه مسافر محظوظ لأنه احتفظ بأجزاء بسيطة من الشاهنامة المفقودة في هرمز"* .

في مايو ١٨٩٩م يؤكد *" أن تينحسيرا كان حريصاً ودقيقاً كما هو متوقع اليوم من الرجال أمثاله "* .

إنني أقدم كل اعتذاري للدارسين والباحثين إذا ما وجدوا أن الأسماء المترجمة غير مقبولة حيث أنني قمت بالترجمة من العربية والفارسية وحاولت أن أعطي الأسماء قدراً كبيراً من الاهتمام لتطابق الواقع والمسميات الأصلية .

مقدمة جون ستيفنز لكتب بيدرو تينحسيرا

(ملوك فارس) و(ملوك هرمز) المترجمة

مع مقدمة كاملة لكل الأعمال

تعتبر فارس الآن ولعدة قرون مضت من أعظم الإمبراطوريات الشرقية ، ومع ذلك فإن المعلومات المتواجدة عنها (وباللغة الإنجليزية) تكاد تكون مجزأة ومحدودة - فهناك عدة مقالات عن هذا الجزء من العالم كتبت بواسطة الرحالة وتناولت حياة الناس وطبيعة البلاد وآخر الملوك الفرس ، هذا إلى جانب معلومات محدودة في التاريخ التركي وكتب أخرى تذكر دخول التتار إلى فارس .أرجو أن يسمح لي القارئ لعدم وجود الفصلين الأول والثاني والخاصين برحلة تينحسيرا من الهند إلى إيطاليا لذا سوف أترجم الفصل الثالث .

الفصل الثالث

كيف سافرت من هرمز ووصلت إلى أعالي الخليج

وعبرت دجلة والفرات إلى مدينة البصرة

قمنا بالاستعداد مرة أخرى والتزود في هرمز مرة أخرى وابتدأنا سفرنا في ١٧ يونيو آملين في رحلة موفقة هذه المرة ،قد أكدوا لنا أن الرياح الجنوبية الغربية أقل سرعة ومتقطعة الآن - وبالفعل وجدنا الفرق ولكن ليس بالصورة المؤملة .

هذه المرة توجهنا في مسار بحري مقابل لجزيرة قشم وبمحاذاة نفس الساحل مثل المرة السابقة وتجاوزنا المياه الضحلة (الخان)[٢] وبعدها إلى قلعة (ريشل)[٣] في المنطقة المشهورة بالخبز والفواكه والخضار ، وتتبع هذه القلعة

الملك أو الشاه الفارسي وهي محصنة ويقيم فيها العساكر - ومن هناك توجهنا شمالاً إلى (ريخ سيف الدين)[٤] والمقصود به رمال سيف الدين ، وتسكن هذه المناطق الجماعات العربية والموالية لشاه الفرس ولكنهم يعترفون ويتعاملون مع البرتغاليين ويحملون معهم أوراقهم الخاصة ، أو جوازات سفرهم وإلا تعرضوا للهلاك بواسطة السفن البرتغالية .

لقد كانت العلاقة بين رجال (بندر ريخ) والبرتغاليين سيئة جداً وذلك بسبب حوادث سابقة . لذا وجدنا السكان قد هربوا عندما شاهدوا الغلايين المرافقة لنا .

وتقع جزيرة خرج في موقع مقابل لبندر ريخ وعلى بعد ثلاثة فراسخ (تسعة أميال) من الشاطئ وتعتبر ملجأ جيداً ضد الرياح الشمالية الغربية - وتغطي مساحة كبيرة منها الجبال الصخرية ، مع توافر المياه ، وبها أشجار النخيل ومزارع البصل وكثير من الأغنام والماعز ، وتصدر منتجاتها إلى البصرة .

يعتبر أهالي جزيرة خرج من الأعراب الموالين لشاه فارس .

لقد توقفنا في هذه الجزيرة في ٢٥ يوليو ولمدة أربعة أيام بسبب الرياح . وعلى الساحل المقابل تقع المناطق المرتفعة من الأراضي الفارسية والتي تتجه عند هذه النقطة إلى محاذاة الساحل وتعود لتختفي مرة أخرى إلى الداخل كلما بعدنا عن هذه الجزيرة إلى أن نصل إلى مناطق دونها مستوى اليابسة و نكاد لا نراها مرة أخرى .

وعند عبورنا بندر ريخ ، أو ريخ سيف الدين و رشتل ، شاهدنا مصبات الأنهار فيها[٥] .

اتجهنا غرباً بعد ذلك وفقدنا اليابسة ليس لبعدها ، لكن بسبب انخفاض مستواها عن البحر - ومن هنا كان قبطان سفينتنا من أهالى جزيرة خرج ورغم أنه قبطان معروف ومشهور بمعرفته للمسارات الضيقة ، إلا أنه كاد أن يجنح بسفينتنا إلى اليابسة في منطقة تسمى (الخراب)[٦] ويقال أنها كانت مدينة قديمة قد غطاها البحر، وكان عرض المنطقة المذكورة أربعة فراسخ ولكن عبورها يحتاج حيطة كبيرة وسفينة في المقدمة للتأكد من عمق البحر .

ول أغسطس وصلنا إلى شط
يسمي العرب النهر المشهور بـ
النهر الأصغر [خور] أو [ود] .
د في الأسبانية [ود الكير]
نا] وهي تعني نفس الشيء .

الشط ناتج عن التقاء دجلة
في منطقة القرنة ، ومنها وعلى
ة أيام تقع البصرة .

القرنة وجدنا قلعة تركية
القوات المقيمة بها بالمسارات
قريبة منها والتي تتوزع إلى
والجنوب ، علما بأن المناطق
تابعة لمبارك بن مطلب الزعيم
المعادي للأتراك وتقع أراضيه في
الفارسية ولكنه يطالب بها
أيضاً .

إلى جانب وجود مدن متميزة
ـه مثل الحويزة والدورق
، هذه المدن تحيط بها مناطق
اسعة ولكن لا يعتني أحد بها
هجمات الأتراك ، أما المناطق
ـة والواقعة في مناطق النفوذ
فهي تمتاز بنخيلها وبساتينها .

ـني النهر عند مصبه حنية
كنه يعود إلى مجراه الطبيعي
بته ويكاد يغطي مساحة ميلين

في العرض وستة أبواع في العمق مع اختلاف المنسوب المائي وسرعة تدفق المياه من موسم إلى آخر . وتمتاز هذه المناطق سواء الشمالية أو الجنوبية بكثرة الطيور من الأوز والحباري ، والخنازير البرية ، وينتقل سكانها بين جزء وآخر على جلد الحيوانات المنفوخ .

وعند وصولنا إلى هنا جاء الكثير من السكان العرب على الجلود المنفوخة إلى محاذاة سفينتنا بقصد بيع الدجاج والبيض والزبد والتمر وأشياء أخرى رخيصة جداً .

ورغم قوة الرياح المعاكسة فقد استطعنا دخول النهر ، وبعد ثمانية أو تسعة فراسخ وجدنا أن مسارنا المائي قد انقسم إلى اثنين متساويين ومتوازيين ينحدر أحدهما جنوباً خلال جزيرة العرب إلى أن يصل إلى القطيف قرب البحرين(٧) .

أما المسار الآخر فهو أعمق وأوسع من الآخر ، ومجرى الماء فيه أقوى ، وبعد مسير مسافة صغيرة في هذا المجرى واجهتنا جزيرة صغيرة مليئة بأشجار النخيل(٨) .

في ٦ أغسطس في الثامنة صباحاً وصلنا إلى سيراج[٩] حيث تستخدمها السفن في إفراغ حمولتها .

توقفنا في سيراج بقرب قلعة الأتراك في ضاحية مباركة وللأتراك قلاع كثيرة على المسارات المائية لحماية جنودهم من هجمات الأعراب . ولسد احتياجات ومصروفات الحامية وغيرها .

توجد في هذه القلعة ترسانة للأسلحة والمدافع ومجموعة من السفن الصغيرة وغير المتقنة الصنع ، وإنني لا أعتقد أن هذه السفن والأسلحة وجدت لتكون ضد البرتغاليين ولكن وجودها للسيطرة على العرب الثائرين ضد الضرائب الباهظة - ولقد تم إنزال سفينة جديدة أثناء تواجدي في البصرة وإنني أعتقد أن صغر حجم هذه السفن ناتج عن عدم تواجد الأخشاب وغلاء ثمنها .

ويعبر سكان القلعة القناة المائية على جسر خشبي محمول على ثماني سفن صغيرة وفي المناطق الأخرى بواسطة سفن صغيرة استخدمت فيها قطع الأخشاب الصغيرة والمختلفة ورغم ذلك فهي تسرب الماء حيث أنها مدهونة بالقار .

تمتاز مدينة البصرة بتمورها الجيدة والمتنوعة ومنها تصدر إلى بغداد وموانئ فارس وهرمز وتعتبر غذاءً رئيسياً فيها .

وكذلك الخضار والفواكه والحبوب والأرز وأسعارها منخفضة نتيجة تنافس المستوردين من بندر ريخ والدورق - هذا إلى جانب جميع أنواع المواشي والأسماك النهرية التي لم أستسغ طعمها .

وتعتبر البصرة عاصمة التجارة ومحطة التجار القادمين من فارس والبحرين والأحساء و الهند عن طريق هرمز و بغداد ، وللأسف تكثر فيها العقارب و رأيت أحدها بحجم سمك السرطان النهري .

وهواء البصرة غير نقي وغير صحي ومناخها حار جداً وسكانها أغلبهم من الأتراك والعرب مع أن الغالبية من السكان الأصليين من العرب .

يتم الانتقال البري في البصرة بواسطة الجمال والبغال والخيول والحمير ويصدر بعضها إلى هرمز ومنها إلى الأسواق الهندية .

لقد وجدت بعض منازل البصرة ب حالة سيئة وتنقصها بعض الجدران و بناؤها على عجل وذلك لأنه ومنذ ...

أيام وقع انفجار كبير في مخزن للبارود ويعتقد أن ألف كيس من البارود احترقت وهزت بيوت المدينة بشدة حتى أن الناس ظنوا أن نهاية العالم قد اقتربت ، وتأثرت بهذا الانفجار مباني المدينة والتي ربما مضى عليها مائتا عام .

لقد استولى الأتراك على هذه المدينة منذ خمسين عاماً (١٥٤٦) بعد أن حكمها طاغية عربي .

ليس هناك الكثير أستطيع ذكره عن عادات الناس وملابسهم حيث أنهم عرب وأتراك ـ ويتعامل الناس بكل أنواع النقود من الفضة والذهب مع أن العملة المضروبة محلياً من الفضة والنحاس .

أما العملة الفضية فتسمى اللاريه (نسبة إلى مدينة لار في فارس وقد ضربت أول عملة بهذا الشكل فيها) فهي عملة مستطيلة متينة الطرفين وتساوي في الوقت الحاضر عشرة بنسات .

أما العملة الثانية فهي مستديرة تسمى (شاهي) وتشابه عملتنا الريال لكنها أقل إتقاناً من العملة الفضية .

ليس في البصرة مبان ذات أهمية ولكنها تحتوي على عدة حمامات أهلية نظيفة في حالة جيدة ومريحة ويستخدمها الرجال في الصباح حتى منتصف النهار والنساء من الظهر حتى الغروب ويعاقب من يخالف هذه المواقيت .

تخترق القناة الصناعية أرض البصرة وتروى منها البساتين على الطرفين وأخبرني أحد المعمرين أن هذه القناة كانت تصل إلى ثلاثين فرسخاً داخل البصرة لكنها أقصر من ذلك الآن .

في أحد الأيام دعيت إلى مقابلة أحد شيوخ البصرة وكان هذا الشيخ يملك كثيراً من الأراضي التي مررت بها بعد ذلك . وكان يدعى الشيخ محمد بن رشيد وكان رجلا يستحق مركزاً أعلى مما هو فيه .

ولقد حدثني هذا الشيخ بواسطة مترجم وأخبرني أنه لم يشاهد افرنجياً من قبل (اسم يطلق على المسيحيين الأوروبيين آنذاك) وقد تعجب لمظهري وملابسي وتصرفاتي ، وبعد وجبة من لحم الخراف (غير المطبوخ جيداً) استأذنت في الانصراف وفي طريق عودتي

قام ركاب السفينة بالصلاة بعد أن مررنا قرب مبنى صغير يشبه الصومعة .

غادرت السفينة في مباركه وعدت إلى اليابسة عن طريق قناة يجري فيها ماء عذب وأعتقد أن عمقها كان باعين أو ثلاثة وعلى جانبيها بساتين النخيل والخضار، وبعد مسيرة فرسخ واحد وصلت إلى البصرة .

البصرة مدينة عربية على بعد ميلين جنوبي نقطة التقاء دجلة والفرات وتتصل بهما عن طريق قناة العشار .

تقع هذه المدينة في منطقة مستوية من الأرض وتحتوي على عشرة آلاف مسكن بما في ذلك المساكن الواقعة داخل أسوارها ومساكنها كبيرة ولكن ينقصها الجمال المعماري ومبنية بالطوب المحروق الذي لايبقى أكثر من ثلاث سنوات في الغالب .

أما بيوت السكان الفقراء فهي مبنية من البوص والسعف . أما قلعة البصرة الكبيرة فهي في حالة غير مصانة وقد تهدمت أغلب جدرانها ، ولكن لا يزال الخندق المحيط بها على حاله ومن الممكن أن يمتلئ بالماء من القناة القريبة ، ولقد وجدت أن أغلب مساكن البصرة داخل قلعتها وكذلك قلب المدينة وشوارعها التجارية ومحلاتها المهنية - وحاميتها المكونة من ثلاثة آلاف رجل أغلبهم من العرب والأتراك والأكراد فرساناً وحملة بنادق وقصر الباشا حاكم القلعة في السلم والحرب ونقطة جمارك تجمع منها الضرائب .

وأخبرت بوجود مزار لعيسى بن مريم روح الله وأن المزارع المحيطة به وقف لصيانته ورعايته وتعجبت من ذلك حيث أنني لم أتوقع أن يخصص القوم له مزاراً(١٠) .

ملخصات

الملخص الأول

تاريخ مختصر لنشأة مملكة هرمز وملوكها حتى دخول البرتغاليين

تلا عن التاريخ المكتوب بواسطة توران شاه ملك هرمز

د الملك توران شاه الشعر والنـثر
، واستخدم هذه المقـدرة الفائقة
تاريخ نشأة مملكة هرمز وبدايـة
- ولقـد أطلـق علـى مخطوطـه
مة) .

خ الملوك - مبتدئاً بـآدم. ولكـن
ذف بعض الصفحات مـن هـذا
وأدخل في الموضوع المطلوب وهو
كة وتاريخ ملوكها مع إبقاء مـا
حذف المادة عديمة الأهمية .

ر تـوران شـاه وجـهات نظـر
عـن نشـأة المملكـة وتـاريخ أول

ملك يحكمها ويـترك الخيـار للقـارئ في الأخـذ بالنظريـة المقنعـة والـتي تناسـب ذوقه الأدبي والتاريخي .

ويبدأ توران شاه قـائلاً "في البدايـة كان هناك أمير عربي يسمى محمـد درام كوبا (كتبت هكذا) وهـو مـن أحفـاد مملكة سـبأ حيـث كـانت بلقيـس الـتي قامت بزيارة سليمان .

لقـد أراد هـذا الأمـير زيـادة ملكـه (كمـا هـو حـال الملوك) فقـام بإخضـاع الدول المجاورة له وواصل مسـيره حتـى وصل إلى الساحل المقابل للمضيـق الـذي

نطلق عليه نحن البرتغاليين (مضيق هرمز) وهنا طلب هذا الأمير من أتباعه العبور معه إلى أرض فارس حيث ينوي إنشاء (بندر) يكون أعظم من صحار (الميناء العربي على الجهة الغربية من مضيق هرمز والذي كان في يوم من الأيام عامراً وقد أصابه الدمار والخراب الآن) .

وبعد أن استشار الأمير محمد أتباعه توجه إلى قليهات الميناء العربي على الخليج والواقع قرب رأس الحد ومن هنا عبر هو وأتباعه إلى جسك ومنها توجه شمالاً إلى كوهستاق (ميناء على الساحل الفارسي) وترك الأمير محمد ابنه ووزيره في قليهات واخبرهم في حالة فشله أن ينشئوا ميناء فيها .

عندما وصل الأمير محمد إلى كوهستاق وأنزل رجاله من أجل البحث عن مكان مناسب له أخبره الناس عن مكان غير بعيد يسمى هرمز وهو المكان المناسب لمشروعه القادم .

وجد الأمير أن المكان مناسب فاستقر فيه وبنى المدينة ويعتقد أنه هو الذي سماها هرمز ووزع الأراضي على مرافقيه وضرب العملة التي حملت اسمه (درامكو) .

رافق الأمير محمد ابنه سليمان والذي بفضله اتسعت المدينة وزادت خيراتها .

حكم الأمير (الشاه محمد) بالعدل والحزم وكانت حكمته وسمو صفاته سبباً لتحالف حكام المناطق المجاورة (مثل شيراز وكرمان) معه .

توفي الشاه محمد بعد عدة سنوات من إنشاء هرمز وحكم بعده ابنه سليمان .

أما رواية توران شاه الثانية فهي كما يلي :

لقد كان والد الشاه محمد ملك في الجزيرة العربية وقد خسر معركة ضد أعدائه واضطر لذلك لترك جزيرة العرب فعبر مياه الخليج الى مغستان (منطقة شرقي هرمز) واستقر هذا الملك مع ابنه في ذلك الموقع الذي كان يحكمه حاكم طاغية... وهنا تدخل بعض القصص المتداولة عن تخفي الابن في لباس عروس جميلة ودخوله القصر والقضاء على الطاغية وذلك بعد موافقة الأهالي وانتصار الشاه محمد وتوليه الحكم .

ويعود تينحسيرا إلى الرواية الأولى ويكمل بقوله :

حكم الشاه سليمان بعد والده محمد مدة طويلة تميزت بالعدل والكرم والأمن وتوفي بعد سنين طويلة من الحكم لملكة هرمز. وتولى ابنه عيسى الحكم وكان عادلاً مثل أبيه ونصح رعاياه بزراعة الأرض ووسع ملكه وتوفى تاركاً الحكم لابنه -لاشكري- والذي رعى الفقراء وامتاز مثل والده بالعدل وظهرت عليه علامات الإمارة فترك والده الحكم له وقضى باقي أيامه في عزلة تامة إلى أن توفى .

كان لاشكري بن عيسى مثل والده حكيماً عادلاً وترك بعد وفاته ابنه عيسى الثاني حاكماً لملكة هرمز وكان عيسى الثاني سادس حاكم لهذه المملكة .

امتاز عيسى الثاني بحروبه وتوسعاته والتي أدت إلى اتساع رقعة مملكته وكبر شأنها .

بعد وفاة عيسى الثاني جاء محمد وكان له أولاد كثيرون ومنعاً للصراع من أجل السلطة قام السلطان بتوزيع أقاربه وأولاده على مناطق مختلفة وفي قلاع محصنة لا يتركونها إلا باذنه .

لذا نجد أن الشاه محمد أرسل ابن أخيه مير شهاب الدين مالنك إلى قلعة قات والتي تقع في فارس في أراضي إبراهيمي[١١] ومغوستان .

لم يمنع ذلك شهاب الدين من أن يقوم بالمؤامرة على قتل الشاه محمد ولذا قام الأخير بإعطاء التعليمات لقتل قطب الدين الذي ما أن بلغته الأخبار حتى هرب إلى قلعة سيجون وتزوج من ابنة قائدها وولدت له ولداً سمي نصرت ركوب دار وابنة سماها ست الخاتون .

توفي الشاه محمد في هرمز دون أن يناله أحد .

تولى ابنه الشاه محمود من بعده وكان يسمى شاهنشاه وواصل البحث عن شهاب الدين إلى أن مرت عدة سنوات قامت بعدها مجموعات من أرض (صير) بمهاجمة هرمز[١٢] خرج شاهنشاه في جيشه لمواجهة الأعداء .

عندما بلغ الخبر مير شهاب الدين عقد الصلح مع ابن عمه وطلب الإذن من والد زوجته متوجهاً هو ورجاله إلى هرمز لمساعدة شاهنشاه وعندما قتل شاهنشاه في المعركة مع الأعداء نودي بشهاب الدين ملكاً على هرمز .

انتصر شهاب الدين على أعدائه واستخلص منهم مملكته - بعدها زوج ابنته ست الخاتون إلى الأمير سيف

الدين بن قيصر بن علي (أخ شهاب الدين) والذي كان حاكماً لجزيرة قيس[١٣].

توفي علي بعد ذلك في قيس وعملاً بنصيحة شهاب الدين توجه الأمير سيف الدين (زوج ابنته) إلى قيس ليتوج ملكاً عليها .

توفي بعد ذلك شهاب الدين واستولى وزيره الرئيس شهريار على زمام الملك في هرمز .

وبوفاة شهاب الدين ثار أهالي جزيرة قيس ضد حاكمهم الأمير سيف الدين الذي هرب إلى هرمز وخرج أهاليها لاستقباله توجه الوزير شهريار إلى قلعة (ضمير) مع عشرة من رجاله وواصل الأمير سيف الدين زحفه عليها وقتل الجميع فيها فنودي به ملكاً على هرمز .

كان أول عمل قام به الأمير سيف الدين تزويج بنات شهريار الثلاث إلى ثلاثة رجال من بلاطه وبعدها هجم على جزيرة قيس لينتقم من أهاليها وقتل الكثير منهم وأخذ زعماءهم رهائن معه. وفي طريق عودته توقف في جزيرة جرون أو قرون (والتي تسمى الآن جزيرة هرمز) ودخل إلى اليابسة وتسلق جبلاً هناك قتل عليه رهائنه ولذا سمي هذا الجبل (جبل الرجال القتلى) (أو كوة كوشتاران) وعاد بعدها إلى هرمز واستقر بها في أمن وسلام إلى أن توفي وتولى بعده (ابن أخيه) المسمى شهاب الدين محمود .

كان شهاب الدين (ابن عيسى الثاني) الملك الحادي عشر لمملكة هرمز وكان عادلاً ورحيماً في حكمه .

بعد وفاة شهاب الدين محمود تولى (ابن أخيه) المسمى ركن الدين محمود (ابن حمد) السلطنة وقد ازدهرت هرمز أثناء فترة حكمه وكان لها جيش قوي كتبت له الانتصارات في عدة معارك والتي امتدت إلى ظفار وحكم ركن الدين محمود خمسة وثلاثين سنة وتوفي في ٦٧٦هـ الموافق ١٢٨٧م .

تولى الأمير سيف الدين نصرت (ابن ركن الدين) والحاكم الثالث عشر لمملكة هرمز السلطة بعد وفاة أبيه ولكن قامت معارضة قوية بين اخوته لتوليه السلطة وقاد هذه المعارضة أخواه الأمير قطب الدين تهماتان والأمير نصر الدين فولاد ورغم وقوف الجنود إلى جانب سيف الدين نصرت إلا أن اخوته انتصروا عليه واضطر هو ووالدته (بيبي

ى مغادرة مملكة هرمز وتوجهت
انك إلى كرمان حيث قابلها
، جلال الدين سراج والذي
عاملتها وأرسل جنوده مع ابنها
ين وأعاده إلى عرشه في مملكة
ع استمرار مقاومة أخويه استطاع
دين اعتقال أخيه الأمير نصر
لاد وأعدمه .

د هذه الحادثة قام أخوه الثاني
طب الدين تهماتان وبمساعدة
سيف الدين أبوبكر العوفي بغزو
حاربة سيف الدين نصرت
في (دنو)[١٤] مما أدى إلى هرب
الدين إلى (قمصره)[١٥] ومن
إلى (لفت) والتي هي ميناء
ب جزيرة بركت ؟ وتسمى الآن
لجسم .

د هرب سيف الدين اختلف
ع قطب الدين تهماتان فثار
الجنود واستدعوا سيف الدين
ن جديد مملكة هرمز ويطرد
ف الدين منها .

. عودة سيف الدين إلى السلطة
ان من باقي اخوته (**الأمير**
والأمير طورخان شاه) بالتآمر

عليه وقتلاه وقتلا معه أمه بيبي بانك وأخته بيبي عنايتي .

وكانت مدة حكمه اثنتا عشرة سنة وقتل في ٦٨٩هـ الموافق ١٢٩١ميلادية .

تولى الأمير مسعود زمام السلطنة بعد مقتل أخيه سيف الدين وكان شديد البأس يحب الحروب وظالم كرهه كل الرجال وقتل الكثير منهم .

التجأ الكثير من رجاله إلى الأمير بهاء الدين عياض سيفين (**الوزير المعين في ميناء قليهات بواسطة الملك سيف الدين نصرت لإخلاصه ووفائه**) وفي هذا الميناء العربي توجه الأمير بهاء الدين وجيشه إلى هرمز وطرد منها الأمير مسعود فخرج لاجئاً إلى كرمان ومنها الى **سيرجان (الاسم الآخر لكرمان)** حيث قضى فيها بعد أن حكم هرمز مدة ثلاث سنوات .

تولى الأمير بهاء الدين سيفين أمور المملكة وأعاد تنظيمها وإدارتها ولكن قام أخوه مسعود لمقاومته وخرج له مير طور خان شاه ومير سلجوت في حزب معارض له وتراسلوا مع أخيهم مسعود من أجل إعادته إلى هرمز ولكن تمكن منهم الأمير بهاء الدين وقتلهم فاستقر له الحكم بعد ذلك إلى أن دخلت القبائل

التركية الغازية أرض فارس في ٧٠٠ هـ الموافق ١٣٠٢م ودمروا كرمان وهرمز وكانت ثروة هرمز العظيمة سبباً في عودة الأتراك المتكررة لمهاجمتها حتى اضطر أهلها لتركها نهائياً إلى مناطق أخرى .

ويعتقد هامر برجستال (Hammer Pargstall) بعد دراسة مخطوط (عبد الواصف) بأن مملكة هرمز كانت تابعة لسلفر أتابك فارس وبعد سقوط آخر أتابك (محمد تلهاتي) قام حاكم هرمز بالاستيلاء على الجزيرة وأعلن نفسه حاكماً على المملكة.وقام ابنه نصرت بقتل أخيه ركن الدين وزوجته وقام ملك بن بهاء الدين غيات (أحد مماليك الزوجة) بالانتقام لسيدته وساعده في ذلك جلال الدين ملك كرمان، ولكن في النهاية هرب بهاء الدين إلى جزيرة قيس وقابله المفتي جمال الدين مفتي فارس وأعطاه اثنتي عشرة ألف قطعة من الذهب (من إيرادات التاج الفارسي) وذلك لتشكيل جيشه الجديد وبعد هزيمة مسعود توجه إلى جزيرة لارك وجمع ألفين من التوامين الذهب والفضة وأشياء أخرى ثمينة وتوجه إلى هرمز ونادى على المنبر باسم فخر الدين أحمد بن إبراهيم العتيبي وقام المفتي جمال الدين الشيرازي (والذي ذكرنا اسمه سابقاً والذي هو جامع ضرائب فارس) بالتوجه إلى هرمز حيث قامت اضطرابات بينه وبين فخر الدين حاكم الجزيرة وتحولت هذه الاضطرابات إلى مواجهات عسكرية بينهما .

لم يتدخل بهاء الدين غيات لمساعدة صديقه السابق (جمال الدين) ولكنه ساعده في النهاية على الهرب من الجزيرة بعد هزيمته .

في السنة التالية (١٥ يوليو ١٢٩٦م) وعندما أصبح جمال الدين مسئولاً عن ضرائب فارس وسواحلها وجزرها دخل هرمز مرة أخرى على رأس جيش عظيم وطلب من بهاء الدين إخلاء الجزيرة .

وقام المفتي بمساعدة ركن الدين مسعود بحشد قواتهما ولكن تصدى لهما بهاء الدين غياث وهزم بهاء الدين السفن الحربية الخاصة بالمفتي وركن الدين ولاحقها إلى جزيرة قيس وقام بنهبها. لقد أثر ذلك في ملك الإسلام (المفتي جمال الدين) وازداد قلقه للسفن التي تصل من الهند مع الرياح الموسمية لذلك عقد المفتي الصلح مع بهاء الدين غيات وفخر الدين العتيبي .

تبدو هذه المعلومات مشوشة ولكن تم نقلها كما هي مكتوبة بالإنجليزية .

جزيرة قشم:

تقع جزيرة قشم بمحاذاة الساحل الفارسي يفصلهما مسار ضيق من بحر الخليج، ويبلغ طول هذه الجزيرة خمسة وعشرون فرسخاً وعرضها اثنان إلى ثلاثة فراسخ .

لقد أمر غياث أهالي هرمز بالعبور إلى هذه الجزيرة واستجابوا له بكل طاعة ونقلوا معهم كل ما استطاعوا حمله وما تبقى من ممتلكاتهم بعد غزوات الأتراك .

وبعد استراحة عدة أيام قرر غياث البحث عن جزيرة أخرى ووصل إلى جزيرة فاصله على بعد فرسخين من قشم تسمى جزيرة قارون (**حيث كان يسكنها رجل مسن وزوجته يصطاد السمك ويبيعه لركاب السفن المتوجهة من جزيرة قيس إلى الهند، مقابل الأرز والملابس**) .

أرسل قارون إلى غياث برغبته في جزيرته ووصل غياث إليها وبعد عاينتها استقر الرأي على السكن فيها دون أخذ إذن من حاكم جزيرة قيس الذي كانت هذه الجزيرة والجزر الأخرى في الخليج تابعة له .

وجزيرة قيس كما يسميها العرب والفرس هي جزيرة صغيرة تقع وسط مضيق البصرة وبها منابع الماء وكثرة الأخشاب وكانت إلى وقت مضى مركزاً للمملكة – ولكن كسدت تجارتها الآن بسبب اللصوص القادمين من نخيلو ونخل تقي والذين يقومون بأعمال القرصنة في المياه المجاورة لجزيرة قيس والتي أدت إلى تدهور التجارة التي كانت تعادل تجارة هرمز في وفرتها وضخامتها معين كان ملك جزيرة قيس وحكم جزيرة قارون أيضاً وعين فيها شيخاً للدين يسمى الشيخ إسماعيل من قرية قرب لار وكان هذا الشيخ يطوف بالجزر المحاذية سنوياً لجمع الهبات له وللفقراء في بلدته .

وبعد لقائه بغياث قام الأخير بإرساله إلى حاكم قيس يطلب منه بيع جزيرة قارون أو إعطاءها لغياث دون مقابل استطاع الشيخ إسماعيل الحصول على الجزيرة لغياث وأهالي هرمز هبة من معين إليهم ولكن أصر غياث على دفع ثمن الجزيرة نقداً واعترافاً بفضل

الشيخ إسماعيل أصبح من عادات ملوك هرمز إعطاء أحفاده مصروفاً سنوياً (**وقد شاهدت ذلك أنا بنفسي أكثر من مرة**) .

وبعد أن امتلك غياث جزيرة قارون أطلق عليها اسم جزيرة هرمز لكن لا ينسى الجميع مملكتهم هرمز. ولكن بقيت هذه الجزيرة في ذاكرة العرب والفرس جزيرة قارون - وكذلك لم تفقد هرمز الأصلية اسمها رغم إطلاق الاسم على الجزيرة بعد استقرار أهالي الأولى فيها .

ولكن يروي باروس (**Barros**) قصة مختلفة عن جزيرة قارون حيث يقول :

"إن ملك قيس كان موافقاً على بيع جزيرة قارون إلى (غوردن شاه) ولكن رفض بعض أتباعه وزوجته عملية البيع بحجة أن هذه الجزيرة تتحكم في مدخل المضيق ولكن تدخل القاضي (الشيخ دينار) (وتعني هنا مفتي قيس) فقام ملك قيس بعد مجابهة عنيفة مع زوجته بإعطاء الجزيرة إلى غوردن شاه" .

ويقول باروس *"أن الرشاوى لعبت دورها إلى جانب إعطاء الشيخ دينار مساعدة دائمة لمسجد سوف يقوم ببنائه في بلدته وهذا ما جعل ملوك هرمز يخصصون مصروفاً سنوياً لهذا المسجد حتى اليوم في مدينة لار"*.

أما كوتو فيقول *"أن المعارضة جاءت من أم قيس وليس زوجته"*.

يقسم البحارة الهنود الخليج إلى قسمين الأول منهما مضيق هرمز ويبدأ عند جوارد في فارس وخليج عمان ومضيق البصرة من هرمز أو قارون إلى مدينة البصرة نفسها والتي تقع في رأس الخليج حيث يلتقي دجلة بالفرات .

ويبلغ اتساع الجزء الأول مائة فرسخ أما الثاني فيبلغ مائتي فرسخ تقريبا .

وتقع جزيرة هرمز أو قارون (**والتي يبلغ طولها من ستة إلى سبع أميال**) على مسافة ٥ أميال من شواطئ فارس ابتداء من (**دوس**) وعلى بعد تسعة فراسخ من أرض الجزيرة مع اختلاف الشواطئ على الجانبين فهي أحسن للملاحة على الجانب الفارسي .

تحتوي جزيرة هرمز أو قارون على بعض المعالم ذات الأهمية لذا سوف أذكر بعضها للقراء :

جزيرة هرمز بركانية لذا تكسوها الجبال العالية والصلبة من طرف إلى

آخر مع صفاء جوها وملوحة مائها وتحتوي على كميات كبيرة من ملح الطعام الجبلي والبحري والمفضل منهما البحري حيث تأخذه السفن إلى البنغال ولهذه الجزيرة ميناءان (أو بندران) شرقي وغربي طبيعيان وكأنهما حفرا في الصخور وأهم بندر فيهما الشرقي حيث بنيت قلعة للبرتغاليين تعتبر أحسن قلعة في الشرق من حيث القوة والعمارة والتخطيط وفي مكان هذه القلعة كان يعيش قارون والذي سميت الجزيرة على اسمه .

ورغم وجود ينابيع الماء إلا أنها مالحة لذا تجمع مياه الأمطار وتخزن للاستعمال. ماعدا في بقعة واحدة من الجزيرة وتسمى **(توران باغ) (توران باغ يعني بستان توران)** حيث يوجد بها بئر تروي منه مزارع الملك والوزير، في هذه البقعة تنمو أشجار كثيرة ولكن باقي الجزيرة يفتقر إلى الأشجار مع وجود شجرة واحدة نجدها في كل مكان تسمى شجرة الكنار وهي خضراء طيلة العام ومع ندرة الأعشاب يكاد يكون **(السنامكي)** ويسميه بيدرو في الأصل **(سنافمن مكة)** هو العشب الطبي الوحيد فيها. ويصنع سكان الجزيرة من الطين المالح حاويات للماء **(قلل)** يبرد فيها بطريقة مذهلة .

وأذكر أنني عندما كنت في هرمز عام ١٥٩٦م وكان ملكها فيروز شاه الرجل العجوز والذي وقع في غرام أموال بيبي فاطمة أرملة أحد رعاياه الذي كان يدعى رئيس بدر الدين وكان وزيراً في موغستان في فارس. حاولت بيبي فاطمة تعجيز ملك هرمز فطلبت منه أن يزرع بستاناً جديداً ويحفر بئراً في (توران باغ) علماً منها بأن هذا مستحيل، ولكن ولجشع ملك هرمز قام بما أمرته به بيبي فاطمة ولكن مع ذلك لم يحصل الملك على أموالها .

بالقرب من توران باغ وقرب البحر هناك بئر للماء ويسميها أهالي هرمز **(عبد الرحمن)** وماؤها ذو فوائد كبيرة وشربه يسبب الإسهال لذا يتوافد الأهالي في موسم معين لشربه وبعد نوبة الإسهال يتناولون البرتقال أو الليمون ولو خرجت حبوب الثمار مع الإسهال فانهم يعتقدون أنه تم شفاؤهم فيتوجهون إلى تناول الوجبات الرئيسية .

يتوفر الصيد الكثير في هذه الجزيرة من الغزلان والطيور وأتعجب كيف تعيش هذه المخلوقات في مكان لا يتوفر

فيه الماء العذب وتوجد الذئاب ولا أحد يعلم كيف تعيش في هذه الجزيرة .

لقد كانت مدينة هرمز عامرة قبل الآن وقد أزيلت حالياً بعض المساكن من أجل بناء القلعة أما المنازل الباقية فهي جيدة البناء واستخدمت أشجار الجزيرة في بنائها وبعض الأحجار قطعت من البحر وتمتاز بخفتها وتقاوم الزلازل التي تشتهر بها الجزيرة ويستخدم الأسمنت المسمى (كبح) في ربط الأحجار ويجلب من الأرض الفارسية لأن المحلي منه أحمر اللون وأقل جودة وتستخدم مادة أخرى في البناء يضاف إليها الماء وتسمى (صاروج) وتجمع هذه المادة على هيئة تله وتحرق إلى أن يتحول لونها إلى الأبيض ثم تضرب بواسطة مجموعة من الرجال العرب (**الذين يمتهنون هذه المهنة**) إلى أن تتحول إلى ذرات صغار تستخدم فوراً وإلا تحولت إلى مادة غير صالحة لو تركت أكثر من يوم دون استخدام .

إن مادة الصاروج تقاوم الماء ولها استدامة طويلة – وتستخدم هذه المادة في بندر عباس أيضاً (**حامدون**) .

يمتاز أهالي هرمز ببياض البشرة وحسن الطلعة ونساؤها جميلات ويتحدث الجميع بالفارسية ولكن ليس بنفس الجودة التي على اليابسة وبعض شيوخها سنه والبعض من أتباع علي ولكن الغالبية سنه وكذلك ملوكهم. هذا وتتواجد جنسيات ومذاهب أخرى على الجزيرة مثل المسيحيين والنسطوريين واليهود والوثنيين والبانيان واليعقوبيين وأما عن الجنسيات فمنهم البرتغال والأرمن وأهالي جورجيا (**الجرجان**) والبنغاليين والكامبين (**من ميناء كامبي أو كامبايا**) .

ورغم عدم وجود المنتجات الزراعية على الجزيرة إلا أن عملية الاستيراد كبيرة وبأسعار معقولة ويباع كل شئ بالوزن .

مناخ جزيرة هرمز صحي ولا توجد الأمراض فيها وخاصة في الصيف وذلك بسبب الجو الحار والعرق الشديد الذي يطرد المرض من الأبدان . ولكن تكثر الأمراض في الخريف .

وختاماً فإن جزيرة قارون جزيرة مفتوحة لكل العالم ويتم فيها تبادل كل أنواع السلع التي تجلب إليها بواسطة التجار من مختلف جهات العالم هذا وإنني سوف أعود الآن إلى موضوعي الأصلي وهو نشأة هرمز .

ويقال أن نشأة الجزيرة مرتبطة باسمها الذي أطلق عليها في عام ٧٠٠هـ الموافق ١٣٠٢م ولقد نمت وتمتعت بالرفاه الاقتصادي حتى سبقت كل الأجزاء الأخرى في فارس والجزيرة العربية ووصل نفوذها إلى البصرة .

وبقيت على هذا المستوى إلى أن دخلها البرتغاليون ومارسوا فيها الاضطهاد (**يبدو أن بيدرو تينحسيرا يذكر الحقيقة هنا ولكنه يحاول تحاشي المواجهة مع السلطات البرتغالية فيقوم بمدح قبطان الحامية ديجو مونس برتو [Diego Munis Barreto] ليغطي على ذلك**) .

حكم غياث سيفين الجزيرة مدة عشر سنوات ويقال أنه توفي في نهاية هذه الفترة في عام ٧١١هـ الموافق ١٣١٢م .

وفي حكاية أخرى أنه بعد استتباب أمور هرمز تنازل عن الملك إلى عز الدين جوردون شاه ابن سلفر وبيبي زينب وحيد الملوك الأوائل وعاد غياث بعد ذلك إلى ولايته (وزير) في قليهات وتوفي فيها .

- إن لقب بيبي والذي ذكرته عدة مرات يعني بالفارسية السيدة - يعتبر الأمير فخر الدين غوردن شاه ثاني ملك لهرمز في عهدها الجديد والسادس عشر في عهدها القديم (**ويعتبر كوتو وباروس أن هرمز أعلنت استقلالها في عهد عز الدين غوردن شاه عن السلطة العربية والفارسية**) بعد توليه السلطة أرسل سفراءه إلى جزيرة قيس للملك معين لعقد الصلح ولكن رفض معين هذا الصلح .

وفي عام ٧١٤هـ الموافق ١٣١٥م حاصر ملك جزيرة قيس وجنوده وسفنه الكثيرة العدد جزيرة هرمز مرة أخرى ولكن تمكن غوردن شاه من التحصن وتوفير المؤن اللازمة حتى أن الأسعار لم تتغير أثناء فترة الحصار ولم يكن هناك نقص في الغذاء وبعد حصار دام أربعة أشهر طلب ملك قيس الصلح ولكن كانت له نوايا سيئة في ذلك وعقد موعد للقاء الملكين وعلى ساحل الجزيرة نزل ملك قيس في انتظار ملك هرمز وما أن وصل حتى حمله الأول (**حيث كان قويا جداً**) إلى طراده (**سفينته**) وهرب به إلى جزيرة قيس أمام أنظار أهل هرمز .

عندما وصل الخبر إلى زوجة غوردن شاه (**بيبي سلطان**) طلبت من ملك غياث الدين دينار ابن أخيها شاهنشاه أن يتولى الحكم في الجزيرة، وبعد

خمسة أشهر عاد ملك قيس ومعه ملك هرمز مقيداً على سطح الطراد وفي منتصف الطريق هبت عاصفة عظيمة مزقت السفن وتحطمت السفينة التي تقل غوردن شاه على سواحل هرمز فأنقذه الناس ولكن لم يتنازل ملك غياث الدين دينار عن السلطة لذا التجأ غوردن شاه إلى بيت خواجه محمد كاتب وكان هذا الشخص هو السكرتير الخاص لغوردن شاه – ونظراً لعدم اطمئنانه انتقل في نفس الليلة إلى الأراضي الفارسية واستقر في قلعة ميناب وجمع جيوشه فساعده الملك عز الدين حاكم شيراز لغزو هرمز وكان السبب في ذلك تردي الموارد المالية في جزيرة قيس (**نتيجة لقيام غوردن شاه باحتجاز السفن القادمة من الهند والمتجهة إلى جزيرة قيس**) في جزيرة هرمز – عندما بلغت أخبار استعدادات الغزو ملك هرمز توجه بجيشه إلى ميناء سرميون (**باسيدو أو باسعيدو**) في جزيرة قشم لكي يمنع القوات الغازية من التزود بالماء وبعد وصوله إلى هناك بلغته أخبار السفن العشر القادمة من الهند والمتواجدة في مسار مائي بين هرمز ولارك فتوجه إلى الموقع المذكور وقام باحتجاز السفن التجارية في جزيرة هرمز .

واجهت القوات الغازية (**مائة وعشرون سفينة**) عاصفة قوية قرب ميناء سرميون وتحطمت غالبية السفن المهاجمة والتجأ ما بقى منها إلى جزيرة هنجام .

وعندما بلغت أنباء استيلاء غوردن شاه على سفن الهند استعد ملك قيس لمواجهته .

فاستعد له غوردن شاه في اثني عشر ألفاً من جنوده ونزل إلى ساحل جسيرو (**أوشيرو**) وهزم أول محاولة للملك قيس مع فقدان الأخير لكثير من السفن والرجال ولحق به غوردن شاه بعد نصيحة قائده البحري صخر ركن الدين وألحق الهزيمة الكاملة بأهالي وجنود جزيرة قيس (**وتعني القلعة الزرقاء**) .

عندما بلغت الأخبار ملك غياث الدين ورأى أن رجاله تخلوا عنه إلى غوردن شاه هرب إلى مكران (**مملكة بين فارس والسند**) فجاء الأمير عز الدين غوردن شاه إلى جزيرة هرمز وبقى فيها سنتين وتوفي في ٧١٧هـ الموافق ١٣١٨م .

تولى الأمير مبرز الدين بهرام شاه ابن عز الدين غوردن شاه أمور المملكة بعد وفاة أبيه وكان الملك السابع عشر لهذه الإمارة ولكن اتفق الجنود في

الحامية الواقعة على اليابسة أن يعينوا أخاه الشاه قطب الدين مكانه وأتوا به من بركه (**أقرب موقع بهذا الاسم بركة بندر أو بركة ميرازي**) إلى ميناب .

خرج بهرام شاه لمواجهة أخيه قطب الدين فوجده مع أخ آخر يدعى ملك نظام الدين فحاربهم وانتصر عليهم وعاد إلى هرمز .

وكان كبار قواد مير شهاب الدين يوسف ومير تقي الدين زنكشاه الأول في البحر والثاني في البر وقد أثارهما الحسد فقاما بالاضطرابات في المملكة مما أدى إلى اعتقالهما، في هذه الفترة هجم رجال قيس مرة أخرى ولكنهم هزموا مثل المرات السابقة وفي أثناء الموقعة أضطر بهرام شاه لإطلاق سراح السجينين وتوجه لملاقاة أخويه مرة أخرى حيث أثارا المتاعب من جديد ولكن لسوء الأحوال الجوية عاد إلى منزله في الليل .

في منتصف تلك الليلة جاء القائد مير شهاب الدين إلى بوابة القصر ومعه الجنود الراجلة والراكبة وطلب الملك مدعياً أن بيبي سلطان سلفر قد هجمت على الجزيرة فخرج الملك وتبعته أمه وأخوه نظام الدين عجم شاه ، فألقى القبض عليهم جميعاً وأخذهم إلى السجن وأعلن نفسه ملكاً على الجزيرة وكان ذلك في ٧١٨هـ الموافق ١٣١٩م .

فانقسم الناس إلى مجموعتين الأولى مع مير شهاب الدين يوسف الملك والأخرى مع مير قطب الدين أخ الملك المسجون .

انتهز ملك دينار الفرصة وعاد من مكران مع قوة عظيمة مدعياً أنه جاء لمساعدة مير شاه قطب الدين ولكن بعد وصوله إلى الجزيرة التحق بالطرف المنتصر (**مجموعة شهاب الدين يوسف**) .

قامت بيبي سلطان أخت دينار وبيبي نظام الملك زوجة مير شهاب الدين يوسف بمساعٍ للصلح ولكن قام شهاب الدين يوسف بقطع رؤوس الملك السابق وأمه وأخيه لكي يبقى الملك له وحده .

فتوجه شهاب الدين إلى قليهات مع بيبي مريم زوجة (عياض) غياث سيفين، وسمع شهاب الدين يوسف أن رجال جزيرة قيس سوف يعودون مرة ثانية لغزو جزيرته فتوجه لملاقاتهم ولكن خاف مواجهتهم فعاد أدراجه إلى مملكته .

ولكن وبعد سنة واحدة عاد شهاب الدين من قليهات مع الملك جلال الدين قويسي (**أو تونيري**) ومعهم خواجه جمال الدين نعيم وأخذ هرمز في غفلة وزج بشهاب الدين يوسف في السجن .

فقام مير شهاب الدين ابن غوردن شاه بالانتقام من مير شهاب الدين يوسف وقتله وقتل معه زوجته بيبي نظام الملك وقتل معه ابنيه مير عماد الدين أو سين؟ وأخيه الأمير اوسين وكان الجميع سجناء في قلعة (**جنر أو جتان**) ولكن في فترة من الزمان قام كل من ملك جلال الدين قويس وخواجه جمال الدين نعيم (**واللذان أعادا الشاه قطب الدين إلى مملكة هرمز**) بالتآمر عليه لتولي أمور المملكة بدلاً منه ولكن بلغه خبر المؤامرة فهرب وعين جمال الدين نعيم في البحرين أما ملك جلال الدين قويس فالتجأ إلى جزيرة قيس وبقى الشاه قطب الدين في مملكته هرمز في أمن وسلام .

توفي ملك قيس العجوز وتبعه في الحكم ملك غياث الدين وغزا هرمز في جيش عظيم أثناء فترة الصيف حيث يقضي الشاه قطب الدين هذه الفترة في موغستان على اليابسة هرباً من حرارة الجو في هرمز .

ولكن قام محمد سوركاب وإبراهيم سلفر (**قائدا قطب الدين**) بالدفاع عن القلعة وردا الجيوش المهاجمة .

توجه شاه قطب الدين إلى جزيرته وأعد أسطولاً ضخماً لمهاجمة جزيرة قيس انتقاماً من ملكها وبالفعل تم الهجوم وتكبدت جزيرة قيس الكثير من القتلى والدمار الشامل وأخذ ملكها غياث الدين أسيراً وقتل هو وبعض أتباعه .

وقام الشاه قطب الدين بتحصين جزيرة قيس وترك فيها حامية كبيرة وتوجه بعدها إلى هرمز وفي طريق عودته فتح جزيرة البحرين المشهورة بلؤلؤها ومائها العذب الذي ينبع من البحر وسوف أقوم بتقديم شرح عنها (**وكان ذلك حوالي ١٣٣٠م**) .

جزيرة البحرين :

تقع جزيرة البحرين في مياه بحر البصرة بين جزيرة قارون أو هرمز والبصرة وتكاد تكون المسافة متساوية وتبلغ مائة فرسخ من البحرين إلى كل

ـن المواقـع المذكـورة (هرمـز
وهي قريبة من ساحل جزيـرة
قابلـة للقطيـف والـتي تقع في
المنطقـة التابعـة للأتـراك وكـل
حرين من العرب ماعدا وزيرهـا
حاميته الفارسـية وهـي تابعـة
هرمز ولكن في عام ١٦٠٢م قام
رسي بامتلاكها بالخيانة[١٦] .

راب البحريـن خصـب ومنتـج
أشجـار التمـور والـتي توجــد
هذه الجزيرة ويوجد قليـل مـن
ع الكثير من الشعير .

ر الوجبة الرئيسية في البحرين
تورد مـن الهنــد عـن طريـق

ـد آبـار في البحريــن ولكــن
ن عذباً ولكنـه صـالح للشرب
ه الآبار (حنينية) وهذه البئر
ع في وسط الجزيـرة وبعدهـا في
ك الينابيع التي تتواجد تحت
ر .

دينة المنامة (المدينة الرئيسية
ة) وعلى عمق باعين أو ثلاثـة
ح البحـر توجـد ينـابيع الميـاه
وم بعض الرجـال بمـلء جلـد
ها ويعتـبر البعـض منـهم هـذه
العمليـة وسـيلة للـرزق طـول النـهار.
وأخبرني أحـد المعمريـن في البحريـن أن
هذه الينابيع كانت على اليابسـة ولكـن
مع مضي الوقت غمرها البحر وأعتقد أن
من هذه الينابيع أخذت الجزيرة اسمـها
(البحريـن) وربمـا يكـون الإسـم رمـزاً
لمجريين من الماء يمران في الجزيرة ولكن
أعتقد أن التسمية الأولى أصح .

تشتـهر البحريـن بـاللؤلؤ وسـوف
أعطي إيجازاً عن طريقة صيده توجـد في
الشرق مصائد للؤلؤ أشهرها تلك التي في
البحرين في الخليج والأخرى في منـار في
الهند وذلك الموقـع بـين جزيـرة سيلان
وجـزء مـن شبـه القـارة الهنديـة يسـمى
(توتان كوري) باللهجة المحليـة ولكـن
نسميه نحـن البرتغـاليين (كومـوري)
ويلي هذا المكان بندر كورد ومنـه تصدر
أنواع الأرز في البنغال .

يبدأ الغوص في البحريـن في شـهر
يونيـو وأحيانـاً في يوليـو ويسـتمر حتـى
شهر أغسطس ويتكـون أسطول الغـوص
من مائتي سفينة أو ربما أقل، مائة مـن
البحريـن وخمسـون مــن جلفـار (رأس
الخيمة) وخمسـون مـن نخيلـو، وتتجـه
هـذه السـفن إلى سـاحل قطر علـى بعـد
عشرة فراسخ جنوب الجزيرة وبعد صيـد

الأصداف تفتح لإزالة اللؤلؤ منها وتمتاز بالجودة والوزن الثقيل لأنه لو قارنا لؤلؤة بنفس الحجم من مكان آخر مع لؤلؤة مساويه من البحرين نجد أن وزن البحرينية أكبر .

ويبلغ حجم تجارة اللؤلؤ في البحرين خمسمائة ألف (دكتا) وذلك غير الكمية الكبيرة المهربة بعيداً عن عيون الوزير تحاشياً للضرائب - وتدفع البحرين سنوياً إلى قائد هرمز مبلغ أربعة آلاف دكتا ضرائب من إيرادات اللؤلؤ فيها .

وتستخدم أوزان القيراط والمثقال في عملية وزن اللؤلؤ ويعتبر قيراط عباس ثلث القيراط وكل أربعة وعشرين قيراطاً مثقالاً واحداً - ويعادل المثقال عشرين أو ثلاثين أو حتى أربعين لؤلؤة صغيرة .

ويغوص الغاص في البحرين بعد ربط الحجر في قدمه وعلى عمق اثني عشر إلى خمسة عشر باعاً .

هذا وهناك مغاصات أخرى تستخدم في شهر سبتمبر قرب نخيلو والبحرين وجلفار وأخرى قرب مسقط ورأس الحد وكلها تقع في بحر هرمز الضيق ولكن لا تمتاز هذه المغاصات بالوفرة .

أما عن المغاصات الشرقية الأخرى فهي تسمى شيلاو (**على بعد ثمانية وأربعين ميلا من كولومبو**) وسميت هذه المواقع على اسم ميناء في جزيرة سيلان في السابق وتعني هذه الكلمة (المصائد) باللهجة المحلية والتي يطلق عليها لسان الشانجلا[١٧] .

ويدخل موسم الغوص في سيلان في شهر إبريل وبداية مايو وذلك بشهر أو شهرين قبل بداية موسم الغوص في البحرين. وذلك لأن الصيف يأتي مبكراً في سيلان عنه في البحرين والبحر يكون هادئا .

ويتكون أسطول سيلان من أربعمائة إلى خمسمائة سفينة تحمل كل سفينة من ستين إلى تسعين رجلاً ثلثهم (كروة) (غيص) والباقون مانديسا (السيب) ويكون كل اثنين لغواص واحد وتنقسم السفينة إلى عدة أجزاء تسمى (بتاقا) وتعني حجرة أو جزءاً من تجويف السفينة حيث يضع كل غواص ما يصطاده على حده عن غيره ويسمون المحار (شيبو) ولا يقومون بفتحها حتى يؤذن لهم بعد توقف الصيد والذي يستمر ستة عشر يوماً ثمانية أيام لكل مجموعة وبعدها يفتح المحار وتصطاد كل سفينة يومياً من مائة إلى ألف محار

ون اصطياد أكثر من ذلك
لى أسعار اللؤلؤ .

مضي ستة عشر يوماً إذا كان
. كافٍ تمدد الفترة إلى نصف
عة أيام أو بيلو كامل (ثمانية
ـازى الغيص يومياً لقيامه
، **يعطى نقوداً مقابل العمل)**
قابل ذلك ما يصطاده الغيص
واحدة لربان السفينة ويحتفظ
فسة (**لذا توضع كل مجموعة**
) ويختار ربان السفينة صيد
ختارها بنفسه وفي نهاية كل
ه صيد يوم كامل وتقدم كل
يد يوم كامل لحاكم المدينة
ورة) وكانت في السابق تقدم
ـة قائد الحامية البرتغالي ولكن
ه العادة الآن بأمر من رؤساء
ليسوعيين) والذين يديرون منذ
ن السابع عشر الأمور التجارية
سكان الساحل الشمالي الغربي
؛ ورغم معارضة الرهبان
سكان) فلقد أوقف اليسوعيون
وم به القائد البرتغالي لمخالفته

ص الغواص إلى عمق عشرة
ـارك سفينتان برتغاليتان في

حماية أسطول الصيد خشية هجوم قراصنة ملبار – ويشترك ما يقارب من خمسين إلى ستين ألفاً من التجار والبحارة وصيادي الأسماك والخدم في موسم الغوص ويقيمون في معسكرات متنقلة وتبلغ إيرادات اللؤلؤ مليوناً ونصف مليون من العملات الذهبية كل عام .

وبعد انتهاء موسم الغوص يعلن عن بدء فتح المحار وتلتقط اللآلئ إن وجدت في المحار وتؤخذ إلى ميناء توتان كوري حيث يقام سوق لبيع اللؤلؤ من منتصف شهر يونيو حتى أكتوبر ويتم تسعير اللؤلؤ بطريقة قياس (**الجو**) وتباع اللآلئ في مبان مثل مبنى الجمارك حيث يشرف عليها دلالون تابعون لحاكم البلاد (**النايك**) الذي يأخذ ٤٪ من البائع ولا يأخذ أي شيء من المشتري. وللمشتري حق تغيير رأيه بعد يومين دون جزاء .

إلى جانب عملية البيع المنظمة تتم معاملات سرية في اللؤلؤ المهرب تحاشياً لضرائب الحاكم وتشترى وتباع حسب نظام (الجو) .

وتوجد لآلئ من الصين ولكنها ليست بنفس الجودة وتسمى (توبوس)

(أغطية) لأشكالها الغريبة وقد كتب الكثير عن اللؤلؤ ومع احترامي لكل ما كتب لا أستطيع أن أتفق معهم في الرأي بأن اللؤلؤ يتكون نتيجة نقطة مطر تسقط داخل المحارة حيث أنه لا يعقل أن تطفو هذه المحارة الثقيلة إلى السطح لكي تبتلع نقطة المطر ونعلم أيضاً أنه كلما كانت المحارة على عمق أكبر كانت اللؤلؤة أكثر جودة .

وأكثر من ذلك وجدنا أنا واليسوعيين والوثنيين العاملين في صيد اللؤلؤ أن هناك جزءاً من المحارة لو قطع وجعل بالماء يتحول إلى لؤلؤة كما لو كانت غير ملتصقة. ولذا أؤكد أن اللؤلؤ يتكون من نفس مادة المحارة لسبب أو آخر فهي نفس تركيبات المحارة الحاوية لها .

ولكن أتعجب من وصفات الأطباء الذين يستخدمون اللؤلؤ في الوصفات الطبية .

بعد هذا العرض الكامل والذي أدخله بيدرو تينحسيرا في سياق الحديث عن جزر البحرين يعود الآن مملكة هرمز مرة أخرى .

عندما احتل شاه قطب الدين البحرين احتل القطيف وديراب (جزيرة تجاه شط العرب) وربما تكون هندرابي. وأصبح سيد الشواطئ الخليجية العربية والفارسية وأصبح له دخل مادي كبير .

وكان لشاه قطب الدين أخ يسمى نظام الدين أحبه كثيراً ولكن كان الأخير يتآمر على أخيه قطب الدين .

رافق نظام الدين أخاه قطب الدين في رحلة صيد إلى اليابسة في منطقة (رودخانه سور) (نهر الملح) في اتجاه (مريدون) فانتهز نظام الدين الفرصة مدعياً أنه يطارد أرنباً برياً واتجه هو ورجاله إلى (دوس) مقابل جزيرة هرمز وهناك عبر البحر وعاد إلى هرمز وقد سقطت في يده بسهولة حيث كان كبار القوم في صحبة الملك في الصيد فعاد الملك إلى الساحل المقابل واستقر في (كولجهان) يستعد للعبور إلى جزيرة هرمز وكان ذلك في ٧٤٥هـ الموافق ١٣٤٥م .

وبعد استقرار نظام الدين أرسل إلى المناطق التابعة له رسله ليخبرهم بذلك ويطلب من الولاة فيها الولاء له واعد إياهم بالهدايا والمكافئات .

ـتجب الولاة لهـذا الطلـب
راهتان) والتي طلبـت منـه في
ـسال دعـم عسكري يسـاعد
. هجمات رجال قطـب الديـن
ـه لو تأخر هـذا الدعـم فانـهم
ولون إلى قطب الدين .

ظام الدين العبـور إلى اليابسـة
مناطق نفوذه مسـتعيناً بـوزراء
ـن وقيادتـه العسكرية ولكـن
ـميع مساعدته مـاعدا (عمـر
ن) حارس البوابة وأحد القواد
ـي أعلن ولاءه لنظام الدين .

ذلـك عـبر نظـام الديـن إلى
توجـه إلى منطقـة كولجـهان
جيشـان، جيش نظـام الديـن
ـطب الديـن وكـان عمـر ضيـاء
ـة الجيش في صف نظام الدين
ـطب الديـن شـاه التراجع إلى
) منطقة قرب السـاحل وعلـى
ين فرسـخاً مـن أرض المعركـة
ـر إلى قليـهات وإلى جزيـرة
ى هنـاك سـنة واحـدة، كـان
ـب الديـن إلى قليـهات بـادرة
تصادي حيث تحولـت السـفن

القادمـة مـن الهنـد إلى قليـهات بـدل هرمز .

"يذكر ابن بطوطة أنه عندما كان في ظفـار أبلـغ أن السـلطان قطـب الديـن تهماتان ابن تورانشاه ملك هرمز قد هجم عليها في أسطول عظيم ولكـن أرسـل الله عليه عاصفـة حطمـت سـفنه ولـذا عقـد الصلح مـع ملـك ظفـار بـدل احتلالهـا" وتبدو هذه الواقعة وكأنها تؤكد ما يذكره بيدرو تينحسيرا .

بعد استقرار قطب الدين في قليهات وصلته أنباء عن موت نظام الديـن وأنـه قد أوصى ابنيه شمبـه وشـادي بالتوجـه إلى قليـهات وتقديـم المملكـة إلى قطـب الدين مرة أخرى ولكنهما لم يفعلا ذلـك (ويقـال حسـب روايـة ابـن بطوطـة أن نظام الدين مات مسموماً) .

أقـام قطـب الديـن العـزاء لأخيـه وأرسـل رسـائل تعزيـة مؤثـرة إلى ابـني أخيه يخبرهما فيها أنـه يعتبرهمـا مثـل أولاده. ولكن لم يهتم الإبنان لذلك وقاما بالضغط علـى الأهـالي والطغيـان وأصبح وجودهما خراباً للمملكة .

عندما علم قطب الدين بذلك جـهز أسطوله وتوجه إلى جكـن (ميناء قرب جسك) وكانت مسكونة بالأعراب ودخل

أسطوله في معركة مع أسطول ابني أخيه وانتصر أسطول هرمز وهزم ابني أخيه فعاد منتصراً من المعركة إلى (**كوستك**) حيث قابله أيوب شمس الدين أحد قادته البحريين ومعه دعم عسكري من هرمز لمساعدته فاتجه قطب الدين ومعه الأسطول إلى هرمز ووصل إلى ميناء (**جارو أو كارو**) في هرمز عندما سلم ابنا أخيه نفسيهما إليه ولكن بشرط الإبقاء على حياتيهما فقام الملك قطب الدين بنفيهما إلى البحرين .

أعاد قطب الدين تنظيم أمور الجزيرة وأعاد أسعار المواد الغذائية إلى سابق عهدها وسمح للهاربين والمنفيين بالعودة إليها وأعاد إليهم أملاكهم .

ولكن ما إن وصل الأخوان إلى البحرين حتى قاما بالاستعداد مرة أخرى لغزو هرمز .

قام السلطان قطب الدين بالاستعداد من جانبه لدخول البحرين . ويؤكد ابن بطوطه ذلك قائلاً : (*عندما دخلنا هرمز وجدنا السلطان قطب الدين تهماتان ابن تورانشاه وهو رجل طاعن في السن يستعد للحرب ضد ابني أخيه نظام الدين وكان كل ليلة يعلن نية البدء في الحرب وكان وزيره شمس الدين محمد بن علي القاضي إمام الدين الشونكري وكثير من الرجال جاءوا لزيارتي ولكن استأذنوا في الرحيل لانشغالهم باستعدادات الحرب وبقينا ستة عشر يوماً معهم وبعد مقابلة السلطان وابن أخته علي شاه ابن جلال الدين ولقد تسبب استلام نظام الدين السلطة بالانقلاب على أخيه قطب الدين أثناء غياب الأخير عن المدينة في حروب تعتبر المواجهة الحالية بين قطب الدين وابني أخيه جزءاً منها وقد استقر قطب الدين وحاول عدة مرات استرجاع هرمز من أخيه نظام الدين ولكن باءت كل محاولاته بالفشل إلى أن قرر إرسال رسول منه إلى زوجة أخيه نظام الدين بغرض دس السم له وتم ذلك فمات نظام الدين مسموماً وقرر عندها قطب الدين العودة إلى هرمز فهرب ابنا أخيه مع ثروات كبيرة إلى جزيرة قيس وقاما من هناك بأعمال القرصنة واعتراض السفن المتوجهة إلى هرمز ودمروا جزءاً كبيراً من تجارتها*) .

إننا وبالإشارة إلى ما يذكره ابن بطوطه نجد أن هناك تقارباً في الأحداث ما عدا أننا نستطيع أن نؤكد أن التاريخ الذي يذكره ابن بطوطه لزيارته ربما كا ١٣٤٦-١٣٤٧م ولكنه يذكر أنه تر

ـارة مكة في ٧٣٢هـ الموافق
زار هرمز بعد عدة سنوات
ن الصين ونعتقد أنها كانت
لكنه لا يذكر أي شيء عن
أيام التي قضاها في هرمز في
ة .

ـل مذكرات بيدرو تينحسيرا
السلطان قطب الدين توجه إلى
ي أخيه ودخل جزيرة قيس
ن يقيم شادي والذي انتصر في
ـد جيش عمه السلطان .

، السلطان مرة أخرى إلى هرمز
جوم على هرمز ولكنه لم يجد
ها حيث توجه إلى البحرين
يه شنبه فدخل قطب الدين
س وسلبها وترك بها حامية
ـاد إلى هرمز ليستعد لغزو

ا علم الأخوان بذلك توجها من
لى قيس لاسترجاعها ولكن في
الطريق هجرهما جنودهما
والتحقوا بالملك وأشهرهم شمس
ـمود وكمال الدين إسماعيل
يـن مصلح وهم من الزعماء

وقبل توجههم إلى هرمز مروا بجزيرة قيس وأنذروا حاكمها مير طه باحتمال وصول أسطول البحرين. ومن هناك توجهوا إلى لفت في جزيرة قشم وأخذوا معهم مير سابق الدين (قائد قلعتها) إلى هرمز خوفاً عليه من هجوم الأسطول القادم للحرب .

لم يتراجع الأخوان شنبه وشادي فأبحرا في اتجاه جزيرة قيس ولكن لم يسمح لها بالتوقف فيها فواصلا الإبحار إلى لفت أرسل ملك هرمز قواته إلى المقدمة لملاقاة أسطول البحرين وعسكرت هذه القوات في ميناء (دارجودن) قرب لفت في جزيرة قشم فقام جيش الملك بالهجوم البري والبحري وهزم أسطول البحرين الذي أضطر للعودة بعد خسائر كبيرة إلى جزيرة البحرين. ومع وصولهما إلى البحرين ابتدأ الصراع بين الأخوين كل يتهم الآخر بسبب الهزيمة التي أحلت بهما فقام شادي باعتقال شنبه وزج به في السجن وكاد يقتله لولا تدخل والدتهما في ذلك والتي قامت بإطلاق سراح ابنها شنبه .

وما أن أطلق سراح شنبه حتى توجه إلى قرية قرب شيراز (تدي فال) واستقر بها وهذه القرية جاء منها كل

وزراء هرمز والرؤساء شرف الدين والرئيس نور الدين وبدر الدين .

"يبدو أن ملوك هرمز اختاروا وزراءهم من طائفة (الخواجه) والتي استقرت أصلاً في قرية فال، والرئيس أو الرؤساء هم حكام صغار وعلى جميع المستويات ويخضعون للملك هرمز أما الشريف أو الأشراف فهم خزنة الملك".

عندما أدرك حاكم شيراز شخصية الرجل المقيم في فال أرسل في طلبه وأكرمه وعامله معاملة عظيمة .

عندما جاء الضيف توجه الشاه قطب الدين ملك هرمز وبلاطه إلى نخلستان (في مغوستان) على الأرض الفارسية حيث تكثر الأشجار والمياه العذبة وذلك لقضاء فترة الصيف لكن وافاه الأجل هناك بعد عدة أيام من وصوله وكان ذلك في ٧٤٧هـ الموافق ١٣٤٧م .

بعد وفاة الأب تولى الابن توران شاه ابن قطب الدين شاه الحكم في هرمز وهو الذي كتب الشاهنامه الخاصة بهرمز وتاريخ ملوكها وبصورة مطولة وليس بالصورة التي أقدمها الآن. وكان ملكاً متواضعاً أحبه الناس وما أن تولى إمارة هرمز حتى أرسل حاكماً نائباً عنه إلى جزيرة قيس (محمود عمر) وهو رجل شجاع وذو كفاءة إدارية وخبرة طويلة ومع علم شادي في البحرين بشجاعة وإقدام محمود عمر في قيس فإنه لم يتراجع عن محاولة دخولها بأسطوله مرة أخرى وهزيمته للمرة الثانية والتي تبعها عملية التآمر التي قام بها مع أحد أقارب محمود عمر للنيل منه في الفرصة السانحة فقام شادي بطلب الصلح وأبدى رغبته في لقاء محمود عمر من أجل ذلك عندما تم اللقاء جاء شادي إلى المكان المخصص واستطاع أن يعزل محمود عمر في مكان بعيد عن مرافقيه وأن يعمى عينيه وكانت هذه العملية من الوسائل التي يمارسها ملوك فارس وهرمز انتقاماً من المناوئين لهم وخاصة من أقربائهم وفي هرمز كان هناك برج قريب من (مزار سانتا لوسيا) الآن هذا البرج كان يستخدم لسجن من تم تنفيذ ذلك الحكم فيه من أقارب ملوك هرمز. وكانت هذه العملية تتم بواسطة تسخين وعاء من النحاس على النار حتى يتوهج وبعد ذلك يتم تقريبه من عيني الشخص، وتؤدي الحرارة والتوهج إلى تلف عصب العين مع بقاء العين كما هي دون وجود أية جروح أو إصابات خارجية .

وبعد عمي محمود عمر أصبح شادي حاكم هرمز المطلق فأرسل ملك هرمز أسطوله إلى قيس لاعتقال شادي ورغم الحصار المضروب على الجزيرة استطاع الفرار والتوجه إلى لفت في جزيرة قشم فوصل الملك إلى ميناء دراجودن قرب لفت وهناك تخلى أصدقاء شادي عنه والتحقوا بمعية الملك فهرب شادي مرة أخرى إلى البحرين وتوفي بعد وصوله إليها - فقام توران شاه بتولية ابن شادي على البحرين .

ما إن بلغت أنباء وفاة شادي إلى أخيه شنبه في شيراز حتى توجه مسرعاً إلى البحرين وقام باحتلالها والانتقام من كل من ساعد أخاه ضده وقتل الكثيرين ولم يسلم من ذلك حتى الأطفال (قتل ولي العهد والذي كان طفلاً آنذاك) وهرب الكثيرون من الجزيرة. فتصدى له (مير عجب) ومرافقوه وعائلته وهجموا على منزل شنبه وقتلوه .

بعد مقتل شنبه تم إطلاق أحد الزعماء المسجونين (محمد البهلوان) وطلب منه مير عجب أن يتنازل له (أي لمير عجب) عن حكم البحرين ولكن رفض البهلوان ذلك وتوجه إلى قلعة القطيف برفقة زعيم عربي آخر من (الصفاف أو الصحاف) ويسمى حمد الرشيد .

إتجه الاثنان إلى الشيخ ماجد حاكم القطيف يطلبان مساعدته العسكرية ضد مير عجب، وعلى غفلة منهما قام الشيخ ماجد بإلقاء القبض عليهما وإرسالهما مقيدين إلى هرمز برفقة الزعيم (علي المشدي) .

لما بلغ السجناء هرمز أخبروا ملكها توران شاه بما جرى في البحرين فأبحر معهم إليها وقابل هناك مير عجب والذي طلب من الملك تعيينه حاكماً عليها مقابل ما قام به تجاه الطاغية شنبه .

على عكس ما توقع مير عجب قام الملك توران شاه بعزله عن البحرين فالتجأ إلى (الدير) ولكن قام رجال توران شاه بالقبض عليه وإحضاره إلى ملكهم الذي أمر بقطع رأسه وإطلاق سراح السجينين (البهلوان والشيخ حمد الرشيد) .

توجه توران شاه بعد ذلك إلى القطيف حيث لقيه شيخها ماجد بكل حفاوة واحترام وبعد مضي عدة أيام هناك عاد إلى البحرين ومنها إلى هرمز مرة أخرى .

إلى هذا الحد من التاريخ المذكور عن ملوك هرمز كان مصدرنا ما كتبه الملك توران شاه والذي حكم ثلاثين عاماً توفي بعدها في ٧٧٩هـ الموافق ١٣٧٨م وتبعه في الحكم أبناؤه كما يلي: الأول مسعود وتلاه شهاب الدين وبعده سلفرشاه والذي حكم الجزيرة والجزء من اليابسة المقابل لها ويقال أنه أراد في لحظة من لحظات عنفه أن يدفن البحرين الجزيرة واليابسة لتصبح هرمز مملكة واحدة وهو الذي كان يغني بأعلى صوته ضد الدولة الصفوية قائلا (**قلب أعدائي يحترق لأنني رجل في أرض محاطة بالبحر**) ويعني عدم استطاعة الدولة الصفوية الانتقال عن طريق البحر إلى جزيرته ومع أن الدولة الصفوية ملكت السواحل كلها واليابسة ولكنها ذهبت دون أن تطال جزيرة هرمز .

مع وجود قبائل ساحلية موالية للشاه الصفوي مثل العماديين وقبائل قول .

هنا يجب أن نذكر أن الصفويين وجدوا قبل الشاه إسماعيل الصفوي والذي كان ملكاً لفارس عند وصول البرتغاليين إلى هرمز .

توفي سلفر شاه وبعده تولي (الشاه ريس) الحكم وتلاه الشاه سيف الدين وكان الأخير ملك هرمز عندما دخلها الفونسو دا البوكيرك في ١٥٠٧م ورغم تطوير هرمز بقيت العائلة الملكية تتوالى في السلطة على الجزيرة .

ولكن بقيت سلطتهم في حدود الجزيرة وعلى رعاياهم الأصليين فقط وحددت السلطة البرتغالية تنقلاتهم إلى خارج الجزيرة دون إذن من قائد حامية هرمز، وبما أنه لم يكتب أحد من الملوك التابعين لتوران شاه أي شئ عن تاريخ هرمز وملوكها لذا أتوقف عند هذا الحد من تاريخ هذه المملكة .

تعقيب ورواية أخرى عن توران شاه :

يذكر عبد الرزاق (**أحد زوار هرمز**) أن ملكها كان فخر الدين توران شاه عند زيارته لها ويبدو من مقارنة الفترة الزمنية التي توفي فيها توران شاه بأن الأولاد الأربعة الذين تبعوه في الحكم هم في الحقيقة أبناء ابنه فخر الدين وليسو أبناءه ولكننا لا نعلم فترة حكم فخ الدين ولكن نستطيع أن ندرك بأنه هذه الحالة خلفه أبناؤه بالترتيد الآتي: الأول مسعود والذي حكم إلى

ه شهاب الدين (ونستطيع أن
ذه الحالة بأن نهاية فخر
ن شاه تقع في الفترة القريبة
م) وقد زار هرمز (جوسافا
ـن البندقية حيث يقول أن
يدعى سلطان شهاب الدين
أن هرمز تدفع الجزية إلى
بك (حاكم فارس التركماني
ة الزمنية) والذي توفي في
دو أنه من التواريخ المقدمة
بارو بأن شهاب الدين قد
ى عشرة سنة فقط ١٤٦٥-

روس (Barros) فهو يقول
في توران شاه الملك حكم
شهاب الدين وسلفر حافظ
أن حكمهم استمر عشر
أول وإحدى عشرة للثاني
ونصف .

رتو (Couto) فيقول أن
ف أربعة أولاد مسعود شاه،
ن، سلفر، وشاويس والذين
بالإرهاب ما عدا مسعود
حكم عشر سنوات وشهاب
ـم إحدى عشرة سنة،
كم سنة ونصف سنة، أما

سلفر فهرب إلى الإحساء بعد ثورة أخيه عليه واستعان بملك الإحساء وعاد بجيش كبير استرجع بواسطته الحكم مرة أخرى .

أما باروس فيقول إن سلفر كان حاكماً لقليهات عندما استولى أخوه الأصغر على السلطة ولذا هرب سلفر إلى الإحساء واستعان بالرئيس نور الدين والرئيس كمال الدين رئيس شيلاو واستطاعوا هزيمة جيش شاويس وسملت عيناه .

أما عن ملوك هرمز في الفترة البرتغالية :

فرغم أن ملوك هرمز وبعد دخول البرتغاليين إليها أصبحوا دمى في أيدي السلطة البرتغالية إلا أن العائلة المالكة استطاعت أن تواصل وجودها الاسمي والذي يخلو من أية سلطة أو حضور إداري إلى أن قام الصفويون بطرد البرتغاليين من هرمز ١٦٢٢م .

فلذلك يذكر كوتو مرة أخرى بأن سيف الدين حكم عشر سنوات تلاه أخوه توران شاه والذي حكم تسع سنوات ويبدو أن هذا التغيير حصل في عام ١٥١٥م حيث يذكر كوريا (Correa) بأن الملك في هرمز يسمى

توران شاه والذي يبلغ من العمر اثنتين وعشرين سنة وأن والدته كانت حبشية وفي رواية أخرى أن هذا الملك دس وزيره له السم وعين مكانه شاباً يبلغ الثالثة عشرة من العمر يسمى محمد شاه ابن سيف الدين والذي حكم تسع سنوات فقط ويبدو أن لسيف الدين ولدان في عام ١٥١٥م أحدهما في التاسعة والثاني في الثانية وأنه في عام ١٥٣٢م كان هناك أخ للملك وهو شاب يبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً وكان يدعى الرئيس علي وقد تم ترحيله إلى جوا في الهند لمحاولته دس السم إلى الملك محمد شاه وبعد وفاة محمد شاه قام قائد حامية هرمز باختيار أحد أبنائه (أي ابن محمد شاه) ويبلغ من العمر ثماني سنوات وتم تعيينه ملكاً للبلاد في عام ١٥٣٤م وقتل الطفل المذكور بالسم مرة أخرى نتيجة مؤامرة من عمه في جوا (الرئيس علي) ونقل الرئيس علي وهو الوريث الشرعي للملك من جوا إلى هرمز وسلم زمام السلطنة ولكن تم ترحيله مرة أخرى إلى جوا في عام ١٥٤٢م نتيجة لجنونه وإفراطه في شرب الخمر وأعيد مرة أخرى بعد سنتين ولكنه لم يبقَ طويلاً في الحكم .

ويذكر كوتو أنه بعد وفاة سيف الدين خلفه سلفر شاه ابن توران شاه والذي تم ترحيله سابقاً بواسطة القائد البرتغالي إلى جوا منعاً لانشقاق وانقسام العائلة وأبقاه في كوشين وكان له ولد يسمى توران شاه وكانت والدته حبشية وتسمى (بيبي غزاله) وذلك لتشابه عينيها بعيني الغزال وأعيد سلفر إلى هرمز بعد وفاة سيف الدين لاستلام الحكم وتوفي في نوفمبر ١٥٤٣م مسموماً .

وتختلف الرواية مرة أخرى حيث يذكر كوريا أنه بعد وفاة سلفر تسلم السلطة ابنه توران شاه (قادماً من هرمز) ويؤكد مؤرخ آخر (كوتو) أن القائد البرتغالي نونو دي كونها **(Nuno da Cunha)** كان قد نفي والد توران شاه وعمه (بابو شاه) إلى جوا وأن الأخير تزوج من امرأة من تلك البلاد ورزق بابن سمى فاروق شاه وأنه بعد بلوغ بابو شاه التسعين من العمر قرر العودة إلى هرمز وحصل على تصريح بذلك من القائد البرتغالي دي بيدرو دي سورا **(D.Pedru de Soura)** والذي تم تعيينه قائداً لحامية هرمز في ١٥٦٢م

تو أنه في عام ١٥٦٣م توفي وتبعه الرجل المسن بابو شاه يستمر حكمه أكثر من سنة ده ابنه فاروق شاه وتصف البرتغالية أنه نصب حاكماً في ير وتدل على أنه أعطيت له ت المعطاة سابقاً للملك توران مارس ١٥٦٩م .

أنه حكم مدة طويلة حيث سلات برتغالية تذكر أن الملك ود أن يتنازل لابنه الثاني اه (في ١٥٩٨م) والذي كانت ت الوزير ولم يوافق نائب الملك في الهند على ذلك حيث نصح فاروق شاه أن يعين ابنه الأكبر فيروز شاه وأن يحاول تزويج ابنه هذا من ابنة الوزير ويبدو أن الملك فاروق شاه قد توفي في ١٥٦١م وتم تعيين مير فيروز شاه مكانه وأنه قد توفي في فبراير ١٦٠١م وعين مكانه أخوه محمد شاه .

ودخل الإنجليز والفرس إلى هرمز في عام ١٦٢٢م وانتهى بذلك عهد البرتغاليين فيها وكان آخر حاكم عليها محمد شاه وأعتقل الملك وعائلته ونقلوا جميعاً إلى فارس وبذلك انتهت مملكة هرمز إلى الأبد .

الهوامش

١ – هذه الملحمة كانت في نسخة واحدة مخطوطة فقط وفقدت أثناء الهجوم الإنجليزي الفارسي على قلعة هرمز في ١٦٢٢م .

٢ – الخان – بندر بير الخان والمياه الضحلة المقصود بـهـا هنـا ميـاه رأس المطـاف والـتي بنهايتـهـا رأس الخان .

٣ – ريشل – المقصود بها بوشهر .

٤ – ريخ سيف الدين – المقصود به بندر ريخ وهو الخليج الترابي .

٥ – نهر رشتل هو خور سلطاني – أما بندر ريخ فهناك خور أصغر من خور سلطاني .

٦ – منطقة خربة ولكنها غير موجودة الآن في خريطة المسارات المائية في منطقة الخليج ويبدو أنها كانت مدينة غمرتها المياه .

٧ – يبدو أن هذه المعلومات غير صحيحة وربما نقلت إلى بيـدرو تينخسـيرا بواسـطة أحـد البحـارة علـى السفينة أو حتى قبطانها .

٨ – هذه جزيرة تسمى الآن المحلة .

٩ – يعتقد أنها منطقة قرب البصرة .

١٠– أن بعض سكان البصرة من المسيحيين المقيمين و البعض من الهنـود الذيـن كـان عددهـم ثلاثـة آلاف آنذاك .

١١– إبراهيمي هي منطقة بندر إبراهيم أو خور ميناء شرق هرمز .

١٢– نعتقد أن هذا يعني هجوم المغول على أرض فارس .

١٣– تسمى قيس أو كيش أو قن .

١٤و١٥ – لا نستطيع تعيين موقع دنو ولكن كومزاره هي ميناء كومـزار قـرب رأس مسـندم ولفـت ميـناء على جزيرة قشم وربما تكون كومزاره تحريف لموقع آخر يسمى ضمير مقابل لفت .

١٦– يكتب السير روبرت شيرلي في أكتوبـر ١٦١٤م إلى شركـة الهنـد الشرقيـة قـائلاً "البحريـن جزيـرة مقابلة لساحل الجزيرة العربية وعلى بعد أربعين فرسخاً مـن سـاحل فـارس ومنتوجـها الرئيسـي

الذي يعتبر أحسن لؤلؤ في العالم وقد أخذها ملك فارس من البرتغاليين وترك بها حامية من رس وتحيط بهذه الجزيرة الصخور المرجانية والتي تجعل الملاحة في مياهها صعبة جداً" .

توماس بويس إلى اللورد سالسبري قائلاً (في ١٠ يونيو ١٦٠٩م) "أخذت جزيرة البحرين ، ملك فارس منذ ستة سنوات أي (١٦٠٣م) .

مؤرخ ثالث ذلك الحدث قائلاً "بعد أن قام وزير البحرين بقتل أحد التجار فيها واستولى لؤه قام أخ القتيل وقتل الوزير منتقماً لمقتل أخيه واستولى على قلعة البحرين وفتحها للفرس ائد هرمز دي بيدرو كوتينهو (D.Pedru Cotinho) إرسال أسطول تحت قيادة دي كو دي سوتوماير (D.Francisco de Sotomayor) لاستعادة البحرين. وأرسل وزير أو رئيس هرمز أو الحاكم) عن طريق البر لنفس الغرض .

النبأ حاكم شيراز وردي خان أرسل جيشاً كبيراً تحت قيادة آدم سلطان ليحاصر ميناء ن (بندر عباس) لكي يصرف البرتغال أنظارهم عن البحرين وفعلاً كاد البرتغال أن وا البحرين ولكن نتيجة لتغير قائد هرمز بواسطة نائب الملك في الهند (نتيجة وشاية) قائد جديد ديجو منزيس بارتو (Diogo Menzis Barreto) والذي أصيب بالمرض، تفشي الحمى في الجنود البرتغاليين المهاجمين وإصرار أهل البحرين في الدفاع عنها كل ذلك فشل مهمة القائد البحري جاسبر دميلو ديسامبايو (Gaspar de Millo de Sampaio) ن هذا ثاني قائد ترسله هرمز إلى البحرين)

جوفيا (Gouvea) أنه ما إن بلغت أنباء الأسطول البرتغالي المتوجه من الهند إلى البحرين ١٦٠١م تحت قيادة دي جورج كاستلبرانكو (D.Gorge d Castelbranco) قام وردي سال أسطوله لمحاصرة بندر عباس (جابرون) واحتلال مناطق في هرمز تابعة لملكها. ولكن ه وأمره بالعودة إلى شيراز وإعادة البحرين إلى البرتغاليين ولكن هذا الأمر لم ينفذ .

ة مؤرخة ٢٥ فبراير ١٦٠٥م يبدي ملك أسبانيا مخاوفه من احتلال الأتراك للبحرين ويأمر لك بأن يقوم باسترجاع الجزيرة من الفرس وأن يأخذها بالقوة أو بالرشوة لقائد الحامية م تسليم قلعتها إلى البرتغاليين. ويواصل الملك اهتمامه بالجزيرة في رسائل لاحقة لنوابه في كانت آخر رسالة بهذا الصدد في ٢١ مارس ١٦١٧م ولكن بسقوط هرمز في ١٦٢٢م سقطت لامهم في إسترجاع البحرين .

ول باروس (Barros) أن شيلاو تعني فقدان الصينية أما يول وهوبسون فيعتقدان أن عني سلابام بلغة التاميل ومعناها الغوص. أما السنهاليون فيقولون بندر هالفاتا (بندر لابن بطوطة). أما التاميل فيقولون سالابام وتعني مصائد اللؤلؤ .

phenomenon connected with his subject which deserves attention ; it is, that in the vicinity of Bahrain fresh water is found beneath the salt ; that the inhabitants use that water, and the ships and boats which visit the island are very generally filled up with it. Their mode of obtaining this is simple, and characteristic of the people. A diver descends with an empty skin, places its mouth over the spot whence the fresh water gushes, ties the string, when it is filled, and permits the skin to rise to the surface. At high tide these springs are covered with twelve feet water, and I have no doubt, if search were made for them, that springs of a similar nature would be found in other parts of the world.

J.R. WELSTED

LONDON

burning and boundless solitudes. Its harbours are good, though difficult of approach. If ever stations must be occupied by the British in the Gulf, let them be Bahrain and Kahrak. I have a great respect for the Portuguese in their selection of stations of importance.

Bahrain is at present occupied by a population of about 5.000 souls ; it has already been noticed that the fishery for pearls forms the principal source of their employment and their mode of subsistence, and they otherwise with other ports in the Gulf. The principal town, styled Manama, is situated at the northern extremity of the island, which is about twenty miles in length, is narrow and rises to a hilly ridge throughout the greatest portion of its length.

It cannot have escaped the attention of those who have turned their inquiries and observations towards these interesting regions, that the Arabian geographers, and those following their example of a more recent date, have laid down a river flowing from the interior, and discharging its waters on the coast opposite the island of Bahrain.

Whether search was made for this by the surveying vessels, and whether it be not one of those numerous streams which, as in other parts of Arabia, have but an ephemeral existence, being merely flooded during the rains and subsiding immediately afterwards, I know not. Captain Sadler, again, in his memorable journey across the Arabian continent, makes no mention of it, nor does it appear in the survey charts. I yet am unwilling to wholly put aside the authority of the Arabian geographical writers, the more so that fresh water is perceived to abound in this district, and there is a curious

furnished us with a map and memoir of these interesting regions.

After the fall of Ras el Khymah, it was discovered that the pirates had escaped our cruisers by running into the several ports with which the Arabian coast is indented, and the liberal government of the Hon. Mountstuart Elphinstone at once saw the advantage that would accrue from laying open these haunts. In June 1821, two vessels were selected for this purpose, the ***Discovery*** and ***Psyche***, and I gave the names of the officers attached to either.

Discovery

Lieut. J. M. Guy	**Commanding**
Robert Cogan	**First Lieutenant.**
W.E. Rogers	**Second ditto.**
W.L. Clements	**Third ditto.**
Lieut. M. Houghton	**Draughtsman.**
Mr. J. Anderson	**Assistant Surgeon**
E.B. Squires	**Midshipman.**
Thomas Mullion	**ditto.**
H.H. Whitelock	**ditto.**

Psyche

Lieut. G.B.Brucks	**Commanding**
J.H. Rouband	**First Lieutenant.**
W.M. Lowe	**Second ditto.**
W. Spry	**Assistant Surgeon**
Geo. Pilcher	**Midshipman**
Thos. Boyer	**ditto**
T.E. Rogers	**ditto**

In eighteen brief years what a sad harvest death hath reaped in this then goodly list !

Our geographers have conferred the name of Bahrain in the part of Arabia which lies opposite to the island which is the Tiara of Ptolemy and Icharia of Strabo ; repeated mention is made of it by the earliest authorities, and the Portuguese, when they possessed themselves of stations in the Gulf, did not overlook it. Possessing a fertile soil, abundantly watered by numerous rills, and susceptible of the highest cultivation, we observe a spot, like the oasis of the desert, placed amidst

center. It is perfectly land-locked, and as the channel is narrow, the water within was smooth as that in a mill-pond. Boats resort here in great numbers during the fisheries, and the margin of the harbour is thickly studded with heaps of shells. During the time the crews remain, the masts and sails are converted into tents. The fare of these poor fisherman is very miserable : dates, such fish as they may be able to catch, and water. To such, while cruising amidst them in the ship, our small presents of bread or rice formed a welcome addition. The next object of interest which we approached was the low sandy cape, Ras-Rekkan, which, with the contiguous district, is inhabited by a fierce and warlike race of Bedowins ; we did not in consequence care to land there, but made the best of our way to that island, Bahrain, which presents the greenest spot.

The map which accompanies this work was taken from the recent elaborate survey institute by the East-India Company ; it reflects the highest honour on the officers engaged in its construction, and I am proud of having the happiness of giving in these pages their names. Until 1764 we had no chart of the Gulf. Nearchus was probably amidst the first Europeans who traversed its waters. Benjamin of Tudela, in 1292, speaks of it ; but it was not until the illustrious Niebuhr visited it that we possessed a chart. The extraordinary accuracy of that remarkable man is as conspicuous in this as it is in the several other branches of human knowledge to which he turned his attention during his stay in the East. Lieut Macluer, one of the most correct of modern hydrographers, and of whom but too little is known,

severely, they envelope themselves in white dresses, and have when floating about in the water, with the sun glistening on them, a singular appearance.

There are several modes of opening the shell, but most commonly it is done with a clasp-knife, and the pearl is found embedded in the muscular portion of the fish, where it is attached to the shell. The shells are also sometimes piled up on shore, where the heat of the sun decomposes the fish, and the pearls are at once obtained.

The Sheikhs levy a tax from three to five dollars on each boat, according to its size. The value of the whole produce of the season on the principle bank is estimated at forty lacs of dollars, or about eighty thousand pounds, of which it is computed. The Hindoo merchants purchase and transmit two-thirds to India, while the remaining portion finds its way into Persia and Arabia.

Five days after quitting Ras el Khaimah we sighted a cluster of islets called Maudes` group. In size, appearance, and formation, they closely resembled each other. They apparently owe their origin to volcanic agency, for they abound in sulfur, gypsum, antimony, and iron. From seaward they present an extraordinary appearance. Seir Benias, for instance, exhibits a group of rugged peaks, varying in colour ; some are black, others green, gray or brown, or of a pure white. I was then slightly unwell, and fearful of increasing my illness by exposure, or I would otherwise have gladly availed myself of the opportunity our touching there afforded me of examining its structure ; I must, therefore, content myself with recommending it as well worthy the attention of some future traveler.

A beautiful lagoon in this island extends to nearly its

divided into two portions ; one remain in the boat to receive the oysters, and haul up the divers, the others strip naked, and jump into the sea. A small basket, capable of holding from eight to ten oysters, is then handed to them, and suspended to their left arm ; the nostrils are then closed with a piece of elastic horn, the diver places his foot on a stone attached to a cord, inhales a long breath, and upon rising his right arm as a signal, the rope is immediately let go, and he sinks to the bottom. After collecting as many as are within his reach, he jerks the line, and is drawn at once to the surface. Forty seconds is the average, and one minute and thirty-five seconds the ultimatum which they can remain below. They now cling for a few minutes to ropes suspended for that purpose over the sides of the vessel, and renew their exertions until tired, when they exchange places with those on the boat, and so on alternately, until their cargo is completed. Unopened the oysters are valued at two dollars the hundred ; say upon an average they bring five to the surface, that would be at the rate of about a penny for each descent. Little enough for such a laborious and unhealthy employment did they obtain the whole, but they are fortunate if, after the rapacious demands of their masters are satisfied, they get a third. No one receives any definite wages, but are paid in certain shares, dependent on their skill as divers, or other causes. Sharks they appear to hold in little dread ; but the saw-fish was much feared, and instances were related to me of men who had been completely cut in two by these monsters. To protect themselves from the blubber which floats about in some places, and if it comes in contact with them stings very

forestalled, generally for a foreign market, before it is actually acquired. Individuals who are not merchants are always made to pay very dearly for the liberty of selecting things of the first quality, as taking them away diminishes the general merchantable estimation of produce ; and men who deal in the rough and wholesale will not, without a considerable bribe, thus reduce the value of their goods below the common level. This may account for more being demanded from individuals making selections for fine pearls here than they probably could be bought for in London. Indifferent and bad pearls are abundant and cheap ; and they are used in great profusion in embroidering both the dresses of women and men in Persia. A blue velvet upper garment, tastefully embroidered in pearls, has a magnificent appearance. But, respecting the larger and more valuable pearls, wh: would pass current amon eastern nations as good an suitably arranged, as t shape, size, and wate would be rejected in Europ as intolerably mixed an utterly ill-assorted. There i the same difference in th estimation of flows and th `water` in stones and jewel: But, indeed, want c precision, and a indistinctness both in th perception of ideas and the delivery, is more apparer among Asiatics in gener: than Europeans. Individual of the eastern and wester quarters of the world migl all mean to speak the trutl but how differentl composed would th description of anything by Persian, an Arab, or a Indian be, from that of a Englishman !"

When a boat arrives a spot considered from th nature of the bottom as likel to prove favorable, the boa is anchored, and the crev

the capitalist, in his generosity, may value and receive for one thousand German crowns, which is considered fair success, perhaps above the common, for a season. The division would be as follows :-

Total value acquired, German crowns	1000
Deduct, first, one eleventh to the capitalist for the boat	90
	910
Secondly, 250 crowns, advanced generally in food & c.	250
	410
Fourthly, 5 crowns from each fisherman, paid as a tax to the sheik, or chief of the island	50

Balance...... **360**

to be divided among the ten fishermen, leaving thirty-six German crowns to each.

"If the fishermen be unlucky, or the season be bad, they may not, as is sometimes the case, realize the sum expended, and must then irretrievably get in debt, becoming thereby forever at the mercy of the rapacious capitalist ; others again, may be fortunate in getting a large draught of valuable pearls, and thus rise into capitalists themselves. Occasionally, the oysters are brought on shore before being opened, and sold as a gambling venture ; but they are generally opened at sea, and the pearls taken out. The largest shells are preserved ; many are from six to nine inches in diameter, and are valuable on account of the mother-of-pearl with which they are lined. The oyster itself is never eaten even in a country where food is so scarce.

"It is not always on the spot where the article is produced that it is easiest to be procured, or when so, to be had cheapest, or of the best quality. In some places engagements of a nature something similar to those mentioned above, are made ; and the produce is thus

occasionally mixed, after been bounded, excepting indeed diamonds, which are considered (from being so hard) as utterly indigestible. The majoon is which there is a large quantity of pearls is much sought for, and valued on account of its supposed stimulating and restorative qualities. But I presume that pearls are nothing more than sulfate of lime ; and that Cleopatra's draught was a luxury only in imagination.

"The Bahrain pearl fishing-boats are reckoned to amount to about fifteen hundred ; and the trade is in the hands of merchants there, some of whom possess a considerable capital. They bear hard on the producers, or fishers, and the man who makes most fearful exertions in diving hardly has food to eat. The merchant advances some money to the fisherman at cent, per cent, and a portion of dates, rice, and other necessary articles, all at the supplier's own price ; he also lets a boat to them, for which he gets one share of the gross profits of all that is fished ; and, finally, he purchases the pearls nearly at his own price, for the unhappy fishermen are generally in his debt, and therefore at his mercy.

"The following may be reckoned the common mode of proceeding :- Five ghowass or `divers`, and five syebor or `pullers up`, agree to take a boat together : the capitalist may probably already have lent these ten men about two hundred and fifty crowns to support their families during the former part of the year ; perhaps they were unfortunate in the fishery of last year, and gained little.

"It is supposed they may gain in the current year what

I again quote from Major Wilson's most interesting paper. "The fishing-season is divided into two portions, the one called the short and cold, the other the long and hot ; what is called the short or cold fishery is common everywhere. In the cooler weather of the month of June diving is practiced along the coast in shallow water ; and it is not until the intensely hot months of July, August, and half of September, that the Bahrain banks above mentioned are much frequented. The water on them is deeper (about seven fathoms), and the divers are much inconvenienced when that element is cold ; indeed they can do little when it is not as warm as the air, and it frequently becomes even more so in the hottest months of the summer above-mentioned."

The value of the whole pearl fishery in the Gulf may be estimated in round numbers at nearly half a million (Sterling) ar
The use of pearls, ho
seems somewhat
decline. By the ancie
appear to have bee
valued than by the m
I again quote from
Wilson. "I have not a
in the above estimat
more than ***one-sixth***
amount some
merchants have state
be, matter of gu
opinion, and it is dif
get at facts ; m
estimate is in some r
formed on the es
profits of the smal
But even the sum
have estimated
enormous annual valu
article found in other
the world as well a
and which is never
its best and most v
state, as anything el
an ornament. A consi
quantity of the seed p
used throughout Asia
composition of majo
electuaries, to form w
kinds of precious sto

largest, and the most valued. This single article of commerce produces the means of subsistence for nearly the whole population of the Arabian shore of this sea. The pearl oysters are found more or less along the whole of the Arabian coast. The right of fishing is common to all the gulf, but those who engage most extensively in the trade are the inhabitants of the pirate coast and the island of Bahrain. Custom has assigned limits to both, boats belonging to the former seldom proceeding beyond, or to the northward of, Halool, while those fitted out by the inhabitants of Bahrain prosecute their labours between that island and the port of Katif. "Such as are fished (says Major Wilson) in the sea near the island Kharak and Borgo, contain pearls which are said to be of superior colour and description, from being formed of eight layers or folds, whilst others have only five : but the water is too deep to make fishing for them either very profitable or easy there ; besides, the entire monopoly of the fishery is in the hands of the Sheikh of Bushire, who seems to consider these islands as his immediate property. "The Bahrain boats, again, being in its immediate vicinity, return when laden to their own port for the purpose of opening their oysters, while those from the pirates coast proceed, for a similar purpose, to the several islands with which the lower part of the coast is studded. Not less than three thousand boats are employed during the season, and we had occasion to thread our way through fleets of two or three hundred. All were briskly engaged, as the weather, calm, sultry, and dense, by keeping the water free from agitation and clear, was particularly favorable.

necessity less limited than with the Bedouin Arabs. They maintain a body-guard to enforce their authority, and, in extraordinary cases, exercise a power of life and death. But I must not linger more with this wild and singular people. Every civility was offered me by

those I came in conta during my stay, and left them with son regret. But the] having made al arrangements, r himself ready for se on the morning of t June, we sailed for Ba

MAUDE'S GROUP OF ISLETS - PEA FISHERY - MODE OF OBTAINING 1 PEARLS - THEIR PROBABLE VALL COMMERCE OF BAHRAIN - ADVANTAGES OF POSITION - SURVEYING VESSELS - FRESH WA' OBTAINED FROM BENEATH THE S

Our course the first few days lay along that extensive bank which girds the greater portion of the Arabian side of the Persian Gulf ; coral reefs, nearly on a level with the water, occasionally rear themselves, but in general

the depth varies fron fifteen fathoms. Here very early period ha carried on the most ex fishery for pearls world. Those whi procured are also, I l of the very finest qua

neglected ; you frequently meet them in the streets with a darkened circle of flies attached to a sore around either eye. Use has so accustomed them to their stay, that they are permitted to remain unmolested.

Their total abstinence from spirituous and fermented liquors, and their simple diet, render diseases of rare occurrence, and instances of longevity are not at all uncommon. Cholera and the small-pox occasionally visit them ; the former they had at first a very singular mode of treating. Immediately the symptoms appeared, the patient was deluged with cold water, which was continued until he died, or the spasms disappeared. They have a peculiar horror of the small-pox ; the sufferers are removed without the town, and the same precautions used in approaching them as if they had the plague.

Milk, dates, fish, and cakes of barley-bread from the staple articles of their food, to which a Sheikh may add a pillow of rice, fowls and kid. All classes partake freely of coffee, which is drunk before and after meals. The whole coast abounds in fish ; mullet in the back waters and creeks are caught with the casting-net in great numbers. This people prepare their fish in the same manner as Diodorus describes the Babylonians to have done ; they first dry it in the sun, beat it very small in a mortar, and afterwards sift it through a fine cloth, from it then into cakes, and bake it with their bread. Poultry, eggs, butter and cheese, together with fruit brought either from the green mountains or the fertile oases of Oman, are cheap and plentiful.

The power of their Sheikhs, from the more turbulent character of those over whom they rule, is of

thong is a small circular shield, about ten inches in diameter ; thus far, costume and arms closely resemble the Highlanders. Their cloaks or camelines, which in the cold weather are worn by all classes, are of several kinds ; the best, of a cream colour and fine texture, in value about thirty or forty dollars, are fabricated in Nejd ; but a stouter and inferior description, either black or in alternate stripes of white or brown, is more generally worn, and its value may be estimated at five or six dollars. The females and children are much fairer than the men : when young the former are pretty, and all have fine eyes and good teeth ; but the hard labor to which their husbands consign them, and their meager fare, brings them prematurely to decay, to which, however, their very early marriage, usually contracted when they are not more than thirteen or fourteen, not a little

contributes. Their
consists simply
handkerchief bound
their head, and a loo
shirt completely env
their whole person. N
of education is besto
their children ; expert
the use of arms is
which the parent is a
to see them excel. A
urchin, five or six yea
struts about with his v
sword, and proud and
is he if, at the age of
can adorn his person
real Ferrara. They ru
wild and nearly
amusing then
principally in the
whence they becom
very early age
amphibious. One
source of amusemen
fashion out models o
vessels, some of whi
very well done, an
watch or follow
progress in the wate
attention to cleanlin
paid by any class
children are esp

deep black hue, but neither are worn very long ; the eye, dark and bright, is unusually deep-seated : beneath their brow, and the expression of their countenance in general is rather harsh and gloomy, partaking of their general character, which displays itself in an utter contempt for all frivolous pursuits, and of what are styled the comforts of life.

While in their boats a single cloth around their waist is all which is worn ; but they never appear on shore but in their full costume as Bedowins. A shawl, wove with thick cotton and silk, envelopes their head ; it is about four feet long and two broad, striped red and yellow, and one end partially shrouds the face, thereby imparting an additional harshness to their stern features. The silk at the extremity of this shawl is twisted into cords, which serve, by their motion, to keep off the flies and other insects, which are here particularly numerous and troublesome. It was seldom that a boat detached from the ship to the shore did not come off laden with them, absolutely, in fact, clustering in masses to her sides. A shirt of unbleached cloth, open in front, but buttoned round the neck, is confined to the waist by another cloth, in which is kept their tobacco and cartouch boxes, together with their knives or daggers, which serve, like the dagger of mercy, not only to finish their victims by cutting their throats, but also for their necessary domestic purposes. Over their shoulder is slung their powder-horn studded with brass, and their matchlock of great length, usually enclosed in a leathern bag. By their side is worn their formidable sword, which is a thin, straight, two-edged blade, with a long handle without a guard, and attached to it by a leathery

Having shawn what these people were a few years previous, let me proceed to describe what they now are.

Although debarred by the treaty from fighting afloat, yet their feuds are as frequent as ever on shore. This originates partly in their being prevented, for a considerable time of the year, from any more worthy pursuit. The pearl fishery continues only during the months of June, July, August, and September, and the remainder of their time would otherwise be passed in idleness ; "how," said the Shaikh, when I was talking to him on this subject, "can we employ our time on shore better, than by settling such differences as during more busy times have originated between us." After these encounters our surgeon's assistance was very frequently called in, and some of the patients were cut and gashed in the terrific manner. They bore the dressing with astonish firmness, but under circumstances would tl consent to the amputatior the limb. In their appearai they differ from the ot Bedowins, in be somewhat taller, stouter, ; fairer ; and some of th exhibit a development flesh and sinew I have ne seen surpassed ; in trı perfect Herculean model: strength and symmetry. 7 features of the Shaikhs ; superior classes bear a strc characteristic resemblance each other ; the contoui their face is a lengthei oval, the forehead flat ; moderately high, the n prominent and sligl aquiline, and the c retreating, so that tl profile partakes more o round than a strai character ; their complex is a light coloured, heal brown, more deeply tin; about the eyes, neck, ; joints ; their beards ; mustachios are always (

occur, yet the British are always respected, and a degree of peace and order maintained on these shores, which it is not probable that they during any other period have known. All their boats towns and forts have, however, been rebuilt, their boats are more numerous than ever, and, were the present foreign check on them removed, they would very quickly relapse into their pristine habits in which they and their ancestors for centuries have gloried. They dwell with particular enthusiasm on the exploits of one individual, whose career and deeds were so extraordinary that I shall offer no apology for giving a brief detail of them.

The Bahrain Shaikh's brother, roused at length by the injury inflict, on the revenues of the port, and shamed at the disgrace which their forbearance was bringing on them, proceeded in three heavy boats to attack Ramah, who was cruising off the harbour. His followers, too well trained to feel or express alarm save that which arose from affection for their chief, painted in strong terms the overwhelming superiority of the approaching force, and counseled his bearing away from them, but he spurned the idea. The enemy drew near, and closed upon him ; after a severe contest they gained the deck. An instant after - dead and dying - the victor and the vanquished were given to the wind. Ramah, with a spirit in accordance with the tenor of his whole career, finding the day was going against him, was led by a little boy to the magazine, and then, it is supposed, applied the pipe he had been smoking during the action to the powder. Such to his life was the fitting end of the pirate chief !

The early efforts of commerce were preceded and blended with such pursuits, and in the time of Homer it was customary to inquire, in the most courteous manner, if the stranger was a merchant, or merely practicing as "a sea-attorney." To the Arabs their burning deserts have always proved the cradle of liberty, and notions of independence have ever there unalterably and warmly been cherished. Necessity prompted some to reside on the sea-coast. With a wild, energetic, and warlike people, whose chief delight is in the exhibition of personal prowess, contempt of danger and death, presented irresistible charms to an imaginative and half-civilized people. Their sea-coasts were indented with numerous creeks, within the entrance and the vessel was quickly lost sight of ; indeed I question if any part of the globe presents a more tortuous or irregular outline than the north-east portion of Arabia. Lurking in these nooks, where the entrance of the Gulf is not more than twenty miles in width, they were enabled to rush out and seize on their prey ; and until within the last few years they kept the whole eastern seas in a state of alarm. Without discipline, system, or organization, they embarked under the banner of some favorite chief, and in many instances displayed a boldness and reckless gallantry worthy of a cause.

Since this period their coast has been minutely surveyed. A strict system of surveillance at the same time was established by the maintenance of a naval force in the Gulf ; and, as a measure of necessity, their attention became turned from piratical to commercial pursuits : their boats trade peaceably from port to port, and though such outrages as I have before narrated between themselves will

up, and we ran before it for Ras el Khaimah ; the creek of which we entered shortly before sunset.

Ras el Khaimah, or the cape of tents, is built on a low, sandy, projecting point, about three-fourths of a mile in length, its breadth by several towers extends along the sea-coast. The harbour is formed by this peninsula and the opposite shore, and is about half a mile broad, with a bar at the entrance only admitting vessels at high-water ; but here, behind the towers, when any danger threatens them, they haul their vessels up above high-water mark. The houses, as in most Eastern towns, are surrounded by huts, and the hue of both differs but little from the surrounding desert ; extensive groves of date-trees fringe the margin of others ; in the distance, bending away to westward, runs a range of mountains, elevated from 3,000 to 4.000 feet. This is the termination on the Arab side of the hilly land ; beyond, to the northward, it is a low, flat, sandy shore, scarcely a hill intervening until we arrive at the Syrian and Taurus ranges, a distance of 800 miles.

As it was reported we were to remain here two days, and that two, in reality, I knew would most probably be seven, I too; up my quarters on the shore, in a hut, for which I paid a trifle. Here I was enabled to make some observations on the extraordinary race of people among whom I found myself. Arabia and the Arabs have always held a conspicuous place in history. Indeed, neither the country or people have ever changed ; and we have still in Arabia the state of society which prevailed in the early states of Greece, when the Mediterranean, from whose wealth-diffusing bosom the current of knowledge and civilization flowed into Europe.

protection from the fiery heat of the sun was some tattered fragments of canvas supported against the shrouds by two upright sticks. I however passed the time tolerably ; acquiring the language, smoking the boory, or playing at chess with the captain. I am convinced, however, the spareness of my diet contributed not a little to the health I enjoyed - a few fragments of dried fish, some rice or dates was my only fare. The dew which falls at night after the parching heat of the day is singularly copious. In the morning the rigging and sail was teeming with moisture, which ran from them as if they had been recently subjected to a smart shower. I slept, of course, in the open air. Bed I had none, but the cloak upon which I lay was often completely saturated. Such exposure, unless in the autumn of the year, is not considered prejudicial to health ; and the crews of the vessels of the Indian navy are permitted at all times to sleep on deck.

Our "chaste" and "silver" moon, which inspires lovers and poets in England, would fail in producing such effects in the Gulf. Its glare there is so painful, and communicates feelings so disagreeable, that at night a person may be observed sheltering himself from its rays with the same care as he would in the day from those of the sun. The effect of lunar rays, in producing the speedy decomposition of fish and animal substances has never, as far as I know, been attempted to be explained ; the fact, all who have been in the East and West Indies can bear testimony to. We had received some other passengers on board at Gambrun for Ras el Khyma, but they kept out of the way, and I saw but little of them.

After being becalmed and drifted about by currents for two days, a breeze sprung

profusion that they are held to be wholly ignorant of its value, and their purse supposed to be kept well filled by the power (al kym*) they have of turning whatever they please into gold.

We sailed on the following morning. The last remains of the land wind carried us a few miles from the shore, and there left us becalmed. In June, "Harmozia's sea sleeping in bright tranquillity" sounds more harmonious to the ear than it is in reality to the other senses. Those whose wanderings have been confined to the country in which that exquisitely beautiful poem 'Lalla Rookh' was penned, cannot perhaps even in imagination picture, during the summer months, the fiery heat of these regions. One fact I may relate will bring it, however, in a palpable state before them. At this season, in 1821, H.M.Frigate Liverpool was proceeding from Muscat to Bushire : the weather gradually increased in warmth, double awnings were spread, the decks kept constantly wetted, and every precaution used to prevent the exposure of her men ; yet in one day, from a species of ***coup de soleil***, she lost three lieutenants and thirty men. If, for however brief a period, they exposed themselves to the sun, they were struck down senseless ; vertigo followed, accompanied by foaming at the mouth. In the greater number of cases sensation never returned. The frigate's main deck at one time is described to have resembled a slaughter-house, so numerous were the bleeding patients. Such was the heat to which I, in a great measure, was exposed.

The ***bagalah*** had no cabin, and my only

* ***Hence our term, alchymy.***

ARRIVAL AT GAMBRUN - EMBARK I
RAS EL KH YMA - EXCESSIVE HEA
POWER OF THE SHAIKHS.

We arrived at Gambrun without further incident than suffering from great fatigue, for we had been compelled to retrace our steps on foot, and the heat of the sun compelled us to travel at night ; the greater part of the day being passed in sleeping under some impending rock. The others now determined to proceed by the way of Muscat to Bombay, and endeavor thence to reach their own country. My own views of penetrating towards Mesopotamia, Syria, and Asia Minor, had been interrupted for a time by the tempting bait which the outset of this journey had placed before me, but they now returned with redoubled force, and as a ***bagalah*** at this time anchored within the harbour bound for E but touching previo Ras el Khyma and Ba determined to make t of my way there baggage did not encu embarrass me, for nothing but the clo which I stood ; accor went on board, and few hard words w captain, without w bargain in the East i concluded, for five c obtained a passag dress and exposure completely disguise that he took me for described my self t Bukhara merchant. Te the sum would hav demanded had he k was an Englishman, worthy countrymen their money with

of Socotra. The latter had already appeared in another form in one of the leading journals of the day.

The nature of the first part of this work precludes the hope of its being enabled to impart any great addition to our scientific knowledge, the object of the Author aiming rather at describing that which, relating to men and manners, has heretofore escaped the mere European ; and I must rely on the same solitary claim of novelty, especially in that portion of these pages relating to Socotra (which has been hetherto almost unknown), for all the attention or interest I can expect for that part of the work exclusively mine.

J. RAYMOND WELLSTED.

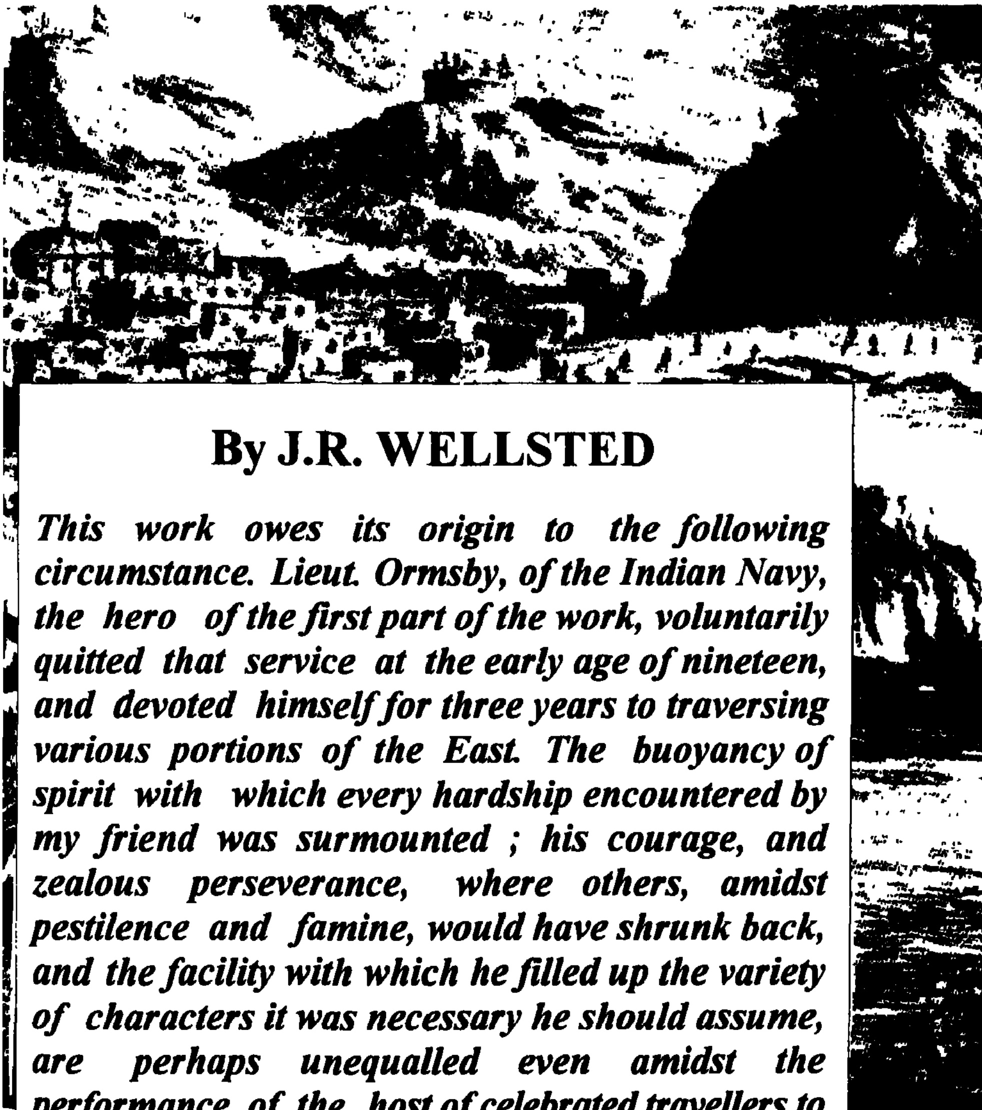
Jan. 1840

given birth. If the several incidents therefor are not portrayed with sufficient strength, the fault lies with the author and not the adventurer, whose graphic mode of relating many of the singular scenes which befell him in his wanderings, rendered his presence, during a brief sojourn in our native land, delightful to every society which he entered.

His adventures form the basis of the greater portion of the accompanying work ; some of them were verbally detailed to me, others given in detached fragments of MS. Recast and dovetailed together by myself.

Familiar with many of the scenes attempted to be described, much is added that I was myself in possession of, or could obtain from other sources ; and in the performance of this task I have endeavoured to give the whole an oriental tone and colouring, which would breathe through the narrative the soul of a young and enthusiastic wanderer.

To myself, therefore, and not to my friend, belong any faults of arrangement, style or diction. But it is necessary I should state that, however varying in hue from the colouring with which portions were originally portrayed, all the adventures ascribed to my enterprising friend are facts. His sudden departure for India compelled me to bring them to a more hasty conclusion than I could have wished. The second volume closes, therefore, with a portion far less interesting a voyage of my own to South Arabia, and a tour on the Island



By J.R. WELLSTED

This work owes its origin to the following circumstance. Lieut. Ormsby, of the Indian Navy, the hero of the first part of the work, voluntarily quitted that service at the early age of nineteen, and devoted himself for three years to traversing various portions of the East. The buoyancy of spirit with which every hardship encountered by my friend was surmounted ; his courage, and zealous perseverance, where others, amidst pestilence and famine, would have shrunk back, and the facility with which he filled up the variety of characters it was necessary he should assume, are perhaps unequalled even amidst the performance of the host of celebrated travellers to home it has been the pride of Great Britain to have

TRAVELS ALONG



common owing to the changes in temperature.

For six months in the year the clothes appropriate to a cold English spring meet the case and a fair amount of evening and cocktail party garments are needed. During the rest of the time, cotton silk and linen frocks for the women and shirt and shorts for the men are the most usual wear and thin tropical suits for the office. One must remember that according to the Moslem religion no part of the body should be exposed beyond what is necessary for social intercourse, and it is therefore only good matter not to give offence by wearing scanty clothing. When dining with His Highness the Ruler ladies should wear frocks with long sleeves and high necks.

The currency is the Indian Rupee. The whole of the Gulf is in the Sterling Area.

There are no newspapers.

Radio reception is reasonably good. Both radios and radiograms may be purchased in the Bazaar; also long playing records.

Import duty is levied upon everything entering the State.

CLOTHES AND CLIMATE

Although Bahrain, and the Gulf generally, has one of the most trying Hot Weathers in the world it does have a real Cold Weather, much to the surprise of many a new arrival. The winter months of December, January and February are lovely and, if Bahrain were more accessible, the sun-starved folk from England would be flocking out to revel in brilliant sunshine, the sparkling sea that is emerald in the morning and sapphire in the afternoon, the bracing wind from the north and the fine clear nights when the sky is thickly sown with stars and the Milky Way streams its gold-studde banner across the heavens.

Ordinary English tweeds and suits are worn, and overcoat and furcoats for going out a night. It should rain in the autumn and spring. March is usually a very pleasant month; in April and May it begins to ge hot and sticky; June is ofter cooler but the worst months are July, August and September when it is like living in a steaming green-house. It is distinctly cooler in October and November and fires are needed at night in the latter months. In the summer it is the hot wind from the south bringing with it the nauseating sweet smell of oil, that makes the heat unbearable. But being an island, Bahrain is subject to changing winds, and there are frequent 'breaks' when the wind swings round to the north for brief periods. The temperature does not rise above 110 but the humidity reaches over 90%. Despite the damp climate, Bahrain is a healthy place, there is little malaria or sand-fly fever, and it is unnecessary to have mosquito nets. A case of dysentery is very rare but chills and colds are

road to Awali. It is of the usual Eastern pattern with "browns" instead of "greens."
Arab cinemas are numerous, and some of these show English and American films on occasions. Open air performances take place in the hot weather.

There is a good subscription library at the British Residency.

Amateur Dramatic Societies have been formed both at Manama and Awali.

CHURCHES. At the Roman Catholic Church and at the Dutch Reformed Church there are regular services. A visiting priest of the Church of England officiates at occasional services.

SHOPS. In the well-stocked Bazaar it is possible to buy everything from a motor car, refrigerator and washing machine to nylons, chocolates and Elizabeth Arden Beauty Preparations. The question is not what you can buy, but what you can afford.

ALCOHOL. Bahrain is a Moslem State and the sale of alcohol to nationals is prohibited. It is obtainable by those not liable to local jurisdiction, duty free, from the shipping agents against a licence issued by the Political Agent.

HOSPITALS. Bahrain Government hospital with European staff. American Mission hospital.

GENERAL INFORMATION

It is necessary to have a visa for entry into Bahrain, as for the other Gulf States. Transit visas are also required by air passengers for all the Middle East countries where their aircraft is likely to land.

Certificates of small-pox and T.A.B. inoculation must also be valid.

A driving licence must be obtained by all motor car owners from the Bahrain Government.

There is no Income Tax in Bahrain.

English Airmail to the Gulf is 6d.; from Bahrain 6 annas.

Fifteen miles from Manama lies the oil town of Awali. The road to it goes through the fertile date-plantations, across a marshy swamp, close to the only hill on the island, the Jabal-ad-Dukan 400 feet high, and the Ruler's palace, and so across the barren stony land to the wire-enclosed encampment. Awali is entirely self-contained with its own shops, club, church and cinema. The houses are not unlike prefabricated ones in England, only larger. Oil fields are disappointing things as one never sees any oil, but at night it is a different matter. The waste oil, that burns seemingly forever, glows in red pillars through the darkness, and, over at Dhahran on the mainland of Arabia, more flames are visible.

The refinery is at Sitra where the oil tankers seem to come and go with the regularity of a factory belt. It is nothing to see by day, but at night the lights and flares give the illusion of a vast industrial city.

AMENITIES

HOUSING. There is electr light and water laid on in all tl newer houses. In certain of tl larger offices and residences i Manama, and generally at Awal there is airconditioning. A tel phone system is operated t Messrs, Cable and Wireless Limited.

There are no hotels in the Eı ropean sense but it is sometime possible to be accommodated ; the B.O.A.C. Rest House.

It is not possible to buy furnitu in Bahrain, but curtains and ca pets are obtainable.

RECREATION. A Gymkhan club, situated between Manam and Jufair, has tennis courts an a swimming pool. Dances aı held outside in the hot weather.

Race Meetings (flat racing) tak place about twice a year. The horses belong either to Hi Highness the Ruler or the Police A totalisator is operated.

There is a small golf course which it is hoped to enlarge t an eighteen-hole course, on th

wheat, barley and rape are being tried, as well as the possibilities of sheep rearing and dairy farming. The villages grow lucerne in small patches as fodder for donkeys; also tomatoes, cucumbers, marrows, melon, pumpkins, brinjals, carrots, onions and cabbages. For the cultivation of these plots the water is drawn up from the well in the old primitive way in goat skins hauled by men, donkeys or bullocks,

The natural pools are of great beauty and up to forty feet deep in the middle. They are full of enormous lazy fish, which it is forbidden to catch, and a great number of turtles. Ain Gasari is the largest, where there is a roomy palm leaf summerhouse which is much used at picnic time. The School Sports are held at the Ain Adhari or Virgin Pool. Both lie just off the Awali road to the left hand. On either side of this road, also, are streams and pools where the washermen from the town assemble with their bundles of laundry. Having beaten the garments mercilessly on the stones, while they stand half-naked in the clear water, the washermen then peg them out to dry on long lines, fluttering in the breeze the many coloured clothes resemble yards and yards of gay bunting and the effect, against the dark spiky palm trees, is not unpleasing.

OIL

Before oil was discovered on Bahrain the little State depended for its livelihood on the pearl and entrepôt trade. It prospered modestly until the culture of artificial pearls and the economic depression and an adverse effect on the pearling industry. About the time that conditions were becoming bad the 'black gold,' as the Arabs call petroleum, came gushing up from the bleak earth and brought a new prosperity to the islands. The greatly increased revenues have been wisely spent in the improvement of the State and its people. Schools, hospitals, government buildings, a modern shopping centre, good roads, and a mile-long causeway to link up with Muharraq, have been constructed.

dians and other foreigners, but it is only a matter of time before the widespread education of the Bahrainis themselves takes effect. The discovery of oil has completely changed conditions in the Islands and since 1933 schools have been built, staffed mostly with teachers from the Lebanon and Palestinian Arabs, and now there are fifteen boys' schools and six girls' schools. Opportunities for higher education are being given in Beirut, Baghdad, Cairo and England. The Arab is a true democrat and rich and poor alike attend the same schools and the more wealthy ones are taught to aid the poorest. It is of interest to note that experience has shown that boys of Persian blood are good at mathematics and clever with their hands while those of nomadic, or semi-bedouin blood, excel at literature and poetry. The girls, under expert tuition, are proving themselves very good little needle-women. An exhibition and sale of their work is held every April in the Palace at Manama, by kind permission of His Highness the Ruler.

Mrs. C. Dalrymple Belgrave, wife of the Adviser, is (1952) the Directress of Education.

WATER

Owing to the abundance of fresh water springs there is not the dependence of rain which is so anxiously awaited on the mainland. Of the total area of 208 square miles, 18 are irrigated and planted with date palms in a rough semi-circle at the northern end of the island. The water from the springs is distinctly brackish and, until the artesian wells were sunk and distillation plants erected, drinking water was obtained from the sea! This sound like an old wives' tale, but is a fact. There are sources of pure fresh water welling up from the sea-bed and the boatmen used to go out, twentyfive years ago, and collect it in containers, bring it ashore and sell it from house to house at two annas per kerosene tin.

At the time of writing, the irrigation is not extended to grain crops on the Islands but the Bahrain Government have an experimental farm at Budeeya where

walls and never remove their hideous black face mask except before their husbands. They are delighted if European women visit them and it provides excitement for weeks afterwards. It is difficult, without giving offence, to make the visit shorter than one hour. All the women of the household come in, one by one, to greet you until there are six or eight in a small room and you all sit on the floor in a circle. Conversation is limited but food, children, clothes and jewellery are safe topics. The Arab woman has a disconcerting habit of referring to her husband as "My-father-in-law's younger son" or "My uncle's eldest nephew." To say baldly "My husband" is not correct. After about half-an-hour servants will (in a well-to-do household) bring a vast circular tray with several dishes on it containing Arab cakes, pomegranate seed, orange segments, vermicelli and egg, dates, biscuits and nuts. You are expected to eat a lot, even if you have only just had breakfast or lunch. A poorer family will only offer dates or perhaps little cakes and oranges. You eat with the finger of your right hand only and a servant comes round after with a basin of water and a towel. Coffee is then served and it is polite to drink two cups at least. If you have drunk enough, shake the tiny handleless cup three times on returning it; otherwise it will be re-filled indefinitely. In a shaikhly or rich merchant's house, rose water and incense may be handed round; a charming custom signifying that the party is over. In an ordinary house one may leave after the coffee. When visiting a Shaikh's wife, especially if he be the Ruler, it is good manners to request her permission to take your leave.

EDUCATION

The Bahrainis are a peaceful, law-abiding people, and the crime statistics must be among the lowest in the world. Despite the mixed population of Arabs, Persians, Indians, Pakistanis and others, a total of 109,650, there is a spirit, rare in these days, of "live and let live."

At present a very large proportion of the shops and business houses are in the hands of In-

than a temporary foothold. His more determind attempt was his third, which took place in 1828. The three points of defence were off Manama; off Sitra, now the site of the oil refinery; and off Muharraq town. The invaders landed on November 5th, took the fort of Qalat-al-Ajaj and bombarded Manama. Luckily for the island, two of the Sultan's generals landed without his authority: the one at Jufair and the other at Ras Um-mal-Hasan where they were hotly engaged and worsted with a loss of five hundred men. The Sultan excused himself by saying, after these defeats, that "his enterprise was disapproved of by Heaven."

Small wonder, considering the tedious ding-dong of aggression and withdrawal, that the fort is now a mere ruin and that there are few other historical buildings left on the island. For instance the twin minarets and empty gateway and pillars, on the Awali road, are all that remains of a tenth-century mosque, the Masjid-al-khamis, now preserved as an ancient monument.

PURDAH

As in all the other Gulf states the seclusion of women is strictly observed and the majority of them are heavily veiled when they go out. This is in marked contrast with other Middle East countries which are rapidly acquiring a Western outlook. Syrian women have been the first to achieve the vote in the Arab world although the Lebanese like to consider themselves the most advanced State. The women of Egypt too, are taking to feminist demonstrations in their effort to achieve enfranchisement. It is to be hoped that among the two thousand little girls now receiving, in Bahrain, the education denied to their mothers, some leaders will emerge to strive for a wider and fuller life for women, and a move towards equality so that they may take their place in social and public affairs alongside their husbands in the true partnership of marriage.

I have visited many women liv ing in strict purdah, who can nei ther read, nor write, nor sew. They live surrounded by higl

The period of Persian domination which opened in 1602 endured until 1783. The chroniclers tell us singularly little of what was happening during these years. About the middle of the eighteenth century one of the East India Company's agents failed to be more precise than this: "I can get no better intelligence relating to the island of Bahrain than its being a place held in superstitious veneration by the Hoolah Arabs, and that it is very fertile, abounding with Springs and Freshwater, but both the Air and Water are extremely unwholesome according to the account of several Persons who have been formerly inhabitants of the Place." We do, however, know that at the turn of the sixteenth century the Dutch had inherited the Portuguese supremacy in eastern waters, and where thenceforward bent upon securing exclusive control of a far-flung series of islands where sea-power could be put to the best advantage, not merely commercially but politically. It was logical that Bahrain should come within the scope of this endeavour, and the Persian sojourners must have lived
the perpetual threat of a (
by the sturdy mariners o
land. But for some reas(
never took place, and it w
to the Utub Arabs from Z
in Qatar to expel the Pers
is easy to imagine the sul
sentment of the mainland
towards the foreign r
which, transplanted from
was trying to take root on
land. At long last the ani
of many decades develop(
open hostility. In 1782 th(
Arabs carried out a preli
raid which was complete
cessful. They defeated
Nasir in the field, drove
his fort, plundered Mana
their leisure, commande
Bushire vessel and escape
back to Zubarah. Next ye
returned in full force, ca
the island and establishe
authority. Ahmed bin K
was the first Utbi chie
rule over Bahrain, and it
him that the present Rul(
his lineage.

At the beginning of t
teenth century Sultan S
Muscat made three inv
Bahrain but failed to g

on the Budeeya road, near Manama. Soon afterwards the Turks made their appearance in the Persian Gulf and constant warfare ensued between them and the "Portugalls" until the Turks were roundly defeated in 1550. Finding themselves unable to earn profit from the Gulf, they made up their minds that if they could not, then nobody should: whereupon they sent Pir Baig, a fearless pirate, to plunder and harry those who had been more successful. With a large fleet at his command Pir Baig was as devastating among the merchantmen as a cat among the pigeons and by 1559 he had made such a nuisance of himself that the Turks were able to return to this theatre and invaded Bahrain with a force of two Galleys and seventy barques with one thousand seven hundred Turks and Janissaries aboard. Ras Murad, now commanding the island on behalf of the Shaikh of Hormuz, appealed to the Portuguese for help and this time they responded with adequate assistance. A flotilla was sent which, aided by three hundred Persians, attacked the Turks who were besieging the fort of Qalat-al-Ajaj. At first th "Portugalls" were worsted an lost seventy killed but, with th arrival of reinforcements, th tide turned and the Turks wer forced to surrender.

But the days of supremacy wer numbered for the Portuguese and by 1602 they had been fi nally driven from Bahrain by th Persians. We next hear of the is land in 1613. In that year Thom as Aldworth, an Englishman seeking new markets for the Eas India Company and having cho sen Jask, wrote in one of his re ports: "I find there is a sea-port towne called Bareyn, whereunt a ship of 2 or 300 tons ma come, and I understand thi country spends much cloth, fc the Venetians bring it overlan and so carry with them again a sorts of Persian silks." Here i proof, that, at that date no les than today, Bahrain was a centr for the entrepot trade. Twenty three years later, namely, i 1636, the annals of East Indi Company contain a reference t the Bahrian pearl fisheries, som knowledge of which had bee obtained by that time from Po tuguese deserters.

single industry was the pearl trade of which Bahrain was acknowledged throughout the world as the centre. It brought riches to a handful of enterprising merchants and substance, albeit of the barest, to the mass of the islanders. Half the able-bodied men were divers. Today, the industry is in decline beyond hope of recovery owing to the popularity of the cultured pearl, and it is significant that in the census of 1950 nobody gave his occupation as 'diver'. Nevertheless, some two thousand men and anything up to a hundred boats may easily be engaged even at the present time in the value of the season's catch may approach a million rupees. The surviving market is India where there is still a demand for the smaller pearls of low quality. But from earliest times Bahrain has enjoyed a second source of revenue which is happily secure from the changes of civilised fashion: namely, the entrepôt trade. This she owes to her geographical position, for the island is admirably situated to handle goods in transit to the mainland and according to modern estimates not less than 70% of the imports unloaded at Bahrain are destined for forward movement. The freshness of her limpid pools, her pearl fisheries, and a command of the trade-route into Eastern Arabia – these signal assets account for the envious eyes that not infrequently have rested upon Bahrain through her history and for the repeated invasions she has suffered. Some idea of her earlier fortunes will already have been gained from Chapter 1, and it will be enough, in this place, to resume the story from the threshold of the sixteenth century. When the Portuguese had established themselves at Hormuz and transformed a barren island into one of the richest cities in the East, they created posts throughout the Gulf. By 1522 a custom official was resident in Bahrain under the suzerainty of the Shaikh of Hormuz, himself a nominee of the conquerors. Seven years later the Bahrainis revolted against the Shaikh and he applied to his Portuguese masters for help. The force they sent was too small to be of any decisive value, but it is probable that about this time they built the fort Qalat-al-Aja

barrassment, but they still held on. The French expelled them from Bandar Abbas, which had been the headquarters of the East India Company for one hundred and fifty years, and so they moved to Bushire in 1763.

Here they established what in those days they called a Factory, and we now term an Agency; later to become a Residency in which the English remained until 1946.

Throughout their long struggle for supremacy the English had used the support of the Persians and by the beginning of the nineteenth century, the 'vexatious activities' of the French had ended. The English had been granted by the Persians many important trade favours, facilities and treaties here and there, for it was the wish of their ruler that English merchants should "sleep in the cradle of peace and security."

During the nineteenth century the English consolidated their positions, establishing Factors and Factories up and down the Gulf. Simultaneously, by combating slavery and piracy they were justifying the political status which had become i separable from commercial a cendancy. The influence whi Great Britain today exerts is t outcome of this patient e deavour.

BAHRAIN

Strictly speaking, Bahra consists of a group of coral lands situated half-way down t Gulf some twenty miles off t coast of Eastern Arabia, but f all practical purposes Bahra means Bahrain Island and M harraq Island. The chief tow are Manama, in the former (pc ulation 39,648) and Muharraq the later (population 25,577). causeway unites the two. Th old population is 109,650 i cluding over 18,000 foreigne Bahrain Island is roughly thi miles long from north to sou and ten miles broad from east west. An abundance of natu springs renders it comparative green, so that the Arabs, a customed to the pitiless prospe of sandy deserts, call it " a pe set in an emerald sea."

In former days, before the co mercial production of oil, t

jewels, and lockes of silver and golde in their eares, and a long barre of gold upon the side of their nose. Their eares with the weight of their jewels be worre so wide that a man may thrust three of his fingers into them."

When these adventurous travellers reached Hormuz the Portuguese imprisoned them, taking them for spies and heretics. Eventually they were released and sent on their way to Goa, and thence to the Far East; for they carried letters from Queen Elizabeth to the King of Cambay and the Emperor of China!

Fitch returned to London in 1591 and his tales of adventure and wealth lost nothing in the telling. Among his most avid listeners, were the merchants of the City of London who soon determined that the Portuguese should not have it all their own way and sought means to share in these spoils from the fabulous Orient. Accordingly the East India Company sent out *two men, Thomas Aldworth and* Richard Steele, to choose a port that could be used for trading. They chose *Jask, ninety miles* from Hormuz, "just inside the Gulf as not so much in danger of the Portuguese as Bareem (Bahrain)."

When Portugal came under the dominion of Spain her powers began to wane and by 1622, the English in alliance with the Persians, defeated them; and the flag of Portugal, so proudly hoisted by Albuquerque, was lowered for the first time for one hundred years. A year later the Dutch appeared, grimly prepared to capture all trade and oust the English from the Gulf. They were determined to stake their all to gain supremacy in the East, and in thirty years they had very nearly succeeded, for the English were hampered at every turn by the vacillating Stuarts. Yet the English clung on, tenaciously if precariously, and by their reputation for fair dealing and humane treatment gradually returned to favour while the Dutch slowly receded from this theatre. But as soon as one adversary was disposed of another appeared, and this time it was the French. Again the English were nearly dislodged and the Seven Years War added to their em

he does to Hit where there was a field of boiling pitch which the 'Moores' (meaning 'Arabs') called the mouth of hell. Could this have been oil? The natives used it for coating their boats two or three inches thick to prevent them leaking. When the river was full it took only eight or nine days to go down the Tigris from Baghdad to Basra, but much longer when the dry season set in. The men "have large blewe gowns, their wives eares and noses are ringed very full of rings of coper and silver, and they weare rings of copper about their legs." Of Basra Fitch wrote that it "standeth neere the Gulfe of Persia, and is a town of great trade of spices and drugges which come from Ormus (Hormuz). Also there is great store of wheate, ryce, and dates growing there-abouts wherewith they serve Babylon and all the countrey, Ormus, and all parts of India. I went from Basora to Ormus downe the Gulfe in a certaine shippe made of boordes, and sowed together with cayro, which is threede made of the huske of cocoes, and certaines canes or strawe leaves sowed upon the seames

of the bordes which is the ca that they leake very much. A so having Persia always on left hande, and the coast of A bia on the right hande we pass many landes, and among oth the famous Ilande Bahra (Bahrain) from whence come best pearls which be round a Orient." Until the arrival of Portuguese Hormuz was a b ren island of twenty-five to th ty miles in length, nothing gr there and everything was i ported from Persia, twelve mi away. Fitch went there and scribes the castle, the 'P tugalls' and the soldiers. "In t towne are merchants of all tions, and many Moores a Gentiles (possibly he meant H dus). Here is very great trade all sortes of spices, drugs, sil cloth of silke, fine tapestrie Persia, great store of pea which come from the Isle Bahrain and are the best pear of all others and many horses Persia, which serve all Ind They have a Moore to their Ki which is chosen and govern by the Portugales. Their wom are very strangely attyred, wea ing on their noses, necks, arm and legges, many rings set wi

uals." Here they bought a boat for Babylon (Baghdad). They had to buy it because the stream ran so fast that the boats could not come back: "These boats be but for one voiage." The boat took them to Fallujah where they sold it "for 7 or 8 which had cost them 50" – of what currency he does not specify. The journey from Birra to Fallujah took 16 days, a distance of 200 miles: and they went in company for, had the boat broken down, they would have been at the mercy of marauding Arabs. Even at night a strict watch had to be kept over the boat. The answer to the robbers was "a gunne which is very good for they doe feere it very much." They had to pay customs dues at many places along the river, so many Medines on "camels loading and certaine raysons and sope, which is for the sonnes of Aborise, which is Lord of the Arabians and all that great desert, and hath some villages upon the river." It was a day's journey from Fallujah to Babylon.

"Babylon is a towne not very great but very populous, and of great trafficke of strangers, for that is the way to Persia, Turkia and Arabia and from thence doe goe Carovans for these and other places. Here are great store of victuals, which come from Armenia downe the river of Tygris. They are brought upon rafts made of goates skinnes bloune full of winde and bordes layde upon them, and thereupon they lade their goods which are brought down to Babylon, which, being discharged, they open their skinnes and carry them back by camels, to serve another time. Babylon in times past did belong to the kingdome of Persia, but now is subject to the Turks." He mentions a bridge of boats, those swaying pontoons favoured in Baghdad until recently. He also mentions the Tower of Babel as being seven or eight miles from Babylon, towards Arabia. It was, of course, a ruin even in those days and "had no shape and hath made as it were a little mountain. It was made of bricks dried in the son, and certaines canes and leaves of the palm tree layed betwixt the brickes."

Two days journey from Baghdad

tugal to style themselves, with great magnificence, "Lord of the Conquest, Navigation and Commerce of India, Ethiopia, Arabia and Persia."

The "Portugalls" as they were called, defeated the Turks and Arabs in a sea battle in 1505 and seized Aden, Hormuz and Malacca. The Straits of Hormuz being at the entrance to the Gulf, it may be presumed that this is the actual year in which the Portuguese first penetrated these waters. Two years later Alfonso Albuquerque was sent out from Portugal. He made conquests on the Oman coast, including Muscat which he sacked and burned, and extended the power of his country as far as Bahrain where he established a customs authority.

On December 15th, 1515, Albuquerque died, "the able administrator who laid the foundations of the first European empire to be established in Asia." For one hundred years the Portuguese were the only European nation in the Gulf and their commerce prospered exceedingly as their maritime powers grew. They were r however, undisputed mast and were constantly warr against the Turks from Basra Muscat.

So far as one can determine Englishmen appeared in the G until 1583 when four advent ous traders left London 'be desirous to see the countreys the East.' They travelled to Tr oli in Syria, then down the I phrates to Fallujah and Baghd on by the Tigris to Basra a from there through the Gulf Hormuz and India.

Fitch was a born traveller a wrote a journal which mal most entertaining reading:

"Being desirous to see the cou trys of the East India I did sl my selfe in a ship of Lond called the Tyger." They landec Tripoli and went on to Alep "which we went in seven d with the carovan and there, fi ing goode company went to E ra." This is presumed to be rijik, a little town on Euphrates, and they took t and a half days by camel. Th found it "very plentiful of vi

he byproduct of the diplomatic nission which this historian, orsaking letters for affairs, led ɔ India in that year. His narative focusses the reader's atention, however, on the cosnopolitan emporium ommanding the commerce of he seven climes from Cairo to ’ekin, ‘this Hormuz, which they ılso call Jarun, a port which has ıo equal on the face of the :arth.’ and pays smaller heed han we could wish to the less ɔretentious conditions of life which must have been the averıge in the Gulf as a whole.

By the fifteenth century the West had mastered the science of navigation in the modern sense, and new powers of ocean travel were presently to create new ambitions. Intercourse between Europe and the east had hitherto resulted merely in the exchange of merchandise; politically speaking, it had been sterile. But an epoch now opens in which the western nations are to vie with each other in carrying their political influence into the eastern world. The Portuguese led the way. Their immediate aim was to capture from the Arabs the rich traffic between the Middle East and the states of Venice and Genoa whose gorgeous and extravagant courts were a ready market for the costly merchandise of the Orient. In pursuit of this policy the King of Portugal sent abroad expeditions to make contact with "Prester John," the renowned Christian potentate and ruler of Abyssinia. Not only did the King wish to spread the teachings of Christianity but he also desired to open up new commercial highways to India and beyond, from which his sailors could bring back spices cinnamon, pepper and other commodities.

Two of these expeditions made history and established the maritime and commercial power of Portugal. One was the voyage of Bartholomew de Diaz who rounded the Cape of Good Hope in 1486, and the other the famous voyage of Vasco da Gama. The latter left Portugal in 1497 and reached India, via the Cape, in August 1498, continued round the world and returned to Lisbon in September 1499. The result of these, for those days, fabulous journeys caused the king of Por-

With the coming of the Prophet Mohammed the curtain is suddenly lifted and we move swiftly onto the age of accurate historical tradition. We read that among the Tribes which gave early adhesion to the Prophet was the Beni Abd al Kais of Bahrain. This was in the ninth year of the Flight (629 A.D.); and in the same year Prophet Mohammed despatched letters to the Chiefs of Bahrain and Oman who in their turn sent deputations to Medina. The conversion of Islam of the eastern seaboard of the peninsula was rapid and, but for a brief moment of insurrection in the Prophet's own lifetime, permanent. The chieftains who then acknowledged the supremacy of Islam paid tithes to Medina, but retained a large measure of local independence. Their peoples were, indeed, subjects, but they earned by way of compensation the privileges of responsible rule. The language used by Umar, the second of the Orthodox Caliphs, has a particular interest in this context. "If I live" he is reported to have said, "please God I will assuredly spend a whole year travelling among my subjects f know they have wants which cut short ear they reach my e the governors do not bring wants of the people before while the people themselves not attain to me. So I will j ney ... to Bahrain and ren there two months."

But the distant and (save Bahrain) barren littoral of e ern Arabia was on the fringe the empire consolidated by Caliph Umar; and during the ministration of that empire, from Damascus and afterw from Baghdad, the primi Bedouin settlements depen on pearling or the entrepôt t must have possessed little ch for those who frequented centres of fashion and cult For this reason the Arab torians refer but seldom to eastern shores of the penins and it is left to the occasi traveller, or ambassador bent some practical mission, to c ment on the sights and won of the Gulf. Into this categ falls, for instance, Abdul Raz of Samarqand, whose gra account of a passage thoro the straits of Hormuz in 144

lieved to be Phoenecian graves, and a king of theirs named Erythras, or the Red King, is supposed to have been buried there. But it cannot be pretended that our knowledge of the scope and duration of Phoenician activity along the littoral of Eastern Arabia is at all precise.

The next voyagers to acquaint themselves with these waters were the admirals of Alexander the Great: in particular, Nearchus who was charged by his master with the task of finding a sea route from India to the Euphrates. Nearchus having set sail from the delta of the Indus made his way successfully up the Gulf and, afterwards, wrote an accounts of his voyage, of which fragments are extant.

Through the centuries that followed, allusions to the Gulf are rare: we must assume that her mariners were familiar with foreign ports. But, generally, her Bedouin populations dwelt in the darkness that encompassed heathen Arabia during the Age of Ignorance. Not until this pagan period was drawing to a

close is any light shed u
conditions of the da
glimpse we are given is
literary accident. One of
Islamic poets whose wo
survived is the passionat
oquent Tarafa who flour
the sixth century of our
clan to which this bard b
was settled in Bahrain,
left his home in early n
for the glittering court of
Hind at Hira, west of
phrates. We read that
fended his royal master
satire in which he wrote.

> "Would that we had instead o
> A milch-ewe bleating round c

For this impertinence
sternly rewarded. Grante
to visit his home, he was
a sealed letter addresse
Governor of Bahrain. He
to know that it containe
der to bury him alive, ar
he reached Bahrain
thrown into prison and
death. The interest of th
dote, and the justificatio
producing the story here
it proves Bahrain in th
century A.D. to have be
ject to the authority of th
dynasty at Hira.



pire in that region three thousand years before Christ. One of the Sumarian cities was Ur of the Chaldees where merchant ships from the Gulf ports used to berth alongside the quays.

Not until this century did Sir Leonard Woolley, and other archaeologists, uncover these buried kingdoms and piece together several thousand years of unrecorded history. Before all these bygone civilisations had been laid bare, Mesopotamia was held to be the site of the Garden of Eden; but twentieth century excavations have proved that this theory is untenable, and that the first inhabitants of this land were immigrants with a long ancestry behind them.

Earliest among those to explore and exploit the resources of the Gulf were the Phoenicians, from Tyre and Sidon, pioneers of navigation and trade three thousand years ago. They chose Bahrain for one of their settlements and a colony took root. The tumuli of Bahrain are be-

BAHRAIN

by :
Maureen Tweedy

(PART I)

HISTORY OF THE GULI

No connected narrative must be expected in this brief
forces which have shaped the history of the Gulf ha
many and so involved that it will only be possible to
across the centuries, selecting here and there such
phases as seem particularly helpful to an understan
background.

In very early times the head of the Gulf was many m
Baghdad and the whole of Southern Iraq was thus u
Gradually the silt washed down by two great rivers, th
the Euphrates, turned the sea into marshland, and s
to appear, now known to have come from Persia. T
reed huts and had some form of primitive civilisation
all likelihood the ancestors of the Sumerians who fo

know that it is a necessity in such a survey. That is becau the subject is still fresh in our minds and still the wounc are bleeding wounds. Nevertheless, it concerns relatioı between brotherly states and sincere persons are tryir day and night to repair the damage and what harm h been inflicted by rash policies. To me, personally, th represents a little difficulty and an embarrassment becau what is required is action at formal levels to dedica oneself to good intentions and to overlook, to the exteı possible, what may arouse passions and sensitivities sin what happens behind closed doors in secret cannot l disclosed in detail in public interest.

Secondly : The Arab world should appreciate an beware that the border differences have the potential fe opening the doors for much injury and damage who destructive effects will not remain limited to the Ara region alone. It will have wider ramifications. They shoul realize that these problems have been introduce deliberately for this purpose which cannot but waste Ara potentials, cement Arab differences and effect a cleavage i the body-politic so that it suffers from these basic maladi of fissures and differences.

Abdullah Bin Khalid Al Khalifa

speaking with one voice. It is an example to be emu
parts of the Arab world which are unified by a
bond and a similar interrelationship. This does n
by any stretch of imagination that it is a grouping
anyone or intends to commit aggression against an
is merely a step on the path of Arabism. This is b
by the fact that the G. C. C. States despite the magn
the calamity it faced never for once became a clos
withdrawing from itself but remained an instru
Arab action and the Arab march in which it part
and which it strengthened and supported.

Efforts began to heal the wounds and effect con
within a year of liberation though this attempt
opposed by some Arab and Gulf leaderships. Th
wounds are deep and mere good intentions are not
to provide an answer there should be some positiv
to reinforce these good intentions. In this co
nothing can be more important than the releas
Kuwaiti prisoners still being held in Iraq for n
years without any justification. It is the same lac
justification that preceded the invasion. Though a
readiness has been announced in the Kuwait poli
not been matched by a similar readiness by the o
in addition to other matters.

This is rapid survey of certain features distin
the subject of discussion. Two remarks may, hov
made.

Firstly : I have tried to speak in terms of ge
avoiding naming specific states in spite of the f

public resentment against them or taking other har measures as has happened in similar situations in t history of the world. All alibis when presented we listened to even as all apologies were also listened to. T doors were kept wide open or parted since some of t states of the Gulf community even though hit adversely l the consequences of invasion tried for peace aı conciliation.

Fifthly : The brotherly Arab States took the initiati in adopting a bold initiative of emphasizing the Ar sentiment of providing relief and succour, refusing tyranı and countering aggression. This is clear in the stan adopted by the states signing the Damascus Declarati which did not rest merely at political or moral support b mobilized its strength in the forefront of the liberatiı forces. Their citizens gave their lives for this noble cause. was but natural that the Gulf States should chisel the relations with these countries on the basis of the bra stand truly reflecting Arab brotherhood and solidarity.

Sixthly : The importance of the G. C. C. Council can to light very clearly in the light of actual experience ev though some dubbed it as a regional grouping separat from the main body. It proved to all that it was an Ar assembly representing one more addition to the fabric Arabisn within the ambit of the League of Arab Stat neither separated from it in its composition nor as alternative to it in its constitution. It did not weaken i pillars and on the contrary proved to be its essenti ingredient in helping the cementing of unity of ranks aı

limitations and welcomed their Kuwaiti brothers with open arms and made provisions for their needs. In fact, most citizens of these states competed with one another in offering to them what they needed blandly refusing to accept anything in return. It showed their spirit of cohesion and close union.

Thirdly : It was but natural that the tragedy should evoke a storm in the Arab House; the League of Arab States. In the conference room of the League the position became crystal clear when the microphones blared the position of every country about what had happened. The League spent a lot of time in discussions, confabulations and arguments but its decision was circumscribed by the index of "majority decision or consensus". Even if these meetings clearly showed the position adopted by each member state and these can be verified by referring to the conferences, discussions and clarifications as appeared in the media of those days, yet in spite of everything, the Gulf States remained a part of the Arab House and never attempted to withdraw from it. They realized that such a step would lead to the collapse of this entity which was harmless even if it did not deliver the goods *most of the* time.

Fourthly : When certain states appeared as supporting aggression either by open support or by supporting it in the deliberations of the League or in official explanations following the invasion, the Gulf States were keen to remain softly non-committal vis-a vis these states even though such positions were good enough to break relations, mobilize

country whether for or against it as a logical corollary. the context of our observations on relations between t Arab Gulf countries in the aftermath of the Gulf War the is no gainsaying the fact that all countries of the world large and the Islamic world condemned it uniformly. Tl was reflected in the U. N. General Assembly sessions, t meeting of the Security Council which decided to enfor its decisions by forming a multinational force for t liberation of Kuwait. However, as far as relations betwe the Gulf States are concerned they took several shapes a forms both at the peoples and the governmental levels regard to the invasion :

Firstly : immediately after the invasion the Gulf citize opened their hearts, their homes and their bank accounts rescue their brothers who were rendered homel overnight and competed with one another in extendi their hospitality to their Kuwaiti brethren in a glori display of chivalry and magnanimity. This had tremendous effect in healing the psychological woun caused by the invasion and in restoring confidence ev though partially in some of the traditional traits of Ar character which had been trampled upon by the invade Here I cannot but extol the noble stand taken by t Custodian of the Two Holy Mosques , his government a his distinctive people. May God Bless him and give m power to his elbows!

Secondly : While certain Arab States were b expelling the Kuwaitis living on their soil some oth opened their doors wide without any preconditions

represented the vital arteries of certain big world powers and knew also that any aggression on this lifeline or any part of it would not be a military walkover or something which would pass off peacefully without challenge.

For these and other reasons the invasion came as a shock to the Arab body-politic as a whole even as it shook the whole world. If we add to it the brutal manner in which the invasion was executed and its unwarranted and unjustifiable barbarity, it blew up to smithereens the many values nourished and cherished by the Arabs who felt the impact of the magnitude of the tragedy even from a distance.

When the invasion occurred the Arab world was bereft with cleavage and from the early hours of the tragedy it dawned on everyone that it was a plot conspired in secrecy. It found confirmation when a few brotherly states supported Iraq; some lured by a dollar windfall and some for long-standing greed carried away by imaginative delusions far from actualities. One who followed the events was convinced of what an Arab poet said once :

"May God recompense all adversity with goodness!
Even if I swallow it with my saliva
My love for her is no infatuation,
I was introduced to contagion by my friend"

The invasion presented a strange and queer spectacle. It, no doubt, had to be the basis for taking up new positions in accordance with the reactions which followed in the wake of the invasion and the posture adopted by each

Thirdly; There never was a single justificatior
Gulf leaders to apprehend a warning of any
aggression being committed against them though it
known that the creation of border problems has
been a favorite imperialist pastime to exacerb
feelings of the Arab peoples. All Arab leaders are
aware of it even as they take it in the stride of larg
unity and would never permit a difference over a
land to assume an importance out of all proportion
believe that any differences of this nature would b
in one way or the other over the table inspired by th
of Arabism and the compelling needs of each
country.

Fourthly; Iraq built a gigantic military machin
became a source of pride for all Arabs. Some
sources described it as the fourth biggest in th
representing the sheet-anchor of the Arabs in
arrogance and Israeli intransigence. It made the tra
enemy of Arab destiny in Tel Aviv think a thousar
before taking any step whatever. Those who f
Israeli political statements made immediately be
invasion noted the extent of Israeli fears of the Iraq
and their constant jumping into the laps of the
seeking the preservation of balance of power as th
exhausted considerably its resources and felt
hampered in its pursuit of aggressive policies. Hen
expected that this power of which every Arab talke
would commit a military suicide never witnessed
annals of military history. The Iraqi decision-make
very well that they were targeting a region

region throughout its history and protected its single texture even if it loosened or tightened sometimes. It nevertheless, persisted for the decision- makers to take it into account and lent its weight in the laying down of strategies and politics. There never was "Arab perfidy" or betrayal of these politics because Arab brotherhood uniquely constituted the fabric of the larger Arab vision and any plan which conflicted with it meant opposition and challenge to this perception and hence could not embrace the elements of endurance and its elimination became a logical necessity even as the provision of the costs of its removal became a matter of wisdom and sagacity for the decision-makers.

Secondly; When Iraq got embroiled in its war against its neighboring Iran its Gulf brothers starting from 1982, i. e., a year after the formation of the Gulf Cooperation council, lent to it all possible assistance and much more on most occasions despite the fact that it was neither a war between the Gulf countries and Iran nor did most of them support its initiation or continuation. It was particularly so as it was a war between two Muslim countries and yet much money was pumped into it steadily in the spirit of coming to the rescue of a brother by way of a moral obligation. Hence none could believe that the bullets purchased with the Gulf money would be fired against the Gulf brothers themselves, the brothers who helped, strengthened and embraced them. None could even imagine that these armies would be directed against the land of their own brothers, their brotherly neighbor.

psyche. Gulf brotherhood has been and continues to be t corner-stone of the thought-process of the Gulf leadersl and of the peoples who live in this region which is destir to be the cynosure of both international and Ar attention. While the matters kept swinging between t reservations arising from actualities and the dreams larger unity of goal, a common destiny and shar approach, the tragedy of the Iraq invasion of Kuw devastated both the reality and the dream all at once. T firm faith of the people of the Gulf was clouded by the th smoke of the burning oil-wells and the skies of the reg were filled with a sense of gloom and bewilderment.

The Iraqi invasion of brotherly Kuwait came as traumatic shock which shook many norms to their core was a *shock which shook the Arab body politic to its ro* and drove the Arab world as a whole into an abysı chasm of dissociation, groupism and division; the Ar world which had struggled over long years to maint unity of ranks and speak with one voice.

Why did this invasion come as a tremendous shock? my opinion it is attributable to several reasons which n be very briefly summed up as follows :

Firstly : The only root which unites the Arab peop and which is represented in the unity of the langua religion, custom and the original Arab tradition com down since centuries, and which shapes the unify sentiment among the Arab peoples may be termed "' Arab Brotherhood". This brotherhood was a reality wh prevailed over many theories which tried to creep into

In the name of God, the Beneficent, the Merciful

[redacted]

RELATIONS BETWEEN THE ARAB-GULF COUNTRIES AFTER THE GULF WAR

by

H.E. Shaikh Abdullah Bin Khalid Al Khalifa

The Center of Gulf & the Arabian Island Studies of the Kuwait University organized a seminar under the above-quoted title in which a number of scholars and historians participated presenting their perceptions of the biggest ever calamity which befell the Gulf in its contemporary history; namely the Gulf War. It is in this context that I state that Arab brotherhood was and continues to be the most deep-rooted sentiment in the Arab

ENGLISH SECTION

Front Cover [The Market]
by the Bahraini Artist : Ishaq al-Kohaji

*

Back Cover [The Tower]
by the Emirate Artist Hussain Al-Sharif

CONTENTS

ARABIC SECTION

AL WATHEEKAH

Devoted to The Heritage. Thought and History of Bahrain and The Gulf

Bahrain P.B. 28882

Telephone - Historical Documents Center- 664854

All Correspondence to be Addressed to The Editor-in-Chief

AL WATHEEKAH

A REFREED HISTORICAL PERIODICAL
BY THE HISTORICAL DOCUMENTS CENTER
THE STATE OF BAHRAIN

Editor-in-Chief
Shaikh Abdulla Bin Khalid Al Khalif

Editor
Al Sayed Ahmed Hegazi

Assistant Editor-in-Chief
Dr. Ali Abahussain

ISSUE No. 33 - 17th YEAR
RAMADHAN 1418H - JAN. 1998

IN THE NAME OF GOD THE BENEFICENT, THE MERCIFU[L]